

خزانة الأديب

ولب لباب لسان العرب

تأليف

عبد الفادر بن عمر البغدادي
١٠٣٠ - ١٠٩٣

تحقيق وشرح
عبد السلام محمد هاديون

الجزء السادس

الناشر مكتبة النخاس بالفايزة

صف هذا الكتاب بطريقة الجمع التصوري

مكتبة الخانجي

ص . ب ١٣٧٥ القاهرة

الطبعة الأولى

١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦ م

رقم الإيداع ٨٦/٣٠٥١

الترقيم الدولي ٤ - ١٥ - ٥٠٥ - ٩٧٧

مطبعة المصنف

المؤسسة السعيدية بمصر
٦٨ شارع العباسية - القاهرة ت : ٨٢٧٨٥١



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والعشرون بعد الأربعمئة (١) :

٤٢١ (كَالَّذِ تَزْبَى زُبْيَةً فَاصْطِيدَا)

على أن حذف الياء من (الذى) وتسكين الذال لغة .

قال ابن الأنبارى (فى المقصور والممدود) : زُبْيَةً وجمعها زُبَى ، وهى أماكن تحفر للأسد . أنشد الفراء :

فكنْتُ والأمر الذى قد كيدا كَالَّذِ تَزْبَى زُبْيَةً فَاصْطِيدَا

والزُبَى : أماكن مرتفعة ، يقال فى المثل : « قد بلغ الماء الزُبَى » ، قال العجاج :

* قد بلغ الماء الزُبَى فلا غَيْر * انتهى .

وقد أخذه القالى (فى المقصور والممدود) وزاده . قال : ومن أمثالهم : « قد بلغ السيل الزُبَى » ، يقال ذلك عند شدة الأمر . ومنه حديث عثمان : « أمّا بعد فقد بلغ السيل الزُبَى » . ويقال إن النمل إذا أحسّت بندى الأرض ترفعت إلى زبائها ، خوفاً من السيل ، فيستدلّ بذلك من فعلها على كثرة المطر ويخصب السنة . قال الكميت :

(١) أمالى ابن الشجرى ٢ : ٣٠٥ والإنصاف ٦٧٢ ويس ١ : ٤٢ وشرح السكرى للذهلىين ٦٥١ واللسان (زى) .

وأصبحت منهم فوق علياء صعبة إذا بلغت تلك السيول زبي التمل^(١)
انتهى .

وقال أبو فيد مؤرج بن عمرو السدوسي (في أمثاله) : وتقول العرب :
« قد بلغ السيل الزبي » ، وهو أن يبلغ الأمر منتهاه . والزبيبة غير القتره . الزبيبة
تحفر للأسد فيصاها فيها ، وهي ركة بعيدة القعر ، إذا وقع فيها لم يستطع
الخروج منها ، لبعدها قعرها ، يحفرونها ثم يوضع عليها لحم وقد غموا بما ٤٩٩
لا يحمله ، فإذا أتى اللحم انهدم غطاء الزبيبة . وأما القتره والتاموس والزبيبة فإنها
حفيرة تحتفرها القانص على موارد الوحش ويطرأ عليها الشجر ، فإذا وردت
رمى من قريب . والزبيبة لا يستطيع أحد نزولها لبعدها ، والرمي فيها أبعد من أن
يرى إذا دخلها شيء . حدثني سعيد بن السماك^(٢) بن حرب عن أبيه ،
عن حنش بن المعتمر قال : أتني معاذ بن جبل بثلاثة نفر قتلهم أسد في زبيبة .
فلم يدر كيف يفتيهم ، فسأل علي بن أبي طالب فقال : قصوا علي خبركم .
قالوا : صيدنا أسداً في زبيبة فاجتمعنا عليه ، فتدافع الناس عليها فرموا برجل
فيها ، فتعلق الرجل بآخر وتعلق الآخر برجل آخر ، فهوى فيها ثلاثتهم .
فقضى فيها : أن للأول ربع الدية ، وللثاني النصف ، وللثالث الدية كلها .

وروى البيت الأول ابن ولاد (في المقصور والممدود) :

* فظلت في الأمر الذي قد كيدا^(٣) *

(١) البيت لم يرد في ديوان الكمي .

(٢) سعيد بن سماك بن حرب ، يروي عن أبيه سماك بن حرب ، واختلف في توثيقه . لسان
الميزان ٣ : ٣٣ . وسماك بكسر السين ، كما في المشتهر للذهبي ٣٦٩ . ط : « السمال » صوابه في ش .
وكان أبوه سماك بن حرب من كبار التابعين ، ترجم له في تهذيب التهذيب .

(٣) المقصور والممدود لابن ولاد ٥١ .

يقول : ظَلَلْتُ في شَرٍّ من الذى كَذَبْتُ في حَقِّهِ ، كالذى عمل حُفْرَةَ
ليصطاد فيها فاصطيد وأُخِذ . وفي هذا المعنى قولُ النَبِيِّ ﷺ : « من حَفَرَ
بِئْراً لِأَخِيهِ يُوشِكُ أَنْ يَقَعَ فِيهَا » .

وروى غيره :

* ولا تكوننَّ من الَذِّ كيدا *

وهو ماضٍ مجهول من الكَيْد . و (تَزَيُّ) معناه حَفَرَ زُبِيَّةً ، بضم الزاى
المعجمة وسكون الموحدة ، وجمعها زُبَى . وأما الرُّبَا بضم الراء المهملة ، فجمع
زُبوة مثلثة الراء ، وهى ما ارتفع من الأرض .
وهذا من رَجَزٍ أوردَه السَّكْرِيُّ (فى أشعار الهذليين) لرجلٍ من هذيل ، صاحب الشاعِد

وهو :

أَرَيْتَ إِنْ جَاءَتْ بِهِ أُمْلُوداً مُرَجَّلاً وَيَلْبَسُ الْبُرُوداً

— أَى إِنْ جَاءَتْ بِهِ مَلِكاً أُمْلُوداً أَمْلَسَ —

* ولا ترى مالاً له معدوداً *

— أَى لا يعدُّ ماله من جُوده —

أَقَاتِلُونِ أَعْجَلِي الشُّهُوداً فَظَلْتُ في شَرٍّ من الَذِّ كيدا

* كَالَّذِى تَزَيُّ صَائِداً فَصِيداً *

ويروى : « فاصطيدا ^(١) » . و (تَزَيُّ زُبِيَّةً) : حَفَرَ زُبِيَّةً . يقول :
أَرَأَيْتَ إِنْ وَلَدَتْ هَذِهِ الْمَرْأَةُ رَجُلًا هَذِهِ صَفَتُهُ ، أَيْقَالَهَا : أَقِيمِ الْبَيْتَةَ أَنْتِ
لم تأتني به من غيره ^(٢) .

(١) ط : « فاصطيد » ، صوابه فى ش .

(٢) ط : « يقال لها أقيمى البينة أنك لم تأتني به من غيره » صوابه فى ش .

هذا ما أورده السكري . ويأتى الكلام عليه إن شاء الله تعالى فى نون التوكيد من آخر الكتاب .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والعشرون بعد الأربعمئة^(١) :
 ٤٢٢ (فُقِلَ لَلَّتْ تَلُوْمُكَ إِنَّ نَفْسِي أَرَاهَا لَا تُعَوِّدُ بِالتَّمِيمِ)
 على أَنَّ الياء حذفت من التى ، وسكن تأوها .
 هذا البيت أنشده ابن الشجرى (فى أماليه) عن الفراء وقال : التميم : جمع تميمية ، وهى التعويد .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والعشرون بعد الأربعمئة ، وهو من شواهد س^(٢) :
 ٤٢٣ (أَبْنِي كُلَيْبٍ إِنَّ عَمِّيَ الَّذَا قَتَلَا الْمُلُوكَ وَفَكَكَا الْأَغْلَالَا)
 على أَنَّ حذَفَ التَّوْنِ من قوله اللَذَا ، وأصله اللذَان ، تخفيفاً ، لاستطالة
 ٥٠٠ الموصل بالصلة . هذا قول البصريين ، وأما الكوفيون فحذفُ التَّوْنِ عندهم لغة فى إثباتها ، أطالت الصلة أم لم تُطَلَّ . حكاه عنهم ابن الشجرى (فى أماليه) .
 قال سيبويه : « قال رجلٌ من الأنصار :
 الحافظو عَوْرَةَ الْعَشِيرَةِ لَا يَأْتِيهِمْ مِنْ وَرَائِنَا وَكَفَّ
 لم يحذف النون للإضافة ، ولا ليعاقب الاسم النون ، ولكن كما حذفوها

(١) أمالى ابن الشجرى ٢ : ٣٠٨ والمجمع ١ : ٨٢ .

(٢) فى كتابه ١ : ٩٥ . وانظر المقتضب ٤ : ١٤٦ والمنصف ١ : ٦٧ والمختص ١ : ١٨٥ وابن الشجرى ٢ : ٣٠٦ وابن يعيش ٣ : ١٥٤ ، ١٥٥ والعينى ١ : ٣٢٤ والتصریح ١ : ١٣٢ والمجمع ١ : ٤٩ وديوان الأخطل ٤٤ . وسيأتى مرة أخرى فى ٨ : ٢١٠ .

من اللّذين والذين حين طال الكلام ، وكان الاسم الأول منتهاه الاسم الآخر .
وقال الأخطل :

* أبني كليب إنّ عمّي اللذا *...

لأنّ معناه الذين فعلوا ، يعنى الحافظو عورة العشيرة ، وهو مع المفعول
بمنزلة اسم مفرد لم يعمل في شيء ، كما أنّ الذين فعلوا مع صلته بمنزلة اسم .
قال أشهب بن زُميلة :

إنّ الذى حانت بفليج دماؤهم

همُ القومُ كلّ القوم يا أمّ خالد « انتهى .

والبيت من قصيدة للأخطل يفتخر بقومه ويهجو جريراً . صاحب الشاهد

والألف للنداء ، وبنو كليب بن يربوع : رهط جرير . فخر الأخطل على
جرير بمن اشتهر من قومه من بنى تغلب وساد ، كعمرو بن كلثوم التّغلبى قاتل عمرو
ابن هند ملك العرب ، وعُصم أوى حنش^(١) قاتل شُرخبيل بن عمرو بن حُجر ،
وغيرهم من سادات تغلب . و (الأغلال) : جمع غُلّ ، وهو طوق من حديد يُجَعَل
في عنق الأسير ، وقد يكون من قِدّ وعليه شَعَر فيَقَمَل على الأسير ، ومنه قيل للمرأة
السّيعة الخلق : « غُلّ قَمَل » ، بفتح القاف وكسر الميم ، أى ذو قَمَل . أى إنّ عمّيه
يَفُكّان الغُلّ من عنق الأسراء ويُثجونهم من أسنر أعدائهم قسراً عليهم . قال السكري
(فى شرح ديوان الأخطل) : أحد عمّيه أبو حنش عُصم بن النعمان ، قاتل

(١) أبو حنش : كنية لعصم ، وهو عصم بن النعمان ، كما سيأتى وكا فى الاشتقاق ٣٣٨ وجمهرة ابن
حزم ٣٠٤ .

شُرحبيل بن الحارث بن عمرو آكل المرار ، يوم الكلاب الأول . والآخِر دَوْكس بن
الْفَدَوْكس بن مالك بن جُشَمَ بن بكر بن حُبَيْب ، بالتصغير . وبعده :
(وأخوهما السَّفَاحُ ظَمًا خَيْلَهُ حتى وردن جِبَا الكلاب نِهالا)

الكلاب بضم الكاف : اسم ماءٍ فيما بين البصرة والكوفة على بَضْعَ
عشرة ليلة ، ومن الجمامة على سبع ليالٍ أو نحوها . والجبا بكسر الجيم بعدها
موحدة ، قال السكري : السَفَاح اسم سلمة بن خالد بن كعب بن زهير ،
من بني تميم بن أسامة بن بكر بن حُبَيْب ، وإنما سُمِّي السَفَاح لِأَنَّهُ لما دنا من
الكلاب عَمَدَ إلى مَزَادٍ أصحابه فشَقَّقَها وسفح ماءها وقال : لأماء لكم
إلا ماء القوم ، فقاتلوا عنه وإلا فموتوا عطاشا . انتهى .

وللعرب وَقْعَتان على الكلاب يقال لهما يوم الكلاب الأول ويوم
الكلاب الثاني . وقد تقدم شرح الكلاب الثاني في الشاهد الخامس
والستين ^(١) ، وهذا شرح اليوم الأول باختصار :

قال الإمام العسكري (في كتاب التصحيف) : أما اليوم الأول فكان
يوم الكلاب الأول في الجاهلية لبني تغلب ، وعليهم ^(٢) سلمة بن الحارث الكندي ، ومعهم ناسٌ
من بني تميم قليل ، وفيهم سُفَيان بن مجاشع . وكانت تميم يومئذ فرقتين : فرقة
مع تغلب ، وفرقة مع بكر بن وائل . فلقى سلمة بن الحارث بن عمرو أخاه
شُرحبيل بن الحارث ، ومع شُرحبيل بكر بن وائل وبعض بني تميم ، فَهَزَمَ
أَصْحَابُ شُرحبيل وَقُتِلَ شُرحبيل . قال ابن الكلبي : شُرحبيل بن الحارث
الكندي من ولد حُجر آكل المرار : ملك بني تميم ، وسلمة بن الحارث ملك
بني تغلب . انتهى .

(١) الخزانة ١ : ٤١٠ .

(٢) ش : « عليهم » بدون واو ، وهي بالواو في تصحيف العسكري ٤٣٩ .

وقد تجوز الأخطل في جعل أئى حنش ودوكسي عميه ، مع أنَّهما من
أعمام آياته ، كما تجوز في جعل السفاح أخاً لهما . والصواب ما قاله ابن قتيبة
في ترجمة ابن كلثوم (من كتاب الشعراء) : يعنى بعميه عمراً ومرة ابني
كلثوم ؛ فإنَّ عمراً قتل عمرو بن هند ، ومرة قتل المنذر بن النعمان بن
المنذر . ولذلك قال الفرزدق لجرير :

ماضِرَّ تغلبَ وائلُ أهجوئها أم بُلتَ حيث تناطَحَ البحرانِ
قومٌ هم قتلوا ابنَ هَندٍ عَنوَةً عمراً ، وهم قَسَطُوا على النُّعمانِ

انتهى .

ونقل ابن المستوفي عن الخوارزمي أنه قال : في حاشية نسختي من
المفصل : يعنى بعميه ابن هبيرة التغلبي ، والهديل بن عمران الأصغر . قال :
سُئِلْتُ كيف يكونان عميه وأحدهما ابن عمران والآخر ابن هبيرة ؟ أُجِبْتُ
بأنَّه يحتمل أن يكون أحدهما عمه والآخر عم أبيه أو جدّه . وكلاهما يسمّى
عمّاً . انتهى .

وقال ابن خلف : عمّاه أبو حنش وأخوه ، أو رجل آخر من قومه غير
أخى أئى حنش . وقيل عمه الآخر عمرو بن كلثوم . انتهى :
وأول القصيدة نسيب ، وهذا مطلعها :

(كَذَبْتُكَ عَيْنُكَ أَمْ رَأَيْتَ بِوَاسِطِ)

غَلَسَ الظَّلَامُ مِنَ الرَّيَابِ خَيَالَا

وَتَعَرَّضْتَ لَكَ بِالْأَبَالِخِ بَعْدَمَا

قَطَعْتَ بِأَبْرِقِ نُحْلَةٍ وَوَصَالَا

وَتَغَوَّلْتَ لَتُرْوَعْنَا جَنِيَّةً

وَالْغَانِيَاثُ يُرِيكَ الْأَهْوَالَا

أبيات الشاهد

يَمُدُّدَنَ مِنْ هَفَوَاتِهِنَّ إِلَى الصَّبَا
 سِبْبًا يَصِيدُنَ بِهِ الرِّجَالُ طَوَالَا
 مَا إِنْ رَأَيْتُ كَمَكْرَهِنَّ إِذَا جَرَى
 فِينَا ، وَلَا كَحِبَاهُنَّ حِبَالَا
 الْمَهْدِيَاثُ لِمَنْ هَوَيْنَ مَسَبَّةً
 وَالْحَسَنَاتُ لِمَنْ قَلَّيْنَ مَقَالَا
 يَرَعَيْنَ عَهْدَكَ مَا رَأَيْتَكَ شَاهِدًا
 وَإِذَا مَذَلْتَ يَصِيرُنَ عَنْكَ مَذَالَا
 وَإِذَا وَعَدْتُكَ نَائِلًا أَخْلَفْتَهُ
 وَوَجَدْتَ عِنْدَ عِدَاتِهِنَّ مِطَالَا
 وَإِذَا وَزَنْتَ حُلُومَهُنَّ إِلَى الصَّبَا
 رَجَحَ الصَّبَا بِحُلُومَهُنَّ فَمَا لَا (

ثم بعد أربعة أبيات من هذا النمط قال :

* أُبْنِي كَلِيبَ أَنَّ عَمِّيَ اللَّذَا *
 البيت
 وذكر ثلاثة أيام أخر مما أوقع بنو تغلبَ بيني تميم ، وهي يوم الكَحِيل
 بالتصغير ، ويوم الشَّرْعَبِيَّة ، ويوم لِرَاب .

وكان السبب في يوم الكلاب أَنَّ الحارث بن عمرو الكنديَّ جدَّ امرئ
 القيس الشاعر ، مَلَكَ المدَرَّ والوبر أربعين سنة ، وقيل ستين سنة ، وقد كان
 فَرَّقَ بنيه في قبائلٍ معدَّةٍ قبل موته ، فجعل حُجْرًا وهو أبو امرئ القيس في بني
 أسد وكنانة ، وكان أَسَنَ ولده . وجعل شرحبيل في بكر بن وائل ، وبني حنظلة
 ابن مالك ، وبني أُسَيْد بن عمرو بن تميم ، وطوائف من بني عمرو بن تميم
 والرَّيَاب . وجعل سَلَمَةَ ، وهو أصغرهم ، في بني تغلب ، والثَّمر بن قاسط ،
 ٥٠٢ وبني سعد بن زيد مناة . فلما هلك الحارثُ تَشَتَّتَ أمرهم ، وتفرقت كلمتهم ،

يوم الكلاب

ومشت الرجال بينهم وتفاقم أمرهم ، حتى جمع كل واحد منهم لصاحبه
الجموع ، وزحف إليه بالجيش ، فسار شرحبيل فيمن معه فنزل الكلاب ،
وأقبل سلمة فيمن معه من بني تغلب وسعد وغيرهما ، وكان على بني تغلب
السفاح المذكور ، فالتقى القوم فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى كان في آخر النهار ،
تخذلت بنو حنظلة وعمرو بن تميم والرباب ، وانصرف بنو سعد ، وصبر ابنا
واثل : بكر وتغلب ، وليس معهم أحد غيرهم ، حتى غشيهم الليل ، فنادى
مُنَادِي شرحبيل : من أتاني برأس سلمة فله مائة من الإبل . ونادى منادى
سلمة كذلك . ولما انهزم بنو حنظلة مع من ذكرنا خرج معهم شرحبيل ،
ولحقه ذو السنين - كانت له سن زائدة فسمي بذلك - فضربه شرحبيل على
رُكْبته فأطن رجله ، وكان ذو السنين أخوا أبي حنش لأمه ، فقال ذو السنين :
يا أبا حنش ، قتلني الرجل ! وهلك . فقال أبو حنش : قتلني الله إن لم
أقتله ! فحمل أبو حنش على شرحبيل فأدركه ، والتفت إليه فقال : يا أبا
حنش ، اللين اللين ! قال : قد هرقت لبناً كثيراً . فقال : يا أبا حنش ،
أملكاً بسوقة ؟ فقال : إله كان ملكي . فطعنه فألقاه فاحتز رأسه ، فبعث به
مع ابن عم له إلى سلمة فطرحه بين يديه فقال سلمة : لو كنت ألقىته إلقاءً
رفيقاً ؟ فقال : ما صنع به وهو حيٌّ شرٌّ من هذا ! وعرف القوم الندامة في
وجهه ، والجزع على أخيه ، فهرب أبو حنش فقال سلمة :

ألا أبلغ أبا حنش رسولاً فمالك لا تحيى إلى الثواب
تعلم أن شر الناس طراً قتيل بين أحجار الكلاب

فأجابه أبو حنش :

أحاذر أن أجيتك ثم تحبو جباء أهلك يوم صنييعات

وكانت غَدْرَةً شنعاء تهفو تقلدُها أبوكَ إلى المماتِ

وقوله : « كذبتك عينك » إلخ خطابٌ لنفسه ، وفيه حذفُ ألف الاستفهام ، أى أكذبتك . وبه استشهد بعضهم . وأورده ابن هشام (فى المغنى) على أن أبا عبيدة قال : إنَّ أمَّ تأتى للاستفهام المجرد عن الإضراب ، وقال : إن المغنى فى البيت هل رأيت ؟ وفى (تفسير ابن جرير) عند قوله تعالى : ﴿ أم تُريدون أن تُسألوا رُسولَكم ﴾ ^(١) قال : أم هنا على الشك ، ولكنه قاله ليقبَّح به صنيعهم ، كقول الأخطل : كذبتك عينك ، البيت . والرَّباب : اسم امرأة . وواسط هذه : قريةٌ غربىَّ الفرات مقابل الرُّقَّة من أعمال الجزيرة . والخابور : قرب قرقيسياء ^(٢) ، وهى من منازل بنى تغلب وليست واسط هنا واسط التى بناها الحجاج بين البصرة والكوفة ، خلافاً لشارح شواهد المغنى . نقل ياقوت (فى معجم البلدان) عن الأسود أبى محمد الغندجاني قال : أخبرنى أبو الندى ^(٣) قال : للعرب سبعة أواسط : واسط نجد ، وواسط الحجاز ، وواسط الجزيرة . قال الأخطل :

« كذبتك عينك أم رأيت بواسط » البيت

وواسط البجامة ، وواسط العراق وهى التى بناها الحجاج فى سنة أربع وثمانين وفرغ منها فى ست وثمانين . قال أبو الندى : وقد أنسيَتْ اثنتين . ثم قال ياقوت : وواسط أيضاً : قرية مشهورة ببلخ ، وواسط : قرية بحلب

(١) الآية ١٠٨ من البقرة .

(٢) قرقيسياء بباءين كما فى ط ومعجم البلدان . قال ياقوت « ويقال بباء واحدة » . وفى ش : « قرقيسياء » .

(٣) ط : « أبو النداء » فى هذا الموضع وتاليه ، صوابه فى ش .

قرب بُزاعة^(١) مشهورة ، وبالقرب منها قرية يقال لها الكوفة . وواسط : قرية ٥٠٣
 بدجيل على ثلاثة فراسخ من بغداد . وواسط : قرية بالأندلس . وواسط : قرية
 قرب مرزباد^(٢) ، حلة بنى مزيد من أعمال بغداد يقال لها واسط مرزباد .
 وواسط : قرية في شرقي دجلة الموصل بينهما ميلان ، ذات بساتين كثيرة .
 وواسط : قرية باليمن بسواحل زبيد . وواسط : موضع في بلاد تميم . وواسط من
 منازل بنى قشير . وواسط : موضع بين العذيب والصفراء . وغير ذلك .
 وقوله : « وتعرضت لك بالأبالغ » هو جمع بليخ ، بفتح الموحدة وكسر
 اللام وآخره خاء معجمة ، قال أبو عبيد (في معجم ما استعجم) : البليخ :
 نهر الرقة والفرات ، وبينه وبين شطّ الفرات ليلة . وجمعه باعتبار أجزائه .
 وتغوّلت : تهوّلت . والغاية : المرأة التي غنيت بحمالها عن الزينة . وهفواتهنّ :
 جهلهنّ . والسبب : الحيل . والطوال ، بضمّ الطاء ، بمعنى الطويل صفة
 لسبب .

ومذلت بكسر الذال المعجمة بمعنى قلقت وضجرت ، ومذال ،
 بكسر الميم : جمع مذلة بفتح فسكون ، كعيلة وعيال ، وجعدة
 [وجعاد^(٣)] ، بمعنى قلقة ومتضجرة .

والأنحطل : شاعر نصراني من شعراء الدولة الأموية ، وتقدّمت ترجمته في
 الشاهد السابع والثمانين^(٤) .

وقد نسب الزمخشري (في المفصل) البيت الشاهد للفرزدق ، ونقله
 العيني عنه . وهذا سهو من قلم الناسخ . والله أعلم .

* * *

(١) بزاعة بضم الباء وكسرها ، كما في معجم البلدان .

(٢) الكلام بعده الى « مرزباد » التالية ، ساقط في ط .

(٣) تكملة يقتضيهما السياق .

(٤) صوابه « الثامن والسبعون » . الخزنة ١ : ٤٥٩ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والعشرون بعد الأربعمئة ^(١) :
 ٤٢٤ (هما اللتا لو ولدت تميمٌ لقل فخرٌ لهم صميمٌ)
 على أنَّ نون اللتان حُذفت لاستطالة الموصول بالصلة تخفيفاً ، كالبيت المتقدم .

قال شراح التسهيل : حذف النون من الذين واللذان واللتان : لغة بني الحارث بن كعب وبعض بني ربيعة . وأنشدوا هذين البيتين .
 والعجب من ابن مالك بعد أن قال (في التسهيل) : إنه يجوز حذف النون ، قال (في شرحه) : إنَّ حذف النون من هما اللتا ضرورة . وهما مبتدأ ، واللتا خبره بتقدير موصوف ، أى هما المرأتان اللتان ، والجملة الشرطية مع جوابها صلة الموصول ، والعائد محذوف لكونه مفعولاً ، أى ولدتهما ، وتميم فاعل ولدت ، وهو أبو قبيلة . والصميم : الخالص النقي ، وهو صفة للمبتدأ الذى هو فخرٌ ، ولهم هو الخبر ، والجملة مقول القول .
 قال ابن الشجرى : وهذا البيت أنشده الفراء ^(٢) .
 وقال العينى : « هو للأخطل » . وقد فتشت أنا ديوانه فلم أجده فيه .
 والله أعلم .

صاحب الشاهد

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والعشرون بعد الأربعمئة ^(٣) :
 ٤٢٥ (قومي اللئو بعكاظ طيروا شرراً
 من رؤس قومك ضريباً بالمصاقيل)
 على أنه قد تحذف النون من اللذون .

(١) أمالى ابن الشجرى ٢ : ٣٠٨ والعينى ١ : ٤٥٥ والنصرى ١ : ١٣٢ والمص ١ : ٤٩ .
 (٢) لم يرد في معاني القرآن .
 (٣) لم أجده له مرجعاً آخر .

و (عكاظ) بضم العين المهملة وبالتنوين ، باعتبار أنه اسم مكان . قال أبو عبيد (في معجم ما استعجم) : عكاظ : صحراء مستوية لا علم فيها ولا جبل إلا ما كان من الأنصاب التي كانت بها في الجاهلية ، وبها من دماء الإبل كالأرحاء العظام ^(١) . وكانت عكاظ ومَجَنَّة وذو المجاز أسواقاً لمكة في الجاهلية . قال محمد بن حبيب : عكاظ بأعلى نجد قريب من عرفات . وقال غيره : عكاظ وراء قرن المنازل بمحلة من طريق صنعاء ، وهي من عمل الطائف وعلى بريد منها ، وأرضها لبنى نصر ، وأُتخذت سوقاً بعد الفيل بخمس عشرة سنة ، وتُركت عام خرجت الحرورية بمكة مع المختار بن عوف ، ٥٠٤ سنة تسع وعشرين ومائة ، إلى هلم جراً . قال أبو عبيدة : عكاظ فيما بين نخلة والطائف ، وكان سوق عكاظ يقوم صباح هلال ذي القعدة عشرين يوماً ، وسوق مَجَنَّة تقوم ^(٢) عشرة أيام بعده ، وسوق ذي المجاز تقوم هلال ذي الحجة . ثم قال : وعكاظ مشتق من قولك : عكظت الرجل عكظاً ، إذا قهرته بحجته ، لأنهم كانوا يتعاكظون هناك بالفخر . وكانت بعكاظ وقائع مرة بعد مرة . وذكر أبو عبيدة أنه كان بعكاظ أربعة أيام : يوم شَمَطَة ^(٣) ، ويوم العُبلاء ، ويوم شَرِب ^(٤) ، ويوم الحُريرة ، وهي كلها من عكاظ ، قال : فشَمَطَة من عكاظ هو الموضع الذي نزلت فيه قريش وحلفاؤها من بنى كنانة

(١) في بعض نسخ معجم ما استعجم ٩٥٩ : « كالأرحال العظام » ، تحريف .

(٢) في معجم ما استعجم : « يقوم » في هذا الموضع وتاليه . والسوق يذكر ويؤث . وأنشدوا في التذكير :

ألم يعظ الفتيان ما صار لمتى بسوق كثير ريحه وأعاصره

(٣) ط : « شَمَطَة » في جميع المواضع هنا ، وأثبت ما في ش . وقد أورد ياقوت « شَمَطَة » بالطاء المهملة ، ثم قال : « ورواه الأزهري بالطاء المعجمة » .

(٤) شرب ، بفتح أوله وكسر ثانيه ، قال ياقوت : « وبشرى كانت وقعة الفجار العظمى » .

بعد يوم نخلة ، وهو أول يوم اقتتلوا فيه من أيام الفجار بحول ، على ما تواعدت عليه مع هوازن وحلفائها من ثقيف وغيرهم ، فكان يوم شمطة لهوازن على كنانة وقريش ، ولم يُقتل من قريش أحد يذكر ، واعتزلت بكر بن عبد مناة بن كنانة إلى جبل يقال له دَحْم ، فلم يُقتل منهم أحد . وقال خدّاش بن زهير :

فأبلغ إن بلغت به هشاماً وعبد الله أبلغ والوليد
بأنّا يوم شمطة قد أقمنا عمود الدين ، إن له عمودا

ثم التقى الأحياء المذكورون على رأس الحول من يوم شمطة بالعلاء إلى جنب عكاظ ، فكان لهوازن أيضاً على قريش وكنانة . قال خدّاش بن زهير :

ألم يبلغكم أنّا جدّعنا لدى العلاء خندف بالقياد
ضربناهم ببطن عكاظ حتّى تولّوا طالعين من النجاد^(١)

ثم التقوا على رأس الحول ، وهو اليوم الرابع من يوم نخلة بشرب ، وشرب من عكاظ . ولم يكن بينهم يوم أعظم منه ، فحافظت قريش وكنانة وقد كان تقدّم لهوازن عليهم يومان ، وقيد أبو سفيان وحرب ابنا أمية^(٢) وأبو سفيان بن حرب أنفسهم وقالوا : لا يبرخ منا رجل مكانه حتى يموت أو يظفر^(٣) ! فانهزمت هوازن وقيس كلها إلا بنى نصر ، فإنّها صبرت مع ثقيف ، وذلك أنّ عكاظ بلدهم لهم فيه نخل وأموال ، فلم يُغنوا شيئاً ، ثم انهزموا ، وقتلت هوازن يومئذ قتلاً ذريعاً . قال أمية بن الأسكر الكناني :

(١) في معجم البكري : « طالعين » بالطاء المعجمة .

(٢) في المعجم : « سفيان وحرب ابنا أمية » . وما يجدر ذكره أن أمية الأكبر بن عبد شمس من أولاده سفيان وأبو سفيان ، وحرب وأبو حرب ، كما في الجمهرة ٧٨ . وفي النسختين : « أبناء أمية » والوجه ما أثبت من المعجم .

(٣) في المعجم : « أو يظفر » .

ألا سائل هَوَازَنَ يَوْمَ لَاقُوا
فوارِسَ من كنانة مُعلمينا
لدى شَرِبٍ وقد جاشوا وجِشْنَا
فأوعَبَ في الثَّغِيرِ بنو أَيْبنا (١)

وقال :

قومي اللُّدُو بعكاظ طَيِّروا شَرَّراً
من رُوس قومِك ضريباً بالمصاقيل (٢)

ثم التقوا على رأس الحول بالحريرة ، وهي حَرَّةٌ إلى جنب عُكاظ مما يلي
مهبَّ جنوبها ، فكان لهوازين على قريش وكنانة .

و (الشَّرَر) بفتحتين ، هو إمَّا جمع شَرَّة ، وهو ما يتطاير من النار ،
وكذلك الشرار والشرارة ؛ وإما مصدر شررت يا رجلُ بفتح الراء وكسرها ، شَرّاً
وشَرَّراً ، من الشَّرِّ نقيض الخير . وقوله : (من رُوس قومِك) هو بحذف
الهمزة من رُوس . وقوله : (ضريباً) إما منصوب بنزع الخافض أى بضرب ، ٥٠٥
وإما منصوب بعامل محذوف حال من الواو في طَيِّروا ، أى يضربون ضريباً ،
أو ضارين ضريباً . و (المصاقيل) : جمع مصقول ، من الصَّقْل ، وهو جلاء
الحديد وتحديده ، أى جعله قاطعاً . أراد كل آلة حديد من السلاح ، مثل
السيف والسنان .

والبيت لأمية بن الأسكر الكناني . ولم أقف على ما قبله ولا ما بعده . صاحب الشاهد

(١) ط : « فأدعب » ، صوابه في ش والمعجم .

(٢) هذا البيت لم يرد في معجم ما استعجم .

وأمية ، كما قال صاحب الأغاني : أمية بن حرثان بن الأسكر بن عبد الله بن سراييل الموت ^(١) بن زهرة بن زينة ^(٢) بن جندع بن ليث بن بكر ابن عبد مناة بن كنانة بن مدركة بن خزيمه بن مدركة بن الياس بن مضر . شاعر فارس مخضرم ، أدرك الجاهلية والإسلام . وكان من سادات قومه وفرسانهم ، وله أيام مأثورة مذكورة .

وابنه كلاب بن أمية أدرك النبي ﷺ فأسلم مع أبيه ، ثم هاجر إلى النبي ﷺ .

وروى صاحب الأغاني بسنده إلى الزهري عن عروة بن الزبير قال : هاجر كلاب بن أمية بن الأسكر إلى المدينة في خلافة عمر بن الخطاب ، فأقام بها مدة ، ثم لقي ذات يوم طلحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوام ، فسألهما : أي الأعمال أفضل في الإسلام ؟ فقالا : الجهاد . فسأل عمر فأغراه في جيش ، وكان أبوه قد كبر وضعف ، فلما طالت غيبة كلاب عنه قال :

لَمَنْ شِيخَانِ قَدْ نَشِدَا كَلَابَا

كَتَابَ اللَّهِ لَوْ قَبِلَ الْكِتَابَا ^(٣)

أَنَادِيهِ فَيُعْرَضُ فِي إِبَاءِ

فَلَا وَأَيُّ كَلَابٍ مَا أَصَابَا

(١) وفي الأغاني : « بن سراسل الموت » ، تحريف . والذي في جمهرة ابن حزم ١٨٣ : « بن عبد الله سرايل الموت » .

(٢) في النسختين : « زينة » ، وفي الأغاني : « زينة » ، صوابه من الجمهرة ١٨٣ والإصابة ٢٥١ .

(٣) في الأغاني ١٨ : ١٥٧ : « إن قبل » ، وفي الجمهرة : « لو حفظ » . وفي المعمرين ٦٨ : « لو ذكر » .

إذا سَجَعَتْ حمامةٌ بطنَ وَجٍّ
 إلى بَيضَاتِهَا دَعَا كَلاباً (١)
 أتاه مهاجرانِ تَكْتَفَاهُ
 ففارق شيخه خطأً وخاباً
 تَرَكْتَ أباك مُرْعِشَةً يداهُ
 وأمك ما تُسِيغُ لها شراباً
 تَمْسَحُ مَهْدَهُ شَفَقاً عليه
 وتُجَنِّبُهُ أَبَاعِرَها الصَّعَابا (٢)
 فإِنَّكَ وابتغَاءَ الأجرِ بعدى
 كباغى الماءِ يَتَّبِعُ السَّرابا (٣)

قال : تَجَنَّبِهِ وَتَجَنَّبِهِ واحد ، من قول الله تعالى : ﴿ وَاجْتَنِبِي وَتَبَيَّنْ أَنْ
 تَعْبُدَ الأصنامَ ﴾ (٤) . فبلغت عمر رضى الله عنه فلم يردد كلاباً ، فَأَهْتَرَ أُمِيَّةُ
 وَخَلَطَ جزعاً عليه ، ثم أتاه يوماً وهو فى مسجد رسول الله ﷺ وحوله
 المهاجرون والأنصارُ ، فوقفَ عليه وأنشأ يقول :
 أعاذلُ قد عدلتِ بغير علمٍ
 وما تدرينَ عاذلُ ما ألقى (٥)

(١) فى الأغاني : « بطن واد » . وفى الإصابة :
 إذا نعب الحمام ببطن وج على بيضاته ذكراً كلاباً
 وفى المعمرين : « إذا هتفت حمامة بطن وج » .
 (٢) ط : « مهر » ، صوابه فى ش والمعمرين .
 (٣) الإصابة : « وإنك واتماس الأجر » .
 (٤) الآية ٣٥ من سورة إبراهيم .
 (٥) فى المعمرين ٦٨ والإصابة : « وما يدرك ويحك ما ألقى » . وفى معجم البلدان (بساق) :
 « ولا تدرين عاذل » .

فإِذَا كُنْتَ عَاذِلْتَنِي فُرْدِي
 كَلَاباً إِذْ تَوَجَّهَ لِلْعِرَاقِ
 وَلَمْ أَقْضِ اللَّيْلَانَةَ مِنْ كَلَابٍ
 غَدَاةَ غَدَا وَأَذَنَ بِالْفِرَاقِ (١)
 فَتَنِي الْفَتَيَانُ فِي عُسْرٍ وَيُسْرٍ
 شَدِيدُ الرُّكْنِ فِي يَوْمِ التَّلَاقِ
 فَلَا وَأَيُّكَ مَا بَالَيْتَ وَجَدِي
 وَلَا شَغَفِي عَلَيْكَ وَلَا اشْتِيَاقِي
 وَإِبْقَائِي عَلَيْكَ إِذَا شَتُونَا
 وَضَمَمَكَ تَحْتَ نَحْرِي وَاعْتَنَاقِي (٢)
 فَلَوْ فَلَقَى الْفَوَادَ شَدِيدُ وَجْدِي
 لَهْمَ سَوَادٍ قَلْبِي بَانْفِلَاقِي (٣)
 سَأَسْتَعِدِّي عَلَى الْفَارُوقِ رَبًّا
 لَهُ دَفَعَ الْحَجِيجُ إِلَى سِيَاقِ (٤)
 وَأَدْعُو اللَّهَ مُجْتَهِدًا عَلَيْهِ
 بِيْطُنَ الْأَخْشَبِيِّنَ إِلَى دُفَاقِ ٥٠٦

(١) ط والأغاني : « غداة غد » بالإضافة ، والوجه ما أثبت من ش .

(٢) في معجم البلدان : « وإيقادى عليك » .

(٣) في الأغاني : « حطام وجد » ، وفي المعمرين : « حطاط وجد » .

(٤) ط والمعمرين والإصابة : « وله رفع » ، وأثبت ما في ش والأغاني . وفي البلدان : « له عمد » . وسياق ، كذا في النسختين ، وفي هامش نسخة ش : « كذا بخط المؤلف رحمه الله ، وصوابه بساق بتقديم الباء ، كغراب » . وهو جبل بعرفات ، وقيل واد بين المدينة والجار .

لإن الفاروق لم يرُدِّد كلاباً

إلى شيخين هأُمهما زواق

قال : فبكى عمرُ بكاءً شديداً ، وكتب إلى سعد بن أبي وقاص بالكوفة يأمره بإقفال كلاب بن أمية إلى المدينة ، فلما دخل عليه قال له : ما بلغ من برك بأبيك ؟ قال : كنت أكفيه أمره ، وكنت أعتد إذا أردت أن أحلب لبناً أغزر ناقة في إبله وأسمتها ، فأريحها فأتركها حتى تستقر ، ثم أغسل أخلافها حتى تبرد ، ثم أحلب له فأسقيه . فبعث عمر إلى أمية فجاء يتهاذى وقد ضُغف بصره وانحنى ، فقال له : كيف أنت يا أبا كلاب ؟ فقال : كما ترى يا أمير المؤمنين . قال : فهل لك من حاجة ؟ قال : نعم أشتى أن أرى كلاباً فأشمه شمةً ، وأضمه ضمةً قبل أن أموت ! فبكى عمر وقال : ستبلغ في هذا ما تحب إن شاء الله ! ثم أمر كلاباً أن يحتلب لأبيه ناقةً كما كان يفعل ويبعث إليه بلبنها . ففعل ، فناولته عمرُ الإناء قال : دونك هذا يا أبا كلاب . فلما أخذه وأدناه إلى فمه قال : لعمرُ الله يا أمير المؤمنين إني لأشتم رائحة يدَي كلاب من هذا الإناء . فبكى عمر وقال له : هذا كلابٌ عندك حاضر ، قد جئناك به . فوثب إلى ابنه فضمه إليه وقبله ، وجعل عمر يبكي ومن حضره ، وقال لكلاب : الزم أبويك ما بقي ، ثم شأنك بنفسك بعدهما . وأمر له بعطائه وصرفه إلى أبيه ، فلم يزل معه مقيماً حتى مات أبواه ^(١) .

وأخبرنا الحسن بن عليّ قال : حدثنا الحارث عن المدائني قال : لما مات أمية بن الأسكر عاد ابنه كلاب إلى البصرة ، فكان يغزو ، وشهد فتوحاً كثيرة ^(٢) ، وبقي إلى أيام زياد ، فولاه الأبلّة ، فسمع كلاب يوماً عثمان بن

(١) في الأغاني : « أبوه » .

(٢) في الأغاني : « فتوحات كثيرة » .

أبى العاص يحدث أن داود نبى الله عليه السلام كان يجمع أهله فى السحر فيقول : ادعوا ربكم فإن فى السحر ساعة لا يدعو فيها عبد مؤمن إلا غفر له ، إلا أن يكون عَشَّاراً أو غريفاً . فلما سمع ذلك كلاب كتب إلى زياد فاستعفاه من عمله فأعفاه .

قال المدائنى : ولم يزل كلاب بالبصرة حتى مات . والمربعة المعروفة بمربعة كلاب منسوبة إليه . قال : وعمر أمية بن الأسكر عمراً طويلاً حتى تحريف .

وكذلك قال أبو حاتم (فى كتاب المعمرين) . ولم يذكر ما مقدار عمره وفى أى سنة أسلم ، وفى أى سنة مات . والله أعلم . ونقل صاحب الأغاني عن أبى عمرو الشيباني أن كلاب بن أمية هاجر إلى النبى ﷺ ، فقال فيه أبوه شعراً ، فأمره النبى ﷺ بصلة أبيه وملازمة طاعته .

ثم قال : هذا خطأ من أبى عمرو ، وإنما أمره بذلك عمر . وذكره ابن حجر (فى قسم الصحابة) ثم قال : إنما لم أؤخره إلى المخضرمين لقول أبى عمرو الشيباني ، فإنه ليس فى بقية الأخبار ما ينفيه ، فهو على الاحتمال ، ولأسيما من رجل كنانى من جيران قريش . اهـ . وذكر الذهبى أمية هذا (فى التجريد) وقال : فى صحبته نظر . قال ابن حجر : الأسكر بالسين المهملة ، فيما صوّبه الجياني . وضبطه ابن عبد البر بالمعجمة .

تتمة

الشاهد المشهور فيما بين النحويين لقولهم : « اللّذون » هو قوله :
نحن اللّذون صَبَّحُوا الصَّبَّاحَا

يَوْمَ التُّخَيْلِ غَارَةً مِلْحَا حَا

قطعة من أرجوزة أوردها أبو زيد (في نواتره) ^(١) وقال : هي لأبي
حرب الأعمى ^(٢) ، من بنى عُقِيلَ بالتصغير ، وهو شاعر جاهلي . وبعدهما : ٥٠٧

نَحْنُ قَتَلْنَا الْمَلِكَ الْجَحْجَحَا حَا ولم نَدْعُ لِسَارِحِ مِرَا حَا

ولا دِيَارَا أَوْ دَمًا مُفَا حَا ^(٣) نحن بنو تُخُولِدِ صِرَا حَا

* لا كَذَبَ الْيَوْمَ وَلَا مِرَا حَا *

قوله : « أَوْ دَمًا مُفَا حَا » أو في معنى واو العطف . والمُفَا حَا :
المُهْرَاقُ . يقالُ فَا ح دُمُهُ وَأَفَا حَ جَمِيعًا ، يَفِيحُ فَيَحًا وَيُفِيحُ إِفَا حَةً . لم يعرف
الرِّيَاشِيُّ وَلَا أَبُو حَاتِمٍ : أَفَا حَ . « لا كَذَبَ الْيَوْمَ وَلَا مِرَا حَا » قال أبو حاتم :
مِرَا حَا بكسر الميم وباء الراء المهملة ، وهو النشاط ^(٤) . قال أبو زيد : أَفَا حَت دَمَهُ
فَفَا حَ يَفِيحُ فَيَحَانًا . والجَحْجَحَا حَا : السَّيِّدُ . هذا ما في النواتر .

والتُّخَيْلِ ، بالتصغير : عين ماءٍ قُرْبَ المدينة على مشرفها الصلاة
والسلام ، وموضعٌ من نواحي الشام . ولم يذكر أبو عبيد (في معجم
ما استعجم) هذا اللفظ ولا ذَا التُّخَيْلِ ^(٥) وهو موضع قرب مكة ، وموضع
قرب حَضْرَمَوْتِ . قاله الصغاني (في العباب) .

(١) نواتر أبي زيد ٤٧ . وانظر شرح شواهد المغنى ٢٨١ والعينى ١ : ٤٢٦ والتصرح ١ : ٢٣
والجمع ١ : ٦١ ، ٨٣ والأشعوفى ١ : ١٤٩ .
(٢) وكذا عند العينى . وفي النواتر : « أبو حرب بن الأعمى » .
(٣) وروى أبو حاتم : « ولا مرا حَا » . قال : قال : « وأراه ودما مفاحا » .
(٤) وروى في النواتر أيضا : « ولا مزاحا » بالزاي المعجمة .
(٥) لم يذكر لهما رسما ، وإنما ورد الأول عرضا في شعر ١٣٠٣ ، والثاني في شعر أيضا في ٦٣٥ .

وخلط العيني بينهما فقال : نُخِيل : أربعة مواضع . ثم ذكر معنييهما .
 والغارة : اسمٌ من الإغارة على العدو . وملحاحاً صفة غارة ، ولم يؤثته
 لعدم اعتبار تأنيث المصدر ، لأنه في تأويل أن والفعل ، وهذا لا يتصف
 بتأنيث أو لأنه بمعنى النسبة ، أى ذات إلحاح ، كقوله تعالى : ﴿ السَّمَاءُ مَنفُطِرٌ ﴾
 به ^(١) أى ذات انفطار . وهو من ألح المطر ، إذا دام . والسَّارح : المال
 السائم . والمَرَّاح بالضم . اسمٌ مكانٍ من أراح إبله ، إذا ردها إلى المَرَّاح ، وهو
 حيث تأوى إليه الإبل والغنم بالليل ؛ ولا يكون ذلك إلا بعد الزوال . وصيراح
 بالكسر : جمع صريح ، وهو الخالص في النسب ، ككرام جمع كريم .

وروى العيني عن الصاغاني (في العباب) أنَّ الرجز ليلي الأخيَّية ، في
 قتل دهر الجعفي ^(٢) ، وأنَّ الرواية كذا :

نَحْنُ قَتَلْنَا الْمَلِكَ الْجَحْجَاحَا دَهْرًا فَهَيَّجْنَا بِهِ أَنْوَا حَا
 لَا كَذَبَ الْيَوْمَ وَلَا مِرَاحَا ^(٣) قَوْمِي الَّذِينَ صَبَّحُوا الصَّبَا حَا
 يَوْمَ التَّخِيلِ غَارَةً مِلْحَا حَا مَذْجَجَ فَاجْتَحْنَا هُمْ اجْتِيَا حَا
 « فلم ندع لسارح مَرَّاحَا »

إلى آخر الأبيات . وعليها لا شاهد فيه .

وأنواح : جمع نوح . ومذجج ، بكسر الحاء المهملة بعد الذال المعجمة

(١) الآية ١٨ من المزمل .

(٢) ذكره ابن حبيب في المخر ٢٥٢ في الجرايين من اليمن ، وهو دهر بن الحذاء بن ذهل بن
 جعفي . وقال في ٢٤٦ : « ولم يكن الرجل يسمى جَرَّاراً حتى يرأس ألفاً » .

(٣) في العيني : « ولا مزاحا » بالزاي .

الساكنة : قبيلة كبيرة . فاجتحناهم ، من الاجتياح بتقديم الجيم على الحاء المهملة ، وهو الإهلاك والاستتصال . وصَبَّحَ ، بمعنى أتاها صَبَاحاً . وغارة مفعول لأجله . وقال العيني : ويجوز أن يكون حالاً من الواو في صَبَّحُوا . وقد فَتَّشْتَ هذا الرَجَزَ بجميع موادِّ ألفاظه (في العباب) فلم أرَ له فيه أثراً ، ولم أدر من أيِّ مادة نقله . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والعشرون بعد الأربعمئة ، وهو من شواهد س (١) :

٤٢٦ (وإنَّ الذي حائثٌ بفليحٍ دِماؤهم

هُمُ القومُ كُلُّ القومِ يا أُمَّ خَالِدِ)

على أنَّ أصله : (وإنَّ الذين) ، فحذفت النون منه تخفيفاً .

وقد تقدّم نصُّ سيبويه في هذا البيت عند شرح قوله :

* أبني كليبٍ إنَّ عَمَى اللذا * البيت

قبل هذا بَيِّتَيْن . قال الأعلام : الشاهد فيه حذف النون من الذين ٥٠٨ استخفافاً . والدليل على أنه أراد به الجمع قوله : « دِماؤهم (٢) » . ويجوز أن يكون الذي واحداً يؤدّي عن الجمع لإبهامه ، ويكون الضمير محمولا على المعنى ، فيجمع ، كما قال جل وعز : ﴿ والذي جاء بالصّدق وصدّق به أولئك هم المتّقون (٣) ﴾ . رثى قوماً قتلوا بفليح ، وهو موضعٌ بعينه كانت فيه وقعة . اهـ .

(١) في كتابه ١ : ٩٦ . وانظر البيان ٤ : ٥٥ والمقتضب ٤ : ١٤٦ والمختص ١ : ١٨٥ والمنصف ١ : ٦٧ وآمال ابن الشجرى ٢ : ٣٠٧ وابن يعيش ٣ : ١٥٤ ، ١٥٥ وشرح شواهد المغنى ١٧٥ والعينى ١ : ٤٨٢ والتصريخ ١ : ١٣١ والمجم ١ : ٢/٤٩ : ٧٣ .

(٢) ما بعده الى كلمة « الذى » ساقط من ش .

(٣) الآية ٣٣ من سورة الزمر .

وأورده ابن جنى (فى المحتسب) عند قراءة من قرأ : ﴿ والمقيمى الصَّلَاة 》^(١) بالنصب ، قال : أراد المقيمين ، فحذف النون تخفيفاً . أو شبه ذلك بالذين فى قوله :

* فإن الذى حانت بقلج دماؤهم * البيت
وأورده صاحب الكشف أيضاً عند قوله تعالى : ﴿ آلم ﴾ ذلك الكتاب ﴿ على أن السورة المسماة بآلم هو الكتاب لكماله ، حتى كأن ما عداه من الكتب بالنسبة إليه لا يستحق أن يسمى كتاباً ، من باب حصر الجنس فى بعض أفرادها ، على حد قولك : زيد هو الرجل ، أى الكامل فى الرجولية . ولما كان ذلك مستبعداً فى الأوهام أتى بما صرح به بحصر كل الجنس فى الفرد الكامل ، فى قوله :

* هم القوم كل القوم يا أم خالد *
إزالة لذلك الوهم . والمعنى : إن الذين هلكوا بهذا الموضع هم القوم والرجال الكاملون ، فاعلمى ذلك وابكى عليهم يا أم خالد .
قال الواحدى : قولهم يا أم خالد ويا ابنة القوم ، هو من عادة العرب بهذا الخطاب للنساء لحنهن على البكاء . وكل القوم صفة للقوم ، دلالة على كمالهم .
وبه أورده ابن هشام (فى كل ، من المغنى) . والحنين ، بالفتح : الهلاك . وحن الرجل : هلك . وأحانه الله : أهلكه . ودماؤهم : فاعل حانت . ومعنى حانت دماؤهم : لم يؤخذ لهم بدية ولا قصاص . (وفلج) بفتح الفاء وسكون اللام وآخره جيم . قال أبو عبيد (فى معجم ما استعجم) : هو موضع فى بلاد بنى مازن ، وهو فى طريق البصرة إلى مكة ، وفيه منازل للحجاج . وقال الزجاج : هو ماء لبنى العنبر ما بين الرخيل إلى

(١) الآية ٣٥ من سورة الحج .

المجَاَزَة . وقال ياقوت (في معجم البلدان) : قال أبو منصور : فلجّ اسم بلد ،
ومنه قيل لطريق يأخذ من طريق البصرة إلى الحماة : طريق فلج . وأنشد (١) :
* وإن الذي حانت بفلج دماؤهم (٢) *

وقال غيره : فلج وادٍ بين البصرة وحمى ضريبة من منازل عدي بن جندب
ابن العنبر بن عمرو بن تميم ، من طريق مكة . ويطن وادٍ يفرق بين الحزن
والصمان ، يسلك منه طريق البصرة إلى مكة ، ومنه إلى مكة أربع وعشرون
مرحلة .

وهذا البيت أنشدّه الجاحظ (في البيان والتبيين) بدون واو مع بيتين صاحب الشاهد
بعده ، للأشهب بن ربيعة ، وهما :

(هم ساعد الدهر الذي يتقى به)

أبيات الشاهد

وما خير كفٍ لا ينوء يساعِد (٣)

أسودُ شَرَى لاقت أسودَ خَفِيّة

تساقوا على حرد دماء الأساودِ)

قال : وقولهم : ساعد الدهر : إنما هو مثل ، وهذا يسميه الرواة
البديع .

وقد قال الراعي :

(١) ط : « أنشدوا » ، صوابه في ش . وفي معجم البلدان : « وأنشد للأشهب » .

(٢) ط : « إن الذي » بالخرم ، وأثبت ما في ش والمعجم .

(٣) الكف مؤنثة ، وقد تذكر . وفي اللسان عند قول الأعشى :

أرى رجلا منهم أسيفاً كأنما يضم الى كشحيه كفا مخضبا

« فإنه أراد الساعد فتذكر ، وقيل إنما أراد العضو » . وفي البيان واللسان (سعد ٢٠١) :

« لا تنوء » .

هُمُ كَاهِلُ الدَّهْرِ الذِي يَتَقَى بِهِ
وَمَنْكِبُهُ إِنْ كَانَ لِلدَّهْرِ مَنْكِبُ
وَأُنْشَدَهُ الْآمَدَى (فِي الْمُؤْتَلَفِ وَالْمُخْتَلَفِ) لِلأَشْهَبِ بْنِ رُمَيْلَةَ أَيْضاً مَعَ
الْبَيْتِ الثَّانِي فَقَطْ ، وَهُوَ : هُمُ سَاعِدُ الدَّهْرِ ، إِلَّا أَنَّهُ أَنْشَدَهُ : « فَإِنَّ الذِي »
بِالْفَاءِ .

وَقَدْ أَنْشَدَ الْأَبْيَاتِ الثَّلَاثَةَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي سَهْلٍ بْنُ عَاصِمِ الْخُلَوَانِي (فِي
٥٠٩ كِتَابِ أَسْمَاءِ الشُّعْرَاءِ الْمُنْسَوِيْنَ إِلَى أُمَّهَاتِهِمْ) ، إِلَّا أَنَّهُ أَنْشَدَ الْبَيْتَ الْأَوَّلَ
كَذَا :

« إِنَّ التِّي مَارَتْ بِفُلْجٍ دَمَاؤُهُمْ »

وَعَلَيْهِ لَا شَاهِدَ فِيهِ ، وَمِنْ خَطِّهِ نَقَلْتُ . فَيَكُونُ بِتَقْدِيرِ : إِنَّ الْجَمَاعَةَ
الَّتِي مَارَتْ ، أَيْ سَاحَتِ وَجَرَتْ . يُقَالُ مَارَ الدَّمُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ . وَيَنْوَدُّ
بِمَعْنَى يَنْهَضُ . وَ (فِي مَعْجَمِ مَا اسْتَعْجَمَ) : قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : الشَّرَى : أَرْضٌ
فِي جِهَةِ الْيَمَنِ ، وَهِيَ مَأْسَدَةٌ . وَأَنْشَدَ هَذَا الْبَيْتَ . قَالَ أَبُو الْفَتْحِ : لَامَ الشَّرَى
يَاءٌ لِأَنَّهَا مَجْهُولَةٌ ، وَالْيَاءُ أَغْلَبُ عَلَى اللَّامِ مِنَ الْوَاوِ . قَالَ : وَكَذَلِكَ رَأَيْتُهُ فِي
الْخَطِّ الْعَتِيقِ مَكْتُوباً بِالْيَاءِ . ا هـ .

وَقَالَ صَاحِبُ الصَّحَاحِ : وَالشَّرَى : طَرِيقٌ فِي سَلَمَى كَثِيرَةُ الْأُسْدِ .
وَحَقِيقَةٌ بَفَتْحِ الْخَاءِ الْمَعْجَمَةِ وَكَسْرِ الْفَاءِ قَالَ (١) صَاحِبُ الصَّحَاحِ : قَوْلُهُمْ أَسْوَدُ
خَفِيفٌ كَقَوْلِهِمْ : أَسْوَدُ غَابَةٌ ، وَهِيَ مَأْسَدَتَانِ . وَقَالَ صَاحِبُ الْمَعْجَمِ : خَفِيفَةٌ :
اسْمُ غَيْضَةٍ مَلْتَفَّةٍ ، تَتَّخِذُهَا الْأُسْدُ عَرِيْسَةً . كَذَا قَالَ الْخَلِيلُ ، وَأَنْشَدَ هَذَا
الْبَيْتَ . وَخَرَّدَ بَفَتْحِ الْخَاءِ وَسُكُونِ الرَّاءِ الْمَهْمَلَتَيْنِ : مُصْدَرُ خَرَّدَ مِنْ بَابِ

(١) ط : « قَالَ » صَوَابُهُ فِي ش .

ضرب ، بمعنى قَصَدَ ؛ وبمعنى غَضِبَ ، من باب فَرِحَ أيضاً . ودَمَاءٌ : مفعولٌ تساقَوْا ، أى سُوِّيَ كُلُّ منهما دَمَ الأسود . وهو إمَّا جمع أسود على أفعل ، وهو العظيم من الحيات وفيه سواد . وهو اسمٌ له ، ولو كان وصفاً لجمع على فُعْل بالضم . وإمَّا جمع أسود بالضم ، وهو جمع أسد فيكون جمع الجمع . والمراد بالأسود الشُّجْعان ، وهو عبارة عنهم وعن أخصامهم .

وقال العيني ، وتبعه السيوطي : الأسود : جمع أسودة ، وأسودة : جمع سَوَاد ، والسواد : الشخص ، وأراد بالأسود شخوصَ الموق .

ورَوَى : « سِمَام » بدل « دماء » وقال : هو جمعُ سَم . فالمناسب على هذه الرواية تفسير الأسود بالحيات .

وروى أبو تمام البيت الشاهد (فى كتاب مختار أشعار القبائل) آخر قول آخر ق
صاحب الشاهد
أبيات خمسة لحريث بن مخفّض ، وهى :

(ألم تر أنّى بعد عمرو ومالك
وعروة وابن الهول ، لستُ بخالد
وكانوا بنى ساداتنا فكأنما
تساقوا على لُوح دماء الأسود
وما نحن إلّا مثلهم غير أننا
كمنتظري ظمئنا وآخر وارد
هم ساعد الدهر الذى يتقى بهم
وما خيرُ كفٍّ لا تنوء بساعد
فإنّ الألى حانت بفليح دماؤهم البيت)
والألى بمعنى الذين ، وعلى هذه الرواية أيضاً لا شاهد فيه .

واللَّوْح ، بفتح اللام وسكون الواو آخره حاء مهملة : العطش .
والظَّمء ، بكسر الظاء المشالة وسكون الميم بعدها همزة : اسم الزمان الذي
يكون بين الشَّربتين للإبل ، من الظمأ بفتح الميم ، وهو العطش . وآخر : ضد
أول ، معطوف على منتظر .

أما الأشهب بن رُميلة فهو شاعرٌ إسلامي مخضرم ، أدرك الجاهلية
والإسلام ، أسلم ولم تُعرف له صحبة واجتماعٌ بالنبي ﷺ ، ولهذا أورده ابن
حجر في قسم المخضرمين (من الإصابة) .

ورُميلة : اسم أمه ، وهي بضمّ الراء المهملة وفتح الميم .

وذكره المرزباني (في معجم الشعراء) في حرف الزاء المعجمة .

قال صاحب الأغاني : هو الأشهب بن ثور بن أبي حارثة بن
عبد المَدان بن جندل بن تَهْشَل بن دارم بن عمرو بن تميم .

و (في المؤتلف والمختلف) و (في كتاب الشعراء المنسوبين إلى
٥١٠ أمهاتهم) : المنذر ، بدل عبد المدان . و (في مختصر الجوهرة لياقوت) : ابن
عبد المنذر . والله أعلم .

ورُميلة أمه ، وهي أمةٌ لخالد بن مالك بن ربيعة بن سلمى بن جندل
المذكور . قال أبو عمرو : ولدها يزعمون أنها كانت سبيّة من سبّايا العرب
فولدت لثور بن أبي حارثة أربعة نفر ، وهم زَبَاب^(١) ، وحِجْناء ، والأشهب ،
وسُوَيْط ، وكانوا من أشدّ إخوة في العرب لساناً ويداً ، ومنعةً للجانب ، فكثرت
أمواهم في الإسلام ، وكان أبوهم ثور ابتاع رُميلة في الجاهلية ، وولدتهم في

(١) ط : « زباب » في هذا الموضع وما يليه من المواضع ، صوابه بالزاي المعجمة كما في ش .
وضبطه صاحب القاموس في (زب) كسحاب ، وقال : « وابن ربيعة الشاعر أخو الأشهب » .

الجاهلية فَعَزُّوا عَزًّا كَثِيرًا ، حتى كانوا إذا وردُوا ماءً من ماء الصَّمَّانِ حَظَرُوا على الناس ما يريدونه منه .

وكانت لُرْميلة قطيفة حمراء ، فكانوا يأخذون الهُدْب من تلك القطيفة فيُلْقونه على الماء ، أى قد سَبَقنا إلى هذا ، فلا يرُدُّه أحدٌ لعزِّهم ، فيأخذون من الماء ما يحتاجون إليه . فوردُوا في بعض السَّنين ماءً من ماء الصَّمَّان ، وورد معهم ناسٌ من بنى قَطَن بن نهشل ، فأورد بعضهم بعيره فأشرَّعه حوضاً قد حَظَرُوا عليه ، وبلغهم ذلك فغضبوا فاقتتلوا ، فضرب زَباب بن رُميلة رأس بشير بن صبيح ، فمات بشير في ليلته فقتل زَباب قوداً ؛ ولما أرادوا ضرب عنقه قالوا له : أوصينا . قال لهم : دعوني أصلي ركعتين . فصلَّى ثم قال : أما والله إني إلى ربي لذو حاجة وما منَعني أن أزيد في صلاتي إلَّا أن تقولوا : خاف من الموت ! فليضرني منكم رجل شديد الساعد ، حديدُ السيف . فدفعوه إلى ابن خزيمه بن بشير فضرب عنقه ، وذلك في الفتنة بعد مقتل عثمان بن عفَّان .

ورثاه أخوه الأشهبُ بقصائد .

وفي (كتاب الشعراء المنسوبين إلى أمهاتهم ، ونقلته من خط مؤلفه) : كان الأشهبُ يهاجى الفرزدقَ ، ولقيَه يوماً عند باب عثمان بن عفَّان (١) وهو يريد أن يجوز نهر أمِّ عبد الله (٢) على قنطرة ، فاحتبسَه الفرزدقُ عليها ، وكان الفرزدقُ على فرس ، فقال الأشهبُ :

(١) ذكره الطبري في ٩ : ٤٨٥ بما يفهم أنه في سكة المريد بالبصرة . قال : « فهابوا في سكة المريد إلى أن بلغوا باب عثمان » .
(٢) نهر أم عبد الله بالبصرة ، منسوب إلى أم عبد الله بن عامر بن كريز ، أمير البصرة في أيام عثمان .

يا عجباً هل يركب القَيْنُ الفرسَ^(١)
وعَرَقُ القَيْنِ على الخيلِ نَجَسٌ
والقَيْنُ لا يَصْلُحُ إلَّا ما جلس
بالكلبتين والعلاة والقَبَسِ^(٢)

ثم إنَّ غالباً لمَّا بلغه ما قال الأشهبُ أتاه ليلاً فتعوَّدَ منه ، وقال :
أتشتمنا من غير إحنةٍ ؟ فأَمْسِلِكَ عنا . فقال الأشهبُ : هلاً كان هذا نهراً .
ويقال : كان الأشهبُ بن ربيعة يهجو غالباً أبا الفرزدق ، فقال الفرزدق : ربَّما
بكيت من الجزع أنَّ الأشهبُ كان يهجوناً ، فأريد أن أجيبه فلا يتأتَّى لى
الشعر ، ثم فتح الله علىَّ فهجوته فغلبته وسقط بعد ذلك .

وَأَمَّا حريث بن محفَّض فهو شاعرٌ إسلاميٌّ من شعراء الدولة الأموية .
وحريث بضم الحاء وفتح الراء المهملتين ، وآخره ثاء مثناة . ومحفَّض ، بضم
الميم وفتح الحاء المهملة وكسر الفاء المشددة وآخره ضاد معجمة ، وهو في
الأصل اسم فاعل من حَفَضَ تحفيضاً ، إذا طَرَحَ حَلْفَهُ وحَلَفَهُ وراءه .
وحَفَضَهُ بالتخفيف بمعنى ألقاه وطرحه من يده ، كحَفَضَهُ تحفيضاً . وحَفَضَ
العود بالتخفيف أيضاً بمعنى حَنَاه وعطفه .

قال الإمام أبو أحمد الحسن بن عبد الله العسكري (في كتاب
التصحيف) في باب ما يشكل ويُصحَّف من أسماء الشعراء : هذا باب
صعبٌ لا يكاد يَضْبِطُهُ إلَّا كثيرُ الرواية غزيرُ الدِّراية^(٣) . وقال أبو الحسن على بن

(١) ط : « هل تركب » ، صوابه في ش والأغاني ١٩ : ٤٣ .

(٢) ط : « بالكلبتين » ، صوابه في ش . والكلبتان : آلة تكون مع الحدادين يأخذون بها الحديد
الحصى . والعلاة : السندان . وفي الأغاني :

وإنما سلاحه إذا جلس الكلبتان والعلاة والقبس

(٣) ط : « عزيز » ، صوابه في ش وكتاب العسكري ٣٧ .

عبدوس الأرجاني ، وكان فاضلاً متقدماً ، وقد نظرَ في كتابي هذا فلما بلغ هذا الباب قال لي : كم عدّة أسماء الشعراء الذين ذكرتهم ؟ فقلت : مائةً وثيِّف . ١١١ فقال لي : إني لأعجبُ كيف استتبَّ لك هذا ، فقد كنا ببغداد والعلماء بها متوافرون - وذكر أبا إسحاق الزجاج ، وأبا موسى الحامض ، وأبا محمد الأنباري واليزيدي وغيرهم - فاختلطنا في اسم شاعر واحد ، وهو حريث بن مخفّض ، وكتبنا أربع رقايع إلى أربعة من العلماء ، فأجاب كل واحد منهم بما يخالف الآخر ، فقال بعضهم مخفّض بالخاء والضاد المعجمتين ، وقال آخر (١) : ابن مخفّض (٢) ، وقال آخر : ابن مخفّض (٣) . فقلنا : ليس لهذا إلا أبو بكر ابن دريد . فقصدناه في منزله ، فعرفناه ما جرى ، فقال ابن دريد : أين يُذهب بكم ؟ هذا مشهور ، هو حريث بن مخفّض ، الخاء غير معجمة ومفتوحة ، والفاء مشددة ومكسورة ، والضاد منقوطة . وهو من بني تميم ، ثم من بني مازن بن عمرو بن تميم ، وهو القائل :

ألم ترّ قومي إن دُعوا للملّة

أجابوا ، وإن أغضب على القوم يغضبوا

هم حَفِظُوا غَيْبِي كما كنت حافظاً

لقومي أخرى مثلها إن تغيّوا (٤)

(١) ش : « آخرون » ، وأثبت ما في ط وكتاب العسكري .

(٢) في حواشي ط : « ضبط في الأصل بالقلم ، الأول بفتح الميم ، والثاني بكسرهما » .

(٣) ط : « ابن مخفّض » ، وأثبت ما في ش والعسكري . وما يجدر ذكره أن في كتاب

العسكري بعد كلمة « المعجمتين » : « وقال آخر : ابن مخفّض » ، بسقوط ما بين القولين .

(٤) ط : « عيني » ، صوابه في ش وتصحيف العسكري .

بنو الحرب لم تَقْعُدَ بهم أُمّهاتهم
 وآباؤهم آباءُ صديقٍ فَأُنْجِبُوا
 وتمثّل الحجاجُ بهذه الأبيات على المنبر ، فقال : أنتم يا أهل الشام كما
 قال حريث بن محفّض . قال : أنا والله حريث بن محفّض . فقال : ما حملك
 على أن سابقتني ؟ قال : لم أتمالك إذ تمثّل الأميرُ بشعري فأعلمته مكانى . ثم
 قال أبو الحسن بن عبدوس : فلم يفرج عنّا غيره . انتهى ما أورده العسكري .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والعشرون بعد الأربعمئة (١) :

٤٢٧ (ويثرى ذو حَفَرْتُ وذو طَوَيْتُ)

هذا عجز ، وصدره :

(فَيَأْنُ البئرُ يثرُ أَيْ وَجَدَى)

على أنْ ذو اسمٌ موصول ، وهو هنا بمعنى التى ، لأنَّ البئر مؤنثة .
 قال ابن هشام (فى شرح الشواهد) : وزعم ابنُ عصفور أنَّ ذو
 خاصّةٌ بالمذكر ، وأنَّ المؤنثَ يختصُّ بذات ، وأنَّ البئر فى البيت ذُكِّرَتْ على
 معنى القليب ، كما قال الفارسيُّ فى قوله :
 يا بئرنا يثرُ بنى عدى لأُنزِحنَ قَعْرُكَ بالدُّلَى
 * حتّى تعودى أقطَعَ الولَى *

إنَّ التقدير : حتّى تعودى قليباً أقطَعَ ، فحذف الموصوف .
 وفرق ابن الضائع بينهما بأنَّ أقطَعَ صفةٌ ، فيحمل على الفعل ، بخلاف ذو .

(١) أمالى ابن الشجرى ٢ : ٣٠٦ والإنصاف ٧٧٣ وابن يعيش ٣ : ٨/١٤٧ : ٤٥ والتصریح
 ١ : ١٣٧ والجمع ١ : ٨٤ والأشبهوى ١ : ١٥٨ والحماسة بشرح المرزوق ٥٩١ واللسان (ذا ٣٤٨) .

قال : ألا ترى أن من قال تَفَعَّ الموعظة لا يقول مشيراً إليها : هذا الموعظة .
ولهذا قال الخليل في : ﴿ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي ﴾ ^(١) : إنه إشارة إلى القطر
لا إلى الرحمة . ا هـ .

والبيت مشهور . وهو من أبيات خمسة أوردها أبو تمام (في الحماسة) صاحب الشاهد
لسينان بن الفحل الطائي ، وهي :

(وقالوا : قد جُنِنْتُ ، فقلت : كَلَّا)

وربِّي ما جُنِنْتُ ولا انتَشَيْتُ

ولكنِّي ظَلِمْتُ فكُذِّتُ أبكى

من الظُّلم المَبِينِ أو بَكَيْتُ

٥١٢

فإنَّ الماءَ ماءً أَيْ وَجَدْتِ

وبشري ذو حَفَرْتُ وذو طَوَيْتُ

وقبلَكَ رَبِّ خَصِمٌ قد تَمَالَوْا

علَيَّ فما هَلِمْتُ ولا دَعَوْتُ

ولكنِّي نَصَبْتُ لهم جَبِينِي

وَأَلَّةَ فَارِسٍ حَتَّى قَرَيْتُ)

قال أمين الدين الطبرسي (في شرح الحماسة) : قد عيب على أبي
تمام لإيراده مثل هذه الأبيات في باب الحماسة ، والبكاء على الظلم ضعف
وعجز ، والوجه فيه أن بكاءه كان لمطالبتهم ما ليس لهم ، ولا سبيل له على
الاعتساف ^(٢) . والمغالبة فعل أهل الجاهلية ، إذ لا يراقب دين ، ولا يُرهب
سلطان . ويدل على ذلك ما ذكره ابن دريد في سببه : أنه اختصم حيّان من

(١) الآية ٩٨ من مريم .

(٢) ط : « الاعتساف » ، وأثبت ما في ش . والاعتساف : الأخذ بالعنف . والاعتساف : الظلم .

العرب إلى عبد الرحمن بن الضحّاك وهو وإلى المدينة ، في ماءٍ من مياههم ،
وعبدُ الرحمن مصاهرٌ لأحد الحَيِّين ، فبُرك شيخٌ بين يديه من الحَيِّ الآخر
وقال : أصلحَ الله الأمير ، أنا الذى أقول :

إلى الرحمن ثم إلى أميرى تعسّفتُ المفاوِزَ واشتكيْتُ
رجالاً طالبونى ثم لجّوا ولو أنى ظلمتهم انتهيتُ
رجّوا فى صيهرهم أن يغلبونى وبالرحمن صدّق ما ادّعيْتُ
وقالوا قد جُنتُ فقلت كلا الأبيات الخمسة .

وبعدها :

فأنصِيفنى هداك الله منهم

ولو كان الغلبة لاكتفيتُ

وقال الخطيب التبريزى (فى شرحه) : وهذا ماء لبنى أمّ الكهف ، من
جرم طيّء ، ولبنى هَرم بن العُشراء من فزارة ، اختصم فيه الحيّان وهم
مختلطون مجاورون ^(١) . وقوله : « ولو أنى ظلمتهم انتهيتُ » أى قلت أنا
الظالم ، ثم امتنعوا ، لكففت ولم ألجّ . وقوله : « و [قالو ^(٢)] : قد جنت »
معطوف على لجّوا ، وجنتُ بالبناء للمفعول وبالخطاب فى الأوّل وبالتكلم فى
الثانى . وكلاً للزجر والردع .

قال الإمام المرزوقى : كان الواجب أن يقول : قالوا جنتُ أو سكرت .
فاكتفى بذكر أحدهما لأنّ النفى الذى يتعقّب فى الجواب ينظّمهما . ومثله قول
الآخر ^(٣) :

(١) وكذا فى شرح التبريزى ٢ : ١٥٣ . وفى ش : « متجاورون » .

(٢) تكملة ضرورة يلتم بها الكلام .

(٣) هو المثقب العبدى فى المفضليات ٢٩٢ .

فما أدرى إذا يَمَمْتُ وجهاً
أريدُ الخير أَيْهِمَا يَلِينِي
لأنَّ المراد أريدُ الخير وأَتَجَنَّبُ الشر ، فاكْتَفَى بِذِكْرِ أَحَدِهِمَا ، لأنَّ
ما بعده يبينهما ، وهو :
أَلْخَيْرُ الَّذِي أَنَا أَبْتَغِيهِ أُمُ الشَّرِّ الَّذِي هُوَ يَبْتَغِينِي
أراد : لَمَّا أَظْهَرْتُ إنْكَارِي وَتَشَدَّدْتُ فِي إِبَائِي قَالُوا : إِنَّهُ جُنٌّ
أَوْ سَكْر . فزَجَرْتَهُمْ وَحَلَفْتُ بِاللَّهِ نَافِياً مَا تُسَبِّحُ إِلَيْهِ . وَالْإِنْتِشَاءُ وَالنَّشْوَةُ :
السُّكْر . ثُمَّ أَخَذَ يَبَيِّنُ كَيْفَ اسْتَنَكَرَ مَا دُفِعَ إِلَيْهِ حَتَّى قِيلَ فِيهِ مَا قِيلَ ،
كقوله :

* وَلَكِنِّي ظَلَمْتُ فَكَدْتُ * ... لِمَخ
وذكر البكاء لِيُرَى أَنْفَتَهُ وَامْتِنَاعُهُ ^(١) وَإِنْكَارَهُ لَمَّا أُرِيدَ ظَلَمَهُ فِيهِ
وَإِغْتِيَاظَهُ ^(٢) . فَأَمَّا الْعَرَبُ فَإِنَّمَا تَنْسِبُ نَفْسَهَا إِلَى الْقِسَاوَةِ وَتَعْيِّرُ مِنْ يَبْكِي .
قال مهلهل :

يُبْكِي عَلَيْنَا وَلَا تَبْكِي عَلَى أَحَدٍ
لَتَنْحُنَّ أَغْلَظُ أَكْبَاداً مِنَ الْإِبِلِ
يقول : لَكِنْ عَرَضَ عَلَيْنَا ضَيْمٌ لَمْ آلفْهُ ، وَاسْتَنْزَلْتُ عَنْ حَقْوِي طَالَ
مَلَازِمَتِي لَهُ ، فَشَارَفْتُ الْبِكَاءَ أَوْ بَكَيْتُ ، كَلَّ ذَلِكَ لَاسْتِكَافِي مِمَّا أَرَادُونِي
عَلَيْهِ .

وقوله : « فَإِنَّ الْمَاءَ مَاءً » لِمَخ صَرَّحَ بِمَا أُرِيدُ غَضَبُهُ عَلَيْهِ ^(٣) فَقَالَ : هُوَ

(١) ط : « وامتناعه » صوابه في ش وشرح المازوق للحماسة ٥٩١ .

(٢) ط : « وإغتياظه » ، صوابه في ش وشرح الحماسة .

(٣) ط : « غضبه عليه » ، صوابه في ش .

٥١٣ ماءٌ موروث عن الأسلاف ، وجميٌ معروف لى ، سلمه الناس لى على مرّ الأيام ، وبئر توليت استحداثها وحفرها وطبها . وطئ البئر : بناؤها بالحجارة . وطويت البئر فهو طوى .

وقوله : « وقبلك ربّ خصم » إلخ الخصم لكونه فى الأصل مصدرًا يطلق على المفرد وغيره ، والذكر والأنثى بلفظ واحد . وفى لغة يطابق فى التثنية والجمع ، فيجمع على تحصوم وخصام . وخصم الرجل يخصم من باب تعب ، إذا أحكم الخصومة فهو خصم وخصيم . وخاصمته فخصمته أخصمه ، من باب قتل ، إذا غلبته فى الخصومة . وتماثلوا ، أصله تماثلوا بهجرة مضمومة بعد اللام المفتوحة ، يقال ماله ممالأة ، كفاعله مفاعلة ، بمعنى عاونه معاونة . وتماثلوا على الأمر : تعاونوا . وقال ابن السكيت : اجتمعوا عليه . وهلع هلعا من باب تعب ، بمعنى جزع ، فهو هليع وهلوع مبالغة ، وقيل الهليع : أفحش الجزع . ودعوت بمعنى قلت : يالفلان !

قال الإمام المرزوقى : نبّه على حسن ثباته فى وجه الخصوم ، وتمثّنه بمجادلتهم ^(١) قديماً وحديثاً ، وتحككه لهم على احتفالٍ منهم فى مناوآته سالفاً وأنفاً ، فيقول : وقد بليت قبلك بقوم لُدّ تآلبوا علىّ وتعاونوا ، فلم أجزع لما مُنييت بهم جزعاً فاحشاً ، ولا استنصرت عليهم غيرى . فإن قيل : كيف قال هليعت وقد قال كدت أبكى من الظلم إلخ ، وهل الهليع إلّا البكاء والجزع ؟ قلت : إنّ الهليع هو الجزع الفاحش الذى يظهر فيه الخضوع والانقياد ، فهذا هو الذى زعم أنّه لا يظهر عليه ^(٢) . والبكاء الذى ذكر أنّه شارفه إنّما كان

(١) المرزوقى : « وتمثّنه بمجادلتهم » .

(٢) نص المرزوقى : « فهذا هو الذى انتضح منه » ، أى أظهر البراءة منه .

على طريق الاستنكاف ، وإذا كان كذلك فإنه لم يكن عن تخشع وتذلل ولا انقياد ولا استسلام . وسَلِمَ الكلام من التناقض .

وقال ابن هشام (في شرح الشواهد ^(١)) : وهذا ليس تناقضاً لأنه على اختلاف وقتين ؛ أى إنّه ذلّ جانبه بعد أن كان عزيزاً . وهذا كلام الخطيب التبريزي . ونظيره أبياتُ فاطمة بنت الأحمم ^(٢) حين ضَعَفَ جانبها ، لِمَوْتِ مَنْ كان ينصرها ، وهى أبياتٌ حسنة تمثّلت بها سيّدُتنا فاطمة رضى الله عنها ، حين قبض رسول الله ﷺ ، وهى :
قد كنتُ لى جبلاً أَلُوذُ بِظِلِّهِ

فتركتنى أمشيى بأجرَدِ ضاحى ^(٣)

قد كنتُ ذاتَ حميّةٍ ما عشتُ لى

أمشيى البرّازَ ، وكنتُ أنتَ جناحى

فاليومَ أخضعُ للذليلِ وأتقى

منه ، وأدفعُ ظالمى بالّراج

وإذا دعت قُمرِيَّةٌ شجناً لها

ليلاً على فَنَنٍ دعوتُ صَبّاحى ^(٤)

وقوله : « ولكنى نصبت لهم » إلخ الألة بفتح الهمزة وتشديد اللام :

(١) ط : « وهذا » .

(٢) هو الأحمم بن دندنة ، ويقال « الأحمم » أيضاً ، كما فى ش ، وكان أحد سادات العرب . انظر أمالى القائل ٢ : ٢ والتنبيه ٨٧ . والآيات التالية وردت فيهما وفى الحماسة ٩١٠ بشرح المرزوق .

(٣) وروى : « فتركتنى أضحى » فى الحماسة والأمالى .

(٤) الحماسة : « يوماً على فنن » . ط : « صباح » ، وكذا فى الأمالى . والوجه « صباحى » ، كما فى ش والحماسة وتنبيه البكرى ٨٧ . وقال المرزوق فى تفسيره : « أى قائلاً : واصباحاه ! » .

الْحَرَبَةُ ، والجمع لَأَلَّ (١) كحربة وجراب . يقول : ولكئننى صبرت لهم وانتصبْتُ في وجوههم وهيأتُ سلاحى لدفعهم ، وطردتهم عن وردهم ، كفعل الفارس الذابَّ المانع ، حتَّى خلَّصت عن غَصْبِهِمْ (٢) حَقَّى ، وقرئت الماء من دونهم في حوضى . يقال قرئت الماء في الحوض بالقاف ، أى جمعته ، واسم ذلك الماء قَرَى بكسر القاف مقصور .

وسنان بن الفحل : شاعر إسلامي في الدولة المروانية . وهو بكسر السين بعدها نونان . والفحل بفتح الفاء وسكون الحاء المهملة .

وأما عبد الرحمن بن الضحَّاك فقد ذكره الفاسي (في تاريخ مكة المشرفة) وقال (٣) : عبد الرحمن بن الضحَّاك بن قيس بن خالد بن وهب بن ثعلبه بن وائلة بن عمرو بن شيبان بن محارب بن فهر بن مالك الفهري . قال ٥١٤ الزبير : ولَّاه يزيدُ بن عبد الملك المدينة والموسم . وذكر الطبري أنَّ في سنة ثلاث ومائة ضُمَّت إليه مكة مع المدينة ، وأنه عُزل عن مكة والمدينة في النصف من ربيع الأول سنة أربع ومائة ، بعبد الواحد بن ربيع البصري . وسبب عزله أنَّه كان يخطب فاطمة بنت الحسين رضى الله عنهما فامتنعت من قبوله ، فألحَّ عليها وتوعَّدها ، فشكته إلى يزيد بن عبد الملك ، فبعث إلى عبد الواحد فولَّاه المدينة وأمره بالقبض على عبد الرحمن ، وأخذَ ماله حتَّى تركه في جُبه صوفٍ بالمدينة ، وكان قد باشر نيابة المدينة ثلاث سنين وأشهرًا . وكان الزُّهرى قد أشار عليه برأى ، وهو أنَّه يسأل العلماء إذا أشكل عليه أمرٌ ، فلم يفعل ، فأبغضه الناس وذمَّه الشعراء . وهذا كان آخرَ أمره . انتهى .

(١) ط : « الألات » ، والوجه ما أثبت من ش مع أثر تصحيح .

(٢) ط : « غصبهم » ، صوابه في ش .

(٣) ش « قال » بدون واو .

وإنّما ذكرت عبد الرحمن هذا ليعلم منه عصر سينان بن الفحل الطائي ، فإنّ لم أظفر له بترجمة ، ولم أر ذكره في كتب الأنساب . والله أعلم .

وأنشد بعده :

(قَوْلًا لهذا المرءِ ذُو جاءَ ساعياً

هَلُمَّ فَإِنَّ المَشْرِقِيَّ الفَرائِضُ)

على أَنَّ (ذُو) بمعنى الذي .

والساعي : الوالى على صدقة الزكاة . وهلمّ : أقبل وتعال . والمشرقيّ : السيف المنسوب إلى المشارف ، وهي قُرَى للعرب كانت السيوف تطبع بها . والفرائض : الأسنان التي تصلح لأن تؤخذ في الزكاة . يقول : أبلغا هذا الرجل الذي جاء ساعياً ، أتى والياً للصدقات : هلمّ فإنك تُعطى السيف بدلاً من فرائض الإبل . وهذا مثل ضربه لهذا الساعي مستهزئاً به ومتوعداً إياه . يقول : إنك مِلَلْتَ العافية والسَّلامة ، فهلمّ إلى البلاء والشرّ من هذه الولاية . البيت أول أبيات لقوَال الطائي ؛ أوردها أبو تمام (في الحماسة) . وقد شرحناها مع ذكره سببها في الشاهد السابع والثلاثين بعد الثلاثمئة من باب النعت ^(١) .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والعشرون بعد الأربعمئة ^(٢) :

٤٢٨ (عَدَسٌ ما لِعَبَادٍ عَلَيْكَ إمارةٌ

أُمْنِيَّتِ وَهَذَا تَحْمِلِينَ طَلِيقُ)

(١) الخزائن ٥ : ٢٨ - ٣٠ .

(٢) المختضب ٢ : ٩٤ وابن الشجري ٢ : ١٧٠ والإنصاف ٧١٧ وابن يعيش ٢ : ٤/١٦ : ٢٣ ، ٢٤ ، ٧٩ وشرح شواهد المغني ٢٩١ والشذور ١٤٧ والعيني ١ : ٣/٤٤٢ : ٤/٢١٦ : ٣١٤ والنصري ١ : ١٣٩ ، ١٤٠ ، ٢/٢٨١ : ٢٠٢ والجمع ١ : ٨٤ والأشعري ١ : ٣/١٦٠ : ٢٠٨ ودويان ابن مفرغ ١١٥ والشعراء ٣٢٤ واللسان (عدس) .

على أنَّ (هذا) عند الكوفيين اسم موصول بمعنى الذى ، أى الذى تحمليه
طليق .

قال الفراء (فى تفسيره) عند قوله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ ﴾ ^(١) : العرب قد تذهب بهذا وذا إلى معنى الذى ، فيقولون : ومن ذا يقول ذاك ؟ فى معنى من الذى يقول ؟ وأنشدوا :
* عَدَسٌ مَا لِعَبَادٍ عَلَيْكَ إِمَارَةٌ *
البيت
كأنه قال : والذى تحملي طليق . انتهى .

قال أبو على الفارسي (فى إيضاح الشعر) : هذا البيت ينشده
البغداديون ويستدلون به على أنَّ ذا بمنزلة الذى ، وأنه يوصل كما يوصل الذى ،
فيجعلون تحملي صلةً لذا ، كما يجعلونه صلةً للذى . وعندنا يحتمل قوله
« تحملي » وجهين : أحدهما أن يكون ^(٢) صفة لموصوف محذوف تقديره :
وهذا رجل تحملي ، فتحذف الهاء من الصفة كما حذفت فى قولك : الناس
رجلان : رجلٌ أكرمٌ ورجلٌ أهنت . وكقوله :
* وما شئٌ حميتٌ بمستباح *
أى حميته . والآخر أن يكون صفةً لطليق فَقَدِمَتْ فصار فى موضع

٥١٥

نصب على الحال : فإذا احتمل غير ما تأولوه من الصلة لم يكن على الحكم
بأنَّ ذلك والأسماء المبهمة توصل كما يوصل الذى ، دليل . وكذلك
ما استشهدوا به من قوله تعالى : ﴿ وَمَا تِلْكَ يَمِينُكَ يَا مُوسَى ﴾ ^(٣) وقالوه
وتأولوه على أنَّ المعنى : وما التى يمينك ؟ ولا دلالة فيه ، لأنه يمكن أن يكون

(١) الآية ٢١٩ من البقرة . وانظر معانى الفراء ١ : ١٣٨ .

(٢) ش : « يحتمل قوله تحملي احتمالين : الأول أن يكون » .

(٣) الآية ١٧ من سورة طه .

بيمينك في موضع الحال ، والعامل في الحال في الموضعين جميعاً ما في الاسم المبهم من معنى الفعل . انتهى .

والاحتمال الأول ضعيف ، لأنه تخريج على ضرورة ، لأن حذف الموصوف إذا كانت صفته جملة بدون أن يكون بعضاً من مجرور بمن أوفى ، خاص بالضرورة أو الشذوذ . وأضعف من هذا تخريج ابن الأنباري (في مسائل الخلاف) أن جملة تحملين صلة لموصول محذوف تقديره : وهذا الذي تحملين . وهذا لا يقول به بصري ؛ لأنه لا يرى أحد منهم حذف الموصول الاسمي وبقاء صلتها . والتخريج على الحالية هو الجيد ، ولا حاجة إلى اعتبار كونه في الأصل صفة فلما قدم صار حالاً ، لأن ذاك إنما يُعتبر في الأحوال المفردة لا في الجملة ، نحو :

* لَمِيَّةٌ مُوحِشاً طَلُلُ *

وإدعاء أن العامل في هذه الحال ما في اسم الإشارة من معنى الفعل غير جيد ، فإن جملة تحملين حال من ضمير طليق ، فطليق هو العامل في الحال وصاحبها .

فإن قلت : نزل كلامه على أن الجملة حال من اسم الإشارة فيكون العامل معنى التنبيه . قلت : ياباه قوله إن تحملين مقدم من تأخير . فتأمل .

والبيت أول أبيات يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميري ، خاطب بها صاحب الشاهد بغلة . وبعده :

(طليق الذي نحى من الحبس بعدما

تلاحم في درب عليك مضيق

ذَرِي وَتَنَاسَى مَا لَقِيَتْ فَإِنَّهُ
 لِكُلِّ أَنَاسٍ خَبِطَةٌ وَحَرِيقُ (١)
 قَضَى لَكَ حَمَمًا بِأَرْضِكَ فَالْحَقَى
 بِأَهْلِكَ لَا يُؤْخَذُ عَلَيْكَ طَرِيقُ
 فَيَا بَغْلَةَ شَمَاءَ لَوْ كُنْتُ مَادِحًا
 مَدَحْتُكَ إِنِّي لِلْكَرَامِ صَدِيقُ
 لَعَمْرِي لَقَدْ أَنَجَاكَ مِنْ هَوَا الرَّدَى
 إِمَامٌ وَحَيْلٌ لِلْإِمَامِ وَثِيقُ (٢)
 سَأَشْكُرُ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ حُسْنِ نِعْمَةٍ
 وَمِثْلِي بِشُكْرِ الْمُنْعَمِينَ حَقِيقُ
 فَإِنْ تَطَرَّقَ بَابَ الْإِمَامِ فَإِنِّي
 لِكُلِّ كَرِيمٍ مَاجِدٍ لَطَرُوقُ (٣)

وقد تقدّم سبب هذه الأبيات مع ترجمة يزيد هذا ، في الشاهد الثالث
 بعد الثلاثية ، ولكن ينبغي إيرادُه هنا مختصراً لطول العهد .
 قال ابن قتيبة (في كتاب الشعراء) : يزيد هذا حليفٌ لقريش ، ويقال
 إنّه كان عَبْدًا لِلضَّحَّاكِ بْنِ يَغُوثَ الْهَلَالِي ، فَأَنْعَمَ عَلَيْهِ ، وَلَمَّا وَلى سَعِيدُ بْنُ
 عَثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ خُرَاسَانَ اسْتَصْحَبَهُ فَلَمْ يَصْحَبْهُ يَزِيدُ ، وَصَحِبَ زِيَادَ بْنَ أَبِي

(١) ط : « وخریق » ، وأثبت ما في ش والشعراء .

(٢) في الشعراء : « حمّام » ، وما في الأصل يطابق ما في الأغاني ١٧ : ٦٠ وفيه أن معاوية
 « وجه رجلا من بني أسد يقال له حمّام ، ويقال جهنم ، يريد إلى عباد » . وانظر ما سبق في الخزانة
 ٤ : ٣٣٣ وكذا رسائل الجاحظ ٢ : ٢٧٢ .

(٣) ط وكذا في الأغاني : « للأنام » ، صوابه في ش مع أثر تصحيح .

سفيان ، فلم يَحْمَدُهُ ، وأتى عباد بن زياد فكان معه . وكان عباد طويلاً اللحية
عريضها ، فركب ذات يوم وابن مفرغ معه في موكبه ، فهبَّت ريح فنفضت
لحيته ، فقال ابن مفرغ :

ألا ليت اللحي كانت حشيشاً

فترعاها خيول المسلمينا

فبلغ ذلك عبداً فحقد عليه وجفاه ، فقال ابن مفرغ :

إن تركي ندى سعيد بن عثما

ن فتى الجود ناصري وعديدي

وأتباعي أخا الرضاعة واللؤ

م كَتَقَصَّ وفوت شأو بعيد ٥١٦

قلت والليل مطبق بعراه

ليتني مت قبل ترك سعيد

فأخذه عبيد الله بن زياد وحبسه وعذبه وسقاه التُّرْبُدَ (٢) في النبيذ ،
وحمله على بعير وقرن به خنزيرة ، وأمشاه بطنه مشياً شديداً ، فكان يسيل منه
ما يخرج على الخنزيرة فتصيح ، وكلما صاحت قال ابن مفرغ :
ضَجَّتْ سُمِيَّةُ لما مسَّها القَرَنُ لا تجزعي إنَّ شرَّ الشَّيْمةِ الجزعُ (٣)

(١) في ديوانه ١٠٩ : « الضراعة واللؤم » . والضراعة : الذل .

(٢) ش : « الربد » مهملة النقط . وفي الشعراء ٣٢٠ : « التريد » بالذال في آخره . وما أثبت
من ط يطابق ما في معجم استينجاس ٢٩٢ وتذكرة داود الأنطاكي ١ : ٩٤ وذكر أنه نبت فارسي يكون
بجبال خراسان وما يليها ، وأنه يغشى ويكرب ، حتى أن الرديء منه ربما قتل . وفي الأغاني ١٧ : ٥٦ :
« فسقى نبيذا حلوا قد خلط معه الشبم » .

(٣) في الأغاني : « لما لرها قرني » . والقرن ، بالتحريك : الحبل يقرن به البعيران ، ويقال أيضا
للبعير يقرن بآخر .

وسمّية : أم زياد ، وجعلها خنزيرة .

فطيف به في أزقة البصرة وجعل الناس يقولون : اين جيست ؟ أى ما هذا !

وهو يقول :

آب است نبیذ است عصارات زيب است

سمية رؤسبيد است (١)

وهذه كلمات بالفارسية ، أى هذا الذى ترونه إنما هو نبیذ وعصارة زيب ، وسمية البغى . يعنى بها الخنزيرة . فلما ألح عليه ما يخرج منه قيل لعبيد الله : إنه يموت ، فأمر به فأنزل واغتسل ، فلما خرج من الماء قال :

يَغْسِلُ الماء ما فَعَلْتُ وقولى

راسخ منك فى العظام البوالي

ثم دسّ عليه غرماءه يَسْتَعْدُونَ عليه ، فأمر ببيع ما وجد له فى إعطاء غرمائه ، فكان فيما بيع له غلام يقال له برد ، وكان يعدلّ عنده ولده ، وجارية يقال لها الأراك ، ففيهما يقول :

يا بُرْدُ ما مَسَّنَا دَهْرٌ أَضُرُّ بنا

مِنْ قَبْلِ هذا ولا يَغْنَا له وَلَدَا

أَمَّا الأراكُ فكانت من مَحارِمنا

عِشاً لذيذا وكانت جَنَّةَ رَغَدَا (٢)

(١) ط : « أين نبیذ است » ش : « اينست نبیذ است » . وأثبت ما فى الأغاني والبيان والتبيين

. ١٤٣ : ١

(٢) ط : « روسبيست » ش : « روسفيسست » ، صوابه من الأغاني والبيان . وانظر حواشى البيان .

(٣) انظر ما سبق فى ٤ : ٣٣٠ .

لولا الدَّعَى ولولا ما تَعَرَّضَ لى

من الحوادث ما فارقتها أبدا

وقال أيضاً من قصيدة :

وَشَرِيْتُ بُرداً لِيَتَنى من بعدِ بردٍ كُنْتُ هامه

أو بُومَةً تدعو صَدَى بين المَشَقَرِ واليَمَامَه

الرَّيحُ تبكى شَجْوَهُ والبرقُ يلمعُ فى العَمَامَه (١)

ثم إنَّ عبید الله أمر به فحُمِلَ إلى سجستان إلى أخيه عَبَاد بن زياد ، وكان ابن مَفْرُغ كتب فى حيطان الطرق والمنازل والخانات هجاءهم ، فَأُلْزِمَ مَحْوُهُ بأظفاره حتى فسدت أنامله ، ومُنِعَ أن يصلَّى إلى الكعبة ، وألْزِمَهُ أن يصلَّى إلى قبلة النَّصارى ، فلما وصل إلى عَبَادِ حَبَسَ ، فكان يهجوهم فى الحَبَسِ . ومما قاله فيه :

إنَّ زياداً ونافعاً وأبابك رَءَ عندى من أعجب العجَبِ

إنَّ رجالاً ثلاثة تُحْلِقُوا من رِخْمِ أنثى مخالِفى النَّسَبِ

ذا قرشئى كما يقول ، وذا مَوْلَى ، وهذا بَزَعِمِه عَرَى

والثلاثة أولاد سمية . أما نافع فهو من الحارث بن كَلْدَةَ . وأمَّا أبو بكر

وزياد فهما من عُبيد الرُّومى ، فإنَّ الحارث بعد أن أولدها نافعاً زَوَّجَهَا لُعْبِيدَ ،

فزيادٌ ادَّعى أَنَّهُ قرشئى ، وأبو بكره مَوْلَى لكونه ابن عُبيد . وأمَّا نافع (٢) فهو

عربئى لكونه ابنَ الحارث الثقفى . فلما طال حَبْسُهُ دخل أهلُ اليمن إلى معاوية ٥١٧

فشَفَعُوا فيه ، ووجَّه رجلا من بنى أسد يقال له خَمْخام - وقال ابن السيد : هو

(١) كذا . والرواية المعروفة « شجوها » ، ولكن البغدادى قيده فى التفسير التالى بأنها

« شجوه » ، وقال : « أى شجو برد » .

(٢) ش : « نافع » .

من بنى راسب^(١) - بريدأ إلى عبّاد ، وأمره أن يبدأ بالحيس فيُخرج ابن مفرغ منه قبل أن يعلم عبّاد فيغتاله . ففعل ذلك ، فلما خرج من الحيس قرّبت بغلة من بغال البريد فركبها وقال :

الأيّيات
* عدسٌ ما لعبادٍ عليك إمارة *
الأبيات

وتمام القصّة هناك . فقلوه (عدس) هو زجرٌ للبغل ، أى إنّه زَجَرٌ له ليسرع . قاله الجوهرى ، وأنشد هذا البيت . وربما سمّوا البغل عدسٌ بزجره .
قال الشاعر :

إذا حملتُ يزّقى على عدسٍ

فما أبالى من غزا ومن جَلَسَ

وقال الجاحظ^(٢) : زعم أناسٌ أنّ عدسٌ اسمٌ لكلّ بغلة ، وذهبوا إلى

قول الشاعر :

إذا حملتُ يزّقى على عدسٍ على التى بين الحمارِ والفرس

* فما أبالى من غزا ومن جَلَسَ *

وروى عن الخليل أنّ عدسٌ كان رجلاً عنيفاً بالبغال أيام سليمان عليه السلام ، فإذا قيل لها ذلك انزجرت وأسرعّت . وهذا لا يعرف فى اللغة .

وزعم ابن قتيبة أن الذى ركب ابن مفرغ فرس^(٣) . قال : فبعث على البريد من أطلقه ، فبدأ بالحيس فأخرجه ، فلما قرّب إليه فرسه قال : عدسٌ ما لعباد البيت . وهذا وهم ، ويدلّ لما قلنا قوله : « فيابغلة شماء » ... البيت

(١) ما بعده إلى « من الحيس » ساقط من ش .

(٢) فى كتاب البغال . انظر رسائل الجاحظ ٢ : ٢٧٣ .

(٣) ش : « أن التى ركبها ابن مفرغ فرس » .

وَأَنَّ عَدَسَ خَاصٍّ بِزَجَرِ الْبَغَالِ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : إِنَّ عَدَسَ اسْمُ بَغْلَتِهِ . وَهَذَا غَيْرُ صَحِيحٍ أَيْضاً ؛ لِأَنَّهَا لَمْ تَكُنْ لَهُ ، وَإِنَّمَا هِيَ مِنْ بَغَالِ الْبَرِيدِ .

وقوله : (ما لِعَبَادٍ) إلخ ما نافية ، واللام متعلق بمحذوف ، وعليك متعلق بالظرف ، (وإمارة) إمّا فاعل لقوله لِعَبَادٍ ، وإما مبتدأ وخبره لِعَبَادٍ . وجملة (أمنت) مستأنفة بياناً للجملة المنفية . وجملة (وهذا تحمّلين طليق) حال من فاعل أمنت ، أى أمنت فى حال كون محمولك طليقا . و (الطليق) : الذى أطلق من الإِسَارِ ، أى أمنت من حُكْمِ عِبَادٍ . وإذا لم يكن له حكم على البغلة فَلَا تُنْ لا يكون عليه حكمٌ أولى . وقوله : « وهذا تحمّلين » يعنى بالإشارة نفسه . ومن العجب قول العينى هنا : إِنَّ عَدَسَ منادى بحرف نداء محذوف ، وبُنَى على السكون لأنه فى الأصل حكاية صوت . إلى أن قال : وإمارة مبتدأ .

وعِبَادٌ هو أخو عُبيد الله بن زياد ، الذى قاتل الحسين بن على رضى الله عنهما فى كربلاء . وزيادٌ يقال له زياد بن سُمَيَّةَ ، وهى أمه ، بضم السين المهملة وفتح الميم وتشديد الياء ، ويقال له زياد بن عُبيد بالتصغير ، وهو أبوه . ويقال له أيضاً زياد بن أبيه ، أى ابن أبى معاوية ، لأنّ معاوية بن أبى سفيان جعله أخاً لنفسه ، واستلحقّه بأبيه .

وبيان ذلك كما ذكره الملك إسماعيل الأيوبيّ صاحبُ حماة (فى كتابه أخبار البشر) : أنّه لما دخلت سنة أربع وأربعين من الهجرة ، استلحقّ معاوية زياد بن سُمَيَّةَ ، وكانت سُمَيَّةَ جاريةً للحارث بن كلّدة الثقفى ، فزوّجها بعُبيد له رومىّ يقال له عُبيد ، فولدت سُمَيَّةَ زياداً على فراشه ، فهو ولد عُبيد شرعا . وكان أبو سفيان قد سار فى الجاهلية إلى الطائف ، فنزل على إنسانٍ يبيع الخمر يقال له أبو مريم ، أسلم بعد ذلك وكانت له صحبة ، فقال له أبو سفيان : قد

٥١٨ اشتبهت النساء . فقال له أبو مريم : هل لك في سُمَيَّة ؟ فقال أبو سفيان : هاتها على طول ثدييها وذفر إبطيها ! فأتاه بها فوقع عليها ، فيقال إنها عُلقت منه بزياد ، فوضعت في سنة الهجرة . ونشأ زيادٌ فصيحاً ، ثم لما كان قضية شهادة الشهود على المغيرة بالزنى وجلدهم^(١) ، ومنهم أبو بكره أخو زياد لأُمّه وامتناعُ زياد عن التصريح كما ذكرنا ، اتخذ المغيرة بذلك لزياد يدأ . ثم لما ولى على بن أبي طالب رضى الله عنه الخلافة استعمل زياداً على فارس ، فقام بولايتها أحسن قيام . ولما سلم الحسن الأمر إلى معاوية امتنع زيادٌ بفارس ولم يدخُل في طاعة معاوية ، وأهمَّ معاوية أمره وخاف أن يدعو إلى أحد من بنى هاشم ويعيد الحرب ، وكان معاوية قد ولى المغيرة بن شعبة الكوفة ، فقدم المغيرة على معاوية في سنة اثنتين وأربعين ، فشكا إليه معاوية امتناع زياد بفارس فقال المغيرة : أتأذن لي في المسير إليه ؟ فأذن له وكتب معاوية لزياد أماناً ، فتوجّه المغيرة إليه لما بينهما من المودة ، وما زال عليه حتى أحضره إلى معاوية وبايعه ، وكان المغيرة يكرم زياداً ويعظمه ، من حين كان منه في شهادة الزنى ما كان .

فلما كانت هذه السنة ، سنة أربع وأربعين ، استلحق معاوية زياداً وأحضر الناس ، وحضر من يشهد لزياد بالنسب ، وكان ممن حضر ذلك اليوم أبو مريم الحنّاء الذي أحضر سُمَيَّة إلى أبي سفيان بالطائف ، فشهد بنسب زياد من أبي سفيان وقال : إني رأيت إسكتي سُمَيَّة يقطران من منى أبي سفيان . فقال زياد : رويدك ، طلبت شاهداً ولم تطلب شتأماً . فاستلحقه معاوية . وهذه أوّل واقعة خولفت فيها الشريعة علانية ، لصريح قول النبي ﷺ « الولد للفراش وللعاهر الحجر » . وأعظم الناس ذلك وأنكروه ،

(١) ط : « بالزنا جلدهم » . وما أثبت من ش .

خصوصاً بنى أمية ، لكون زياد بن عُبَيْد الرومى صار من بنى أمية بن عبد شمس .

وقال عبد الرحمن بن الحكم أخو مروان في ذلك :

ألا أبلغ معاويةَ بنَ صخرٍ

لقد ضاقت بما تأقى اليدين

أتغضبُ أن يقالَ أبوك عَفٌّ

وترضى أن يقالَ أبوك زانى

وأشهدُ أن رَحِمَكَ من زيادٍ

كرِحَمِ الفيل من ولد الأنانِ

ثم ولّى معاويةَ زياداً البصرة ، وأضاف إليه خراسان وسجستان ، ثم جمع له الهند والبحرين وعمان .

ثم دخلت سنة خمس وأربعين ، فيها قدم زيادٌ إلى البصرة وسَدَّ أمر السلطنة وأكَّد الملك لمعاوية ، وجَرَّد السيف ، وأخذ بالظنَّة وعاقب على الشبهة ، فخافه الناسُ خوفاً شديداً . وكان معاوية وعُملاله يدعون لعثمان في الخطبة يوم الجمعة ويسبُّون علياً . ولَمَّا كان المغيرة متولَّى الكوفة كان يفعل ذلك ، وكان حُجَّر يقوم ومعه جماعة يردُّون عليه ، وكان المغيرة يتجاوز عنهم ، فلما ولّى زيادٌ ودعا لعثمان وسبَّ علياً قام حُجَر وقال كما كان يقول ، من الشَّاء على علي ، فغضب زيادٌ وأمسكه وأوثقه بالحديد وثلاثة عشر نفرأ معه وأرسلهم إلى معاوية ، فشفع في ستة منهم عشائُرهم ، وبقي ثمانية منهم حُجَر ، فقتلهم معاوية . وكان حُجَر صحابياً من أعظم الناس ديناً وصلابة . وروى ابنُ الجوزي بإسناده عن الحسن البصري أنه قال : أربع خصال كنَّ في معاوية ، لو لم تكن فيه إلا واحدة لكانت مُوبقة ، وهى : أخذه الخلافة بالسيف من غير ٥١٩

مشاوره وفي الناس بقايا الصحابة وذوو الفضيلة . واستخلافه ابنه يزيد ، وكان سيكراً يحميراً يلبس الحرير ويضرب بالطناير . وأدعاه زياداً أخاً ، وقد قال رسول الله ﷺ : « الولد للفراش وللعاهر الحجر » . وقتله حُجر بن عدي وأصحابه ، فيما ويلاً له من حُجر وأصحاب حُجر . وروى عن الشافعي أنه أسرَّ إلى الربيع أن لا يقبل شهادة أربعة ، وهم : معاوية ، وعمرو بن العاصي ^(١) ، والمغيرة ، وزيد .

وأما قضية المغيرة بن شعبة فقد كانت في سنة سبع عشرة ، وهي أنَّ المغيرة كان عمرُ بن الخطاب قد ولَّاه البصرة ، وكان في قبالة العُلَيَّة ^(٢) التي فيها المغيرة بن شعبة عُلَيَّة فيها أربعة ، وهم أبو بكرُة مولى النبي ﷺ ، وأخوه لأُمِّه زياد بن أبيه ، ونافع بن كلدة ، وشبل بن معبد ، فرفعت الرِّيحُ الكوة عن العُلَيَّة ، فنظروا إلى المغيرة وهو على أمِّ جميل بنت الأرقم بن عامر بن صعصعة ، وكانت تَعْمَشُ المغيرة ، فكتبوا بذلك فعزل المغيرة واستقدمه مع الشهود ، فلما قَدِمَ إلى عمر شهد أبو بكرُة ونافع وشبل على المغيرة بالزنى ، وأمَّا زياد بن أبيه فلم يُفصح بشهادة الزنى ، فقال : رأيته جالساً بين رجلَي امرأة ورأيت رجلين مرتفعتين ونفساً يعلو ، واستأ ترُبُو عَنْ ذَكَرٍ ، ولا أعلم ما وراء ذلك . فقال عمر : هل رأيت الميل في المُكْحَلَة ؟ فقال : لا . فقال : هل تعرف المرأة ؟ قال : ولكن أشبَّهها . فأمر عمر بالثلاثة الذين شهدوا بالزنى أن يُحْلُوا حَدَّ القذف فَجَلِدُوا . وكان زيادُ أخاً أُنَى بكره لأُمِّه ، فلم يكلمه أبو بكره بعدها . انتهى ما نقلته عن أخبار البشر .

(١) ش : « العاص » .

(٢) العلية : الغرفة ، ووزنها فُعُولَة أو فُعْلِيَّة . وتقال أيضاً بكسر العين .

وقال أبو عبيد البكري (في شرح أمالي القالي ^(١)) : كتاب مثالب العرب أصله لزياد بن أبيه ؛ فإنه لما ادعى أبا سفيان أبا ، علم أن العرب لا تُقرُّ له بذلك مع علمهم بنسبه ، فعمل كتاب المثالب وألصق بالعرب كل عيب وعار وباطل ، وإفك وبُهت . ثم ثنى على ذلك الهيثم بن عدي وكان دعياً ، فأراد أن يعرَّ أهل الشرف تشقياً منهم . ثم جدد ذلك أبو عبيدة مَعمر ابن المثني وزاد فيه ، لأن أصله كان يهودياً ، أسلم جدُّه على يدى بعض آل أبي بكر ، فانتفى إلى ولأئ تيم . ثم نشأ غيلان الشعوبى الوراق ، وكان زنديقاً ثنويّاً لا يُشكُّ فيه ، فعمل لطاهر بن الحسين كتاباً خارجاً عن الإسلام ، بدأ فيه بمثالب بنى هاشم وذكر مناكحهم وأمّهاتهم ، ثم بطون قريش ثم سائر العرب ونسب إليهم كل كذب وزور ، ووضع عليهم كل إفك وبهتان . ووصله عليه طاهر بثلاثين ألفاً . وأما كتاب المثالب والمناقب الذى بأيدي الناس اليوم فإنما هو للنضر بن شميل الحميرى وخالد بن سلمة المخزومى ، وكانا أنسب أهل زمانهما ، أمرهما هشام بن عبد الملك أن يبيّنا مثالب العرب ومناقبها ، وقال لهما ولن ضمَّ إليهما : دُعوا قريشاً بما لها وما عليها . فليس لقرشيٍّ في ذلك الكتاب ذكر . انتهى .

وقوله : « طليق الذى نُجى » إلخ ، الذى نجَّاه من الحبس هو معاوية . والدُّرب ، بالفتح : باب السكة الواسع ، والباب الأكبر . ومضيق : فاعل تلاحم .

وقوله : « لكل أناس خبطة » إلخ الخبطة ، بفتح المعجمة وسكون الباء ، قال صاحب القاموس : الخبطة : الرُّكمة تصيب في قُبُل الشتاء ^(٢) ، والمطرُّ الواسع . وقال : الرُّكمة بالضم : الطين المجموع .

(١) الآلى ٨٠٧ - ٨٠٨ . وانظر حواشى البيان ٣ : ٥ .

(٢) كذا ، وهو سهو من البغدادى فى النقل من القاموس ، والذى فى القاموس والتاج : « الرُّكمة » بالزاي المفتوحة ، وهى الزكام . وقد انساق البغدادى فى السهو ، فاتمس للركمة بالراء =

٥٢٠ وقوله : « قضى لك خمخام » بفتح الخاءين المعجمتين . وروى ابن قتيبة بخاءين مهملتين . ويؤخذ مجزوم بلا الناهية ، وأراد به الدعاء لها بأن لا تؤخذ في طريق وهو عليها .

والشَّمَاء : العالية المرتفعة ، مؤنث الأشم . والهَوَّة بالضم : الموضع الهاوى . والرَّدَى : الهلاك . وإمامٌ فاعل أنجباك .

والطَّرْق والطَّرُوق : الإتيان بالليل ، وأراد به مطلق الإتيان .

وقوله :

وشرَيْتُ برداً ليتنى من بعد بُردٍ كنتُ هامه

في القاموس : الهامة : طائرٌ من طير الليل ، وهو الصَّدَى . وقال (في صدَى) : والصَّدَى : طائرٌ يطير بالليل يَقْفِز قفزا . والمُشَقَّر كمعظم : حصن قديم . واليمامة : بلاد الجوّ ، وأصل اليمامة اسم امرأة ، وهى جارية زرقاء وكانت ^(١) تُبصر من مسيرة ثلاثة أيام ، وهى مشهورة ، سُمي الجوّ باسمها . وبها تنبأ مسيلمة الكذاب ، وهى عن مكة ست عشرة مرحلة من البصرة ، وعن الكوفة نحوها .

وقوله : « شجوه » مفعول لأجله ، أى شَجَو بُرد . والشَّجو : الحزن ،

= المضمومة معنى فى مادة (ركم) من القاموس فوجد لها معنى الطين المجموع . وقد تركت نص البغدادى كما هو محافظة عليه . على أن « الخطبة » التى وردت فى البيت معناها من تحيط ورق الشجر ، وهو ضربه ليسقط ويستعمل فى الحريق . ويؤيد هذا المعنى قوله فى البيت « وحريق » . ومعنى البيت فيما أرى ، أن بعد العسر يسرا ، ولابد لكل قوم من أن تتاح لهم فرصة النار بعد تعسرها عليهم .

(١) ط : « وكانت » .

أى لشجوها عليه . والبرق معطوفٌ على الريح ، أى والبرق ييكى أيضا .
وجملة يلمع إلخ حالٌ . قال السيّد المرتضى قدّس سرّه (فى أماليه الغرر
والدرر) : عطف البرق على الريح ثمّ أتبعه بقوله : يلمع فى الغمامة ، كأنه
قال : والبرق أيضاً ييكى لامعاً فى غمامه ^(١) ، أى فى حال لمعانه . ولو لم
يكن البرق معطوفاً على الريح فى البكاء لم يكن للكلام معنى ولا فائدة .

والبيت الأوّل استشهد به صاحب الكشّاف عند قوله تعالى :
﴿ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ﴾ ^(٢) على أنّ الشراء يأتى بمعنى البيع كما
فى البيت ، يقال شريت الشئ أشريه شري وشراء ، إذا بعته ، وإذا أخذته
أيضاً . فهو من الأضداد .

وقد عنّى لى أن أسوق القصيدة هنا فإنها جيّدة فى بابها . قال ^(٣) : قصيدة يزيد بن
مفرغ

أَصْرَمْتُ حَبْلَكَ مِنْ أَمَامِهِ	مِنْ بَعْدِ أَيَّامٍ بَرَامِهِ
وَوَقَعْتُهَا فَوَجَدْتُهَا	كَالضَّلَعِ لَيْسَ لَهَا اسْتِقَامِهِ
لَهْفَى عَلَى الرَّأْيِ الَّذِي	كَانَتْ عَوَاقِبُهُ نَدَامِهِ
تَرَكَى سَعِيداً ذَا النَّدى	وَالْبَيْتِ تَرْفَعُهُ الدَّعَامِهِ ^(٤)
لَيْثاً إِذَا شَهِدَ الْوَعَى	تَرَكَ الْهَوَى وَمَضَى أَمَامِهِ
فَتَحَّتْ سَمَرَقَنْدُ لَهُ	فَبَنَى بَعْرَصَتَهَا خِيَامِهِ
كَانُوا صَدِيقاً قَبْلَ ذَا	فَأَلَمَ دَهْرٌ ذُو عَرَامِهِ

(١) وكذا بالإضافة فى أمالى المرتضى ١ : ٤٤٠ .

(٢) الآية ٧٤ من النساء .

(٣) الأغاني ١٤ : ٥٤ - ٥٥ والشعراء ٣٢١ وأمالي الرجاسى ٤٢ .

(٤) سعيد هذا هو سعيد بن عثمان بن عفان ، وكان والياً على خراسان .

وَبَيَّعْتُ عَبْدَ بَنِي عَلَا حَجَّ تِلْكَ أَشْرَاطُ الْقِيَامَةِ
جَاءَتْ بِهِ حَبْشِيَّةٌ سَكَّاءُ تَحْسِبُهَا نَعَامَهُ
مِنْ نِسْوَةِ سُودِ الْوَجُو ه تَرَى عَلَيْنِ الدَّمَامَةِ
وَشَرِيثُ بَرْدٍ لَيْتَنِي الْبَيْتَيْنِ
وبعدهما :

وَالْعَبْدُ يَقْرَعُ بِالْعَصَا وَالْحُرُّ تَكْفِيهِ الْمَلَامَةِ
وَالْمَهْلُوكُ يَرْكَبُهُ الْفَتَى حَذَرَ الْخَازِي وَالْمَلَامَةِ

وقوله : « سَكَّاءُ تَحْسِبُهَا نَعَامَهُ » ، قال في العباب : السَّكَّاءُ بفتح السين :
٥٢١ صِغَرُ الْأُذُنِ . وَأُذُنٌ سَكَّاءٌ ، أَيْ صَغِيرَةٌ . يُقَالُ : كُلُّ سَكَّاءٍ تَبْيِضُ ، وَكُلُّ
شَرْفَاءٍ تَلْدُ . فَالسَّكَّاءُ : الَّتِي لَا أُذُنَ لَهَا ظَاهِرَةٌ . وَالشَّرَفَاءُ : الَّتِي لَهَا أُذُنٌ
ظَاهِرَةٌ . انْتَهَى . وَالنَّعَامُ صَغِيرُ الْأُذُنِ خِلْقَةٌ .

* * *

وَأُنْشِدُ بَعْدَهُ ، وَهُوَ الشَّاهِدُ التَّاسِعُ وَالْعِشْرُونَ بَعْدَ الْأَرْبَعِمِائَةِ ^(١) :
٤٢٩ (فَقُلْتُ لَهُ : لَا وَالَّذِي حَجَّ حَاتِمٌ
أَخَوْتُكَ عَهْدًا ، إِنَّنِي غَيْرُ خَوَّانٍ)
عَلَى أَنَّهُ بِتَقْدِيرٍ : حَجَّ حَاتِمٌ إِلَيْهِ ، فَحَذَفَ إِلَيْهِ .

قال أبو علي (في الإيضاح الشعري) : قوله : لَا وَالَّذِي حَجَّ حَاتِمٌ ،
يَحْتَمِلُ الَّذِي ضَرِيحِينَ : إِنَّ عَنَى بِالَّذِي الْكَعْبَةَ ، فَذَكَرَ عَلَى إِرَادَةِ الْبَيْتِ كَمَا
يَقُولُونَ : وَالْكَعْبَةُ ، وَالْبَيْتُ ، وَالْمَسْجِدُ ! فَالضَّمِيرُ فِي حَجَّ مُحذوفٌ ، لِأَنَّ هَذَا

(١) نَوَادِرُ أَبِي زَيْدٍ ٦٥ وَبِسْ ١ : ١٤٧ وَالْحَمَاسَةُ ١٦٢٨ بِشْرُ الْمَرْزُوقِ .

الفعل متعدي ، يدلُّ على ذلك قوله : ﴿ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ ^(١) ﴾ .
فالمعنى : الذى حجَّه حاتم . وإن عني بالذى الله سبحانه فالتقدير :
لا والذى حجَّ له حاتم ، فحذف له من الصلة . وهذا النحو من الحذف من
الصلوات قد جاء فى الشعر ، من ذلك قوله :

ناديتُ باسمِ ربيعةَ بنِ مكَّدِمٍ
إنَّ المنوَّةَ باسمه الموثوقُ

فقال : الموثوق ، وحذف به . انتهى .

وقال ابن جنى (فى إعراب الحماسة) : سألتنى أبو على مرَّة عن قوله :
* فقلت له لا والذى حج حاتم * البيت

فقلت له : يجوز أن يكون أقسم بالله عز وجل ، أى والله الذى حجَّ
حاتمَ بيته ثم حذف المضاف فصار حجَّه ، ثم حذف الضمير على العادة من
الصلة . ويجوز أن يكون الذى مصدراً كقوله تعالى : ﴿ الذى يبشِّر الله
عباده ^(٢) ﴾ [، وهو ^(٣)] شبيهة ببيتنا هذا . ا هـ .

أراد بالبيت المشبَّه به البيت الذى شرحه ، وهو :

رُوِّقَ لى وما حجَّ الحجاج له وما أهلَّ بجنبي نَحْلَةَ الحُرْم ^(٤)

قال : يحتمل ما هنا أوْجهاً : أحدها أن تكون عبارة عن القديم سبحانه
على ما حكاه أبو زيد عن العرب ، من قوله ^(٥) : سبحانه ما سَحَرَكُنَّ لنا ،

(١) الآية ١٥٨ من سورة البقرة .

(٢) الآية ٢٣ من سورة الشورى .

(٣) التكملة من إعراب الحماسة لابن جنى الورقة ١٩٤ .

(٤) بضمين ، جمع حرام ، بمعنى الحرم بالحج أو العمرة .

(٥) فى إعراب الحماسة : قولهم .

وسبحان ما سبَّح الرعد بحمده ، وأراد : في ما ^(١) الثانية له ، غير أنه حذفها ليطول الكلام وتقدّم ذكرها مع ما في الأولى . ويجوز أيضاً أن يكون ما هنا مصدراً فتكون الهاء في له لله تعالى ؛ وإن لم يجز له ذكر ، لأنه قد جرى ذكر الحجج ، فدلّت الطاعة على المطاع سبحانه ، فكأنه قال : إني وحجّ الحجج لله . ويؤكد ذلك أنّه لم يُعَدّ مع ما الثانية له ، لأنه غير محتاج إليها من حيث كانت مصدراً ^(٢) ، وغير محتاجة إلى عائذ وقد تقدّم « له » الأولى . ويجوز أيضاً أن تكون ما عبارة عن البيت ، فيقسم بالبيت ، كقول زهير :
فأقسمت بالبيت الذي طاف حوله

رجال بنو من قريش وجُرهم

فإذا كان الأمر كذلك احتملت الهاء في له أمرين : أحدهما أن تكون للبيت على أن يكون له بمعنى إليه ، كقوله تعالى : ﴿ بَأْنُ رَبِّكَ أَوْحَى لَهَا ^(٣) ﴾ أى إليها . والآخر ^(٤) أن يكون لله تعالى ، أى والبيت الذي حجّ الحجج لطاعة الله . وسألني أبو عليّ مرّة عن قوله . إلى آخر ما أوردناه أولاً .

فَعَلِمَ أَنَّ كَلَامَ الشَّارِحِ الْمُحَقِّقِ هُوَ أَحَدُ تَخْرِيجَيَّ أَيْ عَلَيَّ الْفَارَسِيِّ عَلَى تَقْدِيرِ حَمَلِ الذِّي عَلَى اللَّهِ . وَلَمْ يَرْتَضِ ابْنُ جَنَى عَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ ، بَلْ جَعَلَهُ عَلَى تَأْوِيلٍ : وَاللَّهُ الذِّي حَجَّ بَيْتَهُ حَاتِمٌ ، فَحَذَفَ بَيْتَ أَوَّلًا ثُمَّ الضَّمِيرَ الْعَائِدَ تَدْرِيجًا . وَهَذَا أَقْبَسُ مِنْ كَلَامِ أَيْ عَلَى .

(١) في النسختين : « فيما » ، والوجه ما أثبت من إعراب الحماسة .

(٢) كذا في إعراب الحماسة . وفي الأصل : « لأنه غير محتاج إليه من حيث كان مصدراً » .

(٣) الآية ٥ من الزلزلة .

(٤) في نسخة من إعراب الحماسة : « والأحسن » .

والبيت أحد أبيات ثلاثة أوردها أبو زيد (في نوادره) . لكن روايته ليست كرواية الجماعة ، وهى فيها كذا :

(مررت على دار امرىء السوء ، عنده

لُيُوثٌ كعُيُودٍ بِحَائِطِ بُسْتَانِ

ومررت على دار امرىء الصّدق حوله

مَرَابِطِ أَفْرَاسٍ وَمَلْعَبِ فِتْيَانِ

فقال مجيباً : والذى حجّ حاتم

أخوئكَ عهداً ، إننى غيرُ خَوَانِ

والسوء بفتح السين وضمها : مصدر ، أراد به السّئى ، فأطلق عليه مبالغة . وكذلك الصّدق ، مصدر أطلق على الصادق . ويكون السّوء والصّدق فى القول والفعل .

واللُيُوث : جمع ليث وهو الأسد ، أراد به الشجعان . وقال الجَرْمى : هو جمع كَيْثَة ، يقال ناقة لَيْثَة . انتهى . وفى القاموس : اللَّيْثَة من الإبل : الشديدة .

والعُيُودان ، بفتح العين المهملة : النخل الطوال ، قال الجوهري : والعُيُودان ، بالفتح : الطوال من النَّخْل ، الواحدة عُيُودَانَة . هذا إن كان فَعْلَان فهو من هذا الباب ، فإن كان فيعلاً فهو من باب النون .

وقوله : « بِحَائِطِ بَسْتَانِ » الباء بمعنى فى . والحائط : البُستان ، والبستان ، فَعْلَانٌ : الجَنَّة . قال الفراء : عَرَبِيٌّ ^(١) . وقال بعضهم : رومى معرب . فإضافة حائط إلى بستان بيانية .

(١) ط : « عرب » ، صوابه فى ش .

وقوله : « ومررت على دار » إلخ قال الجرمي : الواو زائدة ^(١) في البيت ، كأنه عطف بيتاً على بيت . وفتيان : جمع فتى .
 وقوله : « أخونك عهداً » ، الخَوْن والخيانة : أن يؤتمن الإنسان فلا ينصح ، يتعدى بنفسه إلى مفعول واحد تارة ، يقال خان الرجل الأمانة ، وتارة إلى المفعول الثاني بنفسه وبحرف الجر ، يقال خانته العهد وفي العهد . والعهد : الوصية ، والأمان ، والموثق ، والذمة .

وقوله : « فقال مجيباً » فاعل قال ضمير امرئ الصدق ، ومُجيباً حال منه . وقوله والذى ، الواو للقسمة ، والذى مُقسم به . وحج حاتم صلة الذى ، والعائد محذوف كما تقدّم بيانه ، وجملة أخونك جواب القسم بتقدير لا النافية ، كقوله تعالى : ﴿ تَاللّهِ تَفْتَنُوا تَذَكَّرْ يُونُسَ ﴾ ^(٢) والكاف مفعول أول ، وهى مفتوحة لا مكسورة . وعهداً مفعول ثان ، وجملة « إننى غير خوّان » ، استئناف بياني .

والأبيات لِغُرَيَّان بن سَهْلَة الجرمي ، وهو شاعرٌ من شعراء الجاهلية .
 كذا قال أبو زيد (فى نوادره) . والغريان ، بضم العين وسكون الراء المهملتين
 بعدهما مثناة تحتية وآخره نون . وسَهْلَة ، بفتح السين المهملة وسكون الهاء
 بعدها لام وهاء تأنيث . والجَرَمي : نسبة إلى جَرَم بفتح الجيم وسكون الراء
 المهملة . وجرم : بطنٌ من قبيلة طَيّء ، وبطن من قبيلة قضاة أيضاً .
 ولا أعلم نسبته إلى أى هذين البطينين . والله أعلم .

* * *

(١) وتسمى فى اصطلاح العروض بالخزم ، بالزاي المعجمة .

(٢) الآية ٨٥ من سورة يوسف .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثلاثون بعد الأربعمئة ^(١) :

٤٣٠ (فَسَلِّمْ عَلَى أَيُّهُمْ أَفْضَلُ)

هذا عجز ، وصدره :

(إِذَا مَا لَقِيتَ بَنَى مَالِكٍ)

على أَنَّ العائد الواقع مبتدأ محذوف ، والتقدير : أيهم هو أفضل . وفيه روايتان : « عَلَى أَيُّهُمْ » بالبناء على الضم ، وبه أورده ابن هشام في بحث أَيْ (من المغنى) . و « عَلَى أَيُّهُمْ » بإعرابه بالجر ، وبه أورده أيضاً في بحث جملة الصلة من الباب الثانى ، قال : قرئ : ﴿ أَيُّهُمْ أَشَدُّ ﴾ ^(٢) بالنصب ، وَرَوَى فَسَلِّمْ عَلَى أَيُّهُمْ أَفْضَلُ ، بالخفض . وكذلك رواه بالوجهين (في شرح الشواهد) .

وإذا شرطية ، وما زائدة . وجملة فسلم جواب الشرط .

ومسألة أَيْ خلافة ، وقد فصلها ابن الأنبارى (في مسائل الخلاف) ، ٥٢٣ وكذلك الشارح المحقق بعد الإخبار بالذى .

والبيت لم يبلغنى قائله . وقال ابن الأنبارى : حكاه أبو عمرو الشيبانى صاحب الشاهد بضم أَيُّهُمْ عن غَسَّان ، وهو أَحَدُ مَنْ تَوَخَّذَ عَنْهُ اللُّغَةُ مِنَ الْعَرَبِ . انتهى . فغَسَّانُ قَائِلُ الْبَيْتِ ^(٣) . وزعم ابن هشام أَنَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ غَسَّانَ . والله أعلم .

* * *

(١) الإنصاف ٧١٥ وابن يعيش ٣ : ٤/١٤٧ : ٧/١٢ : ٨٨ وشرح شواهد المغنى ٨٣ ، ٢٨١ والتصريح ١ : ١٣٥ والجمع ١ : ٨٤ ، ٩١ والأشعوى ١ : ١٦٦ ويس ١ : ١٣٦ .

(٢) الآية ٦٩ من سورة مريم .

(٣) المفهوم أن غسان هو راوى البيت ، أو صاحب هذه الرواية .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والثلاثون بعد الأربعمئة (١) :

٤٣١ (أنا الذى سَمَتْنِ أُمِّى حَيْدَرَةً)

على أنّه يجوز أن يقال : سَمَتْنِ ، والأكثر سَمَتَهُ . وظاهر كلامه أنّه غير قبيح .

وكذلك كلام صاحب الكشف ، وبه استشهد عند قوله تعالى : ﴿ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي ﴿ ٢ ﴾ على جواز كون أبلغكم صفة رسول الله ، لأنّ الرسول وقع خبراً عن ضمير المتكلم في لكنّى ، فجاز عود ضمير المتكلم عليه كما وقع الموصول في البيت خبراً عن ضمير المتكلم ، مع أنّ حقّ الضمير العائد إلى الموصول الغيبة ، فكان مقتضى الظاهر في الآية : يُبَلِّغُكُمْ ، وفي البيت : سَمَتَهُ .

وكذلك ظاهر كلام ابن الشجرى (فى أماليه) ؛ فإنّه تكلم على قول المتنبي :

كفى بجسمى نُحولاً أننى رجلٌ لولا مخاطبتى إياك لم تبنى (٣)
قال : رجلٌ خبر موطئ (٤) ، والجملة بعده صفته ، والفائدة بها ،
والخبر الموطئ (٥) كالزيادة فى الكلام . فلذلك عاد الضميران ، وهما الياء فى

(١) أمالى ابن الشجرى ٢ : ١٥٢ وطبقات الشافعية ١ : ٢٥٥ والجمع ١ : ٨٦ .

(٢) الآية ٦١ ، ٦٢ ، ٦٧ ، ٦٨ من الأعراف .

(٣) ديوان المتنبي ٢ : ٤٠٢ . وهذا البيت لم يرد فى النسخة المطبوعة من الأمالى ، وليس فيها من هذا النقل إلا : « ونظير ذلك عود ضمير المتكلم إلى الموصول إذا وقع الموصول خبراً عن ضمير متكلم كقول أمير المؤمنين عليه السلام :

« أنا الذى سمّنت أُمِّى حيدر » .

(٤) فى النسختين : « موطأ » . صوابه ما أثبت ، وهو نظير الحال الموطئة . وانظر الأشمونى ٢ :

١٧١ والتصریح ١ : ٣٧١ .

(٥) فى النسختين : « الموطأ » . وانظر التنبيه السابق .

مُخاطبتى ولم ترفى ، إلى الباء فى أننى ، ولم يعودا على رجل لأن الجملة فى الحقيقة خبرٌ عن أننى . ونظيره عود الباء إلى الذى فى قول على رضى الله عنه :
* أنا الذى سَمَتْنِي أُمِّي حَيْدَرَه *

لَمَّا كان المعنى الذى هو أنا فى المعنى ، وليس هذا ممَّا يحمل على الضرورة لأنَّه وقع فى القرآن نحو : ﴿ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُجَاهِلُونَ ﴾^(١) . وممَّا جاء فى الشعر لغير ضرورة قوله :

أَكْرَمُ مِنْ لَيْلَى عَلَيَّ فَتَبْتَغِي به الجاه أم كنتُ امرأ لا أُطِيعُهَا^(٢)

ولم يقل يُطِيعُهَا وفاقاً لامرئٍ . فهذا دليلٌ على دليل التنزيل ، فاعرف هذا وقس عليه نظائره . انتهى .

ولا يخفى أنَّ مبنى كلامه على أنَّ الضرورة ما ليس للشاعر عنه مندوحة . والصحيح أنها ما وقع فى الشعر ، سواء كان عنه مندوحة ، أم لا . وصريح كلام الإمام المروزقى^(٣) أنَّه قبيح مردود . قال : كان القياس أنَّ يقول سَمَتَهُ حتى يكون فى الصلة ما يعود إلى الموصول ، لكنَّه لما كان القصد فى الإخبار عن نفسه ، وكان الآخر هو الأوَّل ، لم يُبالِ برَّد الضمير على الأوَّل ، وحمل الكلام على المعنى لأمنه من الإلباس^(٤) ، وهو مع ذلك قبيح عند النحويين ، حتى إنَّ المازنى قال : لولا اشتهاؤ مَوْرِدِهِ وكثرتُه لردَّدْتَهُ . انتهى .

(١) الآية ٥٥ من سورة النمل .

(٢) نسب إلى المجنون ، أو الصمة القشيري ، أو ابن الدمينه . وانظر شرح شواهد المعنى ٧٩ ، ٣٠٩ وحواشى الحماسة بشرح المروزقى ١٢٢٠ .

(٣) فى شرح الحماسة ٢٩٧ .

(٤) فى شرح الحماسة : « من الالتباس » .

و (الحيدرة) : الأسد ، نقل الحسين الميبيدي^(١) (في شرح ديوان الإمام على رضي الله عنه) عن الحافظ إسماعيل قال : يُروى أنَّ أُمَّ مرحب كانت كاهنة قالت لابنها : يا بنيّ إني خائفة عليك رجلاً يسمّى نفسه في الحرب حيدرة ، فإن سمعت ذلك فلا تبارزه . فلما سمع الرجز أراد الرجوع ، فمنعته الحميّة الجاهلية ، فقتله عليّ رضي الله عنه . والسيّاق مشعرٌ بأنّ عليّاً كان سميع هذا ، فلهذا قال حيدرة . انتهى .

٥٢٤ وحمله الجمهور على غير هذا ، قال ابن قتيبة (في غريب الحديث) : سألت بعض آل أبي طالب عن قوله : سمّنت أُمّي حيدره ، فذكر أنّ أُمَّ علي فاطمة بنت أسد ولدت عليّاً وأبو طالب غائب ، فسَمّته أسداً باسم أبيها ، فلمّا قدم أبو طالب كره هذا الاسمَ وسَمّاه عليّاً ، فلما كان يومَ خير ورجز عليّ ذكر الاسم الذي سمّته به أمه ، فكأنه قال : أنا الأسد . اهـ . ومثله في صحاح الجوهري .

وقال السهيلي (في الروض الأنف^(٢)) . في قول عليّ : « سمّنت أُمّي حيدره » ثلاثة أقوال ، ذكرها قاسم بن ثابت . أحدها : أنّ اسمَه في الكتب المتقدّمة أسد ، والأسد هو الحيدرة . الثاني : أنّ أمة فاطمة بنت أسد حين ولدتَه ، كان أبوه غائباً ، فسَمّته باسم أبيها أسداً ، فقَدِم أبوه فسَمّاه عليّاً .

(١) ش : « المبيدي » ، صوابه بالذال المعجمة ، نسبة إلى مبيد ، قال ياقوت : « بالفتح ثم السكون وضم الباء الموحدة وذل معجمة : بلدة من نواحي أصبهان » . وهو الحسين بن معين المبيدي المتوفى في سنة ٨٧٠ . لكن ذكر في كشف الظنون أنّ هذا الشرح بالفارسية . فلعله شرحه مرة بالفارسية ، وأخرى بالعربية ، كما يتضح من نقل البغدادى عنه .
(٢) الروض الأنف ٢ : ٢٤٢ .

الثالث : أَنَّهُ كَانَ لُقْبَ فِي صَغَرِهِ بِحَيْدَرَةٍ ، لِأَنَّ الْحَيْدَرَةَ الْمَمْتَلَىءَ لِحِمَاً مَعَ عِظَمِ بَطْنٍ ، وَكَذَلِكَ كَانَ رَضَى اللَّهُ عَنْهُ ، وَلِذَلِكَ قَالَ بَعْضُ اللَّصُوصِ حِينَ فَرَّ مِنْ سِجْنِهِ الَّذِى كَانَ يُسَمَّى نَافِعَا ، وَقِيلَ فِيهِ بِالْيَاءِ أَيْضاً :

وَلَوْ أَنَّنِى مَكْنُتٌ لَهُمْ قَلِيلاً

لَجُرُونِى إِلَى شَيْخِ بَطْنِ

انتهى .

فعلى القولين الأولين يكون من التعبير بالمترادف .

قال ابن السيد البطليوسى (فى شرح أدب الكاتب) : أراد أنا الذى سَمَّتنى أُمِّى أَسْداً ، فلم يمكنه ذكر الأسد من أجل القافية ، فذكر حيدرة ، لأنه اسم من أسمائه . وإنما قلنا ذلك لأنَّ أُمَّه لم تسمه حيدرة ، وإنما سَمَّته أَسْداً . انتهى .

والبيت من رجز لعل رضى الله عنه ، قاله يوم خيبر . روى أَنَّ مَرْحَباً اليهودى خرج يوم خيبر وهو يَخْطِرُ وعليه مِغْفَرٌ يَمَانِيٌّ ، وَحَجَرٌ قد ثَقَبَهُ مِثْلُ الْبَيْضَةِ عَلَى رَأْسِهِ ، وهو يرتجز ويقول :

قد علمتُ خَيْبِرُ أَنَّنِى مَرْحَبُ شَاكِي السِّلَاحِ بَطْلٌ مَجْرَبُ

* إِذَا اللَّيْثُ أَقْبَلَتْ تَلْهَبُ ^(١) *

فبرز له على عليه السلام وعليه جُبَّةٌ حمراء قد أخرجَ حَمَلُهَا ، وهو يقول :

أنا الذى سَمَّتنِى أُمِّى حَيْدَرَهُ

ضِرْغَامُ آجَامٍ وَلَيْثٌ قَسَوْرَهُ

(١) ط : « تلهب » ، صوابه فى ش .

عَبْلُ الذَّرَاعَيْنِ شَدِيدُ الْقَصَرِ
 كَلِيْثُ غَابَاتٍ كَرِيْهِ الْمَنْظَرِ
 أَضْرِبُ بِالسَّيْفِ رِقَابَ الْكَفَرِ
 أَكِيْلُهُمْ بِالسَّيْفِ كَيْلَ السَّنْدَرِ
 وروى أيضاً :

* أَوْفِيْهِمْ بِالصَّاعِ كَيْلَ السَّنْدَرِ *

وزاد الحسين الميبدى^(١) في روايته :
 أَضْرِبُكُمْ ضَرْباً يُبَيِّنُ الْفَقْرَ
 وَأَتْرُكُ الْقِرْنَ بَقَاعَ جَزْرِهِ
 أَشْفِي صَدْرِي مِنْ رُؤُوسِ الْكَفَرِ^(٢)
 أَقْتُلُ مِنْهُمْ سَبْعَةً أَوْ عَشْرَةَ
 * فَكُلُّهُمْ أَهْلُ فُسُوقٍ كَفَرِهِ *
 وقد روى أبياتٌ مرحب على غير ما ذكرنا وهي :
 إِنَّا أَنْاسٌ وَلَدُنَّا عَهِرُهُ
 لِبَاسُنَا الْوَشْيُ وَرِيطُ جَبْرِهِ^(٣)
 * أَبْنَاءُ حَرْبٍ لَيْسَ فِينَا عَدَرُهُ *

(١) ش : « الميبدى » وانظر ما سبق من تحقيق ص ٦٤ .

(٢) كذا ورد صدر هذا البيت ، ولا يستقيم به الوزن . ولعله « صُدِيرِي » بالتصغير ، أو « صدوري » تعبيراً بالجمع عن المفرد .

(٣) ط : « لنا سنا الوشي » ، صوابه في ش .

وقال : العَبْرَة : المرأة الحسناء . والوَشَى من الثياب معروف . والرَّيْطَة : الملاعة . والجَبْرَة : البرد اليمنى . وَغَدْرَة : جمع غادر . والجَزْرَة بفتحتين : ٥٢٥ اللحم الذى تأكله السَّبَاع ^(١) ، والجمع جَزَر ، يقال تركوهم جَزَرًا ، أى قتلوهم . اهـ .

والسَّنْدَرَة : بفتح السين المهملة وسكون النون ، قال السُّهَيْل : شجرة يُصَنَع منها مكاييلُ عظام . وقال ابن السَّيِّد البطليوسى : قال ابن قتيبة : (فى شرح الحديث) : السَّنْدَرَة شجرة تُعْمَل منها القسيّ والتَّيْل ، فيحتمل أن يكون مكيالاً يتخذ من هذه الشجرة يسمى باسمها ، كما تسمى القوس نَبْعَةً باسم الشجرة التى أُحْدِثَتْ منها . قال : ويحتمل أن يكون امرأة كانت تكيل وافيًا أو رجلا . وذكر أبو عَمَر المَطَرُز (فى كتاب الياقوت) : أن السندرة امرأة . انتهى .

وفى (العباب للصاغاني) : السَّنْدَرَة : اسم امرأة كانت تبيع القمح وتوفى الكيل . والسندريّ : مكيالٌ ضخّم كالقَنْقَل والجُرَاف . وقال ثعلب فى قول على رضى الله عنه :

أنا الذى سمتني أُمى حَيْدَرَه

كليث غابات كَرِه المنظره

أكيلكم بالسيف كيل السندره

أطعن بالرمح نُحور الكفره

لم تختلف الرُّوَاة أنَّ هذا الرجز له ، واختلفوا فى السندرة ، فقال ابن الأعرابى : هى مكيال . أى أقتلكم قتلا واسعاً كثيراً . وقال غيره : هى امرأة كانت توفى الكيل . أى أقتلكم قتلا وافيًا . انتهى .

(١) ط : « يأكله السباع » .

والضَّرْغَامِ واللَّيْثِ بمعنى الأسد . والآجَامِ والغابات ^(١) : جمع الأجمة والغابة ، وهما الشجر الكثير المتلف أو القصب مثله ، يكونان مأوى الأسد ؛ إشارة إلى فرط قوته ومنعة جانبه ، حيث لم يكتفِ بأجمة بل حَمَى آجاماً وغابات . وليث الأول مضاف إلى قسورة ، والقسورة هنا أول الليل ، ذكر هذا المعنى صاحب العباب . ويأتى بمعنى الأسد أيضاً ، وهو من القَسْرِ ؛ لأنه يأخذ فريسته قهراً وغلبة ، ويجوز على هذا أن يقرأ بتنوين ليث ، فيكون قسورة وصفاً له . والقَصُورَةُ لغة في القَسُورَةِ ، وفسره شارح الديوان برامى السَّهْمِ ، وفى التنزيل : ﴿ قَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴾ ^(٢) . قيل : من أسد . وقال ابن عباس : القسورة : ركز الناس وجسهم . وقال غيره : هم الرُّمَّة الذين يتصيدونها . وقال : المعنى كأنهم حُمِرَ نَفَرُهَا ^(٣) من يَفْسِرُها برمى أو صيد أو غير ذلك . والعَلَبُ بفتح العين المهملة وسكون الموحدة : الضَّحْمُ . والقَصْرَةُ ، بفتح القاف والصاد المهملة . أصل العُنُق . ورواه أبو عمرو الشيباني :

* كليث غاباتٍ غليظِ القَصْرَةِ *

وأخطأ شارح الديوان بتفسيره إيَّاه بأصل الأذن . و الفَقْرَةُ بكسر الفاء وفتح القاف : جمع فقرة بسكون القاف ، وهى تحزة الظهر . والفَقَارَةُ بالفتح أيضاً هى تحزة الظهر . والقِرْنُ بكسر القاف وسكون الراء ، هو المقاوم فى قتال أو علم أو غيرهما . وقول مرحب : شاكى السلاح ، قال صاحب المصباح : الشوكة : شدة البأس والقوة فى السلاح . وشاك الرجل يَشَاك شوكاً ، من باب خاف : ظهرت شوكته وحِدَّتْهُ . وهو شائك السلاح ، وشاكى السلاح على القلب .

(١) والغابات ، ساقط من ش .

(٢) الآية ٥١ من المدثر .

(٣) ش : « أنفرها » .

و (فى سيرة ابن سيّد الناس) أنّ مرحباً لمّا رجز :

« قد علّمت خيبرُ أنى مرحبٌ »

أجابه كعبُ بن مالك شاعر رسول الله ﷺ :

قد علّمت خيبرُ أنّى كعبُ

مفرّج الغمّا جرى صلبُ^(١)

فى أبيات . وهذا هو الصحيح ، فإنّ أجوبة الأرجاز فى الحرب إنما هى ٥٢٦

على القافية ، فيكون رجز علىّ رضى الله عنه جواباً عن قول مرحب :

« إنا أناسٌ ولدتنا غيره »

كما رواه حسين الميبدى^(٢) . ولم يذكر الشامى هذا فى سيرته ، وذكر

فى قتل مرحب رواياتٍ مختلفة .

وخيبر : اسم ولايةٍ مُشمّلة على حصون ومزارع ونخل كثير ، على ثلاثة

أيام من المدينة ، على يسار الحاجّ الشامى ، سميت باسم أول من نزّلها ،

وهو خيبر أخو يثرب ، ابنا أخى عاد . وكانت غزوة خيبر فى آخر السنة

السادسة من الهجرة قبل فتح مكة شرفها الله تعالى ، فإنّ فتحها كان فى سنة

ثمان من الهجرة .

واعلم أنّ العلماء قد اختلفوا فى الشعر المنسوب إلى على رضى الله عنه ،

قال المازنى : إنه لم يصحّ أنّه عليه السلام تكلم بشئ من الشعر غير هذين

البيتين . وصوّبه الزمخشري ، وهما :

(١) وكذا فى السيرة ٧٦٠ . والغما : مقصور الغماء بالمد وفتح الغين وتشديد الميم ، ومثلها

« الغمى » بضم الغين .

(٢) ش : « الميبدى » ، وانظر ما سبق فى حواشى ص ٦٤ .

تَلَكُمُ قُرَيْشٌ تَمَنَّاى لَتَقْتَلَنى
 فلا ورَّك ما برُّوا ولا ظَفُروا
 فإن هلكُ فرهن ذِمَّتى لهم
 بذات وذقين لا يعفو لها أثر

كذا قال صاحب القاموس . وفسر ذات وذقين بالذاهية ، قال : كأنها ذات وجهين . ووذقين بفتح الواو وسكون الدال وفتح القاف . ويرد على المازنى والرخشى ما نقلناه آنفاً عن ثعلب من كون الرواة لم يختلفوا فى الرجز الذى منه البيئ الشاهد أنه له عليه السلام ، ويؤيده أنه مذكور فى جميع كتب السير والمغازى .

وعلى بن أبى طالب ، رضى الله عنه وكرم وجهه ، قال ابن حجر (فى الإصابة) : هو ابن عم النبى ﷺ ، وأبو الحسن ، وأول الناس إسلاماً فى قول الكثير من أهل العلم ، ولد قبل البعثة بعشر سنين على الصحيح فرى فى حجر النبى ﷺ ولم يفارقه ، وشهد معه المشاهد إلا غزوة تبوك ، فقال له بسبب تأخيره له بالمدينة : « ألا ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى » الحديث . وزوجه بنته فاطمة ، وكان اللواء بيده فى أكثر المشاهد .

ولما آخى النبى ﷺ بين أصحابه قال له : « أنت أخى » .

ومناقبه كثيرة ، حتى قال الإمام أحمد : لم يُنقل لأحد من الصحابة ما نقل لعل . وقال غيره : وكان سبب ذلك تنقيص بنى أمية له ، فكان كل من كان عنده علم من مناقبه من الصحابة يبيته ، وكلما أرادوا إخماده وهددوا

مَنْ حَدَّثَ بِمَنَاقِبِهِ لَا يَزْدَادُ إِلَّا اتِّشَارًا . وَ - خصائص على رضي الله عنه
 [قوله صلى الله عليه وآله وسلم ^(١)] يوم خيبر : « لَأُدْفَعَنَّ الرَّايَةَ غَدًا إِلَى رَجُلٍ
 يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ » . فلما أصبح رسول الله ﷺ غَدَوْا
 كُلَّهُمْ ^(٢) يرجو أن يُعْطَاهَا ، فقال ﷺ : « أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ؟
 فَقَالُوا : يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ . فَأَتَى بِهِ فَبَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ ، وَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ .
 أَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيحِينَ . وَبَعَثَهُ لِقِرَاءَةِ بَرَاءَةِ عَلَى قَرِيشٍ ، وَقَالَ : « لَا يَذْهَبُ
 إِلَّا رَجُلٌ مَنِيٌّ وَأَنَا مِنْهُ » . وقال لِبَنِي عَمِّهِ : « أُيِّكُمْ يُوَالِيَنِي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ؟
 فَقَالَ عَلَى : أَنَا . فَقَالَ ^(٣) : « إِنَّهُ وَلِيٌّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ » ، وَأَخَذَ رِداءَهُ
 فَوَضَعَهُ عَلَى عَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ وَحَسَنَ وَحُسَيْنَ ، وَقَالَ : ﴿ إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ
 عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ ^(٤) ﴾ . وَلَيْسَ ثَوْبُهُ وَنَامَ مَكَانَهُ ، وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ
 قَصَدُوا قَتْلَ النَّبِيِّ ﷺ ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا رَأَوْهُ ، قَالُوا : أَيْنَ صَاحِبُكَ ؟ وَقَالَ لَهُ ٥٢٧
 فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ : « أَنْتَ مَنِيٌّ بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى ، إِلَّا أَنَّا لَسْتُ بَنِيٍّ » ،
 أَيْ لَا يَنْبَغِي أَنْ أَذْهَبَ إِلَّا وَأَنْتَ خَلِيفَتِي . وَقَالَ لَهُ : « أَنْتَ وَلِيٌّ كُلِّ مُؤْمِنٍ
 بَعْدِي » . وَسَدَّ الْأَبْوَابَ إِلَّا بَابَ عَلِيٍّ ، فَيَدْخُلُ الْمَسْجِدَ جُنْبًا وَهُوَ طَرِيقُهُ
 لَيْسَ لَهُ طَرِيقٌ غَيْرُهُ . وَقَالَ : « مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيَ مَوْلَاهُ » .
 وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ بِإِسْنَادٍ قَوِيٍّ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حَصِينٍ فِي قِصَّةٍ قَالَ فِيهَا :
 قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَا يَرِيدُونَ مِنْ عَلِيٍّ ، إِنَّ عَلِيًّا مَنِيٌّ وَأَنَا مِنْ عَلِيٍّ ،
 وَهُوَ وَلِيٌّ كُلِّ مُؤْمِنٍ بَعْدِي » .

(١) التكملة من الإصابة .

(٢) وكذا في الإصابة ، وفي ش « وكلهم » .

(٣) في الإصابة : « فَأَبَوْا فَقَالَ عَلَى أَنَا » .

(٤) الآية ٣٣ من الأحزاب .

واستشهد في ليلة التاسع عشر من شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة . ومدة خلافته خمس سنين إلا ثلاثة أشهر ونصف شهر . انتهى كلام الإصابة مختصراً .

ومناقبه العديدة ، وسيرة الحميدة ، لا يحتملها هذا المختصر . وقد ألف العلماء فيها تأليف عديدة لا تُعد ولا تحصى .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثاني والثلاثون بعد الأربعمئة (١) :

(القاتلي أنت أنا) ٤٣٢

وهذا بعض بيت وضعه بعض النحاة للتعليم ، كما في (سفر السعادة) ، وهو :

(كيف يخفى عنك ما حل بنا
أنا أنت القاتلي أنت أنا)

وروى أيضاً :

* أنا أنت الضاري أنت أنا *

واقصر الشارح المحقق على هذا القدر لتعلق غرضه به ، ولم يُورده بتمامه لشهرته وخطأ قائله ، فإنه كان يجب أن يقول القاتله بالهاء لا بالياء ، ليكون التقدير : الذي قتلته أنا . لأنَّ أَل في القاتل اسم موصول بمعنى الذي ، وحق العائد أن يكون بضمير الغائب لا بضمير المتكلم ؛ لئلا يصير الإخبار لغواً، إذ التقدير : الذي قتلتنى ، فيصير من قبيل الذي ضربت أنا . وقد ذكر أنه لا يجوز الحمل على المعنى . قال ابن السراج (في

(١) لم أجد له مرجعاً آخر غير ما نص عليه البغدادي . وقد خرج في سفر السعادة وتذكرة أبي حيان .

الأصول) : لا يجوز الذى ضربتك أنت ، ولا الذى ضربتني أنا . فإن قدمت نفسك قبل الذى ، قلت : أنا الذى ضربتك ، وأنا الذى ضربتني . قال أبو عثمان المازنى : ولولا أن هذا حكى عن العرب الموثوق بعريتهم ردّناه لفساده . وما جاء فى الشّعْر فى صلة الذى محمولا على معناه لا لفظه ، قوله :

وأنا الذى قَتَلْتُ بَكَراً بالقنا

وتركتُ تغلبَ غيرِ ذاتِ سَنام

ولو حُمِلَ على لفظه لقال قَتَلَ . وليس كل كلام يحتمل أن يُحمَلَ على المعنى . انتهى .

وقد جَوَّهَ أبو ذَرٍّ مُصْعَبُ بن أُنَى بكر الحِشْنَى ، حكاه عنه أبو حيان : (فى الارتشاف) قال : يُجيز عودَ الضمير مطابقاً للخبر فى الخطاب والتكلم ، بحمله على المعنى . قال : ورُدَّ عليه بأنه يلزم منه أن تكون فائدة الخبر حاصلةً فى المبتدأ . وذلك خطأ .

وقال ناظر الجيش (فى شرح التسهيل) : المبتدأ يُخبر عنه مظهراً كان أو مضمراً ، بمتكلم أو مخاطب أو غائب ، فيقال فى الإخبار عن هو ، من قولك : هو قائم هو ، وفى الإخبار عنه إذا كان لمتكلم أو مخاطب خلافاً ، والأصح الجواز . والضمير الذى يؤتى به تحلفاً يكون ضمير غيبة . وأجاز الكسائى : الذى أنا قائم أنا ، والذى أنت قائم أنت . والكسائى نظر إلى المعنى . ولا شك أن هذه المسألة نُقلت إلى مسألة أنت الذى قام وأنا الذى ٥٢٨ قام ، حيث يجوز فيها . أنت الذى قمت ، وأنا الذى قمت ، ولكن شرط مراعاة المعنى فى هذه المسألة تقدّم الضمير على الاسم الموصول ، فلو تقدّم الموصول على الضمير لم يجز مراعاة المعنى إلا عند الكسائى ، ومن ثم أجاز : الذى أنا قائم أنا ، والذى أنت قائم أنت . انتهى .

وإذا وقفت على هذا علمت أن ما رده الشارح المحقق وأبو حيان ليس بوجه ، لأنه قول لإمام الكوفيين وغيره ، فناظم البيت تابع لهما . غايته أنه مخالف لقول الجمهور .

وقد أعرب هذا المصراع بوجهين أبو محمد عبد الله ، الشَّهير بابن برِّي ، كما نقله عنه صاحب (سِفَر السَّعادة) قال : أحد الوجهين أن تجعل الألف واللام لأنا ، والفعل لأنت . فأنا على هذا (١) مبتدأ وأنت مبتدأ ثان ، والقاتلي (٢) مبتدأ ثالث لأنه غير أنت ؛ إذ الألف واللام لأنا . والعائد على الألف واللام الياء في القاتلي ، لأنها أنا في المعنى ، وأنت فاعل بالقاتلي ، أبرز لما جرى الوصف على غير مَنْ هُوَ له ، إذ الألف واللام لأنا ، والفعل لأنت ، فأنا على هذا مبتدأ وأنت مبتدأ ثان ، والقاتلي (٣) خبر أنت ، ولا يُبرز الضمير فيه ، لأنه جرى على مَنْ هُوَ له ، ويكون الكلام قد تمَّ عند قوله القاتلي ، ويكون أنت أنا على طريق المطابقة للأوَّل ، ليكون آخر الكلام دالاً وجارياً على أوَّلِه . ألا تراه قال في أوَّل الكلام : أنا أنت ، ولهذا قال في آخره : أنت أنا ، أي كيف أشكو ما حلَّ بي منك وأنا أنت وأنت أنا ، فإذا شكوتك فكأنما أشكو نفسي . قال : ولو جعلت الألف واللام والفعل في هذه المسألة لأنا ، لقلت : أنا أنت القاتلك أنا ؛ فأنا مبتدأ وأنت مبتدأ ثان ، والقاتلك مبتدأ ثالث ، لأنه غير أنت وفيه ضمير يعود على الألف واللام التي هي أنا في المعنى . ولم يبرز الضمير الذي في القاتلك . والقاتلك وخبره خبر أنت ، وأنت وخبره خبر أنا . اهـ .

وقد أورد أبو حيان هذا البيت (في تذكرته) ، واقتصر في إعرابه على

(١) على هذا ، ليست في ط .

(٢) ما بعده إلى « والقاتلي » التالية ساقط من ش .

(٣) إلى هنا ينتهي سقط ش الذي نهت عليه في الحاشية السابقة .

الوجه الأول من وجهي قول ابن برّي ، قال : أنا الأول مبتدأ ، وأنت الأول مبتدأ ثان ، والألف واللام لأنا ، وقاتلي لأنت . فقد جرى اسم الفاعل صلة على الألف واللام التي هي أنا ، فأبرز ضميره وهو أنت . فأنت يرتفع بقاتلي ، وأنا خبر عن الألف واللام ، وهي وما بعدها خبر عن أنت الأول ، وهو وما بعده خبر عن أنا الأول ، والعائد إلى أنا الأول أنا الثاني ، والياء في القاتلي عائدة على الألف واللام . انتهى .

وقد أجاب بالوجه الأول نظماً أبو بكر بن عمر بن إبراهيم بن دَعَّاس^(١) الفارسي ، فإنه سأله بعضهم عنه بقوله :

أيها الفاضل فينا أفئتنا
وأزل عنا بفتواك العنا
كيف إعراب نُحَاة النحو في :
أنا أنت الضاري أنت أنا

فأجابه بقوله :

أنا أنت الضاري مبتدأ فاعتبرها يا إماماً لسينا^(٢)
أنت بعد الضاري فاعله وأنا يُخبر عنه علنا
ثم إنَّ الضاري أنت أنا خبر عن أنت ما فيه انثنا
وأنا الجملة عنه خبر وهي من أنت إلى أنت أنا

(١) في النسختين : « دعابس » ، صوابه من البغية ٢٠٥ وتاج العروس (دعس) ، قال الزبيدي « والفقير أبو بكر بن دعاس كشداد : أحد الأمراء بزييد . وإليه نسبت المدرسة بها » .

(٢) في البغية : « سننا » .

٥٢٩ وأبو بكر هذا كان فقيهاً حنفياً أديباً شاعراً ، نال من إمام اليمن المظفر
 حظوة حتى اختص به ، ثم طرده ، لإدلاله تكرّر منه ، من تعزّز إلى زبيد ،
 فمات بها في جمادى الآخرة سنة سبع وستين وستائة . وكان أهل زبيد
 ينسبونه إلى سرقة الشعر ويقولون : إذا حوسب الشعراء يوم القيامة يؤتى بابن
 دُعّاس (١) فيقول : هذا البيث لفلان ، وهذا المصراع لفلان ، وهذا المعنى
 لفلان . فيخرج بريئاً . كذا في معجم النحويين للسيوطي .

ابن برّي أما أبو محمد ابن برّي فهو عبد الله بن برّي بن عبد الجبار المقدسي
 المصري الشافعي النحوي اللغوي ، كان قِيماً بهما والشواهد ، ثقة . قرأ عليه
 الجزولي (٢) . وصنّف الردّ على ابن الخشاب في ردّه على الحريري في مقاماته ،
 وكتاب الردّ على دُرّة الغواص للحريري (٣) ، وحواشي على صحاح الجوهري .
 قال الصّفدي : لم يُكْمَلْها ، بل وصل إلى (وقش) ، وهو رُبْع الكتاب ،
 فأكملها الشيخ عبد الله بن محمد البسّطي . مات في ليلة السبت السابعة
 والعشرين من شوال سنة ثنتين وثمانين وخمسمائة . وأقرأ كتاب سيبويه ،
 وتصدّر بجامع عمرو . وكان مع غزارة علمه ودقّة فهمه ذا غفلة وبلاهة ،
 تحكى عنه حكايات عجيبة . كذا في معجم النحويين للسيوطي .

(١) في النسختين : « دعاس » ، وانظر ما سبق من تحقيق .

(٢) هذا هو الصواب . وفي بغية الوعاة : « قرأ على الجزولي » ، ولا يستقيم ، فإن الجزولي توفي
 سنة ٦٠٧ ووفاة ابن برّي سنة ٥٨٢ .

(٣) هذا هو الصواب . وفي البغية : « وصنّف اللباب » ، في الرد على ابن الخشاب ، في ردّه على
 الحريري في دُرّة الغواص . الرد على الحريري في دُرّة الغواص .

وَبَرَّرَ بفتح الموحدة وتشديد الراء والياء ، وهكذا ضبطه ابن حجر (في
مشتبه النسبة) .

وَأَمَّا مُصْعَبُ الْحُشْنِيِّ ، فهو محمد بن مسعود الْحُشْنِيُّ الأندلسي مصب الحشني
الجَيَّانِي ، كان أحد الأئمة الْمُتَّقِينَ ، وأحد الْمُعْتَمِدِينَ في الفقه والأدب ،
إماماً في العربية ؛ جال الأندلس في طلب العلم .

وَرَوَى عن ابن قُرْقُول^(١) وابن بَشْكُوَال^(٢) ، وعبد الحق الإشبيلي ،
وأجاز له السلفي ، وولى قضاء بلده . ولم يكن في وقته أتم وقاراً ولا أحسن
سمناً منه . واتفقوا على أنه لم يكن في وقته أضبط منه ولا أتعن في جميع علومه
حفظاً وقلماً^(٣) . وكان نقاداً للشعر ، مطلق العنان في معرفة أخبار العرب^(٤)
وأيامها ، وأشعارها ولغاتها ، متقدماً في كل ذلك .

والْحُشْنِيُّ ، بضم الحاء وفتح الشين المعجمتين وبالنون : نسبة إلى
حُشْنٍ كقريش : قرية بالأندلس ، وقبيلة من قضاة ، وهو حُشْنُ بن النمر بن
وَبَرَةَ بن تغلب بن عمران بن حلوان بن الحاف بن قضاة . كذا في معجم
النحويين للسيوطي^(٥) .

(١) في تاج العروس : « ابن قُرْقُول كعصفور ، مصنف مطالع الأنوار ، تلميذ القاضي عياض ،
وقد ذكره المصنف في جؤنة . وهو أبو اسحاق إبراهيم بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الله بن باديس بن
القائد الحمزي . ولد بالمرية من الأندلس سنة ٥٠٥ وتوفي بفاس سنة ٥٦٩ . وفي البغية ٣٩٢ : « ابن
قُرْقُول » ، صوابه ما هنا .

(٢) ابن بشكوال ، هو خلف بن عبد الملك بن مسعود بن بشكوال الخزرجي القرطبي . ولد
سنة ٤٩٤ وتوفي سنة ٥٧٨ بقرطبة . وفيات الأعيان .

(٣) أي كتابة وتأليفاً .

(٤) في الأصل : « وكان نقاداً للشعر ومعرفة أخبار العرب » . وتصحيحه وإكاله من بغية الوعاة .

(٥) الكلام على نسب الحشني ، لم يرد في ترجمة مصعب الحشني من بغية الوعاة في طبعيتها .

وأما صاحب سيفر السعادة فهو أبو الحسن عليّ بن محمد بن عبد الصمد الهمداني ، الملقب علّم الدين السجواني ، من سَخَا إحدى بلاد مصر من إقليم المحلة . كان فقيهاً شافعيّاً ، إماماً في القراءات والتفسير والنحو . وصنّف تصانيف كثيرة منها : شرح الشاطبية . وتفسير القرآن في أربع مجلدات . وشرح المفصل شرحين . وسيفر السعادة وسفير الإفادة . وشرح أحاجي الرّمخشي النحوية ، وغير ذلك . وكان مولده سنة ثمانٍ أو تسع وخمسين وخمسمائة ، ومات بدمشق ليلة الأحد ثاني عشر جمادى الآخرة سنة ثلاثٍ وأربعين وستائة ، بمنزله بالثّرية الصالحية ، ودفن بقاسيون . كذا في طبقات الأسنوي (١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والثلاثون بعد الأربعمئة (٢) :

٤٣٣ (من النّفر اللّائى الذين إذا اعتزّوا

وهاب الرّجال حلقة الباب قعّقوا)

على أنّه من باب التكرير اللفظي ، كأنّه قال : من النفر اللّائى اللّائى .

٥٣٠

على أنه قد رواه الرواة : « من النفر الشّم الذين » .

قال ابن السّراج (في الأصول) : العرب لا تجمع بين الذى والذى ، ولا ما كان فى معنى الذى . وأما ذلك فشئ قاسه النحويون ليتدرّب به المتعلّمون . وكذا يقول البغداديون الذين على مذهب الكوفيّين ، يقولون : إنه ليس من كلام العرب ، ويذكرون أنه إذا اختلف (٣) جاز . وينشدون :

(١) علق عليه الميمنى فى الإقليد ٧٤ بأنه « عند بعض بخلاء لكنو » .

(٢) المقتضب ٣ : ١٣٠ ، ١٣١ والبيان للجاحظ ٣ : ٣٠٦ .

(٣) ط : « إن اختلف » ، وأثبت ما فى ش .

مِنَ النَّفَرِ اللَّائِي الَّذِينَ إِذَا هُمُ
يَهَابُ اللَّقَامُ حَلَقَةَ الْبَابِ قَعَقَعُوا

قالوا : فهذا جاء على إلغاء أحدهما . وهذا البيت قد رواه الرواة ولم يجمعوا بين اللأى والذين . ويقولون على هذا : مررت بالذى ذو قال ذاك ، على الإلغاء . وهذا عندي أقبح ، لأن الذى يجعل ذو فى معنى الذى : طئىء ، فكيف يجمع بين اللغتين . ولا يميزون الذى من قام زيد على اللغو ، ويحتجون بأن من تكون معرفة ونكرة ، ويميزون بالذى القائم أبوه على أن يجعل الألف واللام للذى ، وما عاد من الأب على الألف واللام ، ويخفف القائم ^(١) يتبع الذى . وهذا عندنا غير جائز ، لأن الذى لابد لها من صلة توضّحها ، فمتى حذفت الصلة فى كلامهم فإنما ذاك لأنه قد علم . وإذا حذفت الصلة وهى التى توضّحه ولا معنى له إلا بها ، كان حذف الصفة أولى ، فكيف تحذف الصلة وتترك الصفة . اهـ .

وجميع ما أورده الشارح المحقق هنا من مسائل الإخبار عن الذى فهو (من الأصول) ، وهو بالنسبة إلى ما فيه قليل من كثير .

وقد أورد البيهت القراء فى سورة الذاريات (من تفسيره) عند قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ لَحَقُّ مِثْلٍ مَا أَنْكُم تَنْطُقُونَ ﴾ ^(٢) . قال : قد يقول القائل : كيف اجتمعت ما وأن ، وقد يكتفى بإحداهما عن الأخرى ؟ فوجهه أن

(١) ش : « ويخفف القائم » .

(٢) الآية ٢٣ من الذاريات .

العرب تجمع بين الشيعيين من الأسماء والأدوات إذا اختلف لفظهما . فمن الأسماء قول الشاعر :

« من النَّفَر اللّائى الذين إذا هُم » البيت

فجمع بين اللّائى والذين ، وأحدهما يجرى من الآخر . انتهى كلامه .

وأورده أبو على أيضاً (فى إيضاح الشعر) فى موضعين ، قال فى الموضع الأول : اعلم أنه لا يجوز أن يكون الذين ^(١) صلة اللّائى ، كقولك : الذى الذى فى داره زيّد عمرو ، لأنه ليس فى ظاهر صلة الذين ما يرجع إلى اللّائى . وقد جاء فى التنزيل وصلّ الموصول بالموصول على ما يحمل النحويون عليه مسائل هذا الباب . زعموا أن بعض القراء قرأ : ﴿ فاستغاثه الذى من شيعته ﴾ ^(٢) .

وقال فى الموضع الثانى : فأما قوله من نفر اللّائى الذين ، فإنّ اللّائى وإن لم يعدّ عليه ذكر من اللفظ فإنه يجوز أن يكون حذفّ الراجع من الصّلة كأنه قال : اللّائى هم الذين . ويجوز أن يكون حذف الصّلة لأنّ صلة الموصول بعده تدلّ عليها ، كقول الآخر :

من اللّوائى والتى واللاتى زعمن أنى كبرث لِدائى ^(٣)

فلم يأت للموصولين الأولين بصلة . ويجوز فيه وجه آخر ، وهو أنّ البغداديين قد أجازوا فى هذه الموصولة من نحو الذين أن يوصف ولا يوصل ،

(١) فى الأصل : « الذى » فى هذا الموضع وتاليه ، والوجه ما أثبت .

(٢) الآية ١٥ من القصص .

(٣) هو الشاهد ٤٤٧ فيما سأتى .

كإجازة الجميع ذلك في مَنْ وما ^(١) . وقد أنشد أبو عثمان عن الأصمعي :
حتى إذا كانا هما اللذين

٥٣١

مثل الجديلين المحملحين ^(٢)

واللاقي واللائي من الأسماء الموصولة ، وهما يقعان على المؤنث ، ولم نعلم
اللاقي استعملت في المذكر . فأما اللائي فقد استعمل في المذكر ، قال :
ألمّا تعجبي وترى بطيئاً

من اللاتين في الحقب الخوالي ^(٣)

ولو كان يختص بالمؤنث لم يُجمع بالواو والنون . ويدل على تذكير اللائي
أيضاً قوله : من نفر اللائي الذين ، ألا ترى أنّه جعله وصفاً للنفر والتفر
مذكر . وأما هم في البيت فإنه يرتفع بمضمر يفسره قعقعا ، والشرط قعقعا
المتأخر ، والتقدير إذا أظهرت المضمر الذي ارتفع عليه الضمير : إذا قعقعا
قعقعا ؛ لأنّ الضمير يتصل بالفعل المضمر إذا أظهرته ، ولا يجوز أن يكون
الشرط يهاب ، لأنه لا يجوز أن يُفسر ما ارتفع عليه هم ، وإنما يفسره قوله
قعقعا ^(٤) . والتقدير : إذا قعقعا حلقة الباب هاب اللثام دقّها ؛ لأنّهم
ليسوا على ثقة من الإذن لهم كما يثق هؤلاء التفر الرؤساء بأنهم يؤذن لهم .
فقعقعا وإن كان مؤخراً في اللفظ فهو مقدّم في التقدير ، بدلالة أنّه لا يخلو
من أن تجعل الشرط إذا يهاب أو إذا قعقعا . فلا يجوز الأوّل ^(٥) لأنه لا يفسر

(١) ش : « فأجاز الجميع » ، صوابه في ط : « فيمن وما » ، صوابه في ش .

(٢) لم يعرف قائله . وانظر ابن يعيش ٣ : ١٥٣ والجمع ١ : ٨٦ .

(٣) أنشده في اللسان (ببطط) على أن البطيط بمعنى العجيب .

(٤) هذا كله على رواية « إذا هم يهاب اللثام » .

(٥) ش : « للأول » .

ما ارتفع عليه كما يفسره قعقعو . ألا ترى أنه مشتغل بظاهر ، وإذا كان كذلك لم يجوز من جهة اللفظ ، إن لم يمتنع من جهة المعنى ، أن تقول : إذا هاب اللغام دق الحلقة دقها الكرام . فأما صلة الموصول بإذا مع أن الذين يُعنى بهم أعيان ، ولا يجوز الذى يوم الجمعة زيد ، كما يجوز الذى يوم الجمعة القتال - فإن الكلام محمول على المعنى ، كأنه قال : الذين إن قعقعو يهاب اللغام ، فلذلك جاز . وهذا يدل على جواز ما أجازة سيبويه من قوله : زيد إذا أتانى أضرب ، وأنه لا يكون بمنزلة زيد يوم الجمعة ، ولا زيد غداً . وعلى هذا قول أوس :

فقومى وأعدائى يظنون أننى

متى أحدثوا أمثالها أتكلّم^(١)

مع أنه لا يجوز علمت أن زيدا يوم الجمعة . فأما قوله إذا يهاب فجاء بالمضارع بعد إذا ، وأكثر ما يجيء فى الاستعمال الماضى ، فإن الأصل المضارع . ألا ترى أنه يراد به الآتى ، فإذا جاء به على الأصل كان حسنا ، كقوله :

« إذا يراح اقشعر الكشح والعضد »

انتهى كلام أبى على .

وقوله : « إذا اعتزوا » فى رواية الشارح المحقق ، بمعنى إذا انتسبوا . وروى أيضاً : « إذا انتموا » من الانتاء ، بمعنى الانتساب . والشئ بالضم : جمع أشم ، وهو الذى به شمم ، أى كبر ونخوة ، وأصله ارتفاع الأنف ، وهو من صفة العظماء .

(١) فى الأصل : « إذا أحدثوا » ، والصواب « متى » ، لأن النص يقتضى ظرفا جازما . والبيت من قصيدة مكسورة الروى فى ديوان أوس ١١٧ أولها :
تنكرت منا بعد معرفة لى وبعد النصاف والشباب المكرم
ورواية الديوان ١٢٢ والشعراء ١٥٦ : « متى يحدثوا أمثالها » .

وأورد هذا البيت بمفرده أبو على القالى (فى ذيل أُماليه ^(١)) كذا :

من النفر البيض الذين إذا انتَمُوا وهَابَ اللّام إلخ

وقال : البيض : السّادة الذين لا عيبَ فيهم ، يُقدّمون على أبواب الملوك بأُخسابهم ومواضعهم وكِبَر أنفُسهم ، ويَهَابُها اللّام لخمولهم وقُصور هِمَمهم . انتهى .

وجميع من روى هذا البيت رواه : « من النفر البيض الذين » أو « من النفر الثُّم الذين » . ولم أر من رواه : « من الثُّفر اللّامى الذين » إلّا النحويين . والثُّفر : اسم جمع يقع على جماعة من الرجال خاصّة ، ما بين الثلاثة إلى العشرة . ولا واحد له من لفظه . كذا فى النهاية . وإنما أطلقه الشّاعر هنا على الكرام إشارةً إلى أنّهم ذوو عددٍ قليل . واللّام : جمع لئيم ، وهو الشّحيح ٥٣٢ والدنء النّفس ، والمهين . واللؤم : ضدّ الكرم . وروى بدله : « الرجال » . وحلقة الباب ، وحلقة القوم ، وهم الذين يجتمعون مستديرين ، كلتاهما بسكون اللام . وأما الحَلقة بفتح اللام فهو جمع حالق . وقَعَقَعُوا بمعنى ضَرَبُوا الحَلقة على الباب لتصوّت . والققعقة : حكاية صوتِ الحَلقة على الباب ونحوها .

وهذا البيْتُ وقع فى شعرين : أحدهُما ما رواه أبو سعيد السكّرى (فى صاحب الشاهد كتاب اللصوص) قال : أخبرنى رُفيع بن سَلَمَة عن أبى عُبَيْدة ^(٢) ، قال :

(١) الأمالى ٣ : ١٦٤ .

(٢) فى الأصل : « أبى عبيد » وإنما يروى رفيع عن أبى عبيدة ، أستاذ أبى عبيد القاسم بن سلام قال المترجمون : « وكان أوثق الناس عن أبى عبيدة » . انظر طبقات الزبيدي ١٩٨ وإنباه الرواة ٢ : ٦ .

زعم النقرى (١) أنَّ أبا الرئيس الثعلبي ، من بنى ثعلبة بن سعد بن ذبيان ، سرق ناقةً كان عبد الله بن جعفر بن أبي طالب صنعها وعَلَفَهَا ، فسرَقَهَا أبو الرئيس وقال :

(هَلْ تُبْلَغُنِيهَا إِذَا مَا طَلَبْتُهَا
غَدَاً وَانْجَلَى عَنِّي الْغَطَاءُ الْمُقْتَعُ
قَصِيرَةٌ فَضِلِ النَّسْعَتَيْنِ إِذَا رَمَى
بِهَا الرَّعْلَةَ الْأُولَى الزَّمِيلُ الْمَرْزَعُ
مَطِيَّةٌ بِطَالٍ ، لَدُنْ شَبٍّ ، هُمُّهُ
قِمَارُ الْكِعَابِ وَالطَّلَاءُ الْمَشْعَشَعُ
مَنْ التَّفَرُّ الْبَيْضُ الَّذِينَ إِذَا انْتَمَوْا
وَهَابَ الرِّجَالُ حَلْقَةَ الْبَابِ قَعَقَعُوا
إِذَا التَّفَرُّ السُّودُ الْيَمَانُونَ نَمِنُوا
لَهُ حَوْكٌ بُرْدِيهِ أَجَادُوا وَأَوْسَعُوا)

قوله : « قَصِيرَةٌ فَضِلِ النَّسْعَتَيْنِ » بكسر النون . يريد أنها تستوفى نسوعها أى سيورها ، لعظمها وسعة جوفها . والرَّعْلَةُ ، بالفتح : القطعة المتقدمة . والزَّمِيلُ : الرِّدْفُ . والمَرْزَعُ : الذى يُزْعِرُغُهُ السَّيْرُ . قال : فلما قال أبو الرئيس هذا الشعر ومدح به صاحب الناقة ادَّعَتْ فتيان قريش كلُّهم الناقة ، وإنما كانت لعبد الله . قال : فعمد رجلٌ من الموالي إلى نجبية فصنعها

(١) كذا في النسختين . فإن صح كان نسبة إلى نقر بن عمرو بن لؤى بن دهن بن معاوية بن أسلم بن أميس . جمهرة ابن حزم ٣٨٨ وأنساب السمعاني ٥٦٧ .

وَعَلَفَهَا وَجَعَلَهَا فِي مَوْضِعِ تِلْكَ النَّاقَةِ ، رَجَاءً أَنْ يَسْرِقَهَا أَبُو الرَّيِّسِ فَيَمْدَحَهُ ،
فَمَرَّ بِهَا أَبُو الرَّيِّسِ فَطَرَدَهَا ، وَقَالَ . قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : بَلْ قَالَ هَذِهِ الْجَوْنُ
الْمَحْرُزِيُّ :

نَجِيبَةُ عَبْدٍ دَانَهَا الْقَتُّ وَالْتَوَى
بِثَرِبٍ حَتَّى ثُبَّهَا مَتَظَاهِرُ
فَقُلْتُ لَهَا سِيرِي فَمَا بِكَ عِلَّةُ
سَنَامِكَ مَدْمُومٌ وَنَابُكَ فَاظِرُ
فَمَثَلِيكَ أَوْ خَيْرًا تَرَكْتُ رَذِيَّةُ
تَقَلَّبَ عَيْنُهَا إِذَا طَارَ طَائِرُ

دَانَهَا ، أَيْ عَوَّدَهَا ، مِنَ الدِّينِ بِالْكَسْرِ ، وَهُوَ الْعَادَةُ . وَالْتَوَى ، بَفَتْحِ
النُّونِ وَتَشْدِيدِ الْيَاءِ : الشَّحْمُ . وَالْقَتُّ بَفَتْحِ الْقَافِ وَتَشْدِيدِ الْمِثَالَةِ الْفَوْقِيَّةِ :
الْفَصْفَصَةُ إِذَا يَبَسَتْ . وَقَالَ الْأَزْهَرِيُّ : حَبٌّ بَرِيٌّ لَا يَنْبَتُهُ الْآدَمِيُّ ، فَإِذَا كَانَ
عَامَ قَحْطٍ وَقَفَدَ أَهْلُ الْبَادِيَةِ مَا يَقْتَاتُونَ بِهِ مِنْ لَبَنٍ وَتَمْرٍ وَنَحْوِهِ دَقُّوه وَطَبَّخُوهُ
وَاجْتَزَعُوا بِهِ عَلَى مَا فِيهِ مِنَ الْخَشُونَةِ .

وَقَوْلُهُ : سَنَامُكَ مَدْمُومٌ ، رَوَاهُ أَبُو عُبَيْدَةَ : « سَنَامُكَ مَلْمُومٌ » أَيْ
مَجْتَمِعٌ . وَقَطَرَ نَابَهُ ، إِذَا طَلَعَ . يَقُولُ : تَقَلَّبَ عَيْنُهَا خَوْفًا مِنَ الطَّائِرِ يَقَعُ عَلَى
ذَبْرِهَا فَيَأْكُلُهَا لِأَنَّهَا ذَبَرَتْ . رَذِيَّةٌ : قَدْ أَرْضَاهَا وَأَدْبَرَهَا ^(١) . وَفِي الصَّحَاحِ :
الرَذِيَّةُ : النَّاقَةُ الْمَهْزُولَةُ مِنَ السَّيْرِ . وَقَالَ أَبُو زَيْدٍ : هِيَ الْمَتْرُوكَةُ الَّتِي حَسَرَهَا
السَّفَرُ ، لَا تَقْدِرُ أَنْ تَلْحَقَ بِالرَّكَابِ . وَالذِّكْرُ رَذِيٌّ ، وَقَدْ أَرْضَيْتِ نَاقَتِي ، إِذَا
هَزَلَتْهَا وَخَلَّفَتْهَا .

وَقَوْلُهُ : « مَطْيِيَّةٌ بَطَّالٌ » ، إِخْلَجَ يَمْدَحُ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ . يَقُولُ : هِيَ

(١) ط : « وَقَدْ أَرْضَاهَا وَأَدْبَرَهَا » بزيادة الواو قبل « قد » .

مطَبَّةُ شَجَاعِ هُمُ اقْتِنَاءُ الْمَعَالَى مِنْ يَوْمِ كَيْرٍ وَتَرْعَرَعٍ . وَالْقِمَارُ : الْمَقَامَرَةُ .
٥٣٣ وَالْكَعَابُ بِالْكَسْرِ : جَمْعُ كَعْبٍ . وَالطَّلَاءُ ، بِالْكَسْرِ : الْخَمْرُ . وَالْمَشْعَشَعُ :
الْمَمْزُوجُ بِالْمَاءِ . وَهَذَا مَدْخٌ عِنْدَ الْعَرَبِ .

وقوله : « مِنْ النَّفْرِ الْبَيْضِ » مِنْ ابْتِدَائِيَّةٍ أَوْ تَبْعِيضِيَّةٍ . يَقُولُ : ذَلِكَ
الْبَطَالُ مِنَ النَّفْرِ الْبَيْضِ .

وَأَمَّا الشَّعْرُ الثَّانِي فَقَدْ رَوَاهُ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ الْجَاهِظُ ، رَوَاهُ (فِي كِتَابِ
الْبَيَانِ وَالتَّبْيِينِ) ، قَالَ : كَانَ أُسَيْلِمُ بْنُ الْأَحْنَفِ الْأَسَدِيُّ ذَا بَيَانٍ وَأَدَبٍ ،
وَعَقْلٍ وَجَاهٍ . وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ الشَّاعِرُ :

(أُسَيْلِمُ ذَاكُمْ لَا تَخَفَا بِمَكَانِهِ
لَعَيْنٍ تُرْجَى أَوْ لِأُذُنٍ تَسْمَعُ
مِنْ النَّفْرِ الْبَيْضِ الَّذِينَ إِذَا انْتَمَوْا
وَهَابَ اللَّئَامُ حَلْقَةَ الْبَابِ قَعَقَعُوا
جَلَا الْأَذْفَرَ الْأَحْوَى مِنَ الْيَسْنُوكِ فَرْقَهُ
وَطَيْبُ الدَّهَانِ رَأْسَهُ فَهُوَ أَنْزَعُ
إِذَا النَّفْرِ السُّودُ الْيَمَانُونَ حَاوَلُوا
لَهُ حَوْكٌ بِرَدِيهِ أَدَقُوا وَأَوْسَعُوا
وَهَذَا الشَّعْرُ مِنْ أَشْعَارِ الْحِفْظِ وَالْمَذَاكِرَةِ . ١ هـ .

وقال المبرد (في الكامل) ، وتبعه صاحب كتاب (فضائل الشعراء ^(١)) : قال عبد الملك بن مروان لأُسَيْلَمَ بن الأحنف الأسديّ : ما أحسن ما مُدِحتَ به ؟ فاستعفاه ، فأبى أن يعفّيه ، وهو معه على سرير ، فلما أبى إلّا أن يخبره قال : هو القائل ^(٢) :

ألا أيُّها الركبُ المحبُّون هل لكم
بسيّد أهل الشام تُحبُّوا وترجعوا
من الثَّفرِ البيضِ الذين إذا اعتزُّوا
وهابَ الرجالَ حلقةَ البابِ قَعَقَعُوا
إذا الثَّفرُ السُّودُ اليمانون تَمَنُّوا
له حَوْكٌ بُردِيه أجادُوا وأوسَعُوا
جلا المسكُ والحَمَامُ والبيضُ كاللُّدْمِ
وفَرَّقَ المَدَارِي رأسَه فَهَوَ أنزَعُ
فقال له عبد الملك : ما قال أخو الأوس أحسنُ ممّا قيل لك . اهـ .
أراد بقول أخى الأوس ، وهو أبو قيس بن الأسلت ، قوله :
قد حصَّت البيضةُ رأسى فما
أطعمُ نوماً غيرَ تهجّاج
أسعى على جُلِّ بنى مالِك
كلُّ امرئٍ في شأنه ساعى

(١) لم يذكر إلا في هذا الموضع من الخزنة .

(٢) في الكامل ١٠٣ : « قال قول القائل » .

واختُلف في إسلام ابن الأسلت ، فقال العسكريُّ : أدرك النبي ﷺ ولم يُسلم . وقال المرزباني : كان قد غَضِبَ من عبد الله بن أبي ، فحلف لا يُسلم شهراً ، فمات قبل ذلك ، فزعموا أنَّ النبي ﷺ بعثَ إليه وهو يموت : « قل لا إله إلا الله ، أشفع لك يوم القيامة » ، فسمِعَ يقولها . وهو من سادات الأنصار وشعرائهم ، وفرسانهم . وقد تقدّمت ترجمته في الشاهد السابع والثلاثين بعد المائتين (١) .

والمُحْتَبُونَ : المسرعون ، ونمّموا : زخرفوا ، يقال نمّم الشيء نمّماً ، إذا رَقَشْتَهُ وزخرفه ، وثوبٌ منمّم أى موشى . والبيض : النساء الحسنات . والدُمى : جمع دُمية ، وهى الصورة الحسنّة . وفرقُ المدارى بالرفع عطفاً على المسك . والمدارى : الأمشاط . والأنزع : الذى انحسر الشعر عن جانبيّ جَبْهَتِهِ . والأصلع : الذى انحسر الشعر عن مقدّم رأسه .

وقوله : « قد حَصَّتْ البيضةُ رأسى » إلخ . البيضة ، بالفتح : ما يُلبَس على الرأس من الحديد فى الحرب . وحَصَّتْ البيضةُ رأسه ، بمهملتين ، أى قَلَّتْ شعره . يقال رجلٌ أَحَصُّ بَيْنَ الحَصَصِ ، أى قليل شعر الرأس .

٥٣٤

وقال ابن عبد ربه (فى العقد الفريد) : قال عبدُ الملك بن مَرْوَانَ لأُسَيْلَمَ بن الأحنف الأسدَى : ما أحسنُ شَيْءٍ مُدَحِّتٌ به ؟ قال : قول الشاعر . وروى ما رواه الجاحظ من الأبيات . ثم قال : وقال عبد الملك : أحسن من هذا قول أُنَى قيس بن الأسلت (٢) . وأنشد البيتين .

(١) الخزانة ٣ : ٤٠٩ .

(٢) ط : « قول قيس بن أسلت » ، صوابه فى ش والعقد ٥ : ٣٤٣ .

وقال الزبير بن بكار (في أنساب قريش) ، وتبعه الدارقطني (في كتاب المختلف والمؤتلف) : إن أبا الرئيس عبّاد بن طهفة الثعلبي ، قال لعبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان :

جميل الحياء واضح اللون لم يظأ

بحزن ولم تألم له النكب إصبغ

من التفريثم الذين إذا انتدوا

وهاب اللثام حلقة الباب قعقعوا

إذا نفر الأدم اليمانون نمنموا

له حوك برديه أدقوا وأوسعوا (١)

جلا الغسل والحمام والبيض كالدمى

وطيب الدهان رأسه فهو أصلع

والحزن ، بفتح المهملة وسكون المعجمة : ما غلظ من الأرض . والنكب منصوب بنزع الخافض ، أى ينكب ، وهو مصدر نكب كنانته نكبا ، إذا كبها . يريد أنه رئيس لا يمشی ولا يحمل سلاحه ، بل يحمله خدمه . وانتدوا ، بمعنى حضروا الندى ، وهو المجلس . والأدم : جمع آدم بمعنى الأسمر ، من الأدمة وهى السمرة . والغسل ، بالكسر : ما يغسل به الرأس من خطمي وغيره .

وأبو الرئيس : شاعر إسلامي . قال الأمير أبو نصر بن ماكولا : هو بضم الراء وفتح الباء الموحدة بعدها مثناة تحتية بعدها سين مهملة . وهو [أبو (٢) الرئيس الثعلبي ، واسمه عبّاد بن طهفة ، بكسر الطاء . اهـ .

(١) ش : « أرقوا » بالراء .

(٢) تكملة ليست فى النسختين .

ولم يذكر صاحبُ الجمهرة طُهفة في نسبه ، وإنما قال : أبو الرئيس الشاعر هو عَبَّاد بن (١) عباس بن عَوْف بن عبد الله بن أسد (٢) بن ناشب ابن سُبَد ، بضم ففتح ، بن رَزَام بن مازن بن ثعلبة بن سعد بن ذبيان .

* * *

وأنشد بعده :

(لا أرى الموتَ يسبق الموتَ شيء)

هذا صدر ، وعجزه :

(نَعَصَ الموتُ ذا الغنى والفقيرا)

على أنَّ الظاهر الواقع موقع الضمير يفيد التفخيم ، والأصل : لا أرى الموت يسبقه شيء ، فلم يضمم للتفخيم .
وقد تقدّم أنَّ الشارح المحقق أورده في الشاهد الستين من باب المبتدأ ، أنَّ إعادة الموت هنا ظاهراً غير مفيد للتفخيم . وقد ذكرناه هناك مفصلاً فليرجع إليه .

* * *

وأنشد بعده :

(أنا الذي سمّيتُ أمي حيدرَه)

تقدّم الكلام عليه قبله بيتين .

* * *

وأنشد بعده :

(القاتلي أنت أنا)

(١) الكلام من أول « طهفة بكسر الطاء » إلى هنا ، ساقط من ش .

(٢) ش : « أسعد » .

هو من بيت ، وهو :
كيف يخفى عنك ما حل بنا أنا أنت الضاري أنت أنا
وتقدم الكلام عليه قبله بيت .

* * *

وأنشد بعده :
إلى الملك القرم وابن الهمام
وليث الكتبية والمزدهم
تقدم شرحه في الشاهد الخامس والسبعين .
٥٣٥

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والثلاثون بعد الأربعمئة ، وهو من
شواهد س (١) :
٤٣٤ (ما أنت وبب أيبك والفخر)
على أن ما الاستفهامية يدخلها معنى التحقير كما هنا ، وكذلك قوله
وبب أيبك ، وفيه معنى التحقير والتصغير .
وهذا عجز صدره :

(يازبرقان أبا بني خليف)
واستشهد بالبيت سيويه على أنه عطف الفخر على أنت ، مع ما فيه
من معنى مع ، وامتناع النصب ، إذ ليس قبله فعل ينفذ إليه فينصبه .
وأورده صاحب الكشف في آخر المائدة (من تفسيره) عند قوله

(١) في كتابه ١ : ١٥١ . وانظر المؤلف ١٧٩ حيث نسب فيه إلى المتنخل السعدي خطأ ،
وابن يعيش ١ : ٢/١٢١ : ٥١ والجمع ٢ : ٤٢ .

تعالى : ﴿ يَا عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ ^(١) ﴾ قال : إذا قلت يا زيد أخا تميم ، أو قلت : يا زيد ابن الرجل الصالح ، رفعت الأول ونصبت الثاني كما في البيت . إلا أنه روى المصراع الثاني : « ما أنت ويل أبيك » باللام . ونقل بعضهم عنه أنه قال أصل ويل : وى ، زيد عليها لام الجر ، فإن كان بعدها مكنت فتحت لأمه كويلك وويله . وإن كان ظاهراً جاز فتح اللام وكسرهما . وذكر أنهم أنشدوا قوله :

* ما أنت ويل أبيك والفخر *

البيت

بكسر اللام وفتحها ، فالكسر على الأصل ، والفتح لجعلها مخلوطة بوى ، كما قالوا : يا تميم ، ثم كثرت في الكلام فأدخلوا لاماً فقالوا : ويل لك . قال السيرافي : ولو كان كما قال ما قالوا ويل لك بالتثنية والضم . فإن قال : توهموا أنها أصلية فتوهموها وزادوا بعدها لاماً ، فبعدد جداً .

وقال الصاغاني (في العباب) : ويب كلمة مثل ويل ، تقول وييلك وويب زيد ، وويب أبيك . وزاد أبو عمرو : ويباً له ، وويب له ، وويبه وويب غيره . وزاد الفراء : وييلك وويب بك بالكسر فيهما . ومعنى هذه الكلمات ألزمه الله ويلاً . نُصِبَ نصب المصادر . فإن جئت باللام قلت : ويب لزيد . فالرفع على الابتداء أجود من النصب ، والنصب مع الإضافة أجود من الرفع . وقيل إنهم قالوا ذلك لقبح استعمال الويل عندهم . اهـ .

وقوله : (ويب أبيك) معناه ألزمتك الله هلاك أبيك ، أى فقدته . وهو اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه .

وقوله : (يا زبرقان) إلخ الزبرقان ، هو صحابي . وهو الزبرقان بن بدر ،

(١) الآية ١١٦ من المائدة .

واسمه حُصَيْن بالتصغير . وقد تقدّمت ترجمته في الشاهد الرابع والتسعين بعد المائة ^(١) . يقال يا أبا العرب ، يراد : يا واحداً منهم ، جعله واحداً من قومه وقصده تحقيره ، وقيل للاحتراز عن الزُّبرقان الفزاري . وبنو خَلَف : رهطُ الزُّبرقان بن بدر ، وخَلَف جده الأعلى ، لأنه الزُّبرقان بن بدر بن امرئ القيس ابن خَلَف بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم .

والبيت للمخَبِّل السَّعْدِي ، وهو ابن عمِّ الزُّبرقان ، هجا به ابن عمه . صاحب الشاهد

وبعده :

(هل أنت إلا في بنى خَلَف كإِسْكَيْنٍ علاهما البَطْر)

والإِسْكَيْن بكسر الهمزة ^(٢) : ناحيتا فرج المرأة . والبَطْر بفتح الهمزة : هنة بين شَفَرَى فرجها . وامرأة بطراء : لم تُحْتَن . شَبَّه قَوْمَهُ وهم حوله بإِسْكَيْنٍ حول البَطْر ، وشَبَّه إذا اجتمعوا حوله بالبَطْر بين الإِسْكَيْن .

والمخَبِّل بفتح الباء المشددة ، في الأصل اسم مفعول من خَبَّلَ تخبيلاً ، ^{المخبل السعدي} أى أفسد عقله . ورجل مخَبِّل ، كأنه قُطعت أطرافه .

واسمه ربيع بن ربيعة بن عَوْف بن قَتَال بن أَنف الناقة : [وقَتَال ^(٣)] ، ٥٣٦ بكسر القاف بعدها مثناة فوقية بعدها لام . كذا في مختصر أنساب الكلبي .

وقال أبو عبيد البكري (في شرح أمالي القالي) : المخَبِّل لقب ، وهو ربيعة بن مالك بن ربيعة بن عوف ، أحد بنى أَنف الناقة ، واسمه جَعْفَر بن

(١) الخزانة ٣ : ٢٠٧ .

(٢) وفتحها أيضا ، كما في اللسان والقاموس .

(٣) التكملة من ش .

فُريع بن عوف بن سعد بن زيد مناة بن تميم . هذا قول ابن حبيب ، ويكنى
أبا يزيد . وهو شاعرٌ مخضرم فحلّ ، وهو المرادُ بقول الفرزدق :
وهب القصائد لي التوايح إذ مضوا
وأبو يزيد وذو القُروح وجروّل^(١)

انتهى .

فالنوايح ثمانية شعراء . وأبو يزيد : الخبيل السعدى . وذو القروح : امرؤ
القيس . وجروّل هو الحطيئة .

قال صاحب الأغاني : عُمَرُ المخبّل في الجاهلية والإسلام عمراً طويلاً ،
وأحسبه مات في خلافة عمر أو عثمان وهو شيخٌ كبير .

قال ابن قتيبة (في كتاب الشعراء) : هاجر المخبّل وابنه إلى البصرة :
وولده كثيرٌ بالأحساء ، وهم شعراء . وكان المخبّل هجاء الزبرقان بن بدرٍ وذكر
أخته خُلَيْدَة ، ثم مرّ بها بعد حين وقد أصابه كسر وهو لا يعرفها ، فأوته
وجبرث كسره ، فلما عرفها قال :

لقد ضلّ حلمي في خُلَيْدَة ضلّةً

سأعتبُ نفسي بعدها وأتوبُ

وأشهدُ ، والمستغفرُ الله ، إني

كذبتُ عليها والهجاءُ كذوبُ

انتهى .

وفي (الإصابة) لابن حجر : قال ابن حبيب : خطب المخبّل إلى الزبرقان

(١) في اللآلئ ٨٥٧ : « النوايح كلهم » .

أختَه مُخلِدة فرَدَه وزَوَّجها رجلاً من بنى جُشم بن عوف ، فهجاه المخبِّل
السَّعدى ، وعَبْدَة بن الطَّيِّب ، وعمرو بن الأَهم ، وعلقمة بن عَبْدَة ، قَبْلَ أَنْ
يُسَلِّموا ، وقَبْلَ مَبْعَثِ النَّبِيِّ ﷺ .

وفى الشعراء من يقال له المخبِّل غير هذا ثلاثة ، وهم المخبِّل الزُّهرى ، من يقال له المخبِّل
والمخبِّل الثمالى ، وكعَبَّ المخبِّل .

وقد أخطأ الآمدى هنا (فى المؤتلف والمختلف) فزعم أن البيت
الشاهد للمُتَنَحِّل السَّعدى ، بضم الميم وفتح المشاة الفوقية بعدها نون وكسر
الخاء المعجمة المشددة ، وقال : لم يقع إلئى من شعرو شئ .

واستشهد الكسائى والفرَّاء بقوله :

يا زبرقانُ أخوا بنى خَلِيفَ ما أنتَ وبِأبيك والفخرُ

وهذا تصحيفٌ منه فى اسم الشاعر . وهو تارةً ينسب إلى قُرَيْع وتارةً إلى
سعد . وهذا سببُ التصحيف ، وما ذكرناه هو الذى قاله شراح [شواهد ^(١)]
سيبويه والمفصَّل وغيرهما .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والثلاثون بعد الأربعمئة ^(٢) :

(يا سَيِّداً ما أنتَ مِنْ سَيِّدِ)

٤٣٥

على أَنَّ ما الاستفهامية قد يدخلها معنى التعظيم كما فى البيت ، فإنَّها
استفهامية تعجبية ، والمقصود التعظيم .

(١) التكملة من ش .

(٢) المقرب ٣٠٤ والشذور ٢٥٨ والتصریح ١ : ٣٩٩ والممع ١ : ١٧٣ ، ٢/٣٥١ : ٩٠ .

والفضليات ٣٢٢ .

وأورده الفراء في سورة يس (من تفسيره) عند قوله تعالى :
﴿ يا حسرة على العباد ﴾^(١) قال : المعنى يالها حسرة على العباد . وقرأ
بعضهم : ﴿ يا حسرة العباد ﴾^(٢) والمعنى في العربية واحد . والله أعلم .

والعرب إذا دعت نكرة موصولة بشئ ، آثرت النصب ، يقولون :
يا رجلاً كريماً أقبل ، ويا راكباً على البعير أقبل ، فإذا أفردوا رفعوا أكثر ممّا
٥٣٧ ينصبون . أنشدني بعضهم :

يا سيِّداً ما أنت من سيِّد

موطاً البيت رحيب الدراع

ولو رفعت النكرة الموصولة بالصفة كان صواباً ، قد قالت العرب :
* يا دارٌ غيَّرها اليلَى تغييراً^(٣) * اهـ

والبيت من قصيدة للسفاح بن بكير بن معدان اليربوعي ، رثى بها يحيى
ابن شداد بن ثعلبة بن بشر ، أحد بني ثعلبة بن يربوع .

وقال أبو عبيدة : هي لرجل من بني قريع رثى بها يحيى بن ميسرة
صاحب مصعب بن الزبير ، وكان وقى له حتى قتل معه .

وهذه أبيات من أولها :

(صلّى على يحيى وأشياعه

ربّ غفورٌ وشفيعٌ مطاعٌ

(١) الآية ٣٠ من سورة يس . وانظر معاني الفراء ٢ : ٣٧٥ .

(٢) هي قراءة الحسن ، كما في إتحاف فضلاء البشر ٣٦٤ . وفي تفسير أبي حيان ٧ : ٣٣٢ أنها
قراءة أبيّ ، وابن عباس ، وعلى بن الحسين ، والضحاك ، ومجاهد ، والحسن .

(٣) ط : « البلاء » ، صوابه في ش ومعاني الفراء ٢ : ٣٧٢ .

لَمَّا عَصَى أَصْحَابُهُ مُصْعَبًا
 أَدَّى إِلَيْهِ الْكِيلَ صَاعًا بِصَاغٍ
 يَا سَيِّدًا مَا أَنْتَ مِنْ سَيِّدٍ
 مُوْطَأَ الْبَيْتِ رَحِيبِ الذَّرَاغِ
 قَوْلًا مَعْرُوفٍ وَقَعَالِهِ
 وَهَابٍ مَثْنَى أُمّهَاتِ الرِّبَاغِ
 يَجْمَعُ جِلْمًا وَأَنَاةً مَعًا
 تُمَتِّ يَنْبَاغِ أَنْبِيَاغِ الشُّجَاغِ)

وهذه قصيدة اختلفت الرواة في عدّة أبياتها ، فقد رواها الضبيُّ ثلاثة عشر بيتاً ، ورواها أحمد بن عبيد اثني عشر بيتاً مع تغاير في الأبيات . والروايتان مسطورتان (في المفضليات وشرّحها لابن الأنباري) .

وقوله : « لَمَّا عَصَى أَصْحَابُهُ مُصْعَبًا » ، إلخ تقدّم شرحه في الشاهد الحادي والأربعين ^(١) من أوائل الكتاب . ورواه أحمد بن عبيد :
 لَمَّا جَلَا الْخُلَانُ عَنْ مُصْعَبٍ
 أَدَّى إِلَيْهِ الْقَرْضَ صَاعًا بِصَاغٍ

(١) ش : « الواحد والأربعين » . ومن المعروف أن الواحد والواحدة إذا استعمالا مع العشرة ومع ما فوقها كالعشرين ، فإنك تقلب فاءها إلى موضع لامها ، فتقول : حاد وحادية ، بعد الإعمال . ولكن حكى الكسائي عن بعض العرب واحد عشر على غير القلب ، فلم يلتزم القلب كل العرب . كما في التصريح والجمع ٢ : ١٥١ والأشمونى ٤ : ٧٧ . ومهما يكن فهو استعمال شاذ .

(٧ خزنة الأدب ج ٦)

قوله : (يا سيداً ما أنت) . إلتخ روى صدره الضبّي :

* يا فارساً ما أنت من فارس *

ومن سيد ومن فارس : تمييز مجرور بمن . و (موطأ البيت) ، يعنى أن بيته مذلّل للأضياف . و (الرّحيب) : الواسع . والمعنى أنه واسع البسيطة كثير العطاء سهل لا حاجز دونه . ولما كان الذراع موضع شدة الإنسان ، قيل فى الأمر الذى لا طاقة للإنسان به : ضاق بهذا الأمر ذراع فلان وذرع فلان ^(١) أى حيلته بذراعه . وتوسّعوا فى هذا حتى قلبوه فقالوا : فلان رحب الذراع ، إذا وصّفوه باتساع المقدرة .

وقوله : « قَوَال معروف وفَعَّاله » إلتخ الأوصاف الثلاثة بالجرّ على الوصفية لسيد أو لفارس ^(٢) . والمعنى أنّه لا يقول إلا فَعَل ، ولا يَعْدُ إلا وفَى ، ولا يُخْلَف . والرّباع ، بالكسر : جمع رُبْع ، بضم ففتح ، وهو ما يُنتج فى أول نتاج الإبل . وخصّ أمّهات الرّباع لأنها عزيزة . ومثنتى أى واحدة بعد أخرى . قال ابن برّي (فى شرح أبيات إيضاح أنى على) : ورَوَى أبو حنيفة :

* عَقَّارُ أُمَاتِ الرّباع الرّتاع *

أى هى مُترعة ^(٣) لسعة الرعى عليها . اهـ .

وقوله : « يَجْمَعُ حِلْماً » إلتخ ، الأناة ، بالفتح : التأنى . وَثَمَّتْ مخصوصة بعطف الجمل . وينباع بمعنى يَثْب وَيَسْطُو . والشُّجاع : الحية .

(١) ش : « ذرع فلان وذراع فلان » .

(٢) أى على روايتي : « من سيد » ، و « من فارس » .

(٣) المترعة : الممتلئة .

والسَّقَاح بن بُكَيْر ، تقدم في الشاهد الحادى والأربعين ^(١) .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والثلاثون بعد الأربعمئة ^(٢) :

٤٣٦ (على ما قام يَشْتُمْنِي لَيْتَم كَخَنْزِيرٍ تَمَرَّغَ فِي رَمَادٍ)

على أنَّ ثَبُوتَ الألف في ما الاستفهامية المجرورة في غير الأغلب ، ٥٣٨ مفهومه أنَّ إثباتها فيها غالب .

ويوافقُه قول صاحب الكشف في سورة يس ، عند قوله تعالى : ﴿ يَمَّا غَفَرَ لِي رَبِّي ﴾ ^(٣) : طرح الألف أجود ، وإن كان إثباتها جائزاً .

وهذا معارضٌ لقوله في سورة الأعراف ، عند قوله تعالى : ﴿ قَالَ فِيمَا أُغْوِيْنِي ﴾ ^(٤) : قيل ما للاستفهام ، وإثبات الألف قليلٌ شاذٌّ .

قال الشارح المحقق (في شرح الشافية) : وبعضُ العرب لا يحذف الألف من ما الاستفهامية المجرورة ، كقوله :

على ما قام يَشْتُمْنِي لَيْتَم البيت

فهذا لا يقول « على مَه » وقفاً ، بل يقف بالألف التي كانت في الوصل ، والأولى حذف ألف ما الاستفهامية مجرورةً ، لما ذكرنا في الموصولات . اهـ .

(١) الخزائن ١ : ٢٩٠ .

(٢) أمالي ابن الشجرى ٢ : ٢٣٣ وشرح شواهد الشافية ٢٤٤ برواية « في دمان » فيها . وانظر ابن يعيش ٤ : ٥٥٤ والعينى ٤ : ٥٥٤ والنصرى ٢ : ٣٥٤ والهمع ٢ : ٢٧ والأشمونى ٤ : ٢١٦ . وديوان حسان ١٤٣ .

(٣) الآية ٢٧ من سورة يس .

(٤) الآية ١٦ من سورة الأعراف .

أراد أنه ذكره في شرح الموصولات (من شرح الكافية) .
 وإذا ثبت أن هذا لغة لبعض العرب لم يكن إثبات الألف نادراً
 ولا ضرورة ، كما قيل في قوله تعالى : ﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ فيمن قرأ ﴿ عَمَّا ﴾
 بالألف . قال الفالسي^(١) (في شرح اللباب) : الكثير الشائع حذف الألف ،
 وجاء إثباتها في عَمَّا يتساءلون ، وفي قوله : على ما قام يشتمني البيت . وقال
 السمين : يجوز إثبات الألف في ضرورة ، أو في قليل من الكلام .
 وقال ابن جنى (في المحتسب) : إثبات الألف أضعف اللغتين .
 قال ابن السمين^(٢) في سورة يس : المشهور من مذهب البصريين
 وجوب حذف ألفها إلا في ضرورة .
 وكذلك قال ابن هشام (في المغني) : يجب حذف ألف
 ما الاستفهامية إذا جرّت ، وإبقاء الفتحة دليلاً عليها . وربما تبعت الفتحة
 الألف في الحذف ، وهو مخصوص بالشعر كقوله :
 يا أبا الأسود لِمَ خَلَفْتَنِي لَهْمُومٌ طَارِقَاتٍ وَذِكْرُ
 ثم قال : وأما قراءة عكرمة وعيسى : ﴿ عَمَّا يَتَسَاءَلُونَ ﴾ فنادر .
 وأما قول حسان :

(١) في الأصل : « الفالسي » ، صوابه بالفاء كما سبق في كثير من المواضع . وانظر حواشي ١ :

(٢) كذا في النسختين . يقال « السمين » و « ابن السمين » . قال الميمني في الاقليد ١٠ :
 « هو الشيخ شهاب الدين أحمد بن يوسف المعروف بالسمين المتوفى سنة ٧٥٦ . وهو تلميذ أبي
 حيان » . وله إعراب القرآن الذي سماه « الدر المصون في علم الكتاب المكنون » . قالوا : وهو أجل
 ما صنف في إعراب القرآن . كما أن له « تفسير القرآن » . قال الميمني : « ومنه نسخة برامبور ، وأخرى
 عند الشيخ حبيب الرحمن الشروالي » .

* على ما قام يشتمُّنى لئيم *

فضرورة . ومثله قول الآخر :

إِنَّا قَتَلْنَا بِقَتْلَانَا سَرَائِكُمْ

أَهْلَ اللَّوَاءِ ففِيهِمَا يَكْثُرُ الْقَيْلُ ^(١)

قال اللِّدَامِينِي (في الحاشية الهندية) : ادَّعى المصنف أنَّ إثبات الألف في البيتين ضرورة ، ولقائل أن يمنع ذلك ، بناءً على تفسيرها بما لا مندوحة للشاعر عنه ، إذ الوزن مع حذف الألف في كلٍّ منهما مستقيم . غاية الأمر يكون في بيت حسنَّ العَقْل ، وفي الآخر الحين ، وكل منهما زحافٌ مغتفر . اهـ .

وقد عمَّم الشارح المحقِّق في الجارِّ لما ، سواء كان حرف جر أو مضافاً . وهذا هو المشهور .

وقال اللَّيْلِي (في شرح أدب الكاتب) : إن كان الجارُّ اسماً متمكِّناً لم يفعلوا ذلك ، أى لم يحذفوا الألف . وقول العرب : مجيء مَ جئت ، ومثل مَ أنت ، شاذٌّ . وإنما جاء مع بعد وعند لأنهما غير متمكِّنين ، فألحقا بحروف الجرِّ . اهـ .

وهذا قولٌ غريب لم يقله غيره ، كقول ابن قتيبة (في أدب الكاتب) : إنَّ أَلْفَ ما الموصولة لا تحذف إلَّا مع شئت . قال : تقول : ادْعُ بِمَ شئت ، وسلَّ عَمَّ شئت ، وخذه بِمَ شئت ، وكن فيمَ شئت . إذا أردت معنى سل ، أى عن أى شيء شئت ، نَقَصْتُ الألف . وإن أردت سل عن الذى أحبيت

(١) كذا ورد إنشاده في أمالي ابن الشجرى ٢ : ٢٣٤ بدون نسبة . وانظر شرح شواهد المعنى

أُتِمَّتْ الألفُ إلَّا مع شئت خاصة ، فإن العرب تنقص الألف منها خاصة ، فتقول : ادع بَمَ شئت ، في المعنيين جميعاً . ا هـ .

٥٣٩ والمشهور أنَّ ألفها يثبت مُطلقاً ، سواء استعملت مع شئت أم غيرها ^(١) . وعلى نقله يلغز فيقال : في أيِّ موضع يجب حذف ألف ما الموصولة المحرورة بحرف جر ؟

صاحب الشاهد وهذا البيت من أبيات دالية لحسان بن ثابت الصحابي . وقد حُرِّف الرواة قافيته ، فبعضهم رواه :

« كخنزير تمرَّغ في دَمَانِ »

وهو ابن جَنَّى (في المحتسب) ، وتبعه جماعة منهم ابن هشام (في المغنى) قال : الدَّمان كالرَّماد وزنا ومعنى . ورواه صاحب اللباب وشارحه الفال : « في الدَّهانِ » بالهاء بعد الدال . ورواه المرادى (في شرح الألفية) : « في تراب » ، ورواه بعضهم : « في دُمَالِ » باللام . وهذا كله خلاف الصواب .

ورواية السكرى (في ديوان حسان) :

« فقيم تقولُ يشتمنى لقيم ^(٢) » [إلخ]

وعليه لا شاهد فيه .

وقوله : (على ما قام) إلخ على تعليلية ، أى لأجل أى شئ . ونقل العيني عن ابن جَنَّى أنَّ لفظة قام ههنا زائدة ، والتقدير ما يشتمنى . وقال ابن يسعون : وليس كذلك عندى ؛ لأنها مقتضى النهوض بالشتم والتشمير له

(١) ش : « أو مع غيرها » .

(٢) هذه التكملة من ش .

والجَدّ فيه . وقوله (كخنزير) إلخ ، تعريضٌ بقبّحه ، فلذلك خصّ الخنزير لأنه مسنّخ^(١) قبيح المنظر ، سمح الخلق ، أكّال العذرة . وقوله : (تمرّغ في رماد) تميمٌ لذمّه ، لأنه يدلّك خلّفه^(٢) بالشجر ، ثم يأتي اللطين والحمأة فيتلطّخ بهما ، وكلما تساقط منه شيء عاد فيهما .

قال الجاحظ : والعين تكره الخنزير جملةً دون سائر المسوخ ، لأنّ القرد وإن كان مسيخاً فهو مُستملح . والفيل عجيبٌ ظريفٌ نبيلٌ بهيٌّ ؛ وإن كان سمجاً قبيحاً^(٣) .

والأبيات قالها حسّان في هجو بني عابد ، بموحدة بعدها دال غير معجمة^(٤) ، ابن عبد الله بن عمر بن مخزوم^(٥) . قال البلاذري^(٦) : لم يكن لهم هجرة ولا سابقة . قال : وقال الأثرم عن أبي عبيدة^(٧) : قال حسّان هذا الشعر في رُفيع بن صيفي بن عابد ، وقُتل رُفيع يوم بدرٍ كافراً . ورُفيع بضم الراء وفتح الفاء : مصعّرٌ رفع بالعين المهملة . وصيفي بفتح الصاد المهملة وسكون المثناة التحتية وكسر الفاء وتشديد التحتية . والأبيات هذه : أبيات الشاهد (إن تصلّح فإنّك عابديّ وصلّح العابديّ إلى فساد)

(١) ش : « مسيخ » .

(٢) ط : « خلّقه » بالقاف ، وأثبت ما في ش .

(٣) الحيوان ٧ : ٣٩ .

(٤) في جمهرة ابن حزم ١٤٢ ونسب قريش ٢٩٩ : « عائذ » وما هنا صوابه . وجاء في مختلف القبائل ومؤتلفها ٤٤ : « في قريش في بني مخزوم عابد بياء موحدة ودال مهملة ، بن عبد الله بن عمر بن مخزوم . وفيها : عايذ بياء آخر الحروف ودال معجمة ، بن عمران بن مخزوم » .

(٥) ط : « عمير بن مخزوم » ش : « عمرو بن مخزوم » مع أثر تغيير ، وصوابه ما أثبت من المراجع السابقة .

(٦) كذا في النسختين بدال مهملة .

(٧) ط : « أبي حبيزة » ، صوابه في ش مع أثر تصحيح . والأثرم هو أبو الحسن علي بن المعيرة سمع أبا عبيدة والأصمعي . وتوفي سنة ٢٣٢ .

وإن تفسد فما ألفت إلا
بعيداً ما علمت من السداد
وتلقاه على ما كان فيه
من الهفوات أو ثوك الفؤاد
مبين الغي لا يعيا عليه
ويعيا بعد عن سبل الرشاد
ففيهم تقول يشتمني لقيم
كخنزير تمرغ في رماذ
فأشهد أن أملك م البغايا
وأن أباك من شر العباد
فلن أنفك أهجو عابداً
طوال الدهر ما نادى المنادى
وقد سارت قواف باقيات
تناشدها الرواة بكل واد
ففتح عابد وبنى أبيه
فإن معاذهم شر المعاد)

وهذا آخر الأبيات . وقوله : « إن تصلح » إلخ فيه خرم ، وبعضهم يرويه : « وإن تصلح » فلا خرم . والسداد ، بالفتح : الرشاد والاستقامة .
٥٤٠ والهفوات : السقطات . والثوك بالضم ^(١) : الحمق ، وهو نقص في العقل ، وأراد به البلادة وعدم الاهتداء للمقصود ، ولهذا أضافه إلى الفؤاد ، وهو معطوف على الهفوات .
وقوله : « مبين الغي » بالنصب حال من مفعول تلقاه .

(١) ويقال بفتح النون أيضا .

وقوله : « ففيم تقول » رواية السكرى بالخطاب [لمن يصلح الخطاب ^(١)] معه . وقوله : « م البغايا » أصله من البغايا ، وهو لغة في من . والبغى : المرأة الفاجرة . وقوله : « طَوَّال الدهر » بفتح الطاء ، بمعنى طَوَّل الدهر .

وقوله : « فقَبَّح عابِدٌ » ، هو بالبناء للمفعول على الدعاء . والواو في قوله : وبني أبيه واو المعية ، وبني أبيه مفعول معه . وترجمة حسَّان [تقدَّمت ^(٢)] في الشاهد الحادى والثلاثين .

تتمة

البيت الذى أورده صاحبُ المغنى ، وهو ^(٣) :

إِنَّا قَتَلْنَا بِقَتْلَانَا سَرَائِكُمْ

أَهْلَ اللَّوَاءِ ففِيمَا يَكْثُرُ الْقَيْلُ

لم يعرفه أحدٌ ممَّن كتب على المغنى ، وما قبل حرف الروى فيه مثناة تحتية والقاف مكسورة . وقد صَحَّفَه البدر الدمامينى فضبطه بمثناة فوقية ، ثم استشكله ، قال : فى البيت كلامٌ من جهة العروض ، وذلك أنَّ هذا من بحر البسيط من عروضه الأولى وضربها الثانى ، وهو المقطوع ، كان أصله فاعلن حذفت نونه وسكنت لامه فصار فَعْلَن بإسكان العين ، فقد ذهب منه زنة متحرك ، وإذا ذهب منه ذلك وجب أن يكون مُرْدَفًا ، أى يُوْتَى قبل حرف الروى بحرف لين ، كما فى شاهد العروضيين :

قد أَشْهَدَ الْغَارَةَ الشَّعْوَاءَ تَحْمِلْنِي

جَرْدَاءُ مَعْرُوقَةُ اللَّحْيَيْنِ سُرْحُوبُ

(١) الكلمة من ش .

(٢) الكلمة من ش .

(٣) انظر ما سبق فى ص ١٠١ .

ولا يخفى أنَّ ضرب البيت الذى نحن فيه ، وهو اللامى الروى ، غير
مردف ؛ ففيه مخالفة لما قرره العروضيون فى أمثاله .
هذا كلامه ، وهذا موضع المثل المشهور : « زَنَّا فَحَدَّه » .

والبيت من قصيدة لكعب بن مالك شاعر رسول الله ﷺ ، رواها
صاحب الشاهد الكلاعى (فى سيرته) قال : أجاب بها ابن الزبير وعمر بن العاصى (١) ،
عن كلمتين افتخرا بهما يوم أحد ، وهى هذه :
أبلغ قريشاً وخير القول أصدقه

والصدق عند ذوى الألباب مقبول
أن قد قتلنا بقتلنا سراتكم
أهل اللؤاء ففيما يكثر القيل
ويوم بدر لقيناكم لنا مدد
فيه مع النصر ميكال وجبريل
إن تقتلونا فدين الله فطرنا
والقتل فى الحق عند الله تفضل
وإن تروا أمرنا فى رأيكم سفهاً
فرائى من خالف الإسلام تضليل
إنا بنو الحرب نمرها وننتجها
وعندنا لذوى الأضغان تنكيل

(١) فى ديوان كعب بن مالك ٢٥٥ أنه يجيب بها عمرو بن العاص ، وضرار بن الخطاب .
وكذلك فى سيرة ابن هشام ٦٢٢ - ٦٢٤ .

إِنَّ يَنْجُ مَنَّا ابْنُ حَرْبٍ بَعْدَ مَا بَلَغَتْ
 مِنْهُ التَّرَاقِي وَأَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولٌ
 فَقَدْ أَفَادَتْ لَهُ حُكْمًا وَمَوْعِظَةً
 لِمَنْ يَكُونُ لَهُ لَبٌّ وَمَعْقُولٌ ^(١)
 وَلَوْ هَبَطْتُمْ بِيْطْنَ السَّيْلِ كَأَفْحَكُمْ
 ضَرْبٌ بِشَاكِلَةِ الْبَطْحَاءِ تَرْعِيلٌ
 تَلْقَاكُمْ غُصْبٌ حَوْلَ النَّبِيِّ ، هُمْ
 مِمَّا يُعْتَدُونَ فِي الْهَيْجَا سَرَابِيلُ ^(٢)
 مِنْ جِذْمٍ غَسَّانَ مَسْتَرِجٍ حَمَائِلُهُمْ
 لَا جُبْنَاءَ وَلَا مِيلَ مَعَازِيلُ
 وَهِيَ قَصِيدَةٌ طَوِيلَةٌ جَيِّدَةٌ ، سَرَدَهَا بِتَمَامِهَا ، وَبَيَّنَّ مُشْكِلَ لُغَاتِهَا ، قَالَ :
 سَرَاةُ الْقَوْمِ : خِيَارُهُمْ . وَالْقِيلُ وَالْقَوْلُ وَاحِدٌ . وَالتَّنْكِيلُ : الزَّجْرُ الْمُؤَلَّمُ . وَبَطْنُ ٥٤١
 السَّيْلِ : الْوَادِي . وَكَأَفْحَكُمْ : وَاجْهَكُمْ . وَشَاكِلَةُ الْبَطْحَاءِ : طَرْفُهَا .
 وَالتَّرْعِيلُ : الضَّرْبُ السَّرِيعُ . وَالسَّرَابِيلُ : جَمْعُ سَرِبَالٍ ، وَهُوَ الدَّرْعُ . وَجِذْمٌ
 بِكَسْرِ الْجِيمِ : الْأَصْلُ . وَغَسَّانٌ : قَبِيلَةُ الْأَنْصَارِ ^(٣) . وَالْحَمَائِلُ : حَمَائِلُ
 السَّيْفِ . وَالْجُبْنَاءُ : جَمْعُ جَبَانٍ . وَالْمِيلُ : جَمْعُ أَمِيلٍ ، وَهُوَ الَّذِي لَا تُرْسَ
 مَعَهُ . وَالْمَعَازِيلُ : الَّذِينَ لَا رِمَاحَ مَعَهُمْ .

* * *

(١) الْحَكَمُ : الْحِكْمَةُ وَالْعِلْمُ . ط وَالِدِيَّانُ وَالسِّيْرَةُ : « حَلَمَا » بِاللَّامِ ، وَأَثْبَتَ مَا فِي ش .
 (٢) فِي الدِّيَّانِ وَالسِّيْرَةِ : « لِلْهَيْجَا » .
 (٣) كَذَا . وَالْوَجْهُ « قَبِيلَةُ مِنَ الْأَنْصَارِ » .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والثلاثون بعد الأربعمئة ، وهو من شواهد س (١) :

٤٣٧ (رَبُّمَا تَكْرَهُ النُّفُوسُ مِنَ الْأَمْرِ)
ر له فَرَجَةٌ كَحَلِّ الْعَقَالِ (

على أن « ما » نكرة موصوفة بجملة تكره النفوس . فحكم على كونها نكرة بدخول رَبُّ عليها ، وحكم بالجملة صفةً على قياس نكرة رَبُّ ، من أنَّها موضوعة لتقليل نوع من جنس ، فلا بد أن يكون الجنس موصوفاً حتى تحصل النوعية .

وقد أورده سيبويه في كتابه مرتين ، قال : « رَبُّ لا يكون بعدها إلّا نكرة » . وأنشده . قال الأعلام : استشهد به على أن ما نكرة بتأويل شيء ، ولذلك دخلت عليها رَبُّ ، لأنها لا تعمل إلّا في نكرة . ولا تكون « ما » هنا كافة ؛ لأنّ في « تكره » ضميراً عائداً عليها ، ولا يضمّر إلا الاسم . وكذلك الضمير في له عائذ عليها . والمعنى : رَبُّ شيء تكرهه النفوس من الأمور الحادثة الشديدة وله فَرَجَةٌ تعقب الضيق والشدة ، كحلّ عقال المقيد . والفَرَجَةُ بالفتح في الأمر ، وبالضم في الحائط ونحوه . ا هـ .

ومثله (في إيضاح الشعر) لأبي عليّ قال : ما اسمٌ منكور ، يدلّ على ذلك دخول رَبُّ عليه . ولا يجوز أن تكون كافة كالتي في قوله تعالى : ﴿ رَبُّمَا

(١) في كتابه ١ : ٢٧٠ : ٣٦٢ . وانظر المقتضب ١ : ٤٢ ومجالس العلماء للزجاجي ١٦٦ وأمالى ابن السجري ٢ : ٢٣٨ وابن يعيش ٤ : ٨/٢ : ٣٠ وشرح شواهد المغني ٢٤٠ والشذور ١٣٢ والغني ١ : ٤٨٤ والجمع ١ : ٨ ، ٩٢ والأشموقي ١ : ١٥٤ واللسان (فرج) وديوان أمية بن أبي الصلت ٥٠ .

يؤدّ الذين كفّروا^(١) ﴿لأنّ الذكر قد عاد إليها من قوله له فرجة ، فلا يجوز مع رجوع الذكر أن تكون حرفاً ، فالهاء في قوله تكره مرادة ، والتقدير : تكرهه النفوس . وفرجة مرتفعة بالظرف ، وموضع الجملة جرّ . ا هـ .

وقوله : « وموضع الجملة جرّ » أى على الوصفية للأمر ، ولا اعتبار بلام التعريف لأنها كما قال الشارح المحقق للجنس . وفي كون الجملة صفةً نظر ، إذ الوصف على كلامه إنما هو الجار والمجرور لا غير ، لأنه جعل فرجة فاعلهما^(٢) . وإنما كان يتّجه لو جعل فرجة مبتدأ والظرف قبله خبره ، كما هو ظاهر صنيع الشارح المحقق في قوله : له فرجة صفة الأمر . وبما سقناه من قول الأعلام وأبى على ، علم^(٣) ضعف قول من ذهب إلى أنّ « ما » في البيت : كافّة مهيّئة لدخول ربّ على الجمل كما في الآية .

قال ابن الحاجب (في شرح المفصّل) : وكونها اسماً أولى ، لأنّ الضمير العائد على الموصوف حذفه سائق ، ومن الأمر تبين له . وإذا جعلت ما مهيّئة كان قوله من الأمر واقعاً موقع المفعول ، تقديره تكره النفوس شيئاً من الأمر . وحذف الموصوف وإبقاء الصفة جارّاً ومجروراً في موضعه قليل . انتهى .

وقد ناقشه الشارح المحقق بعد نقل كلامه بالمعنى بأنه لا يلزم من كون

(١) الآية الثانية من الحجر . وقرأ نافع وعاصم بتخفيف الباء ، والباقيون بتشديدها . إنحاف فضلاء البشر ٢٧٤ .

(٢) ش : « فاعلها » ، صوابه في ط . والمراد فاعل الجار والمجرور قبله .

(٣) كلمة « علم » ساقطة من ش .

« ما » مهيئة أن يكون من الأمر واقعاً موقع المفعول حتى يَرِدَ ما ذكر ، لجواز أحد أمرين :

أحدهما : يجوز بقوله أن تكون « من » متعلقة بنكرة وهي للتعريض ، كما في أخذت من الدراهم ، أى أخذت من الدراهم شيئاً . فكذا معناه تكره من الأمر شيئاً .

٥٤٢ ثانيهما : تضمين تكره معنى تشمئز وتنقبض ، بدليل رواية سيبويه وغيره : « ربما تجزع النفوس من الأمر » ؛ فإن تجزع ، لازم لا يقتضى مفعولاً به . وبقي وجه ثالث ، وهو جواز كون من زائدة عند الأخفش والكوفيين .

وتبع ابن الحاجب شارح اللباب القائل^(١) قال : لا يتعين كون ما موصوفة ؛ إذ قيل إنها كافة مهيئة لدخول رب على الجمل ، ولكن الأولى جعلها موصوفة ، لوجهين :

أحدهما أنه حمل لرب على بابه الكثير ، وهو كونها غير مكفوفة . والثاني : أن تكره لا بد له من مفعول [حينئذ^(٢)] ، وتقديره : شيئاً من الأمر ، ولكن حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه ضعيف . اهـ . وقول الخوارزمي (في التخمير^(٣)) : لا يجوز كون ما كافة ، لئلا تبقى من التبيين لا معنى لها ، يمنع كونها حينئذ تبيينية . ويجاب بأحد الأوجه الثلاثة .

(١) في الأصل : « القائل » ، صوابه بالفاء كما سبق في التنبيه الأول ص ١٠٠ .

(٢) التكملة من ش .

(٣) انظر ما سبق من التحقيق في الجزء الخامس ص ٣٠٨ .

وقال ابن هشام (في المغنى) : يجوز أن تكون ما كَافَّةً والمفعول المحذوف اسماً ظاهراً ، أى قد تكره النفوس من الأمر شيئاً ، أى وصفاً فيه . أو الأصل من الأمور أمراً ^(١) ، وفي هذا إنابة المفرد عن الجمع . وفيه وفي الأول إنابة الصفة غير المفردة عن الموصوف ، إذ الجملة بعده صفة له . اهـ .

وقد أورد البيت (في التفسيرين) عند قوله تعالى : ﴿ ربما يؤدُّ الذين كفروا ﴾ ^(٢) على أن بعضهم قال : موصوفة بجملة يؤدُّ كما وصف « ما » في البيت ، وكأنه جعل العائد ضميراً منصوباً ، أى يؤدُّه الذين كفروا . وفيه أن مفعوله ^(٣) مضمون قوله تعالى : ﴿ لو كانوا مسلمين ﴾ أى الإسلام ، أو هو المفعول بجعل لو مصدرية .

وقوله : (له فرجة) قال صاحب المصباح : الفَرَجَةُ بالفتح : مصدرٌ يكون في المعاني ، وهى الخلوص من شدة ، والضم فيها لغة . قال ابن السكيت : هو لك فرجة وفرجة ، أى فرج . وزاد الأزهرى فرجة بالكسر . وحكى الثلاثة صاحب القاموس أيضاً . وقوله : (كحلّ العقال) صفة فرجة ، أى فرجة سهلة سريعة كحلّ عقال الدابة . والعقال ، بالكسر ، هو الحبل الذى يشدُّ به يد الدابة عند البروك أو الوقوف ، يمتنعها من الذهاب ، ويكون رباطه كأُنشوطة ، وهى عُقد التُّكَّة ، حلُّها سهل ^(٤) .

وقال أبو على (في إيضاح الشعر) : موضع الكاف من قوله كحلّ

(١) ش : « أمر » ، صوابه في ط .

(٢) انظر حواشى ١٠٩ .

(٣) ط : « مفعول » ، صوابه في ش .

(٤) في القاموس : « والأنشوطة كأُنشوية : عقدة يسهل انحلالها كعقد التكة » .

العقال يجوز فيه ضربان : أحدهما أن يكون نصباً ، والآخر أن يكون جراً كقولك : مررت برجلٍ معه صقرٌ صائِدٌ به . اهـ .

وأراد النصب على الحالية من المجرور بمن ، بعد وصفه بقوله : له فرجة . وأراد الخفض على الوصفية للأمر بجعل اللام للجنس ، بدليل التنظير . وهذا بعيد ، والقريب أن تكون صفة لفرجة ، وهو أحد وجهي ما جوزه (في الحجة) ، قال : موضع الكاف يحتمل وجهين : أحدهما أن تكون في موضع نصب على الحال من له ، والآخر : أن تكون في موضع رفع صفة لفرجة . اهـ .

وأراد بقوله له ضمير الأمر المجرور باللام .

والبيت الشاهد قد وجد في أشعار جماعة ، والمشهور أنه لأمية بن أبي الصلت ، من قصيدة طويلة عدتها تسعة وسبعون بيتاً ذكر فيها شيئاً من قصص الأنبياء : داود ، سليمان ، ونوح ، وموسى . وذكر قصة إبراهيم وإسحاق عليهما السلام ، وزعم أنه هو الذبيح ، وهو قول مشهور للعلماء .

صاحب الشاهد

وهذه أبيات من القصيدة ^(١) إلى البيت الشاهد ، قال :

أبيات الشاهد

يا بُنَيَّ إِنِّي نَذَرْتُكَ لِلَّهِ

٥٤٣

هـ شَحِيحاً فَاصْبِرْ فِدَى لَكَ خَالِي ^(٢)

فَأَجَابَ الْغَلَامُ أَنْ قَالَ [فِيهِ ^(٣)] :

كُلُّ شَيْءٍ لِلَّهِ ، غَيْرَ انْتِحَالٍ

أَبَتِي إِنَّنِي جَزَيْتُكَ بِاللَّهِ

هـ تَقِيّاً بِهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ

(١) ط : « القصيدة » .

(٢) ش : « يا ابني » . وفي الديوان ٥٠ : « أبني » . والشحيط : الذبيح . شحطه يشحطه

شحطاً : ذبحه .

(٣) التكملة من ش والديوان .

فَاقْضِ مَا قَدْ نَذَرْتُ لِلَّهِ وَاكْثِفْ
 عَنْ دَمِي أَنْ يَمَسَّهُ سِرْبَالِي
 وَاشْدُدِ الصَّفْدَ أَنْ أَحِيدَ مِنَ السِّ
 كِّينَ حَيْثُ الْأَسِيرِ ذِي الْأَغْلَالِ (١)
 إِنَّنِي آكُمُ الْخَرَّ وَإِنِّي
 لَا أَمْسُ الْأَذْقَانَ ذَاتَ السَّبَالِ
 وَلَهُ مَدِيَّةٌ تَحْيُلُ فِي اللَّحْ
 مِ هَذَا جَلِيَّةٌ كَالْهَلَالِ (٢)
 بَيْنَمَا يَخْلَعُ السَّرَابِيلَ عَنْهُ
 فَكَفَّهُ رُبُّهُ بِكَبْشٍ جُلَالِ
 قَالَ : خُذْهُ وَأَرْسِلْ ابْنَكَ إِنِّي
 لِلَّذِي قَدْ فَعَلْتُمَا غَيْرَ قَالِي
 وَالَّذِي يَتَّقِي وَآخِرُ مَوْلُو
 ذٌ ، فَطَارَا مِنْهُ بِسَمْعٍ مُعَالِ
 رَبَّمَا تَكْرَهُ النَّفُوسُ مِنَ الشَّدِّ
 رٍ لَهُ فَرَجَةٌ كَحَلِّ الْعُقَالِ)

هكذا رواه جامع ديوانه محمد بن حبيب : « من الشر » بدل من
 « الأمر » وقال : قوله جزيتك بالله معناه أطعتك بالله . وقوله « غير انتحال »
 أى غير كذبٍ وادّعاء ، بل هو حق . والسربال : القميص . والصَّد : الحبل

(١) في الديوان : « لا أحميد عن السكين » .

(٢) في الديوان : « حنية » .

الذى يُرِيط به . وقوله : « أن أحيد » أى خشية أن أحيد ، مضارع حاذ عنه ، أى مال عنه وعدل .

وقوله : « لا أمسُ الأذقان » إلخ قال محمد بن حبيب : يقول : لم أمسس ذقنى ، إئى لا أجزع ولا أمتعك . وذقن الإنسان : مجمع لحبيه ، وأصله فى الجمل يحيل الثقيل فلا يقدر على النهوض ، فيعتمد بذقنه على الأرض . والسبال : جمع سبلة ، وهى عند العرب مقدّم اللحية .

وقوله : « وله مُديّة » هى بضم الميم : السكين . قال محمد بن حبيب : تَحْيَلُ فى اللحم : تمضى فيه ، من الحِيلَاءِ . وهَذَام بضم الهاء بعدها ذال معجمة : القاطعة السريعة ، من الهذم ، وهو القطع والأكل فى سرعة . قال أبو عبيد : سيف هذام ، أى قاطع . وجليّة : مجلوة .

وكبش جلال ، بضم الجيم ، بمعنى جليل وعظيم .

وسمّع بالكسر : الذكر الجميل . يقال ذهب سمّعه فى الناس . والمُعَال ، بضم الميم : المرتفع ، أى صار لهما شرفاً يذكران به .

وأمية هذا شاعر جاهليّ ، تقدّمت ترجمته فى الشاهد السادس والثلاثين من أوائل الكتاب (١) .

ووجد أيضاً فى قصيدة رواها الأصمعيّ لأبى قيس اليهوديّ ، وقيل : هى لابن صيرمة الأنصارى ، مطلعها :
سبحوا للمليك كلّ صباح
طلعت شمسُه وكلّ هلال

(١) الخزائن ١ : ٢٤٧ .

وقال ابن المستوفى (في شرح الشواهد للمفصّل) : وجدت قوله ربّما
تكره النفوس من الأمر البيت ، في أبياتٍ لأبي قيس صيرمة بن أبي أنس ، من
بنى عدى بن النّجار ، ووجد أيضاً في أبياتٍ لحنيفة بن عمير اليشكريّ ،
قالها لما قُتل مُحَكَّم بن الطفيل ^(١) يومَ اليمامة ، وهى :

يا سعادَ الفؤادِ بنتُ أثالٍ طالَ ليلي بفتنة الرّجال ^(٢)
إنها يا سعادُ من حدّث الدّمَّ ر عليكيم كفتنة الدّجالِ
إنّ دينَ الرسول ديني وفي القو م رجالٌ على الهدى أمثالِ
أهلكَ القومَ مُحَكَّم بنُ طفيلٍ ورجالٌ ليسوا لنا برجالِ
ربّما تجرّعُ النفوس من الأُمِّ ر له فرجةٌ كحلّ العقالِ

٥٤٤

وحنيفة أدرك الجاهلية والإسلام ، ولا تعرف له صحبة . وقال ابن
حجر (في الإصابة) : هو مخضرم ، ذكره المزياني . وروى له هذه الأبياتُ
عمر بن شبة ، ووجد أيضاً في أبياتٍ لأعرابي . وهى :
(يا قليلَ العزاءِ في الأهوالِ وكثيرَ الهمومِ والأوجالِ

(١) ذكره ابن حزم في الجمهرة ٣٤٩ وقال : « وكان أشرف في قومه من مسيلمة » . كما ذكره في
الاشتقاق ٢٤٩ باسم « مُحَكَّم اليمامة » . وانظر اللسان (حكم) . وقد ضبط اسمه بهذا الضبط في كل
هذه المراجع . لكن الشعر التالى يقتضى أن يكون « محكم » كمصعب . وكان مقتله على يد عبد الرحمن
ابن أبي بكر في حروب الردة سنة ١١ .

(٢) هو الرجال بن عنفوة ، أحد الخارجين مع مسيلمة باليمامة . وفي حديث أبي هريرة :
جلس مع النبي ﷺ في رهط ، معنا الرجال بن عنفوة ، فقال : « أن فيكم لرجلاً ضرره في النار
أعظم من أحد » . فهلك القوم وبقيت أنا والرجال ، فكنت متخوفاً لها حتى خرج الرجال مع مسيلمة
فشهد له بالنبوة ، فكانت فتنة الرجال أعظم من فتنة مسيلمة . الطبري في حوادث سنة ١١ ج ٣ :
٢٨٧ . وفي القاموس (رجل) : « وكشداد : ابن عنفوة ، قدم في وفد بني حنيفة ثم ارتد ، فتبع
مسيلمة ، قتله زيد بن الخطاب يوم اليمامة . ووهم من ضبطه بالخاء » . ط : « الرجال » ، صوابه في ش .

اصْبِرِ النَّفْسَ عِنْدَ كُلِّ مُلَمٍّ
 إِنَّ فِي الصَّبْرِ حِيلَةَ الْمُحْتَالِ
 لَا تَضْيِيقَنَّ بِالْأُمُورِ فَقَدْ يُكْ
 شَفُ غَمَاؤُهَا بِغَيْرِ احْتِيَالِ
 رُبَّمَا تَكْرَهُ النَّفْسُ مِنَ الْأَمْرِ
 بِرَ لَهُ فَرَجَةٌ كَحُلِّ الْعِقَالِ
 قَدْ يُصَابُ الْجَبَانُ فِي آخِرِ الصَّبِّ
 فَفَ وَيَنْجُو مُقَارِعُ الْأَبْطَالِ (

ورواها صاحب (الحماسة البصرية ^(١)) لَحْنَيْفِ بْنِ عُمَيْرٍ الْمَذْكُورِ ،
 وَقِيلَ إِنَّهَا لِنَهَارِ بْنِ أَخْتِ مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابِ ، لَعَنَهُ اللَّهُ . وَنَسَبَهَا الْعَيْنِيُّ لِأُمَيَّةَ بْنِ
 أَبِي الصَّلْتِ . وَهَذَا لَا أَصْلَ لَهُ .

وقوله : « يا قليل العزاء » هو بالفتح ، بمعنى الصبر والتجلُّد .
 وقوله : « اصبر النفس » أى احبسها . والملئم : الحادث من حوادث
 الدهر ، وهو اسم فاعل من ألَمَّ ، إذا نزل . وغمَاؤُها : مبهمة ومُشْكِلُها ؛
 وهو بالغَيْنِ المعجمة ، يقال أمر غُمَّةً أى مُبْهِمٌ ملتبس . ويقال صُمْنَا لِلْعَمَى ،
 بفتح الغين وضمها ، وصمنا للغماء على فعلاء ، بالفتح والممد ، إذا غُمَّ الهلال
 على الناس وستره عنهم [غيمٌ ^(٢)] ونحوه . وصحَّفه العينى فقال : عماؤها
 بالعين المهملة وتشديد الميم للضرورة . والعماء ^(٣) فى اللغة : السحاب الرقيق
 سمى بذلك لكونه يُعمى الأبصارَ عن رؤية ما وراءه . وأراد بها ما يحول بين
 النفس ومرادها . هذا كلامه .

(١) الحماسة البصرية ٢ : ٧٧ - ٧٨ .

(٢) التكملة من ش .

(٣) ط : « والعماء » ، صوابه فى ش .

قال السيوطي (في شرح شواهد المغني) : أخرج ابن عساكر من طريق الأصمعي قال : قال أبو عمرو بن العلاء : هربت من الحجاج فسمعتُ أعرابياً يُنشد :

يا قليلَ العزاءِ في الأهوالِ وكثيرَ الهمومِ والأوجالِ

إلى آخر الأبيات . فقلت : ما وراءك يا أعرابي ؟ فقال : مات الحجاج ! فلم أدِرْ بأيِّهما أفرحُ : أجموت الحجاج أم بقوله فرجة ؟ لأنِّي كنت أطلبُ شاهداً لاختياري القراءة في سورة البقرة : ﴿ إلا من اغترف غرفةً ^(١) ﴾ بالفتح . انتهى .

وقد رويت قصة أبي عمرو بن العلاء هذه على وجوه مختلفة منها رواية الصاغاني (في العباب) قال : قال الأصمعي : سمعتُ أبا عمرو بن العلاء وكان قد هرب من الحجاج إلى اليمن يقول : كنتُ مختفياً لا أخرجُ بالنهار فطال عليّ ذلك ، فبينما أنا قاعدٌ وقتَ السحر مفكراً سمعتُ رجلاً يُنشد وهو ماثرٌ : ربّما تُكره النفوسُ من الأمرِ

رِ له فرجةٌ كحلّ العقالِ

ومرَّ تخلفه رجلٌ يقول : مات الحجاج ! قال أبو عمرو : فما أدري بأيِّهما كنتُ أفرحُ ، أجموت الحجاج ، أم بقوله : فرجة بفتح الفاء ، وكنا نقوله بضمّها . اهـ .

(١) الآية ٢٤٩ من سورة البقرة . وقراءة الفتح هي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو . ووافقهم ابن محيصن واليزيدي والشيبودي . الإتحاف ١٦١ وتفسير أبي حيان ٢ : ٢٦٥ . والخبر كذلك في معجم المرزباني ٢٤٣ وشرح شواهد المغني للسيوطي ٢٤١ .

٥٤٥ ومنها ما رواه الدماميني (في الحاشية الهندية) قال : يُحكى عن أنى عمرو بن العلاء أنه كان له غلامٌ ماهر في الشعر ، فَوُشِيَ به إلى الحجاج فطلبه ليشتريه منه . قال : فلما دخلتُ عليه وكَلَمَني فيه قلت : إنَّه مُدَبِّر . فلما خرجتُ قال الواشي : كَذَب . فهربتُ إلى اليمن خوفاً من شرِّه ، فمكثتُ هناك وأنا إمامٌ يُرجع إلى المسائل ، عَشْرَ سنين ، فخرجتُ ذات يوم إلى ظاهر الصَّحراء فرأيتُ أعرابياً يقول لِآخر : ألا أَبْشُرُكَ ؟ قال : بلى . قال : مات الحجاج ! فأنشده :

ربما تَكَرَّه النفوسُ من الأَمـ

ر له فَرَجَةٌ كَحُلِّ العقال

وأنشده بفتح الفاء من « فَرَجَة » . قال أبو عمرو : لا أدري بأى الشيئين أفرح ، أجموت الحجاج أم بقوله فَرَجَة بفتح الفاء ، ونحن نقول فَرَجَة بضمِّها ، وهو خطأ . وتطلبت ذلك زماناً في استعمالاتهم . قال أبو عمرو : وكنت بقوله : فَرَجَة أشدَّ منى فرحاً بقوله : مات الحجاج . ا هـ .

كذا ساق الحكاية . وفي قوله في آخرها : « وهو خطأ » نظرٌ لا يخفى .

والمشهور أنَّ سبب هروب أنى عمرو إلى اليمن طلبُ الحجاج منه شاهداً من كلام العرب لقراءته : ﴿ غَرَفَة ﴾ بالفتح ، فلما تعذَّر عليه هرب إلى اليمن . ولم تحضرنى الآن هذه الرواية .

تَمَمَة

روى السيد المرتضى رحمه الله : (في أماليه الغرر والدرر ^(١)) عن

(١) أمالي المرتضى ١ : ٤٨٦ .

الصُّوْلَى أَنَّ مَنْشِدًا أَنشَدَ إِبرَاهِيمَ بْنَ الْعَبَّاسِ ، وَهُوَ فِي مَجْلِسِهِ فِي دِيْوَانِ الضِّيَّاعِ :
 * رِمَا تَكْرَهُ الثُّفُوسُ مِنْ الْأَمْرِ * البيت

قال : فَنَكَّتْ بِقَلَمِهِ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ :
 وَلُرُبَّ نَازِلَةٍ يَضِيقُ بِهَا الْفَتَى
 ذَرَعًا وَعِنْدَ اللَّهِ مِنْهَا الْخَرْجُ
 كَمُلْتُ فَلَمَّا اسْتَحْكَمَتْ حَلَقَاتُهَا
 فُرِجَتْ وَكَانَ يَظُنُّهَا لَا تَفْرُجُ
 فَعَجِبَ مِنْ جَوْدَةِ بَدِيهِته . اهـ .

* * *

وَأَنْشَدَ بَعْدَهُ :

(لِأَمْرِ مَا يَسْوَدُ مِنْ يَسْوَدُ)
 عَلَى أَنَّ مَا هُنَا لِإِفَادَةِ التَّعْظِيمِ . وَيَسْوَدُ بِالْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ ، أَيْ يُجْعَلُ
 سَيِّدًا .
 وَهَذَا عَجَزٌ وَصَدْرُهُ :

(عَزَمْتُ عَلَى إِقَامَةِ ذِي صَبَاحٍ ^(١))
 وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَيْهِ فِي الشَّاهِدِ السَّبْعِينَ بَعْدَ الْمِائَةِ مِنْ بَابِ الْمَفْعُولِ
 فِيهِ ^(٢) .

* * *

(١) ط : « ذِي صَدَاءٍ » ، صَوَابُهُ فِي شِ وَالْخَزَائِنَةِ ٣ : ٨٧ .

(٢) الْخَزَائِنَةُ ٣ : ٨٧ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والثلاثون بعد الأربعمائة ^(١) :
 ٤٣٨ (فكفَى بنا فضلاً على مَنْ غَيْرُنَا
 حُبُّ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ إِيَّانَا)

على أَنَّ (مَنْ) نكرة موصوفة بمفرد ، وهو قوله (غيرنا) .
 قال سيبويه : قال الخليل رحمه الله : إن شئت جعلت مَنْ بمنزلة إنسان
 وجعلت نا بمنزلة شيء نكرتين . وزعم أَنَّ هذا البيت مثل ذلك :
 وكفَى بنا فضلاً على مَنْ غيرنا حُبُّ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ إِيَّانَا
 وكذا أورده الفراء (في أول تفسيره) من سورة البقرة ^(٢) .

قال الأعلام : الشاهد فيه حمل غير ^(٣) على مَنْ نعتاً ، لأنها نكرة
 ٥٤٦ مبهمة ، فوصفت بما بعدها وصفاً لازماً يكون لها كالصلة ، والتقدير : على
 قوم غيرنا . ورفع غير جائز على أن تكون مَنْ موصولة ، ويحذف الراجع عليها
 من الصلة ، والتقدير : من هو غيرنا . والحبُّ مرتفع بكفى ، والباء في بنا
 زائدة مؤكدة ، والمعنى كفانا . اهـ .

وأورده ابن الشجري في ثلاثة مواضع (من أماليه) قال في الموضع
 الثاني : رفع غير رواية .

(١) لم ينص هنا على أنه من شواهد سيبويه . وهو في سيبويه ١ : ٢٦٩ ومجالس ثعلب ٣٣٠
 وتفسير الطبري ١ : ٤٠٤ والجمل ٣١١ وأمالي ابن الشجري ٢ : ١٦٩ ، وابن يعيش ٤ : ١٢
 والمقرب ٤٣ وشرح شواهد المغني ١١٦ ، ٢٥٢ والعيني ١ : ٤٦٨ والمجمع ١ : ٩٢ ، ١٦٧ وديوان
 كعب بن مالك ٢٨٩ . ولم أجده في ديوان حسان .
 (٢) معاني القرآن ١ : ٢١ ، ٢٢ ، ٢٤٥ .
 (٣) ش : « غيره » ، صوابه في ط والشتنمري .

وقال في الثالث (١) : وإن رفعت غير فإنه خير مبتدأ محذوف ، تريد من هو غيرنا ، فجعلت مَنْ موصولة ، كقراءة من قرأ : ﴿ تَمَاماً عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ ﴾ (٢) يريد : هو أحسن .

وقال ابن هشام (في المغنى) في بحث مَنْ : ويروى برفع غير ، فيحتمل أنْ مَنْ على حالها ، ويحتمل الموصولة . وعليهما فالتقدير : من هو غيرنا ، والجملة صفة أو صلة . وقال الكسائي : من هنا زائدة وغيرنا مجرور بعلی . نقله العينى عنه .

وأورده ابن هشام (في المغنى) على أن الباء قد زيدت في مفعول كفى المتعدية لواحد ، ومنه الحديث : « كفى بالمرء إثمًا أن يُحدّث بكلّ ما سمع » . وقيل : إثمًا هي في البيت زائدة في الفاعل ، وحبٌ بدل اشتغال على المحل . اهـ .

قال المرادى : صاحب هذا القيل ابنُ أوى العافية . وعلى هذا حمل بعضهم قول المتنبي :

كفى بجسمى نُحولاً أننى رجلٌ

لولا مخاطبتى إياك لم تُرنى

ونقل ثعلب (في أماليه) عن المازنى أن زيادة الباء في قوله : « فكفى بنا » شاذّ ، وإنّما تدخل الباء على الفاعل .

وَحُبُّ النَّبِيِّ فَاعِلٌ كَفَى ، و (مُحَمَّدٌ) عطف بيان للنبي ، وحبُّ

(١) هذا الموضع الثالث لم أعثر عليه في أمالي ابن الشجرى ، فهو مما سقط من النسخة المطبوعة .

(٢) الآية ١٥٤ من الأنعام .

مصدر مضاف إلى فاعله ، وإيانا مفعوله ، و (فضلاً) : تمييز محوّل عن الفاعل ، والأصل كفانا فضل حبّ النبي ﷺ .
وقال الدماميني : فضلاً حال وتنوينه للتفخيم ، أى كفانا حبّ النبي حالة كونه فضلاً عظيماً . ولا يصحّ كونه مفعولاً ثانياً لكفى ، لفساد المعنى . انتهى .

وروى بدله : (شرفاً) ، وهما بمعنى المزية والفضيلة .

وهذا البيت لكعب بن مالك شاعر رسول الله ﷺ ، وقد تقدّمت صاحب الشاهد ترجمته في الشاهد السادس والستين ^(١) . ونُسب إلى حسان بن ثابت رضى الله عنه أيضاً ؛ ولم يوجد في شعره . قال ابن هشام اللخمي (في شرح شواهد الجمل) : وقيل : هو لعبد الله بن رَوَاحَة الأنصاري . وقيل : لبشير بن عبد الرحمن بن كعب بن مالك .

وهو مع كثرة وجوده في كتب النحو لم يذكر أحد ما قبله ، إلا السيوطي (في شرح شواهد المغني) ، وهو :

(نصرُوا نبيَّهُم بنصرٍ وليّه)

فالله عزّ بنصره سَمَّانا (

يعنى أنّ الله عز وجل سَمَّاهم الأنصارَ لأنهم نصرُوا النبي ﷺ ومن والاه . والباء في « بنصر وليّه » بمعنى مع .

(١) الخزائن ١ : ٤١٧ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والثلاثون بعد الأربعمئة (١) :
 ٤٣٩ (رَبِّ مَنْ أَنْضَجْتُ غَيْظًا صَدْرَهُ

قَدْ تَمَنَّى لِي مَوْتًا لَمْ يُطْعَفِ)

على أنَّ جملة (أَنْضَجْتُ) في موضع جرٍّ على أنها صفة لمن ، لأنها نكرة بمعنى إنسان ، بدليل دخول رَبٍّ عليها .

وأورده صاحب الكشف عند قوله تعالى : ﴿ إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴾ (٢) على أنَّ من فيها نكرة موصوفة بالظرف ، لأنها وقعت بعد كُلِّ كوقوعها بعد رَبٍّ في البيت .

قال ابن هشام (في المغنى) : زعم الكسائي أنَّ مَنْ لا تكون نكرة إلا في موضع يخصُّ النكرات . وردَّ بقوله :
 * فكفى بنا فضلاً على مَنْ غيرنا *

ويقول الفرزدق :

إِنِّي وَإِيَّاكَ إِذْ حَلَّتْ بَارْحُلْنَا

٥٤٧

كَمَنْ بُوَادِيهِ بَعْدَ الْمَحَلِّ مَمْطُورِ (٣)

أى كشخص ممطورٍ بواديه ، لأنَّ مجرور على والكاف لا يجب أن يكون نكرة . وقد نُحْرَجَ مَنْ فيهما على الزيادة ، وذلك شيء لم يثبت .

وروى أيضاً :

رَبِّمَا أَنْضَجْتُ غَيْظًا قَلْبَ مَنْ قَدْ تَمَنَّى إلخ

(١) ابن السجري ٢ : ١٦٩ وابن يعيش ٤ : ١١ وشرح شواهد المغنى ٢٥٢ والشذور ١٣١ والجمع ١ : ٢/٩٢ : ٢٦ والأشعري ١ : ٥٤ والمفضليات ١٩٨ .

(٢) الآية ٩٣ من مريم .

(٣) ديوان الفرزدق ٢٦٣ . وهو من شواهد سيبويه ١ : ٢٦٩ .

فلا شاهد فيه ، وما حينئذ كافة مهيتة لدخول ربّ على الجملة .
 ومجور ربّ هنا في محل رفع على الابتداء ، والخبر إمّا قد تمّنّى ، ولم يُطعّ خبر بعد
 خبر ، وإمّا لم يطع وجملة قد تمّنّى صفة ثانية . وإنضاج اللحم : جعله بالطبخ
 [أو الشئ ^(١)] مستويّاً يمكن أكله ويحسّن ، وهو هنا كناية عن نهاية الكمّد
 الحاصل للقلب ، أو استعارة . شبه تحسير القلب وإكاده بإنضاج اللحم الذي
 يؤكل . وغيظاً إمّا مفعول لأجله أى أنضجت قلبه لأجل غيظي إياه ، وإمّا
 تمييز عن النسبة ، أى أنضج غيظي إياه قلبه ، وهو مصدر غاظه ، إذا
 أغضبه . قال ابن السكّيت : ولا يقال أغاظه . وأثبتته صاحبُ القاموس قال :
 يقال غاظه وغيّظه وأغاظه . وروى : « قلبه » موضع « صدره » المراد به قلبه ،
 وروى أيضاً : « كبّده » .

صاحب الشاهد

وهذا البيت من قصيدة طويلة ، عدتها مائة بيت وثمانية أبيات ، لسويد
 ابن أنى كاهل اليشكرى ، مسطورة في المفضليات ، مطلعها :
 (بسطت رابعة الحبل لنا
 فوصلنا الحبل منها ما اتسع)

وهذه أبيات منها بعد الشاهد المذكور . قال ابن قتيبة في ترجمة سويد
 (من كتاب الشعراء) : كان الحجاج تمثّل يوم رُستَقاباد ^(٢) على المنبر بأبيات
 من شعره ، وهو قوله :

(ربّ من أنضجت غيظاً قلبه قد تمّنّى لى موتاً لم يطع
 ويرانى كالشّجا في حلقه عسيراً مخرجه ما يُنتزع)

(١) أو الشئ ، من ش فقط .

(٢) الذى في الشعراء ٣٨٤ ومعجم البلدان : « رستقباد » ، والذال والذال متعاقتان . وقال
 ياقوت : « من أرض دستوا : بلدة بفارس » .

مُزِيدٌ يَخْطِرُ مَا لَمْ يَرَى فَإِذَا أَسْمَعْتُهُ صَوْتِي انْقَمَعَ
 قَدْ كَفَانِي اللَّهُ مَا فِي نَفْسِهِ وَمَتَى مَا يَكْفِي شَيْئاً لَمْ يُضَعْ
 لَمْ يَضِرَّنِي غَيْرُ أَنْ يَحْسُدَنِي فَهُوَ يَزُقُّوْهُ مِثْلَ مَا يَزُقُّوْهُ الضُّوْعُ
 وَيَحْيِيْنِي إِذَا لَاقَيْتُهُ وَإِذَا يَخْلُوْهُ لَهُ لَحْمِي رَنَعُ
 كَيْفَ يَرْجُونَ سِقَاطِي بَعْدَمَا جَلَّلَ الرَّأْسَ مَشِيْبٌ وَصَلَعُ

قال ابن الأنباري (في شرح القصيدة) : روى أيضا :

« رُبَّمَا أَنْضَجْتَ غَيْظاً قَلْبَ مَنْ » ... إلخ

والشجا : القَصَصُ ونحوه . ومُزِيدٌ من أزيد . وأصل الخَطَرُ في الناس :
 تحريك اليدين في المشي والاختيال بهما . وانقمع : دخل بعضه في بعض .
 والمعنى أنه يتعظم إذا لم يرى ، فإذا رأى تضاعف . والضُّوْعُ بضم الضاد : ذكر
 البوم . وَيَزُقُّوْهُ : يصيح . ورَنَعُ : أكل . والسَّقَاطُ : الفترة . يقول على طريق
 التعجب : كيف يؤمّلون فترتي وسقطتي وقد بلغت هذه السن .

وسويد هو ابن أبي كاهل ، واسمه غُطَيْفٌ بن حارثة بن جِسل بن مالك سويد بن أبي كاهل
 ابن عبد سعد بن عدى بن جُشم بن ذبيان بن كنانة بن يشكر بن بكر بن
 وائل . ويكنى أبا سعد ، وفي ذلك يقول :
 أنا أبو سعيد ، إذا الليل دجا

دخلت في سرياله ثم النجا

ويقال اسم والده شبيب . وهو شاعرٌ مقدّم مخضرم ، أدرك الجاهليّة ٥٤٨
 والإسلام . عدّه ابن سلام الجُمَحِيُّ في الطبقة السادسة ، وقرنه بعنترة
 العيسى . قال أبو نصر أحمد بن حاتم : قرأت شعر سويد على الأصمعي ،
 فلما بلغت قصيدته التي أوّلها :

بَسَطْتُ رَابِعَةَ الْحَبْلِ لَنَا فَوَصَّلْنَا الْحَبْلَ مِنْهَا مَا اتَّسَعَ
فَضْلُهَا الْأَصْمَعِيُّ وَقَالَ : كَانَتِ الْعَرَبُ تَفْضُلُهَا وَتَقْدِّمُهَا ، وَتَعُدُّهَا مِنْ
حُكْمِهَا ، وَكَانَتْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ تَسْمَى « الْيَتِيمَةَ » ، لَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ مِنَ
الْأَمْثَالِ . وَعَاشَ سُؤَيْدٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ دَهْرًا ، وَغَمَّرَ فِي الْإِسْلَامِ سِتِّينَ سَنَةً بَعْدَ
الْهَجْرَةِ إِلَى زَمَنِ الْحِجَّاجِ . كَذَا فِي الْإِصَابَةِ .

وَهُوَ مِنَ الْمُعَمَّرِينَ ، وَلَمْ يَذْكُرْهُ أَبُو حَاتِمٍ (فِي كِتَابِ الْمُعَمَّرِينَ) .

وَكَانَ زِيَادُ الْأَعْجَمِ قَدْ هَجَا بَنِي يَشْكُرَ بِقَوْلِهِ :

إِذَا يَشْكُرِي مَسَّ ثَوْبِكَ ثَوْبُهُ فَلَا تَذْكُرَنَّ اللَّهَ حَتَّى تَطْلُهَا
فَلَوْ أَنَّ مِنْ لُؤْمٍ تَمُوتُ قَبِيلُهُ إِذَا لَأَمَاتَ اللَّؤْمُ لَا شَكَّ يَشْكُرَا

فَأَتَتْ بَنُو يَشْكُرَ [تَشْكُو ^(١)] ، [سُؤَيْدًا لِهَجْوِ زِيَادًا ، فَأَبَى سُؤَيْدٌ ،

فَقَالَ زِيَاد :

وَأَنْبِئْتَهُمْ يَسْتَصْرِخُونَ ابْنَ كَاهِلٍ وَلِلْؤْمِ فِيهِمْ كَاهِلٌ وَسَنَامُ
فَإِنْ يَأْتِنَا يَرْجِعُ سُؤَيْدٌ وَوَجْهُهُ عَلَيْهِ الْخَزَايَا غُبْرَةٌ وَقَتَامُ
دَعَى إِلَى ذُبْيَانَ طَوْرًا وَتَارَةً إِلَى يَشْكُرٍ ، مَا فِي الْجَمِيعِ كِرَامُ

فَقَالَ لَهُمْ سُؤَيْدٌ : هَذَا مَا طَلَبْتُمْ لِي ؟ وَكَانَ سُؤَيْدٌ مَغْلَبًا .

وَأَمَّا قَوْلُ زِيَادِ الْأَعْجَمِ « دَعَى » فَإِنَّ أُمَّ سُؤَيْدٍ كَانَتْ قَبْلَ أَبِي كَاهِلٍ عِنْدَ
رَجُلٍ مِنْ بَنِي ذُبْيَانَ بْنِ قَيْسٍ ، فَمَاتَ عَنْهَا فَتَزَوَّجَهَا أَبُو كَاهِلٍ ، وَكَانَتْ فِيهَا

(١) التَّكْمَلَةُ مِنْ ش . وَالْمَعْنَى : أَتَتْ سُؤَيْدًا شَاكِيَةً .

يقال حاملاً ، فلما ولدته استلحقه أبو كاهل وسمّاه سُويدا ، وكان سُويدُ إذا غضب على بنى يشكر انتهى إلى ذبيان ، وإذا رضى عنهم أقام على نسيه فيهم .

وهاجى سويدُ حاضِرَ بنِ سَلَمَةَ العنزى ، فطلبها عبدُ الله بن عامر فهربا من البصرة . ثم هاجى الأعرجَ أخا بنى حماد بن يشكر ^(١) ، فأخذهما صاحبُ الصدقة في أيام ولاية عامر بن مسعود الجمحى الكوفة ، فحبسهما وأمر أن لا يخرجوا من السجن حتى يؤدّيا مائة من الإبل ، ففكّ بنو حماد صاحبهم وبقى سُويد ، فخذله بنو عبدِ سعد ^(٢) وهم قومه ، فلم يزل محبوباً حتى استوهبته عبيسٌ وذبيان لمديحه لهم ، وانتأته إليهم ، وأطلقوه بغير فداء . وحلّف أن لا يعود .

وهذه أبياتٌ من قصيدةٍ انتهى فيها إلى ذبيان ومدحهم :
 أنا الغطفانيُّ ابنُ ذبيانَ فابعدوا وللّزنج أدنى منكم ويُحاربُ
 أبْتُ لى عبيسٍ أن أسامَ ذنيّةً وسعدٌ وذبيانُ المهجانُ وعامرُ ^(٣)
 وحى كرامٌ سادةٌ من هوازنٍ لهم في الملماتِ الأنوفُ الفواخرُ ^(٤)

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الموفى الأربعين بعد الأربعمئة ^(٥) :

- (١) لم أعثر عليهم في كتب الإنساب . والذي في الأغاني ١١ : ١٦٧ : « أخا بنى جمال بن يشكر » .
 (٢) في الأصل : « بنو سعد » ، وما أثبت من الأغاني هو ما يتفق مع نسبه السابق ص ١٢٥ .
 (٣) سعد هؤلاء ، هم سعد بن ذبيان . وكان سويد إذا غضب على بنى يشكر قومه ادّعى إلى بنى ذبيان ، كما سبق .
 (٤) ط : « الملمات » ش : « باللمات » صوابهما في الأغاني ١١ : ١٦٦ . وفي الأصل : « الأنوف النواخر » ، والوجه ما أثبت من الأغاني .
 (٥) أمالي ابن الشجرى ٢ : ٣١٢ وشرح شواهد المغنى ٢٥٣ والمجمع ١ : ١٢ .

٤٤٠ (آل الزبير سنأه المجد قد علمت

ذاك العشرة والأثرون من عددًا)

على أن (من) عند الكوفيين حرف زائد ، أي : والأثرون عددًا . وهي
عند البصريين موصوفة ، أي والأثرون إنساناً معدوداً .

٥٤٩ وهذا الجواب أورده القالي^(١) (في شرح اللباب) ، قال : يجعل عددًا
مصدرًا بمعنى المفعول ، أي معدوداً ، فتكون صفة مفردة . فمن اسم موصوف
بمفرد ، كقوله :

* فكفى بنا فضلاً على من غيرنا *

ويجوز أن تكون موصوفة بجملة محذوفة ، وذلك أن عددًا مفعول مطلق
وعامله محذوف ، تقديره يعدّ عددًا بالبناء للمفعول . والجملة صفة من ، أي
إنساناً يعدّ عددًا . وعلى هذا الجواب اقتصر صاحب اللباب ، وابن الشجري
(في أماليه) قال : زاد الكسائي في معاني من قسمًا آخر ، وهو أنها قد
جاءت صلة - يعني زائدة - وأنشد :

* والأثرون من عددًا *

وقال غيره : معناه والأثرون من يعدّ عددًا ، فحذف الفعل واكتفى
بالمصدر منه ، كما تقول : ما أنت إلا سيراً . فمن في هذا القول نكرة موصوفة
بالجملة المحذوفة ، فالتقدير : والأثرون إنساناً يعدّ . اهـ .

(١) في الأصل : « القالي » صوابه بالفاء كما سبق في حواشي ١ : ٣٣٨ . وانظر هذا الجزء
ص ١٠٠ .

وأجاب بهما ابن هشام (في المعنى) فقال : عدداً إما صفة لمن على أنه اسم وضع موضع المصدر ، وهو العد ، أى والأثرون قوماً ذوى عدد^(١) أى قوماً معدودين . وإما معمول ليعد محذوفا صلة أو صفة لمن ، ومن بدل من الأثرون . اهـ .

وإنما نصبوا تفسيرا مَنْ ، وهو قولهم : إنساناً أو قوماً ، لأنَّ مَنْ تمييز . وعلى قول الكوفيين من زائدة وعدداً هو التمييز . وفي تخريجهم نظراً لا تخفى سماجته ، مع أنه ليس فيه كبير مدح ؛ فإنَّ مراد الشاعر أنَّ آل الزبير سنَّام المجد والأكثر عدداً ، فإنَّ أتباعهم أكثر من أتباع غيرهم عدداً ، إلا أنَّهم يُعدُّون عدداً ؛ فإنَّ مَنْ يُعدُّ قليل ، والقلَّة لا فخر فيها ولا مدح .

وجعل ابن هشام مَنْ بدلاً من الأثرون على تقدير الفعل ، لا وجه له ، إذ لا فرق في المعنى بين قولنا قوماً معدودين وبين قوماً يُعدُّون . فتأمل . ونقله كونها اسماً في حال الزيادة ، يخالفه صريح نقل الشارح المحقق ، وصريح كلام ابن السجري . وتخريج الكوفيين خالي عن التعسف مع صحة معناه ، ومثانة مغزاه .

وقال الأندلسي (في شرح المفصل) : الرواية عند البصريين : « والأثرون ما عددا » ، وزيادة « ما » جائزة لا اختلاف فيها^(٢) .

وقوله : (آل الزبير) مبتدأ و (سنَّام المجد) خبره ، و (الأثرون) معطوف على الخبر ، وجملة (قد علمت ذاك العشيرة) اعتراضية لتقوية المعنى

(١) ط : « ذوى عد » ، صوابه في ش .

(٢) ط : « لا خلاف فيها » ، وأثبت ما في ش .

وتسديده ؛ و (ذاك ^(١)) مفعول علمت ، وهو إشارة إلى كونهم سنام المجد والأكثرين عددا . و (العشيرة) فاعل علمت ، وروى بدله (القبائل) أى قبائل العرب . وعلم هنا متعدي لمفعول واحد ، لأنه بمعنى عرف . و (سنام المجد) : أعلى المجد ، استعير من سنام الإبل . و (الأثرؤن) : جمع أثرى ، وهو أفعّل تفضيل من ثريت بك بكسر الراء ، أى كثرت بك . قاله فى الصحاح .

وهذا البيت مع كثرة دَوْرانه فى كتب النحو لا يُعرف له قائل ، ولا تنمة . والله أعلم به .

وأُنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والأربعون بعد الأربعمئة ^(٢) :
 ٤٤١ (ياشاةً مَنْ قَنَصَ لَمَنْ حَلَّتْ لَهُ
 حَرُمْتُ عَلَى وَلِيَّتِهَا لَمْ تَحْرُمْ)

على أَنَّ (مَنْ) عند الكوفيين زائدة .

قال ابن هشام (فى المغنى) : مَنْ هنا أيضا نكرة موصوفة بمفرد ، أى ياشاةً إنسانٍ قَنَصَ ، على أنه من الوصف بالمصدر للمبالغة .
 يريد أَنَّ قَنَصا مصدر بمعنى الصَّيْدَ أريد به اسم الفاعل ، أى ياشاةً إنسان قانص . وأراد بالإنسان نفسه . وهذا تخريبٌ جيد لا مطعن فيه ،
 ٥٥٠ والمشهور فيه كما قال الشارح المحقق : « ياشاةً ما قَنَصَ » بزيادة ما ، وهى رواية شُرَّاح المعلقات ، ولم يروِ أحد منهم الرواية الأولى ، فإن البيت من معلقة عنترة ابن شدّاد العبسى .

(١) ط : « وذلك » ، صوابه فى ش .

(٢) شرح شواهد المغنى ٢٥٢ . والبيت من معلقة عنترة المعروفة .

و (الشاة) هنا : كناية عن المرأة ، والعرب تكنى عنها بالتَّعْجَة أيضا .
وقد أورده صاحب الكشف برواية (ما) عند قوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا
أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعَجَةً ^(١) ﴾ ، على أَنَّ النعجة استُعيرت للمرأة ، كما
استعار عنترة للشاة ، فقتض على هذه الرواية مصدر بمعنى المفعول ، وهو
مجرور بإضافة شاة إليه . وفى زيادة ما وتنكير قنص ما يدل على أَنَّها صيدٌ
عظيم يَغْتَبِطُ مَنْ يَحُوزُهَا أَى اغتباط ، فيكون ^(٢) فى قوله (حَرُمْتُ عَلَى)
الدلالة على التحزُّن التام على فوات تلك الغنيمة .

قال الخطيب التبريزى فى شرح هذه المعلقة : قوله (لَمَنْ حَلَّتْ) أى
لمن قدر عليها . وقوله : (حَرُمْتُ عَلَى) معناه هى من قوم أعداء . ويدل على
هذا قوله فى القصيدة :

* عَلَّقْتُهَا عَرَضاً وَأَقْتُلُ قَوْمَهَا *

والمعنى : أَنَّها لَمَّا كانت فى أعدائى لم أصل إليها وامتنعت منى . وأصل
الحرام الممنوع . والمعنى : أَنَّها حرمت على باشتباك الحرب بينى وبين قبيلتها .
وقوله : (وليتها لم تحرم) هو تمنُّ فى بقاء الصلح . وقال الأخفش : معنى
حرمت على : أى هى جارى ، وليتها لم تحرم : أى ليتها لم تكن جارة حتى
لا يكون لها حرمة .

وقال الزوزنى فى شرحه : هى امرأة أبيه ، يقول : حرم على تزوجها
لتزوج أبى إياها ، وليتها لم يتزوجها حتى كانت تحل لى . اهـ .

(١) الآية ٢٣ من سورة ص .

(٢) ش : « فيكون » بالياء .

أقول : لا ينبغي أن يذكر هذا ، فإنَّ التزوُّجَ بامرأة الأب كان جائزاً في الجاهلية ، ويشهد له القرآن ^(١) . و (شاة) بالنصب ، لأنه منادى مضاف عند أبي جعفر النحوي ، ومفعولٌ لفعل محذوف مع المنادى عند الزوزني ، قال : التقدير : يا هؤلاء اشهدوا شاة قنص لمن حَلَّتْ له ، فتعجبوا من حسنها وجمالها ، فإنَّها قد حازت الجمال . والمعنى : هي حسناء جميلة .

وترجمة عنتره قد تقدّمت في الشاهد الثاني عشر من أوائل الكتاب . وقد أورد البدر الدماميني هنا أبياتاً قد ضُمِّن فيها البيئ الشاهد ، قال : أنشدني شيخنا شمس الدين العُمَارِيُّ إجازةً قال : أنشدني أبو حَيَّان قال : أنشدنا جعفر بن الزُّبَيْر قال : أنشدني القاضي أبو حفص عُمر بن عُمر الفاسي لنفسه ، وقد أُهْدِيَتْ إليه جارية فوجدها ابنة سُرِّيَّة كان تسراها ، فردّها وكتب إلى مهديها :

يا مُهْدِيَ الرِّشَاءِ الَّذِي أَلْخَاطَهُ تَرَكْتُ فَوَادِي نَصَبِ تِلْكَ الْأَسْهَمِ
رِيحَانَةً كُلِّ الْمَنَى فِي شَمِّهَا لَوْلَا الْمُهَيْمُنُ وَاجْتِنَابُ الْمَحْرَمِ
مَا عَن قَلْبِي صُرْفَتْ إِلَيْكَ ، وَإِنَّمَا صَيْدُ الْغَزَالَةِ لَمْ يُبَحِّ لِلْمَحْرَمِ
إِنَّ الْغَزَالَ قَدْ عَلِمْنَا سَرَّهَا قَبْلَ الْمَهَاةِ ، وَلَيْتَنَا لَمْ نَعْلَمْ
يَا وَبَحَّ عَنْتَرَةٌ يَقُولُ وَشَفُّهُ مَا شَفَّنِي فَشَدًّا وَلَمْ يَتَكَلَّمِ
« يَا شَاةَ مَا قَنْصَ لَمَنْ حَلَّتْ لَهُ حَرُمْتُ عَلَى وَلَيْتَهَا لَمْ تَحْرَمِ »

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثاني والأربعون بعد الأربعمئة ^(٢) :

(أَوْ تُصْبِحِي فِي الظَّاعِنِ الْمَوْلَى) ٤٤٢

(١) يعني الإشارة التي في قوله تعالى : « وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ » . سورة النساء ٢٢ .
(٢) نوادر أبي زيد ٥٣ .

على أنّ (أل الموصولة) المستعملة في الجمع إذا لم تصحب موصوفها يجوز مراعاة لفظها كما هنا ، إذ المراد : في الظاعنين المولّين . ويجوز أن يكون ٥٥١ الأفراد باعتبار أنّ موصوفها المقدّر مفرد اللفظ ، أى في الجمع الظاعن ؛ وإنّما حُمِلَ أل في الوصفين على الجمع لأنّ المعنى دلّ على أنّ المراد : إن تصبّح راحلة مع الظاعنين . وليس لإفرادهما معنى بدون ما ذكره الشارح المحقّق .

وذهب أبو على الفارسيّ (في المسائل البصرية) إلى أنّ الجمعية مستفادة من كون أل للجنس ، لا أنّها تدلّ عليها وضعاً ، قال : أنشد المازني :

« أو تصبّح في الظّاعن المولّي »

وفسّره بالظاعنين . وسألني أبو يعقوب الماورديّ : إذا حسُن أن تكون (١) اللام للجمع في الظاعنين دالّة على الجمع فيه على قول المازنيّ وابن السّراج ، فلم لا يحسُن ذلك في الظاعن مع أفراد ظاعن ، كما جاز ﴿ مثل الذى استوقد ناراً فلمّا أضاءت ما حوّله ﴾ (٢) ؟ فقلت له : الفرق بينهما أنّ ذلك في الذى اتساع ، وأنّه لم يخل ذلك من دليل يدلّ عليه ملفوظ به . ألا ترى أنّه قال : فلمّا أضاءت ما حوله ! وقال :

« إنّ الذى حانت بقلج دماؤهم »

واللام محمولة على الذى اتساعاً ، فلا تحتل من الاتساع ما يحتمله الأصل . ألا ترى أنّ حملها على الذى اتساع فيها ، حتّى قال أبو عثمان : ليست بمعنى الذى ، ولكنها دالّة على الذى . وتوالى الاتّساع مرفوض ، وإذا لم

(١) ش « يكون » .

(٢) الآية ١٧ من سورة البقرة . ونصّها : « مثلهم كمثل الذى استوقد ناراً » . والاكتفاء ببعض

النص القرآنيّ جائز .

يحسن أن يجعل بمنزلة الذى فى هذا ، فإن لا تحسن أن تجعل بمنزلة الذى فيه مع تعريضها من دليل يدل عليه أولى ، وإن الذى ، لا يسوغ ذلك فيها متعريضاً من دليل . ا هـ .

وفيه نظر من وجهين :

الأول : أن قوله اللام محمولة على الذى اتساعاً ممنوعاً ، فإنها موضوعة لمعنى الذى وفرعيه بالاشتراك ، وليست محمولة على الذى .

والثانى : قوله وتولى الاتساع مرفوض ، ممنوع أيضاً ، فإن المجاز وهو من الاتساع فى اللغة ، قد يُتجاوز به إلى مجازين أو أكثر .

وكذلك ذهب ابن السجرى (فى أماليه) إلى أن الجمعية مستفادة من لام الجنس ، قال : والشكور من قوله تعالى : ﴿ وقليل من عبادى الشكور ﴾^(١) اسم جنس ، والمعنى : وقليلون من عبادى الشكورون . وكون اسم الجنس مشتقاً قليلاً ، وإنما يغلب على أسماء الأجناس الجمود ، كالدينار والدرهم ، والقفيز والإردب . إلى أن قال : ومما جاء من المشتق يراد به الجنس : المفسد والمصلح ، فى قوله تعالى : ﴿ والله يعلم المفسد من المصلح ﴾^(٢) أى المفسدين من المصلحين . ومنه قول الراجز :

* أو تُصبحى فى الظاعن المولى *

أراد : فى الظاعنين المولين . وقول الأحيلى :

(١) الآية ١٣ من سورة سبأ .

(٢) الآية ٢٢٠ من سورة البقرة .

كَأَنَّ فَتَى الْفَتَيَانِ تَوْبَةً لَمْ يُنْخَ

بِنَجْدٍ وَلَمْ يَهْبِطْ مَعَ الْمُتَغَوِّرِ ^(١)

أَرَادَتْ : مَعَ الْمُتَغَوِّرِينَ . ا هـ .

وَالْبَيْتُ مِنْ أَرْجُوزَةٍ أَوْرَدَ بَعْضُهَا أَبُو زَيْدٍ (فِي نَوَادِرِهِ) ، وَهَذَا مَقْدَارُ مَا أَوْرَدَهُ :

أَشْطَارُ الرَّجْرِ

(إِنْ تَبَحَّلَى يَاجُجُلُّ أَوْ تَعْتَلَى

أَوْ تُصْبِحِي فِي الظَّاعِنِ الْمَوْلَى

تُسَلِّ وَجَدَ الْهَائِمِ الْمُغْتَلِّ

بِبَازِلٍ وَجَنَاءٍ أَوْ عَيْهَلِّ

كَأَنَّ مَهْوَاهَا عَلَى الْكَلْكَلِّ

وَمَوْقَعًا مِنْ ثِفْنَاتٍ زُلِّ

مَوْقِعُ كَفِّي رَاهِبٍ يُصَلِّي)

وَأَوْرَدَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ (فِي نَوَادِرِهِ أَيْضًا) هَذَا الْمَقْدَارَ ، وَزَادَ عَلَيْهِ بَعْدَهُ ،

وَهُوَ :

٥٥٢

(فِي غَبَشِ الصُّبْحِ وَفِي التَّجَلَّى)

وَقَالَ أَبُو زَيْدٍ بَعْدَ إِيرَادِهِ الْأَبْيَاتِ : الْمُغْتَلِّ : الَّذِي اغْتَلَّ جَوْفُهُ مِنَ الشَّقْوَى

وَالْحُبِّ وَالْحُزْنِ ، كَعُتْلَةِ الْعَطَشِ . وَالْوَجَنَاءِ : الْوَثِيرَةِ الْقَصِيرَةِ . وَالْعَيْهَلِّ :

الطَّوِيلَةِ . وَالزُّلِّ : الْمُلْسِ . ا هـ .

(١) ط : « لَمْ يَنْخَ » صَوَابُهُ فِي شِ وَدِيَّانٍ لَيْلٍ ٧٢ .

وقوله : « إن تبخلى » هو من البخل ، أى إن تبخلى علينا بوصلك . وجُمِّلَ ، بضم الجيم ، من أسماء نساء العرب . وتَعَتَّلَى ، من الاعتلال ، وهو التمازض والتمسُّك بحجة . والظاعن ، من ظعن من باب نفع ، إذا ارتحل . والمولَّى ، من وَلَّيت عنه ، إذا أَعْرَضَتْ عنه وتركته . وتَعَتَّلَى وتصبحى معطوفان على تبخلى ، ولهذا جُزِمَا بحذف النون .

وقوله : « تُسَلِّ » جواب الشرط ، مجزوم بحذف الياء وأوله نون المتكلم ، من التسلية ، وهو إذهاب الهم ونحوه بالسُّلُو . قال أبو زيد : السُّلُو : طيب نفس الإلف عن إلفه . والوجد : الغم والحزن . والهائم ، أراد به الشاعر نفسه ، وهو من هام ، إذا خرجَ عَلَى وجهه لا يدرى أين يتوجَّه إن سلك طريقاً مسلوکاً ، فإن سلك طريقاً غير مسلوک فهو راکبُ التعاسيف . كذا فى المصباح . والمغتَلَّ بالعين المعجمة ، من الغَلَّة بالضم ، وهى حرارة العطش . وفسر المغتَلَّ صاحبُ الصحاح بشديد العطش .

وقوله : « ببازل » متعلق بنسَلٍ ، والبازل : الداخل فى السنة التاسعة من الإبل ذكراً كان أو أنثى ، والمراد هنا الثانى لقوله وجنأ . وفسرها أبو زيد بالوثيرة ، بالثاء المثناة ، وهى الكثيرة اللحم ، والتى لا تُتَعَب راکبها . والمشهور تفسيرها بالثاقفة الشديدة . والعِيَهْلُ ، فسره أبو زيد بالطويلة ، وقال غيره : هى السريعة . قال صاحب العباب : العِيَهْلُ والعِيَهْلَةُ : الناقة السريعة . قال أبو حاتم : ولا يقال جمل عِيَهْلٌ ، وتشديد اللام لضرورة الشعر . اهـ .

وبه يظهر فساد قول السخاوى (فى سفر السعادة) : إن العِيَهْلُ : النجيبُ من الإبل ، والأنثى عِيَهْلَةٌ . ويردُّ عليه أيضاً قوله وجنأ .

وقوله : « مَهْوَاهَا » مصدر بمعنى الهوى والسقوط . والكلكل ، كجعفر : الصدر ، وتشديد اللام ضرورة أيضاً . وَثَفَنَات : جمع ثَفْنَةٍ بفتح المثلثة وكسر الفاء بعدها نون ، وهو ما يقع على الأرض من أعضاء الإبل إذا استنأخ وغُلُظ كالركبتين وغيرهما . وَزَلَّ بالضم : جمع أَزَلَّ ، وهو الخفيف . وفسره أبو زيد بِمُلْسٍ . وهو غير مناسب ، إذ المراد تشبيه الأعضاء الخشنة الغليظة من الناقة بكثرة الاستنأخ بكفى راهب قد شئت وخشنت ، من كثرة اعتاده عليهما في السجود . وروى : « رَجُلِي رَاهِب » بدل « كَفَى رَاهِب » . والعَبَش ، بفتحتين : بقية الليل . وأراد بالتجلى النهار .

وهذه أرجوزة طويلة أورد منها شراح شواهد سيبويه جملة ، وكذلك أبو علي (في المسائل العسكرية) .

وقوله :

* بيازل وجنأء أو عيهلّ *

أورده سيبويه في باب الوقف ^(١) ، لرجل من بني أسد ، على أنّ تضعيف الآخر في القافية ضرورة . قال الأعلام : الشاهد فيه تشديد عيهلّ في الوصل ضرورة ، وإنما يشدد في الوقف ليعلم أنّه متحرك في الوصل . قال أبو علي (في المسائل العسكرية) أما العيهلّ والكلكل فاستعمالهما بتخفيف ، فقدّر الوقف عليه فضعف ، إرادةً للبيان . وهذا ينبغي أن يكون في الوقف دون الوصل ، لأنّ ما يتصل به في الوصل يبين الحرف وحركته . فمن ذلك من قال في الوقف: هذا خالّد. فإذا وصل قال : هذا خالّد كما ترى .

(١) سيبويه ٢ : ٢٨٢ .

٥٥٣ ويضطر الشاعر فيجربى الوصل بهذه الإطلاقات في القوافى مجرى الوقف . وقد جاء ذلك في النصب أيضاً . قال :

* مثل الحريق وافق القصبا *

وهذا لا ينبغي أن يكون في السعة . ١ هـ .

وهذه الأرجوزة نسبها السخاوي (في سفر السعادة) لمنظور بن مرثد الأسدي . قال : وقيل لغيره . ونسبه الصاغاني (في العباب) لمنظور بن حبة الأسدي ، وهما واحد ، فإن مرثداً أبوه وحبة أمه ، فبعضهم ينسبه إلى أبيه وبعضهم إلى أمه .

قال الصاغاني (في العباب) : منظور بن حبة راجز من بني أسد . وحبة أمه ، واسم أبيه مرثد بن فروة بن نوفل بن نضلة بن الأشتر بن جحوان ابن طريف بن عمرو بن قعين . ١ هـ .

وقعين : ابن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن حزيمة .

* * *

وأنشد بعده :

(جَاءُوا بِمَذْقِ هَلْ رَأَيْتِ الذُّبَّ قَطَّ)

على أن جملة (هل رأيت) إلى آخرها صفة لمذق ، بتقدير القول .
وتقدم شرحه مستوفى في الشاهد السادس والتسعين ^(١) .

* * *

(١) الخزائن ٢ : ١٠٩ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والأربعون بعد الأربعمئة ، وهو من شواهد س (١) :

٤٤٣ (ولقد أبيت من الفتاة بمنزلي

فأبيت لا حرج ولا محروم)

على أن (لا حرج) عند الخليل مرفوع على أنه خبر مبتدأ محذوف ، والجملة محكية بقول محذوف ، أى أبيت مقولاً فنى : هو لا حرج ولا محروم . وهذا من حكاية الجمل بتقدير المبتدأ ، ولا يصح أن يكون من حكاية المفرد ، لأن حكاية إعرابه إنما تكون إذا أريد لفظه ، نحو : قال فلان : زيد ، إذا تكلم بزيد مرفوعاً ، وفي غير هذا يجب نصبه ، إلا أن يكون بتقدير شيء ، فتجب حكاية إعرابه كما هنا .

وهذا نص سيبويه في المسألة : وزعم الخليل أن أيهم إنما وقع في قولهم : اضرب أيهم أفضل على أنه حكاية ، كأنه قال : اضرب الذى يقال له : أيهم أفضل . وشبهه بقول الأخطل :

ولقد أبيت من الفتاة بمنزل.... البيت

قال الأعلام : الشاهد في رفع حرج ومحروم ، وكان وجه الكلام نصبهما على الحال . ووجه رفعهما عند الخليل الحمل على الحكاية ، والمعنى : فأبيت كالذى يقال له لا حرج ولا محروم . ولا يجوز : رفعه حملاً على مبتدأ مضمّر ، كما لا يجوز : كان زيد لاقام ولا قاعد ، على تقدير : لا هو قائم ولا هو

(١) في كتابه ١ : ٢٥٩ ، ٢٩٨ . وانظر أمالي ابن الشجرى ٢ : ٢٩٧ والإنصاف ٧١٠ وابن يعيش ٣ : ٧/١٤٦ : ٨٧ .

قاعد (١) لأنه ليس موضع تبعض ولا قطع ، فلذلك حمّله على الحكاية . اهـ .

وقال النحاس : قال سيبويه : زعم الخليل أنّ هذا ليس على إضمار أنا ، ولو كان كذلك لجاز : كان عبد الله لا مسلم ولا صالح ، ولكّنه فيما زعم الخليل : فأبيّث كالذى يقال له لا حرج ولا محروم . وإثما قرّر الخليل من إضمار أنا وإن كانت قد تضرّعت في غير هذا الموضع ، لأنّه يلزم عليه أن يقول : كنت لا خارج لا ذاهب . وهذا قبيح جداً ، فجعله على الحكاية : فأبيّث بمنزلة الذى يقال له : لا حرج ولا محروم ، أى إنّها لم تحرمنى فيقال لى محروم ، ولم أخرج من حضوري معها فيقال لى حرج . وقال أبو إسحاق الزجاج : هو بمعنى لا حرج ولا محروم فى مكانى . فإذا لم يكن فى مكانه حرجاً ولا محروماً فهو لا حرج ولا محروم . وزعم الجرمي أنه على معنى فأبيّث ٥٥٤ وأنا لا حرج ولا محروم . قال سيبويه : وقد زعم بعضهم أنّه على النفى ، كأنه قال : فأبيّث لا حرج ولا محروم بالمكان الذى أنا فيه . وكلام أبى إسحاق شرح لهذا . قال أبو الحسن : فيكون فى المكان الذى أنا فيه خبراً عن حرج ، والجملة خبر أبيّث . انتهى كلام النحاس .

قال السيرافى : وهذا التفسير أسهل ، لأنّ المحذوف خبر حرج ، وهو ظرف ، وحذف الخبر فى النفى كثير كقولنا : لا حول ولا قوة إلا بالله ، أى لنا .

وقوله : (ولقد أبيّث) قال صاحب المصباح : بات له معنيان : أحدهما كما نقل الأزهري عن الفراء : بات الرجل ، إذا سهر الليل كلّهُ فى

(١) من « على تقدير » فى ص ١٣٩ إلى هنا ، ساقط من ش .

طاعة أو معصية . وثانيهما بمعنى صار ، يقال بات بموضع كذا ، أى صار به ، سواء كان فى ليل أو نهار . وعليه قوله عليه الصلاة والسلام : « فإِنَّه لا يَدْرِى أين باتت يَدُه » ، أى صارت ووصلت . ١ هـ .

والمناسب هنا المعنى الثانى .

والرواية فى ديوان الأخطل : « ولقد أكون » . والمستقبل هنا فى موضع صاحب الشاهد الماضى ، لأنَّه يريد أن يخبر عن حاله فيما مضى ، وأكثر ما يجيىء هذا فيما عُلِمَ منه ذلك الفعلُ مُخلقا وطبعاً وقد تكرر ذلك الفعل منه ، ولا يكون كفعل فعله فى الدَّهر مرَّةً واحدة . و (الفتاة) : الجارية الشابة ، يريد أنَّه كان فى شبابه تحبُّه الفتيات ، ويبيت عندهنَّ (بمنزلة) يعنى بمنزلة جميلة . و (الحرج) بفتح الحاء وكسر الراء : المضيق عليه . يقول : إنَّ موضعه لم يكن مضيقاً به ، ولا هو محرومٌ من جهةٍ ما يريدُه .

وقبل هذا البيت :

(ولقد يَكُنْ إِلَى صُوراً مَرَّةً أَيَّامَ لَوْنُ غَدَائِرِي يَحْمُومٌ)

والنون فى يَكُنْ ضمير التَّسَاء الغوانى فى بيت قبله . والصُّور : جمع صائرة بمعنى مائلة . والغدائر : الذوائب ، جمع غديرة . واليحموم : الأسود . والبيتان من قصيدة ذكر فيها ما كان يفعله أَيَّامَ الشباب ، ثم تَوَعَّدُ جَمِيعاً ، وهو رجلٌ من كلب ، بأنَّه إن لم يُمسك لسانه عنه هَجَاه وهجاء قبيلته .

والأخطل شاعرٌ نصرانيٌّ من شعراء الدولة الأموية . وقد تقدَّمت ترجمته فى الشاهد الثامن والسبعين ^(١) .

* * *

(١) الخزائن ١ : ٤٥٩ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والأربعون بعد الأربعمائة ، وهو من شواهد س (١) :

٤٤٤ (دَعَى مَاذَا عَلِمْتُ سَأَتَّقِيهِ وَلَكِنْ بِالْمَغِيبِ نُبِّئَنِي)

على أَنَّ (ذا) هنا زائدة بعد ما الموصولة .

وهذا مخالفٌ لكلام سيبويه فيهما ؛ فَإِنَّ ما عنده في البيت استفهامية ، وذا اسمٌ مركبٌ معها ، جُعِلَا بمنزلة شيءٍ واحدٍ . وهذا نصُّ كلامه : وَأَمَّا إِجْرَاؤُهُمْ ذَا مع ما بمنزلة اسم واحد ، فهو قولك : ماذا رأيت ؟ فتقول : خيراً ، كأنك قلت : ما رأيت ؟ فلو كانت ذا لغواً لَمَا قَالَتِ الْعَرَبُ : عَمَّا ذَا تَسْأَلُ ، وَلَقَالُوا : عَمَّ ذَا تَسْأَلُ ، وَلَكِنَّهُمْ جَعَلُوا ما وذا اسماً واحداً كما جعلوا ما وَإِنْ حرفاً واحداً حين قالوا إِنَّمَا . ومثل ذلك : كَأَتَمَّا وَحَيْثُمَا في الجزاء . ولو كان ذَا بمنزلة الذي لكان الوجه في ماذا رأيت إذا أراد الجواب أن يقول : خير . وقال الشاعر ، وسمعنا بعضَ العرب يَقُولُهُ :

دَعَى مَاذَا عَلِمْتُ سَأَتَّقِيهِ وَلَكِنْ بِالْمَغِيبِ نُبِّئَنِي

فالذي لا يجوز في هذا الموضع ، و « ما » لا يحسن أن تلغيها . انتهى كلامه .

٥٥٥ وقال أبو حيان (في تذكرته) : قال بعضهم : ذا مع ما شيءٌ واحد ، وموضع ماذا نصب بعلمت ، وهي الاستفهامية على ما حكى سيبويه . وحكى السيرافي أَنَّ ماذا في البيت بمعنى الذي ، وعلمت صلة ، وحذفت الهاء العائدة ، وماذا في موضع نصب بدعى ، والتقدير : دَعَى الذي علمت فَأُتِنِي

(١) في كتابه ١ : ٤٠٥ . وانظر شرح شواهد المغنى ٦٩ ، ٢٤٣ والعينى ١ : ٤٨٨ والجمع ١ : ٨٤ واللسان (ذا ٣٤٩) .

سأتقيه . وهو أصحُّ معنى مما حكى سيبويه ، لأنَّه جعلها استفهامية منصوبة ^(١) بعلمت الواقع بعدها ، وهو فاسدٌ من طريق المعنى . ويمكن أن يكون منصوباً بإضمار فعل يدلُّ عليه سأتقيه ، كأنَّه قال : دعى كلُّ شيء سأتقى ماذا علمت سأتقيه . اهـ .

وقد تحفَى على الأعلام ظهور كون ما فى البيت استفهامية ، فزعم أنها موصولة ، قال : الشاهد فيه جعل ماذا اسماً واحداً بمنزلة الذى ، والمعنى دعى الذى علمته فإنى سأتقيه لعلمى مثل الذى علمت ، ولكن نبينى بما غاب عنى وعنك ، مما يأتى به الدُّهر ، أى لا تعدِّلينى فيما أبادر به الزَّمان ^(٢) من إتلاف مالى فى وجوه الفتوة ، ولا تخوِّفينى الفقر . اهـ .

والمفهوم من تقريره أنَّ التاء من علمت مكسورة . قال النحاس : وهى رواية أبى الحسن ، وأمَّا رواية أبى إسحاق فهى بضم التاء . قال النحاس : فذا هنا لا تكون بمعنى الذى ، لأنَّه لا يجوز دعى ما الذى علمت . قال أبو إسحاق : لا يكون ذا هنا إلا بمنزلة اسم مع ما ، وذلك أنها لا تخلو من إحدى ثلاث جهات : إمَّا أنَّ تكون ما صلة وذا بمعنى الذى ؛ وهذا لا يجوز لأنَّ ذا لا يكون بمعنى الذى إلا مع ما ومن الاستفهاميتين ، كذا استعملت .

وإمَّا أنَّ يكون « ما » بمعنى الذى ، وذا بمعنى الذى ، فتكون ما مفعولة وذا مبتدأ وعلمت صلة ، ويبقى المبتدأ بلا خبر . فإن قلت : أضمر هو ، فكأنك قلت : دعى الذى هو الذى علمت . فهذا قبيح . وهذا الذى قال سيبويه ، والذى لا يجوز فى هذا الموضع ، لفلا يلزم أن تحذف هو منفصلة . الثالث : أنَّ تكون ما مع ذا بمنزلة اسم واحد . اهـ .

(١) ش : « منصوبا » .

(٢) فى النسختين : « فيما أبادر بالزمان » ، صوابه ما أثبت من شرح الأعلام .

ولا يخفى أنه لم يعين معنى ماذا بعد هذا التردد ، هل هي استفهام
أو موصول .

وذهب ابن عصفور إلى أن ما استفهامية وذا موصولة ، وقال :
لا يكون ماذا مفعولاً لدعى ، لأن الاستفهام له الصدر . ولا علمت ، لأنه لم
يرد أن يستفهم عن معلومها ما هو . ولا لمحذوف يفسره سأتيه ، لأن علمت
حيث لا محل له . بل ما استفهام مبتدأ ، وذا موصول خبر ، وعلمت صلة ،
وعلق دعى عن العمل بالاستفهام . ١ هـ .

ولا يخفى أن هذا مبني على رواية كسر التاء من علمت ، وأما على رواية
ضمها فلا استفهام ، إذ المعنى : دعى ما علمته أنا وخبريني ما جهلته .
وأورد عليه ابن هشام (في المعنى) بعد نقل كلامه أن قوله لم يرد أن
يستفهمها عن معلومها ، لازم له إذا جعل ماذا مبتدأ وخبراً . ودعواه تعليق
دعى مردودة ، لأنها ليست من أفعال القلوب . فإن قال : إنما أردت أنه قدر
الوقف على دعى ، فاستأنف ما بعده ، رده قول الشاعر : ولكن ، فإنها لا بد
أن يخالف ما بعدها ما قبلها ، والخالف هنا دعى ، فالمعنى دعى كذا ولكن
افعل كذا . وعلى هذا فلا يصح استئناف ما بعد دعى ، لأنه لا يقال من في
الدار فإنني أكرمه ولكن أخبرني عن كذا . ١ هـ .

وذهب أبو علي (في المسائل المنثورة) إلى أن ماذا بمعنى شيء نكرة .
قال : ولا يجوز أن أجعل ذا في تأويل الذي ، لأنها لم تنحى في تأويل الذي
٥٥٦ إلا في الاستفهام . وههنا ليس معنى استفهام ، ولكن معنى ما وذا بمعنى شيء ،
فيكون بمعنى اسم واحد ، فيكون تقديره : دعى شيئاً علمت ، ويكون علمت

صفةً لماذا . والشاهد على هذا القول أن ما وذا إنما جاءت بمعنى شيء واحد في الاستفهام ، والاستفهام نكرة ، وهى ههنا أيضاً مبهمه ، فحملتها على النكرة التى جاءت فى الاستفهام . ا هـ .

وعلمت هنا بمعنى عَرَفْتُ ، ولهذا تعدى إلى مفعول واحد . والنبا : الخبر .

والبيت من أبيات سيبويه الخمسين التى ما عُرِفَ قائلها ، والله أعلم به .
وزعم العيني وتبعه السيوطى (فى شرح شواهد المغنى) أنه من قصيدة صاحب الشاهد للمثقب العبدى ، مطلعها :

(أَفَاطُمُ قَبْلَ بَيْنِكَ مَتَّعِينِ وَمَنْعُكَ مَا سَأَلَتِ كَأَن تَبِينِ)

وهذا لا أصل له ، وإن كان الروى والوزن شيئاً واحداً ؛ فإن قصيدة المثقب العبدى قد رواها جماعة ، منهم المفضل الضبى (فى المفضليات) ، ومنهم أبو على القالى (فى أماليه) و (فى ذيل أماليه) ، ولم يوجد البيت فيها ، ولم يعزه إليه أحد من خدمة كتاب سيبويه ، وهم أدرى بهذه الأمور . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والأربعون بعد الأربعمئة ، وهو من شواهد س (١) :

٤٤٥ (أَلَا تَسْأَلَانِ الْمَرْءَ مَاذَا يُحَاوِلُ أَنْحَبَ فَيَقْضَى أَمْ ضَلَالٌ وَبَاطِلٌ)

(١) فى كتابه ١ : ٤٠٥ . وانظر معانى الفراء ١ : ١٣٩ والمعانى الكبير ١٢٠١ والجمل ٣٣١ والمخصص ١٤ : ١٠٣ وأمالى ابن الشجرى ٢ : ١٧١ ، ٣٠٥ وابن بيمش ٣ : ٤/١٤٩ : ٢٣ وشرح شواهد المغنى ٥٥ والعينى ١ : ٧ ، ٤٤٠ واللسان (ذو ، ذوات ، حول) .

(١٠ خزنة الأدب ج ٦)

على أنّ ما مبتدأ وذا زائدة ، وجملة يحاول خير المبتدأ ، والرابط محذوف ،
أى يحاوله .

وهذا مخالفٌ لسيبويه ومن تبعه ، فإنه جعل ذا هنا موصولة ، وهذا
نصّه : أمّا إجراؤهم ذا بمنزلة الذى فهو قولهم : ماذا رأيت ؟ فيقول : متاعٌ
حسن . وقال لييد :

ألا تسألانِ المرءَ ماذا يحاولُ البيت

قال الأعلم وابنُ السيرافى : التقدير : ما الذى يحاول ، فما مبتدأ وذا
خبره ، ويحاول صلة ذا ، كأنه قال : أى شئ الذى يحاوله ، بدليل قوله :
أنحبّ . ولو كان ذا مع ما كشيء واحد لكان ماذا منصوباً بيحاول ، وكان
مفسّره الذى هو نحبّ منصوباً ، لأنّه استفهام مفسّر للاستفهام الأول ، فهو
على إعرابه ، ولوجب أن يقال : أنحباً فيقضى أم ضلالاً وباطلاً . اهـ .

وكذلك قال أبو على (فى إيضاح الشعر) كأنه قال : ما الذى يحاوله ،
ألذى يحاوله نحبّ أم ضلال . ولو كان ذا مع ما فى البيت اسماً واحداً كما كان
فى قوله تعالى : ﴿ مَاذَا أُنْزِلَ رُبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا ^(١) ﴾ لكان التحبّ نصباً .
اهـ .

ونقل النحاس عن ابن كيسان أنّه قال هنا : إن شئت جعلت ما وذا
شيئاً واحداً ؛ لأنّ ما تكون لكلّ الأشياء وذا كذلك ، فوافقتها فى الإبهام
فقرنتا . والذى اختار إذا جعلاً شيئاً واحداً أن يكون ذا صفة لما . انتهى .

(١) الآية ٣٠ من سورة النحل .

وكذلك قال الدماميني (في الحاشية الهندية) : كون ذا موصولاً لا يتعين ؛ لاحتمال أن يكون ماذا كله اسماً واحداً مرفوعاً على أنه مبتدأ ، ويحاول خبره ، والرابط محذوف أى يحاوله . ومثله في الشعر جائز . ونحبّ بدل من المبتدأ ، ويحتمل أن يكون ماذا كله في محل نصب على أنه مفعول يحاول ، ولا ضمير محذوف . فإن قلت : يبطله رفع البذل . قلت : لا يكون نحب حينئذ بدلاً ، بل يكون خبر مبتدأ مضمّر . ا هـ .

أقول : أما النصب فقد جوزه الفراء (في تفسيره) عند قوله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ ﴾^(١) قال : تجعل ما في موضع نصب ٥٥٧ وتوقع عليها يُنفقون ، ولا تنصبها يسألونك . وإن شئت رفعتها من وجهين : أحدهما أن تجعل ذا اسماً يرفع ما ، كأنتك قلت : ما الذي ينفقون . والعرب قد تذهب بهذا وذا إلى معنى الذي . والرفع الآخر : أن تجعل كلّ استفهام أوقعته عليه فعلاً بعده رفعا ، لأنّ الفعل لا يجوز تقديمه قبل الاستفهام ، فجعلوه بمنزلة الذي إذ لم يعمل فيها الفعل الذي بعدها . فإذا^(٢) نويت ذلك رفعت العفو كذلك ، كما قال الشاعر :

ألا تسألان المرء ماذا يحاول البيت

رفع النحب لأنه نوى أن يجعل « ما » في موضع رفع ، ولو قال أنحباً فيقضى أم ضللا وباطلا كان أبيّن في كلام العرب وأكثر . ا هـ .
وأما جعل نحبّ خبر مبتدأ فقد نقله ابن هشام اللخمي (في شواهد

(١) الآية ٢١٩ من سورة البقرة .

(٢) ط : « وإذا » ، وأثبت ما في ش ومعاني الفراء .

الجملة (وقَوَاه . قال : نحب بدل من ما ، وقيل إنَّ نحبا خبر مبتدأ مضمّر ، والتقدير : أهو نحب ، والمبتدأ والخبر بدل من موضع ماذا . وهذا أقوى ، لأنّه أبدل جملة من جملة لمّا كانت في معناها . اهـ .

ومثله لابن السّيد (في شرح شواهد الجملة) قال : من اعتقد في نحب البدل فموضع « ما » رفع على كلّ حال ، ومن اعتقد أنّ قوله أنحب مرتفع على خبر مبتدأ مضمّر كأنه قال : أهو نحب ، جاز أن تكون ما مرفوعة المحلّ ، وجاز أن تكون منصوبة الموضع . اهـ .

وقال ابن المستوفى (في شرح أبيات المفصّل) : إذا كان ذا بمعنى الذى ففيه وجوه : أحدها أن يكون خبر ما ، وأن يكون بدلاً منها ^(١) ، وأن يكون خبراً لمبتدأ محذوف تقديره : ما هو الذى يحاول . اهـ .

أقول : أما الثانى فباطل ، لأنّه لو كان كذلك لوجب أن يقترب مع البدل استفهام ، كما اقترن بقوله نحب ، على تقدير كونه بدلاً من ما . وأما الثالث فلا يجوز ، لعدم القرينة على الحذف . وبقي عليه أن يقول : ما خبر مقدم وذا مبتدأ مؤخر ، كما اختلفوا في قولهم : كم مالك ؟

وقوله : (ألا تسألان) إلخ ألا : كلمة يستفتح بها الكلام ، ومعناه التنبيه . وتسألان خطاب لصاحبين له . وقيل : إنّما هو خطاب لواحد . وزعم بعضهم أنّ العرب تخاطب الواحد بخطاب الاثنين . وحكى عن بعض الفصحاء ^(٢) : يا حرسى اضرّياً عنقه ! وزعموا أنّ قوله تعالى : ﴿ أَلْقِيا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ^(٣) ﴾ أنّه خطاب للملّك . وهذا شيء ينكره حذّاق

(١) ش : « أن يكون خبراً أو بدلاً منه » .

(٢) هو الحجاج ، كما سيأتى فى الشاهد رقم ٥٠٧ .

(٣) الآية ٢٤ من سورة ق .

البصريين ، لأنه إذا خاطب الواحد بخطاب الاثنين وقع اللبس . وذهب المبرد إلى أن التنبيه على التوكيد يؤدي عن معنى ألقى ألق . وخالفه أبو إسحاق بأنه في كله خطاب الاثنين ، وهو الظاهر هنا . والسؤال هنا بمعنى الاستفهام ، يقال سألتك عن كذا ، فهو يتعدى إلى المستعمل منه بنفسه ، وإلى المستعمل عنه بحرف عن ، فجملة ماذا يحاول في موضع المفعول الثاني المقيّد بعن المعلق عن العمل بالاستفهام . والمحاولة : استعمال الحيلة ، وهي الخدق في تدبير الأمور ، وهو تقليب الفكر حتى يهتدى إلى المقصود . والحيلة أصلها جولة ، انقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها . ولأم (المرء) للعهد الذهني ، نحو : ﴿ إذ هُمَا فِي الْغَارِ ﴾ (١) . أي سلا الإنسان الساعى في تحصيل الدنيا . وقيل اللام للجنس ، لا يعنى به امرأ معيّنًا . وقال ابن المعتوفى : يعنى بالمرء نفسه ، والناس فيه سواء . و (التَّحَبُّ) بفتح التون وسكون المهملة له معان ، المراد هنا التذر ، وهو ما يَنْذَرُهُ الإنسان على نفسه ويوجب عليها فعله على كلِّ ٥٥٨ حال . يقول : اسألوا هذا الحريص على الدنيا عن هذا الذى هو فيه ، أهو نذر نذره على نفسه فرأى أنه لابد من فعله ، أم هو ضلال وباطل من أمره . وقوله : (فَيُقْضَى) روى بالبناء للفاعل وبالبناء للمفعول ، وعليهما (٢) الجملة خبر لمبتدأ محذوف ، أى هو يقضى . وهذا المبتدأ ضمير المرء على الرواية الأولى ، وضمير النحب على الرواية الثانية . والفاء هنا للاستئناف ، كقوله : * يريد أن يُعْرِيه فَيُعْجِمُهُ (٣) *

وقصره بعضهم على الرواية الثانية فقال : هو في موضع نصب على أنه جواب الاستفهام ، وليس بمعطوف على يحاول .

(١) الآية ٤٠ من سورة التوبة .

(٢) ش : « وعليه » .

(٣) من شواهد سيبويه في كتابه ١ : ٤٣٠ ونسبه إلى رؤية .

وقد سَهَا العيني هنا سهواً فاحشاً ، فزعم أنَّ جملة يقضى في محل رفع
صفة لنحب . ويجوز أن تكون في محل نصب على تقدير انتصاب
النحب . اهـ . فإن الفاء مانعة من الوصفية ، وكأنَّه قاسها على واو
اللمصوق (١) .

والبيت أوّل قصيدة للبيد بن عامر الصحابي (٢) ، وتقدّمت ترجمته مع
صاحب الشاهد شرح أبيات منها في الشاهد الثالث والعشرين بعد المائة (٣) .

* * *

وأنشده بعده ، وهو الشاهد السادس والأربعون بعد الأربعمائة (٤) :
٤٤٦ (وماذا عَسَى الواشُونَ أَنْ يتحدّثوا
سَيَوَى أَنْ يقولوا : إِنّنى لك عاشقُ)
على أنَّ « ذا » قيل إنها زائدة لا موصولة .
وذهب ابن جنى (في إعراب الحماسة) عند قول المعلوط السعدى :
عَيْضُنْ مِنْ عِبْرَاتِهِنَّ وَقُلْنَ لى ماذا لقيت من الهوى ولقيتينا (٥)

- (١) أثبتتها الزمخشري ومن قلده . وانظر معنى اللبيب في حرف الواو ص ٣٦٤ .
(٢) كتب ناسخ ش : « قوله لبيد بن عامر » ، كذا بخط المؤلف رحمه الله ، والصواب لبيد بن
ربيعة بن مالك . وأقول : نسبه البغدادي الى جده الأعلى « عامر بن صعصعة » ، وكذلك كانوا
يفعلون . وإنما هو لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .
وفي ذلك يقول لبيد في رجزه :
* ونحن خير عامر بن صعصعه *
(٣) الحق أن ترجمته إنما هي في الشاهد ١٢٢ في الخزانة ٢ : ٢٤٦ . أما شرح أبيات الشاهد
فهى في الشاهد ١٢٣ في الخزانة ٢ : ٢٥٢ .
(٤) انظر ديوان المجنون ٢٠٣ والمقتضب ٣ : ١٩٥ والأشمنوى ١ : ١٦٣ والحماسة بشرح
المرزوقي ١٣٨٣ .
(٥) ذكر ابن جنى في إعراب الحماسة الورقة ١٨٨ أن البيت يروى لجريز . وهو كذلك في
ديوان جريز ٥٧٨ . وانظر مجالس ثعلب ٦٦٥ والعمدة ٢ : ٢١٨ وأمالى ابن الشجرى ١ : ٢٦٨ .

إلى أن « ماذا » فيه مركبة بمعنى المصدر مبتدأ ، أى تحديث ، وجملة عسى خبره . ولم يلتفت إلى إنشائيته لوروده في الخبر ، إمّا لأنه بتقدير قول محذوف كما هو مذهب الجمهور ، وإمّا بدونه كما هو مذهب البعض . وهذه عبارته :

لا سبيل إلى أن تنصب ماذا على أنّهما اسم واحد بيتحدثوا ^(١) لأنّه في صلة أن ، فيجوز هذا ، في امتناع ما بعد أن من الموصول إليه ، مجرى « ذكّر ^(٢) » ، من قولك : أذكّر أن تلد نافتك أحب إليك أم أنثى ؟ وماذا هنا بمعنى المصدر ^(٣) فترفعه بالابتداء وتضمّر له عائداً ، كقولك : أى قيام عسى زيد أن يقوم ، وأنت تريد يقومه ، فتحذف الهاء وترفع الأول مضطراً إلى رفعه ، إذ لا سبيل إلى نصبه . ويضعف أن تكون ذا بمنزلة الذى ، وذلك لما تصير إليه من وصل ^(٤) الذى بعسى . وفيه ذهابٌ عن البيان والإيضاح بالصّلة . فإن قلت : فقد قال الفرزدق :

وإني لراى نظرة قبل التي لعلّي وإن شطت نواها أزورها

فإن أبا علي يتأول هذا ويتناوله ^(٥) على الحكاية ، حتى كأنّه قال : قبل التي يقال فيها لعلّي . وباب الحكاية طريق مهيّج يتقبل فيه كل تأويل ؛ وما أشبهه إلا بالمنام ، أو حديث البحر الذى انطوت النفوس على تقبل ما يعرض فيه ، وترك التناكر لشيء يردّ عنه . اهـ مختصراً .

(١) ط : « يتحدثوا » ، صوابه في ش وإعراب الحماسة .

(٢) ط : « ذكره » ، صوابه في ش وإعراب الحماسة .

(٣) ط : « الصدر » ، صوابه في ش وإعراب الحماسة .

(٤) ش : « وصله » ، وصوابه في ط وإعراب الحماسة .

(٥) في النسختين : « ويتأوله » ، والوجه ما أثبت من إعراب الحماسة .

صاحب الشاهد

والبيت أورده أبو تمام (في الحماسة) ، وبعده بيت ثان ، ونسبهما
لجميل العذري ، وهو :

(نَعَمْ صَدَقَ الْوَاشُونَ أَنْتِ كَرِيمَةٌ

علينا وإن لم تصف منك الخلائق)

يقول : الواشون لا يقدرّون في وشايتهم على أكثر ممّا أن يقولوا : لأنني
٥٥٩ لك عاشق . ثم أوجب بقوله نعم . فكأنه قال : قد صدقوا فيما ادّعوه ، أنت
تكرمين^(١) علينا وإن لم نصادف من أخلاقك صفاء . والواشي : التّمام الذي
يُحسن الكلام ويؤوّقه للإفساد بين اثنين ، من الوشي ، وهو التزيين . وروى :
(وامي) بدل عاشق ، وهو بمعناه . وروى : (حبيبة إليّ) بدل كريمة علينا .
وهو مناسب .

وترجمة جميل العذري تقدّمت في الشاهد الثاني والستين^(٢) .

وقد روى صاحبُ الأغاني هذين البيتين من جملة أبيات المجنون بنى
عامر ، وهو قيس بن الملوّح ، المشهور بمجنون ليلى . روى بسنده عن الهيثم
ابن عدى أنّ رهط المجنون اجتازوا في نُجعة لهم بحى ليلى ، فرأى أبيات أهلها
ولم يقدر على الإلمام ، وعدّل أهلها إلى وجهة أخرى ، فقال المجنون :
(لعمرك إنّ البيت بالقبّل الذي مررت ولم أَلِمّ عليهم لشائق^(٣)
كأني إذا لم ألق ليلى مُعلّق بسبيّين أهفو بين سهل وحالق^(٤))

(١) في النسخين : « تكرمي » ، والوجه ما أثبت من شرح المروزقي ١٣٨٤ .

(٢) الخزائن ١ : ٣٩٧ .

(٣) القبل ، بالتحريك : النشر من الأرض يستقبلك . في النسخين : « لسائق » صوابه في

الأغاني ٢ : ٢ وديوان المجنون ٢٠٢ . وفي الديوان والأغاني : « ولم أَلِمّ عليه » .

(٤) السب ، بالكسر : الحبل . وفي النسخين « بشيعين » ، صوابه في الديوان والأغاني . وفي

البيت إقواء .

على أننى لو شئتُ هاجت صَبَابَتِي
 علىَّ رسومٌ عَمِيَّ منها المناطِقُ ^(١)
 لعمرِكِ إِنَّ الحَبَّ يا أُمَّ مالِك
 بقلبي ، يَرَانِي الله ، منكِ لِلصَّق ^(٢)
 وماذا عسى الواشُونَ ..
 إلى آخر البيتين .
 وكذلك نسبهما ابن ثُبَاتَةَ المِصْرِيَّ (في شرح رسالة ابن زيدون) إلى
 المجنون ، إِلَّا أنه أورد بعدهما بيتين آخرين ، وهما :
 (كَأَنَّ على أنيابها الخمرَ شَجَّها
 بماءٍ سحابٍ آخرَ الليل غابُقُ
 وما ذقته إِلَّا بعيني تفرُّسا
 كما شِيمَ في أعلى السَّحابة بارُق)
 وترجمة المجنون قد تقدَّمت أيضاً في الشاهد التسعين بعد المائتين ^(٣) .

* * *

وأنشد بعده :
 (وإِنِّي لرامٍ نظرةً قَبْلَ التي لَعَلِّي وإن شَطَّطَ نواها أزورها)
 على أن جملة لعلِّي لمَّا دخلت مقولة بقول محذوف هو الصلة ، أَى قَبْلَ التي
 أقول لَعَلِّي لمَّا دخلت .
 وقد تقدَّم الكلام عليه مفصَّلاً في أول الباب في الشاهد الخامس عشر
 بعد الأربعمئة ^(٤) .

* * *

(١) في الديوان والأغاني : « عى فيها التناطق » .
 (٢) يَرَانِي الله ، يعنى يعلم الله ، وهو شاهد على ما أقول . وفي الديوان والأغاني : « يَرَانِي » .
 والمعروف من البرء بمعنى الشفاء ، أن يقال أبرأه ، من المزيد .
 (٣) الخزانة ٤ : ٢٢٩ .
 (٤) الخزانة ٥ : ١٩ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والأربعون بعد الأربعمئة (١) :

٤٤٧ (مِنْ اللّوَاتِي وَالَّتِي وَاللّاتِي زَعَمَنَ أَتَى كَبِيرُثٍ لِدَاتِي)

على أن جملة (زعمن) إلخ صلة الموصول الأخير ، وصلة كلّ من الموصولين الأوّلين محذوفة للدلالة عليها بصلة الثالث ، والتقدير : من اللّواتي زعمن ، ومن النساء التي زعمن (٢) . ويجوز أن تكون صلة للموصولات الثلاثة ، لاتحاد مدلوها ، ولا يجوز أن تكون صلة للثاني فقط .

هذا تقرير كلام الشارح المحقق ، وأمّا غيره فقد جعل الصلّة للموصول الأخير فقط ، وصلة كلّ ممّا قبله محذوفة ، منهم ابن الشجرى (فى أماليه) ، قال : أنشد المبرد (فى المقتضب) :

بَعَدَ اللَّتْيَا وَاللَّتْيَا وَالَّتِي إِذَا عَلَتْهَا أَنْفَسٌ تَرَدَّتْ (٣)

٥٦٠ لم يأت للموصولين الأوّلين بصلة ، لأنّ صلة الموصول الثالث دلت على ما أراد . ومثله :

من اللّواتي والتي واللاتي البيت

وصل اللاتي ، وحذف صلة اللواتي والتي ، للدلالة عليها .

(١) الشعراء ٣٥ وأمالي ابن الشجرى ١ : ٤٤ . وقد سبق عرضا فى الشاهد ٤٣٣ .

(٢) ش : « ومن النساء اللّواتي زعمن » ، والوجه ما أثبت من ط .

(٣) المقتضب ٢ : ٢٨٩ . والرجز للعجاج ، وهو من شواهد سيبويه ١ : ٢/٣٧٦ : ١٤٠ .

ومما حُذِفَ منه صلة موصولين فلم يؤت فيه بصلة قول سُلَمَى بن ربيعة السَّيْدَى (١) :

ولقد رَأَبْتُ ثَأَى العشيرة بينها وكفَيْتُ جانبها اللَّتْيَا والتي
أراد اللَّتْيَا والتي تأتَى على النفوس ؛ لأنَّ تأنيث اللَّتْيَا والتي ههنا إمَّا هو
لتأنيث الداهية . ألا ترى إلى قوله :

* بعد اللَّتْيَا وَلِلَّتْيَا والتي *

وتردَّتْ : تفَعَّلَتْ من الرَّدَى ، مصدر رَدَى يَرْدَى ، إذا هلك ؛ أو من
الترْدَى الذى هو السقوط من علو . وحذف الصَّلَة (٢) من هذا الضَّرْبِ من
الموصولات إمَّا هو لتعظيم الأمر وتفخيمه . وقد جاء التَّصْغِيرُ فى كلامهم
للتعظيم كقوله :

* دُوَيْهِيَّةٌ تصفُرُ منها الأنامِلُ (٣) *

أراد بالذَّوْهِيَّةِ الموت ، ولا داهيةَ أعظم منها ، فتحقير اللَّتْيَا ههنا
للتعظيم . والرَّأَبُ : الإصلاح . والثَّأَى بفتح المثلثة والهمزة ، وبعدها ألف
تكتب ياء : الفساد . والظرف متعلِّق بالثَّأَى ، أى أصلحت ما فسد بينها .
اهـ .

وإمَّا نقلته هنا بتمامه لأنَّه كالشرح لما سيأتى قريباً .

(١) السَّيْدَى : نسبة إلى بنى السَّيْدِ بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة ، كما سيأتى فى ترجمته
فى الشاهد ٥٨٢ . والسَّيْدُ بكسر السين . وفى النسختين : « السدى » ، والصواب ما أثبت . وسُلَمَى
بضم السين وسكون اللام وآخره ياء مشددة ، ويقال أيضاً « سَلَمَى » بفتح السين والقصر .
(٢) ط : « والحذف » ، وأثبت ما فى ش .
(٣) للبيد بن ربيعة فى ديوانه ٢٥٦ . وهو الشاهد ٤٤٩ الآتى .

ومنهـم : أبو على ، قال (فى إيضاح الشعر) عند قول الشاعر ، وتقدّم
شرحه :

من النفر اللاء الذين إذا همُ (البيت المتقدم)
يجوز أن يكون حذف صلة الأول لأنّ صلة الموصول الذى بعده تدلّ
عليها ، كقول الآخر :
من اللواقى والتى واللاقى (البيت)

فلم يأت للموصولين الأوّلين بصلة . ا هـ .

وقوله : (من اللواقى) حرف الجر متعلّق بما قبل البيت . واللواقى
واللاقى كلاهما جمع التى . و (كَبِرَتْ) من الكَبَر فى السن ، وقد كَبِرَ الرجل
بكسر الباء ، يكْبُر بفتحها ، كَبِراً بكسر الكاف وفتح الباء . وروى صاحب
الصحاح :

* زعمَنَ أن قد كَبِرَتْ لِدَاقى *

و (لِدَاقى) : جمع لدة ؛ ولدة الرجل : تَرْبُهُ الذى وُلِدَ معه قريباً ،
والهاء عوض من الواو الذاهبة من أوّلّه ، لأنه من الولادة ، ويجمع على لِدُون
أيضاً . و (الزَّعم) يطلق على القول والظنّ ، قال الأزهريّ : وأكثر ما يكون
الزعم فيما يشكّ فيه ولا يتحقّق . وقال بعضهم : هو كناية عن الكذب .
وقال المرزوقى : أكثر ما يستعمل فيما كان باطلاً أو فيه ارتياب .
والبيت لا أعرف ما قبله ولا قائله ، مع كثرة وجوده فى كتب النحو .
والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والأربعون بعد الأربعمائة ^(١) :
 ٤٤٨ (فَإِنْ أَدَعَ اللّوَاتِي مِنْ أَنَاسِي
 أَضَاعُوهُنَّ لَا أَدَعَ الدِّينَا)
 على أَنَّهُ حَذَفَ صِلَةَ الْمُوصُولِ فِيهِ قَلِيلاً ^(٢) .

قال أبو على الفارسي (في إيضاح الشعر) : أنشده أحمد بن يحيى ثعلب وقال : يقول : فَإِنْ أَدَعَ النِّسَاءُ اللّاتِي أَوْلَاذُهُنَّ مِنْ رِجَالٍ قَدْ أَضَاعُوا هَؤُلَاءِ النِّسَاءَ . أَيْ لَا أَهْجُوا النِّسَاءَ ، وَلَكِنْ أَهْجُوا الرِّجَالَ الَّذِينَ لَمْ يَمْنَعُوهُنَّ . فعلى تفسيره ينبغي أن يكون المبتدأ مضمراً في الصلة ، كأنه قال : فَإِنْ أَدَعَ اللّوَاتِي أَوْلَاذُهُنَّ مِنْ أَنَاسٍ أَضَاعُوهُنَّ فَلَمْ يَحْمَوْهُنَّ كَمَا تَحْمِي ^(٣) البُعُولَةُ أَزْوَاجَهُمَا فَلَا أَدَعَ الَّذِينَ . والتقدير . : إِنْ أَدَعَ هَجَوَ هَؤُلَاءِ النِّسَاءِ الضَّعَافَ لَا أَدَعَ هَجَوَ الرِّجَالَ الْمُضْيَعِينَ ، وَذَمَّهُمْ عَلَى فَعْلِهِمْ . فالمضاف محذوف في الموضعين . ٥٦١ وتقديرُ حذفِ المبتدأ غير ممتنع هنا ، وقد حُذِفَ المبتدأ من الصِّلَةِ ، نحو قول عدى :

لَمْ أَرِ مِثْلَ الْفَتَيَانِ فِي غَبَنِ الْـ أَيَّامٍ يَنْسُونُ مَا عَوَاقِبُهَا
 أَيْ مَا هُوَ عَوَاقِبُهَا ، فَحَذَفَ . وكذلك يمكن أن يكون قوله :
 * أَلَا لَيْتَمَا هَذَا الْحَمَامُ لَنَا *

وقد يستقيم أن تكون الصلة من أناس ، فتكون مستقلة . وإن لم تقدّر حذف المبتدأ فيكون التقدير على أحد أمرين : إمّا أن يكون اللواتي من نساء أناس ، فحذف المضاف ، أو يكون اللواتي من أناسي على ظاهره ، لا تقدّر فيه

(١) ديوان الكميّ ٢ : ١٣٠ وفصل المقال ٢٩٥ .

(٢) الذي في الرضى ٢ : ٥٧ : « ويجوز قليلاً حذف صلة الموصول الاسمي غير الألف واللام إذا علمت » . ثم أنشد هذا الشاهد .

(٣) ط : « يحمي » ، وأثبت ما في ش .

حذفاً ، فيكون معنى قوله في النساء ، هنّ من أناس ، على معنى أنّهم يقومون بهنّ ، وبالإتفاق عليهم . وأمّا صلة الذين فمحدوّف من اللفظ للدلالة عليها فيما جرى من ذكرها ، تقديره : الذين أضاعوهنّ . ١ هـ .

وأورده أبو عبيد القاسم بن سلام (في أمثاله) وقال : الذين ههنا لا صلة لها . والمعنى : إنّ أدغ ذكر النساء فلا أدغ الذين ، يريد الرجال ، أى إنّى إن تركت شتم النساء فلا أترك شتم الرجال . ١ هـ .

وأورده أبو بكر بن السراج أيضاً (في أصوله) قال : إنّ الكوفيين يقولون : إنّ العرب إذا جعلت الذى والتى لمجهول مذكّر أو مؤنث ، تركوه بلا صلة ، نحو قول الشاعر :

فإن أدغ اللواتى من أناسى

و (لا أدغ) جواب الشرط ، ولهذا جزم ، وكسرة العين لدفع التقاء الساكنين .

وهذا البيت من قصيدة طويلة للكُميت بن زيد ، هجاً بها قحطان ،
أعنى قبائل اليمن ، تعصّباً لمضر .

وتقدّم سبب هجوه لأهل اليمن بهذه القصيدة في الشاهد الرابع والعشرين (١) . وتقدم أيضاً بعض من هذه القصيدة مع ترجمة الكُميت في الشاهد السادس عشر من أوائل الكتاب (٢) .

* * *

(١) الخزّانة ١ : ١٧٩ - ١٨١ .

(٢) الخزّانة ١ : ١٤٤ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والأربعون بعد الأربعمائة ^(١) :

٤٤٩ (دُوَيْهِيَّةٌ تَصْفَرُّ مِنْهَا الْأَنَامِلُ)

على أَنَّ تصغير دويهة للتعظيم ، فَإِنَّهُ أَرَادَ بِهَا الْمَوْتَ ، وَلَا دَاهِيَةَ أُعْظِمُ
مِنْهَا ، وَالتَّصْغِيرُ غَيْرُ مُنَاسِبٍ لَذِكْرِ الْمَوْتِ . وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّهُ أَرَادَ بِهَا الْمَوْتَ
قَوْلُهُ : « تَصْفَرُّ مِنْهَا الْأَنَامِلُ » .

والمراد من الأنامل الأظفار ، فَإِنَّ صَفَرَهَا لَا تَكُونُ إِلَّا بِالْمَوْتِ . وَقَالَ
الطُّوسِيُّ (فِي شَرْحِ دِيْوَانِ لَبِيدَ) : إِذَا مَاتَ الرَّجُلُ أَوْ قُتِلَ أَصْفَرَّتْ أُنَامِلُهُ
وَاسْوَدَّتْ أَظْفَارُهُ .

وَلَمْ يَرْضَهُ الشَّارِحُ الْمُحَقِّقُ (فِي شَرْحِ الشَّافِيَةِ) فَإِنَّهُ قَالَ : قِيلَ مَجِئَ
التَّصْغِيرُ لِلتَّعْظِيمِ ، فَيَكُونُ مِنْ بَابِ الْكُنَايَةِ ، يَكْنَى بِالصَّغَرِ عَنْ بُلُوغِ الْغَايَةِ ؛
لِأَنَّ الشَّيْءَ إِذَا جَاوَزَ حَدَّهُ جَانَسَ ضِدَّهُ . وَقَرِيبٌ مِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ :
وَكُلُّ أَنَاسٍ سَوْفَ تَدْخُلُ بَيْنَهُمْ دُوَيْهِيَّةٌ تَصْفَرُّ مِنْهَا الْأَنَامِلُ

وَرُدَّ بِأَنَّ تَصْغِيرَهَا عَلَى حَسَبِ احْتِقَارِ النَّاسِ لَهَا ، وَتَهَاوُنِهِمْ بِهَا ؛ إِذِ
الْمَرَاثُ بِهَا الْمَوْتَ ، أَيْ يَجِيئُهُمْ ^(٢) مَا يَحْتَقِرُونَهُ مَعَ أَنَّهُ عَظِيمٌ فِي نَفْسِهِ تَصْفَرُّ مِنْهُ
الْأَنَامِلُ . وَاسْتَدَلَّ بِقَوْلِهِ :

فَوَيْقَ جُبَيْلٍ سَامِقِ الرَّأْسِ لَمْ تُكُنْ لِتَبْلَغِهِ حَتَّى تَكِلَّ وَتَعْمَلَا ^(٣)

(١) ديوان لبید ٢٥٦ . وانظر أمالي ابن الشجري ١ : ٢/٢٥ ، ٤٩ ، ١٣١ ، والإنصاف ١٣٩
وابن يعيش ٥ : ١١٤ وشرح شواهد الشافية ٨٥ وشرح شواهد المغني ٥٥ ، ١٣٧ ، ١٨٣ والعيني ٤ :
٥٣٥ والمجمع ٢ : ١٨٥ والأشعوري ٤ : ١٥٧ .

(٢) ش : « بحسنهم » ، صوابه في ط وشرح شواهد الشافية .

(٣) لأوس بن حجر في ديوانه ٨٧ . وهو من شواهد ابن يعيش ٥ : ١١٤ .

٥٦٢ ورُدَّ بتجويز كون المراد دَقَّةُ الجبل وإن كان طويلاً ، وإذا كان كذا فهو أَشَدُّ لصعوده . اهـ .

وكذلك الجارِزُ دُئِي لم يرتضيه ، وأَوَّلُه بوجهين : أحدهما أَنَّ التصغير فيه لتقليل المَدَّة . وثانيهما بأنَّ المراد أَنَّ أصغر الأشياء قد يُفسد الأمورَ العظام ، فحتف النفوس قد يكون بالأمر الصغير الذي لا يُؤَيِّه به .

وقال الفالِي (١) (في شرح الباب) : هذا على العكس ، كتسمية اللديغ سليماً ونظائره ، إطلاقاً لاسم الضدِّ على الضدِّ .

وقد أورده المرادى (في شرح الألفية) بأنَّ الكوفيين استدلوا به على مجيء التصغير للتعظيم .

وأَنشد ابن هشام في أربعة مواضع (من المغنى) في أم ، وفي ربِّ ، وفي كَلِّ ، وفي حذف الصلة من الباب الخامس .

و (الداهية) : مصيبة الدهر ، مشتقة من الدَّهْي ، بفتح الدال وسكون الهاء ، وهو التُّكْر ، فإنَّ كُلَّ أحد يُنكرها ولا يقبلها . ودهاءُ الأمر يَذْهأُ ، إذا أصابه بِمَكْرِهِ . ورواه ابن دريد (في الجمهرة) :

* نُحْوِيخِيَّةٌ تصفُرُ منها الأناملُ *

وقال : الحُويخِيَّةُ : الدَّاهية ، وهى بخاءين معجمتين : مصفَّرُ الحُوخُوخة بالفتح ، وهى الباب الصغير .

(١) في النسختين : « الفالِي » بالقاف ، صوابه ما أثبت . وانظر حواشى ١ : ٣٣٨ .

ورواها الطوسي أيضا عن أبي عمرو ، وقال : يقول : يَنْفَتْحُ عليهم بابٌ
يدخل منه الشر .

و (سوف) هنا للتحقيق والتأكيد .

والبيت من قصيدة للبيد بن ربيعة الصحاني ، وتقدمت ترجمته مع
شرح أبيات منها في الشاهد الثالث والعشرين بعد المائة (١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الموفى الخمسين بعد الأربعمئة (٢) :
قول المتنبي :

٤٥٠ (بَسَ اللَّيَالِي سَهْدٌ مِنْ طَرِي)

هذا صدر ، وعجزه :

(شَوْقاً إِلَى مَنْ يَبِيتُ يَرْقُدهَا)

على أنه يُخْرِجُ بحذف الموصول ، والتقدير : بَسَ اللَّيَالِي التي
سهدت ، قياساً على تخرِيج الكوفيين قوله تعالى : ﴿ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ
مَعْلُومٌ ﴾ (٣) ، أى إِلَّا مَنْ لَهُ مقام ، فإنَّ الموصول يجوز حذفه عندهم .
وقد ارتضاه المحقق (٤) . وأشار إليه الواحدى فى شرحه بقوله : يريد
الليالى التى لم يَنْمَ فيها لما أخذته من القلق وَخَفَّةَ الشوق إلى الحبيب الذى كان
يرْقُد تلك الليالى .

(١) الخزنة ٢ : ٢٥٢ .

(٢) ديوان المتنبي ١ : ١٨٥ ودلائل الإعجاز ٣٠٤ .

(٣) الآية ١٦٤ من سورة الصافات .

(٤) المحقق ، ساقطة من ش .

وخرّجه ابن الشجرى ^(١) (فى أماليه) على حذف الموصوف ، أى ليالي شهدت . وهذا خاصٌ بالشعر ؛ لأنّ الموصوف بالجملة أو الظرف إنما يجوز ^(٢) حذفه إذا كان بعضاً من مجرور بمن أوفى . قال ابن الشجرى : ومما أهمل ^(٣) ، مفسّرو شعرِ أبى الطيّب المتنبّى ، تعريبه قوله :

بمس الليالي سَهِدْتُ من طرى البيت

يتوجّه فيه السؤال عن المقصود فيه بالذم ، وما موضع من طرى من الإعراب ، وما الذى نصب شوقاً ، وكَم وجهاً فى نصبه ، وبِم يتعلق إلى ، وكَم حذفاً فى البيت ؟

فأمّا المقصود بالذم فمحذوف ، وهو نكرة موصوفة بسَهِدْتُ ، والعائد إليه من صفته محذوف أيضاً ، فالتقدير : ليالٍ شهدت فيها . ونظير هذا الحذف فى قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ يَرْيَكُمُ الْبَرْقَ ﴾ ^(٤) . التقدير : آيةٌ يريكم البرق فيها . وجاء فى الشعر حذف النكرة المحرورة الموصوفة بالجملة ، فى قوله :

* جادت بِكَفِّى كَانَ مِنْ أَرْمَى الْبَشَرِ *

أراد : بكفّى رجل ، فحذف رجلاً وهو ينويه . وقوله « من طرى » مفعول له ، ومن بمعنى اللام ، وشوقاً يحتمل أن يكون مفعولاً من أجله عمل فيه طرى ^(٥) فيكون الشوقُ علّةً للطرب . والطرب علّةٌ للسُّهاد . ولا يعمل ٥٦٣ سَهِدْتُ فى شوقاً ، لأنّه قد تعدّى إلى علّةٍ ، فلا يتعدى إلى أخرى إلّا بعاطف

(١) هذا النص التالى لابن الشجرى ساقط من النسخة المطبوعة من الأمالى ، ولم أعر عليه فيها .

(٢) ط : « جوز » ، وأثبت ما فى ش .

(٣) فى النسختين : « ومما أهملوه » .

(٤) الآية ٢٤ من سورة الروم .

(٥) الكلام بعده إلى كلمة « بعاطف » ساقط من ش .

كقولك : شهدت طرباً وشوقاً . ويحتمل أن ينتصب شوقاً انتصاب المصدر ، كأنه قال : شئت شوقاً أو شاقنى التذكّر شوقاً . وشئت بالبناء للمفعول ، كقول المملوك : قد بُعت ، أى باعنى مالكى . فأما « إلى » فالوجه أن تعلّقها بالشوق ، لأنه أقرب المذكورين إليها ، وإن شئت علّقته بالطرب ، وذلك إذا نصبت شوقاً بطربى . فإن نصبت على المصدر امتنع تعليق إلى بطربى ؛ لأنك حينئذ تفصل شوقاً وهو أجنبي بين الطرب وصلته . وكان الوجه فى يرقدها يرقدها ، كما تقول : يوم السبت خرجت فيه ، ولا تقول خرجته ، إلا على سبيل التوسّع فى الظرف ، تجعله مفعولاً به . ففى البيت أربعة حذف :

الأول : حذف المقصود بالذمّ ، وهو ليال .

والثانى : حذف فى من شهدت فيها ، فصار سهدتها .

والثالث : حذف الضمير من سهدتها .

والرابع : حذف فى من يرقدها .

وقد روى : « سهدتها طرباً » .

وقد فرّق بعض اللغويين بين السّهاد والسّهَر ، فزعم أنّ السّهاد للعاشق واللديغ ، والسّهَر فى كلّ شئ . وأنشد قول النابغة :

* يسهّد فى كيل التّمام سليّمها ^(١) *

وقول الأعشى :

* وبثّ كما بات السّليمُ مُسهّداً ^(٢) *

(١) عجزه فى ديوان النابغة ٥١ :

* لخلّ النساء فى يديه قعاقع *

(٢) صدره فى ديوان الأعشى ١٠١ :

* ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا *

والطرب : حِفَّةٌ تُصِيبُ الإنسانَ لشدة سرور أو حُزن . اهـ .

والبيت من قصيدة للمتنبى قالها في صباه مدحاً في محمد بن عبد الله

صاحب الشاهد

العلوى .

وهذه أربعة أبيات من مطلعها :

أبيات الشاهد

(أهلاً بدارٍ سبائكٍ أغيدُها

أبعدُ ما بان عنك حُرْدُها

ظَلْتُ بها تنطوى على كبدٍ

نضيبةٍ فوق حِلْبِها يَدُها

يا حادِي عَيْسِها وأحْسِني

أوجدُ ميتاً قُبيلَ أفقِها

قفا قليلاً بها على فلا

أقلَّ من نظرةٍ أزوْدُها)

نصب أهلاً بمضمر ، تقديره : جعل الله تعالى بتلك الديار أهلاً . وإنما تكون مأهولةً إذا سُقِيت الغيث ، فنبت الكلاء ، فيعود إليها أهلها . وهو في الحقيقة دعاءٌ لها بالسَّقى . والأغيد : الناعم البدن ، وأراد جارية ، وذكر اللفظ لأنه عنى الشخص . والخرد : جمع خريدة ، وهى البكر التى لم تُمسَسْ وأبعد مبتدأ وحُرْدُها الخبر ، أى أبعد شئٍ فارقَكَ جَوَارِي هذه الدار .

وقوله : « ظَلْتُ بها تنطوى » إلخ ، يريد ظَلِلْتُ فحذف إحدى اللامين تخفيفاً . يقول : ظَلِلْتُ بتلك الديار تنثنى على كبدك ، واضعاً يدك فوق حِلْبِها . والمحزون يفعل ذلك كثيراً ، لما يجد فى كبدِهِ من حرارة الوجد ، يخاف على كبدِهِ تنشق ، كما قال الصَّمَّةُ القُشَيْرِيُّ (١) :

(١) ط : « القشيري » ، صوابه فى ش . والبيت فى الحماسة بشرح المازوق ١٢١٨ .

وأذكرُ أَيْامَ الحِمَى ثم أنشئ على كبدي من خشية أن تقطعا

والانطواء كالانثناء . والتضيغ لليد ، ولكن جرى نعنا للكبد لإضافة اليد إليها . وجعل اليد بنضيجه ، لأنه أدام وضعها على الكبد ، فأنضجتها بما فيها من الحرارة ، ولهذا جاز إضافتها إلى الكبد . والعرب تسمى الشيء باسم غيره إذا طالت صحبته إياه ، كقولهم لفناء الدار : العذرة . وإذا جازت هذه التسمية كانت الإضافة أهون ، فلطول وضع يده على كبده أضافها إليها ، كأنها لها ، لأنها لم تزل عليها . والخلب : غشاء للكبد رقيق لازب بها . وارتفع يدها بنضيجه ، وهو اسم فاعل يعمل عمل الفعل . ويجوز أن تكون بنضيجه ٥٦٤ من صفة الكبد وتَمَّ الكلام ، ثم وضع اليد على الكبد ، والأول أجود . كذا في شرح الواحدى .

وأورد ابن هشام هذا البيت (فى الباب الثالث من المغنى) وقال : يحتمل قول المتنبي يذكر دار المحبوب : ظَلَّتْ بها تنطوى البيت ، أن تكون اليد فيه فاعلة بنضيجه ، أو بالظرف ، أو بالابتداء . والأول أبلغ ، لأنه أشد للحرارة . والخلب : زيادة الكبد ، أو حجاب القلب ، أو ما بين الكبد والقلب . وأضاف اليد إلى الكبد للملازمة بينهما ؛ لأنها في الشخص . اهـ .

وقوله : « يا حاديتي عيسها » البيتين ، قال الواحدى : دعا الحاديين ، ثم ترك ما دعاهما إليه حتى ذكره فى البيت الذى بعده وأخذ فى كلام آخر . وتسمى الرواة هذا الالتفات ، كأنه التفات إلى كلام آخر .

أقول : هذا اعتراض ، وليس من الالتفات فى شيء .

وأراد قبيل أن أفقدها ، فلما حذف أن عاد الفعل إلى الرفع . وقال

للحاديين اللذين يحدوان غيرها : احتبسها على زماناً قليلاً لأنظر إليها وأتزوّد منها نظرة ، فلا أقلّ منها . ومن رفع أقلّ جعله بمنزلة ليس . وضمير بها يجوز أن يعود إلى العيس وإلى المرأة .

وقريب من هذا في المعنى قول ذى الرّمة :

وإن لم يكن إلّا تعلّل ساعةٍ قليلٍ فأئى نافع لي قليلها

وأورد ابن هشام هذا البيت (في المغنى) على أن لا فيه نافية للجنس عاملة عمل إنّ . ويجوز رفع أقلّ على أن تكون عاملة عمل ليس .

وترجمة المتنبي قد تقدّمت في الشاهد الحادى والأربعين بعد المائة (١) .

* * *

وأنشد بعده :

(لَعَمْرِي لأنت البيتُ أكرمُ أهله

وأقعدُ في أفيائه والأصائل)

على أن فيه حذف موصول عند الكوفيين ، والتقدير : لأنت البيت الذى أكرم أهله .

وتقدّم الكلام عليه في الشاهد الثامن عشر بعد الأربعمئة (٢) .

* * *

(١) الخزانة ٢ : ٣٤٧ .

(٢) انظر الخزانة ٥ : ٤٨٤ - ٥٠٣ . وفي ش : « الواحد والأربعين بعد المائة » ، تحريف . وإلى هنا ينتهى الجزء الثانى من الخزانة من تقسيم الطبعة الأولى طبعة بولاق .

أول الجزء الثالث
من طبعة بولاق
٣ : ٢ بولاق

باب الحكاية بمن وما وأى

أنشد فيه ، وهو الشاهد الحادى والخمسون بعد الأربعمئة ، وهو من شواهد س (١) :

٤٥١ (أتوا نارى فقلت : منون أنتم

فقالوا : الجن ، قلت : عموا ظلاما)

على أن يونس يجوز الحكاية بمن وصلا ، كما فى البيت .

قال سيبويه : وأما يونس فإنه يقيس منه على أية فيقول : مئة ومئة ومئة إذا قال ، يا فتى . وهذا بعيد ، وإنما يجوز على قول شاعر قاله مرة فى شعر ثم لم يسمع بعد :

أتوا نارى فقلت : منون أنتم البيت

وزعم يونس أنه سمع عربياً (٢) يقول : ضرب من مناً . وهذا بعيد لا تتكلم به العرب ، ولا يستعمله ناس كثير (٣) ، وكان يونس يقول : لا يقبل هذا كل أحد ، وإنما يجوز منون يا فتى على هذا . انتهى .

(١) فى كتابه ١ : ٤٠٢ . وانظر نوادر أى زيد ١٢٣ والمقتضب ٢ : ٣٠٧ والجمل ٣٢٠ والخصائص ١ : ١٢٩ وابن يعيش ٤ : ١٦ والمقرب ٦٥ والعينى ٤ : ٤٩٨ ، ٥٥٧ والتصریح ٢ : ٢٨٣ والجمع ٢ : ١٥٧ ، ٢١١ والأشئوى ٤ : ٩٠ ، ٢٢٠ .

(٢) فى سيبويه : « أعرايبا » .

(٣) سيبويه : « ولا يستعمله منهم ناس كثير » .

قال النحاس : وهذا عند سيبويه ردى ، لأنَّ هذه العلامة إنّما تقع في الوقف ولا تقع في الوصل ، فلما اضطرَّ أجراه في الوصل على حاله في الوقف . وأنشد أبو الحسن بن كيسان :

أتوا نارى فقلت : منون ، قالوا :

سراة الجن ، قلت : عموا ظلاما

وقال : إنما حكى كيف كان كلامه وجوابه . انتهى .

وهذه الرواية هي رواية أنى زيد (في نوادره) كما يأتي . ففي الرواية الأولى شذوذان كما في المفصل : إلحاق العلامة في الدّرج ، وتحريك النون . وفيه أيضاً كما قال ابن الناظم (في شرح الألفية) أنه حكى مقدراً غير مذكور . وفي الثانية شذوذ واحد ، وهو تحريك النون . قال ابن جنى (في الخصائص) : من رواه : « منون قالوا » فإنه أجرى الوصل مجرى الوقف . فإن قلت : فإنه في الوقف إنما يكون « منون » ساكن النون ^(١) وأنت في البيت قد حرّكته . فهذا إذن ليس على نيّة الوقف ولا على نيّة الوصل . فالجواب : أنه إنّما أجراه في الوصل على حدّه في الوقف ، فلما أثبت الواو والنون التقيا ساكنين ، فاضطرَّ حينئذٍ إلى أن حرّك النون لإقامة الوزن . فهذه الحركة إذن إنما هي حركة مستحدثة لم تكن في الوقف ، وإنّما اضطرَّ إليها في الوصل . وأمّا من رواه : « منون أنتم » فأمره مشكل . وذلك أنه شبه من بأى فقال : منون أنتم ، على قوله : أيون أنتم . فكما حمل ههنا أحدهما على الآخر كذلك جمع بينهما ، في أن جرّد من الاستفهام كل منهما . ألا ترى إلى حكاية يونس عنهم : ضرب من مناً ، كقولك : ضرب رجل رجلاً . انتهى .

(١) ش : « إنما يكون ساكن النون » ، صوابه في ط والخصائص .

وقوله : (أتوا نارى فقلت) إلى آخره ، الفاء عطفت جملة قلت على أتوا . وهى للترتيب الذكري ، وهو عطف مفصل على مجمل ، نحو : ﴿ فَأَرْلَهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾ ^(١) . وجملة منون أنتم من المبتدأ والخبر محكية بالقول . و (منون) إمّا مبتدأ وأنتم خبره أو بالعكس . والفاء من (فقالوا) عطفت مدخولها على قلت . و (الجن) خبر مبتدأ محذوف ، أى نحن الجن . والجملة محكية بقالوا . وكذلك على الرواية الثانية : « فقلت منون قالوا سراة الجن » أى نحن أشرافها . وهو بفتح السين جمع سري على ما قيل ، بمعنى الشريف . وكذلك منون على تقدير منون أنتم . قال الجوهري : « عَمُوا صَبَاحاً : كلمة تحية » . قال ابن السيرافى : وإنما قال لهم : عموا ظلاماً لأنهم جنٌ ، وانتشارهم بالليل ، فناسب أن يذكر الظلام ، كما يقال لبنى آدم إذا أصبحوا : عَمُوا صباحاً .

قال ابن السيد (فى شرح أبيات الجمل) : ومعنى عَمُوا انعموا ، يقال عَمَ صباحاً بكسر العين وفتحها . ويقال وعم يعم من باب وعد وويق . وذهب قوم إلى أن يعم محذوفة ينعم . وقالوا : إذا قيل عَمَ بفتح العين فهو محذوف من انعم المفتوح ، وإذا قيل عَم بكسر العين فهو محذوف من يَنعم المكسور العين . وحكى يونس أن أبا عمرو بن العلاء سئل عن قول عنتره :

* وعمى صباحاً دارَ عبلةً واسلمى *

فقال : هو من نَعِم المطر إذا كثر ، ونعم البحر إذا كثر زَبده ، كأنه يدعو لها بالسُّقيا وكثرة الخير .

(١) الآية ٣٦ من سورة البقرة .

وقال الأصمعيّ والفراء في قولهم : عِمَّ صباحا : إنّما هو دعاءٌ بالنعيم والأهل ، وهذا هو المعروف ، وما حكاه يونس نادر غريب . و (ظلاما) : ظرف ، أى انعموا في ظلامكم ، أو تميز ، والأصل لينعم ظلامكم ، فحوّل إلى التمييز . انتهى .

وقال ابن الحاجب (في أماليه) : ظلاماً تميز ، أى نَعِمَ ظلامكم ، كما تقول : أحسن الله صباحك . ولا يحسن أن يكون ظرفاً ، إذ ليس المراد أنّهم نعموا في ظلام ولا في صباح ، وأنّما المراد أنه نَعِمَ صباحهم ، وإذا حُسِّن صباحهم كان في المعنى حُسْنهم .

والبيت من أبيات أربعة رواها أبو زيد (في نوادره) ونسبها لشُمَيْر بن الحارث الضبّي ، مصعّر شِمْر بكسر المعجمة . قال أبو الحسن فيما كتبه عَلَى نوادر أبن زيد : شُمير المذكور ، بالسين المهملة . وهى هذه :

(وناي قد حضأت لها بليل)

بدارٍ لا أريد بها مُقاما

سوى تحليلٍ راحلةٍ وعَيْن

أكالُها مخافةً أن تناما

أَتُوا ناري فقلْتُ : منونَ قالوا

سَراةُ الجنِّ قلت : عَمُوا ظلاما

فقلت : إلى الطَّعام ، فقال منهم

زعيّم : نحسُدُ الإنسانَ الطعاما)

وزاد بعده غيره بيتاً آخر ، وهو :

(لقد فضّلتم بالأكل فينا ولكن ذاك يُعقِبكم سَقاما)

وزاد بعضهم بعده :

(أَمِطْ عَنَّا الطَّعَامَ فَإِنَّ فِيهِ

لَا حَيْلَ النَّقَاصَةِ وَالسَّقَامَا)

قال السكرى فيما كتبه هنا : حضأت أى أشعلت وأوقدت ، يقال فى تصرفها حضأت النارَ أحضوهاَ حَضْنًا ، وهو بالحاء المهملة والضاد المعجمة والهمزة . واللام فى لها زائدة ؛ لأنَّ حضأت متعد . وروى ابنُ السَّيِّد وغيره :

* ونارٍ قد حضأت بُعيدَ وَهْنٍ *

وقال : الوهن والموهن : نحو من نصف الليل . والذي ذكره الأصمعى أنَّ الوهن هو حين يُدبر الليل . وهذا يدلُّ له الاشتقاق . فالجورور بواو ربِّ فى محل نصب عَلَى المفعول بحضأت .

وقوله : « سوى تحليل راحلة » قال السكرى : أراد : سوى راحلة أقمت فيها بقدر تَحْلَةٍ اليمين . وروى غيره : « سوى ترحيل راحلة » . قال ابن السَّيِّد : ترحيل الراحلة : إزالة الرحل عن ظهرها . والرَّحْل للإبل كالسَّرج للخيول . والراحلة : الناقة التى تُتخذ للركوب والسَّفر ، سُمِّيَتْ بذلك لأنها ترحل براكبها . وأكالفها : أحرسها وأحفظها لئلا تنام . قال ابن السَّيِّد : وكان المفضل يروى : « وعير أكالفها » بالراء بدل النون ، وقال : العَير : إنسان العين . قال ابن هشام اللخمي بعد هذا : وهذه هى الرواية الصحيحة . وعير تُؤنَّث عَلَى المعنى ، لأنها عين ، وتذكر . وخافَةَ مفعول لأجله .

وقوله : « فقلت إلى الطعام » إلى متعلقة بفعل محذوف ، أى هلمُّوا إليه . وأورده الزمخشري فى : (أول الكشاف) على أَنَّهُ حَذَفَ متعلق الجار من

بسم الله الرحمن الرحيم ، كما حذف متعلق إلى الطعام ، وهذا المحذوف في حكم الموجود ، والمجموع محكى بالقول .
 وقول ابن السّيد : هذا الفعل المحذوف في حكم الظاهر ، فلذلك لم يكن له موضع من الإعراب ، لا يظهر لتعليقه وجّه .
 وقال ابن خروف : يجوز أن تكون إلى اسم فعل . وجزم اللّخمى بأنّ إلى هنا إغراء .

وفسّروا الرّعيم بالرئيس والسّيد . وقال بعضهم : الرعيم بمعنى القائل ، كما تقول زعم زاعم أى قال قائل ، ولا معنى للسّيد هنا . وزعيم فاعل . قال : وروى بدل زعيم : « فريق » . و « منهم » كان في الأصل وصفه فلما قدّم عليه صار حالاً منه . وقوله : « نحسد » إلخ يروى بالنون ، فالجمله مقول القول . ويروى بالمشناة التّحتية فالجمله صفة لزعيم ، فيكون البيت الذى بعده مقول القول . والأنس يروى بفتحتين ، وبكسرة فسكون ، ومعناها البشر .

قال ابن الحاجب (في أماليه) : الطعام : مفعول ثان ، إما على تقدير حرف خفض ، أى نحسد الإنس على الطعام . وإما على أنّه متعلّق بنفسه من أصله . كقوله : استغفرت الله الذنب ^(١) ، ومن الذنب . وقال اللّخمى : الطّعام مفعول ثان على إسقاط حرف الجر ، أى نحسد الإنس في الطعام . وقال الأندلسى : الأولى تقديره بعلی : لأنّه يقال حسدته على كذا . وقد ورد قوله ﷺ : « لا حسد إلا في اثنتين » ، يجوز أن يكون أقام بعض حروف الصفات مقام الآخر . ويؤيده قول الجوهري : « حسدتك على الشئ وحسدتك الشئ بمعنى » .

(١) شاهده قول القائل ، وأنشده سيويه في كتابه ١ : ١٧ :

أستغفر الله ذنبا لست محصيه

رب العباد إليه الوجه والعمل

وقوله : « لقد فُضِّلتم » بالبناء للمفعول ، وفيها بمعنى علينا .

وقوله : « أَمِطْ عَنَّا » إلخ أى أزله عنا . و « النَّقَاصَةُ » بالفتح ، هو مصدر كالتقصص بالنون والقاف والصاد المهملة ^(١) .

ذكر فى أبياته أنَّ الجن طرقتهم وقد أوقد ناراً لطعامه ، فدعاهم إلى الأكل منه فلم يجيبوه ، وزعموا أنَّهم يحسدون الإنس فى الأكل ، وأنَّهم فضَّلوا عليهم بأكل الطعام ، ولكنَّ ذلك يُعقبهم السَّقام .

وقوله :

* لقد فُضِّلتم بالأكل فينا *

ظاهره أنَّ الجن لا يأكلون ولا يشربون . وقال ابن السيرافى : قال زعيمهم : نحسد الإنس على أكل الطعام والالتذاذ ، وليس من شأننا أن نأكل ما يأكله الإنس .

وقال ابن المستوفى : لم يُرد أنَّ الجن لا تأكل ولا تشرب ، وإنَّما أراد أنَّ طعامَ الإنس أفضل من طعام الجن .

وهذان القولان خلافُ الظاهر . ويؤيد ما قلنا قول ابن خروف (فى شرح أبيات سيبيويه) : قوله لقد فُضِّلتم بالأكل فينا ، مخالفٌ للشرع ، لأنَّ النبى ﷺ قال : إنَّ الجنَّ تأكل وتشرب . وفى (آكام المرجان فى أحكام الجان) ، لبدر الدين محمد بن عبد الله الشبلى الحنفى الشامى ، وقد صنَّفه كما

(١) لم يرد هذا المصدر فى المعاجم المتداولة . والمعروف النقص ، والنقصان ، والنقيصة .

قال الصفدى فى سنة سبع وخمسين وسبعمائة : وقد ^(١) اختلف العلماء فى هذه المسألة على ثلاثة أقوال :

أحدها : أن جميع الجن لا يأكلون ولا يشربون ^(٢) .

وهذا قول ساقط .

ثانيها : أن صنفاً منهم يأكلون ويشربون ، وصنفاً لا يأكلون ولا يشربون .

ثالثها : أن جميع الجن يأكلون ويشربون .

فقال بعضهم : أكلهم وشربهم تشتم واسترواح ، لا مضغ وبلع . وهذا لا دليل له . وقال آخرون : أكلهم وشربهم مضغ وبلع . ويدل لهذا حديث أمية ابن محشى ^(٣) ، من رواية أبى داود : « ما زال الشيطان يأكل معه فلما ذكر الله تعالى استقاء ما فى بطنه » . وفى الصحيحين أن الجن سألوا رسول الله ﷺ الزاد ، فقال : « كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع فى يد أحدهم أو قر ما يكون لحماً ، وكل بعير علف لدوابهم » . وفى حديث يزيد بن جابر قال : « ما من أهل بيت من المسلمين إلا وفى سقف بيتهم من الجن من المسلمين ، إذا وضع غداؤهم نزلوا فتغذوا معهم ، وإذا وضع عشاؤهم نزلوا فتعشوا معهم ، يدفع الله بهم عنهم » .

(١) ش : « قد » بدون واو .

(٢) الكلام بعده الى « أن جميع الجن يأكلون ويشربون » ساقط من ش .

(٣) الإصابة ٢٥٨ . وحديثه فى سنن أبى داود ٣ : ٣٤٧ برقم ٣٧٦٨ .

والجنّ على مراتب ، قال ابن عبد البر : إذا ذكروا الجنّ خالصاً قالوا : جنّى . فإن أرادوا أنه ممن يسكن مع الناس قالوا : عامر ، والجمع عُمّار . فإن كان ممّا يعرض للصبيان قالوا : أرواح . فإن حُبث ولؤم قالوا : شيطان . فإن زاد على ذلك فهو مارد . فإن زاد على ذلك وقوى أمره قالوا : عَفريت .

وقال ابن عقيل : الشياطين : العصاة من الجنّ ، وهم ولد إبليس ، والمردة أعتاهم وأغواهم ، وهم أعوان إبليس .

وقال الجوهري : « كلُّ عاتٍ متمرد من الجنّ والإنس والدوابّ شيطان » .

وقال ابن دريد : الجنّ : خلاف الإنس . ويقال : جنّه الليل وأجنّه ، وأجنّ عليه وغطّاه فى معنى واحد ، إذا ستره . وكلّ شئ استتر عنك فقد جنّ عنك . وبه سمّيت الجنّ . وكان أهل الجاهلية يسمّون الملائكة جنّاً لاستتارهم عن العيون . قالوا : والجنّ بالخاء المهملة زعموا أنه ضرب من الجن . وقال أبو عمّر الزاهد : الجنّ : كلاب الجن وسفّلتهم . والجانّ : أبو الجنّ .

قال السهيلي (فى كتاب النتائج ^(١)) : وممّا قدّم للفضّل والشرف تقديمُ الجنّ على الإنس ، فى أكثر المواضع ، لأنّ الجن تشتمل على الملائكة ٦ وغيرهم مما اجتنّ عن الأبصار . قال تعالى : ﴿ وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ^(٢) ﴾ ، وقال الأعشى ^(٣) :

(١) لم يذكر فى كشف الظنون . كما لم يذكر فى الخزانة إلا فى هذا الموضع .

(٢) الآية ١٥٨ من سورة الصافات .

(٣) لم يرد البيت التالى فى ديوان الأعشى .

وَسَخَّرَ مِنْ جَنِّ الْمَلَائِكَةِ سَبْعَةً

قِيَاماً لَدَيْهِ يَعْمَلُونَ بِلَا أَجْرِ

فأما قوله تعالى : ﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ^(١) ﴾ وقوله تعالى : ﴿ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ ^(٢) ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَأَنَا ظَنَنَّا أَنَّ لَنَا بَغْضَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ^(٣) ﴾ فَإِنَّ لَفْظَ الْجِنِّ ههنا لا يتناول الملائكة ، لنزاهتهم عن العيوب ، فلمَّا لم يتناولهم عموم اللفظ لهذه القرينة بدأ بلفظ الإنس لفضلهم وكآلهم .

وشمير بن الحارث الضبِّي ، ناظم هذه الأبيات ، تقدم ذكره في الشاهد الخامس والستين بعد الثلاثمائة ^(٤) .

تَمَمَّة

قد روى البيهقي الشاهد من قصيدة قافيتها حائية . قال ابن السَّيد (في شرح أبيات الجمل للزجاجي) : ذكر أبو القاسم مؤلف الجمل أَنَّ الناس يَغْلِطُونَ في هذا الشعر فيروونه عَمُوا صباحا ، وجعل دليله الأبيات الميمية المنقولة عن أبي زيد . ولقد صدَّق فيما حكاه ولكنه أخطأ في تخطئة رواية من روى : « عَمُوا صباحا » ، لأنَّ هذا الشعر الذي أنكره وقع في (كتاب خبر سدَّ مارب) ونسبه إلى جذع بن سنان القسَّاني في حكاية طويلة زعم أنَّها جرت له مع الجن . وكلا الشعرين أكذوبة من أكاذيب العرب لم تقع قط .

(١) الآية ٧٤ من سورة الرحمن .

(٢) الآية ٣٩ من سورة الرحمن .

(٣) الآية ٥ من سورة الجن .

(٤) صوابه السادس والستين بعد الثلاثمائة . وانظر الخزانة ٥ : ١٨٢ .

والشعر الذى على قافية [الميم ينسب إلى شُمَيْر بن الحارث ، وينسب إلى تَابُط شُرّاً . وأما الشعر الذى على قافية (١) [الحاء فلا أعلم خلافاً فى أنه لجِذَع بن سِنان ، وهو :

أَتَوْا نَارِي فَقُلْتُ : مَنُونٌ أَنْتُمْ

فَقَالُوا : الْجِنَّ قُلْتُ : عِمُوا صَبَاحَا

نَزَلْتُ بِشَيْعِبِ وَادِي الْجِنِّ لَمَّا

رَأَيْتُ اللَّيْلَ قَدْ نَشَرَ الْجَنَاحَا

أَتَيْتُهُمْ وَلِلْأَقْدَارِ حَتْمٌ

تُلاقِي الْمَرْءَ صَبَاحاً أَوْ رَوَاحَا

أَتَيْتُهُمْ غَرِيباً مُسْتَضِيفَا

رَأَوْا قَتْلِي إِذَا فَعَلُوا جُنَاحَا

أَتَوْنِي سَافِرِينَ فَقُلْتُ : أَهْلًا

رَأَيْتُ وَجُوهَهُمْ وَشَمًّا صَبَاحَا

نَحَرْتُ لَهُمْ وَقُلْتُ : أَلَا هَلُمُّوا

كُلُّوا مِمَّا طَهَّيْتُ لَكُمْ سِمَاحَا

أَتَانِي قَاشِرٌ وَبَنُو أَبِيهِ

وَقَدْ جَنَّ الدُّجَى وَاللَّيْلُ لَاحَا

فَنَازَعَنِي الرُّجَاجَةُ بَعْدَ وَهْنِ

مَزَجْتُ لَهُمْ بِهَا عَسَلًا وَرَاحَا

وَحَذَرَنِي أُمُورًا سَوْفَ تَأْتِي

أَهْزُهَا الصَّوَارِمَ وَالرُّمَاحَا

(١) هذه التكملة من ش .

سأَمْضَى لِلذَى قَالُوا بَعِزْ
 وَلَا أَبْغَى لِدَلِكُمْ قِدَاحَا
 أَسَأْتُ الظَّن فِيهِ ، وَمَنْ أُسَاهُ
 بِكُلِّ النَّاسِ قَدْ لَاقَى نَجَاحَا
 وَقَدْ تَأْتَى إِلَى الْمَرْءِ الْمَنَآيَا
 بِأَبْوَابِ الْأَمَانِ سُدَى صُرَاحَا
 سَيُبقَى حَكْمُ هَذَا الدَّهْرِ قَوْمَاً
 وَيَهْلِكُ آخَرُونَ بِهِ ذُبَاحَا
 أَثْعَلَبَ بْنَ عَمْرِو لَيْسَ هَذَا
 أَوْانَ السَّيْرِ فَاعْتَدَّ السَّلَاحَا
 أَلَمْ تَعْلَمْ بِأَنَّ الذَّلَّ مَوْتُ
 يُتِيحُ لِمَنْ أَلَمَّ بِهِ اجْتِيَاحَا
 وَلَا يَبْقَى نَعِيمُ الدَّهْرِ إِلَّا
 لِقَرَمٍ مَاجِدٍ صَدَقَ الْكِفَاحَا

٧ قال ابن السَّيِّد : إن قيل كيف جاز أن يقول لهم : عموا صباحا ، وهم في الليل . وإثما يليق هذا الدُّعَاءُ بمن يُلقَى في الصباح . فالجواب من وجهين :

أحدهما : أنَّ الرجل إذا قيل له عم صباحا فليس المراد أن ينعم في الصباح دونَ المساء ، كما أنَّه إذا قيل أرغم الله أنفه ، وحياً الله وجهه ، فليس المراد الأنف والوجه دون سائر الجسم . وكذلك إذا قيل له : أعلى الله كعبك . وإثما هي ألفاظٌ ظاهرها الخصوص ومعناها العموم . ومثله قول الأعشى :

* الواطئين على صدور نعالهم ^(١) *

والوطء لا يكون على صدور النعال دون سائرهما .
والوجه الثانى : أن يكون معنى أنعم الله صباحك : أطلع الله عليك
كل صباح بالنعيم ، لأنَّ الصباح والظلام نوعان ، والنوع يسمى به كل جزء
منه بما يسمى به جملة .

والشعب ، بالكسر : الطريق فى الجبل .
ووسماً بالضم : جمع وسيم ، وهو الذى عليه سمة الجمال . وكذلك
الصباح بالكسر : جمع صبيح . شبه بالصبح فى إشراقه .

وطهيت : طبخت ، يقال طهيت اللحم وطهوته فأنا طاه .
وقوله : « لا أبغى لذلك قداحا » أى لا أطلب ضرب القداح ، لأنهم
كانوا إذا أرادوا فعل أمر ضربوا بالقداح ، فإن خرج القدح المكتوب عليه :
افعل ، ففعل الأمر . وإن خرج القدح المكتوب عليه : لا تفعل ، لم يفعل
الأمر .

وقوله : أسأت الظن فيه ، يقول : أسأت الظن بضرب القداح والتعويل
على ما تأمر به وتنهى عنه ، وعلمت أن ما أمرتني به الجن أحزى أن يعول
عليه .

وقوله : « سدى صراحاً » ، السدى : الإبل المهملة التى لا يردها
أحد . والصراح : الظاهرة .

والذباح ، بضم الذال المعجمة بعدها موحدّة : نبات يقتل من أكله .
ومن رواه بكسر الذال جعله جمع ذبيح .

(١) عجزه فى الديوان ٩٩ واللسان (دفن) :

* يمشون فى الدفن والأبراد *

وقوله : « يُتَّح » أى يقدر ويَجلب ، يقال أتاح الله كذا أى قدره .
وَأَلَمَ : نزل . والاجتياح ، بحيم بعدها مثناة فوقية : الاستئصال .

والقَرَم ، بفتح القاف وسكون الراء : السيّد ، وأصله الفحل من
الإبل . والكفاح ، بالكسر : ملاقات الأعداء . انتهى .

جذع بن سنان
وجذع بن سنانِ الغَسَّانِي بكسر الجيم وسكون الذال المعجمة ، شاعرٌ
جاهلي قديم . وغَسَّان : قبيلة من الأزد من قحطان . وجذعٌ خرج مع مَنْ
خرج من الأزد قبل سيل العرم وجاءوا إلى الشام ، وكان ملكها إذ ذاك سليح ،
وهم من غَسَّان أيضاً ، وقيل من قضاة . وكانوا يؤدُّون لسليح عن كلِّ رجل
دينارين ، فجاء عاملُ الملك إلى جذع بن سنانِ يطلبُ الخراج الذي وجب
عليه ، فدفع إليه سيفه رهناً ، فقال : أدخله في جرِّ أمك ! فغضب جذعٌ
وقنعه به ، فقيل : « تُحذ من جذع ما أعطاك » ، وسارت مثلاً . تُضَرَّب في
اغتنام ما يجود به البخيل . وقيل في سبب المثل غير هذا .

وامتنعت غَسَّانُ من هذا الخراج بعد ذلك وولوا الشام ، كما تقدم شرحه
في ملوك بنى جفنة (١) .

و (في العباب) للصَّغاني أنَّ جذعاً هو جذع بن عمرو . وهو غلط .

* * *

باب أسماء الأفعال

أنشد فيه ، وهو الشاهد الثاني والخمسون بعد الأربعمئة ^(١) :

(فداء لك الأقوام) ٤٥٢

هو قطعة من بيت ، وهو :

(مهلاً فداء لك الأقوام كلهم)

٨

وما أثمر من مال ومن ولد)

على أن (فداء) اسم فعل منقول من المصدر . قال صاحب الصحاح : الفدا إذا كسر أوله يمد ويقصر ، وإذا فتح فهو مقصور ، يقال : قُم فدى لك أُنَى . ومن العرب من يكسر فداءً بالتثنية إذا جاور الجر خاصة ، فيقول : فداء لك ، لأنه نكرة ، يريدون به معنى الدعاء . وأنشد هذا البيت للناطقة عن الأصمعي .

وهذا التعليل فيه خفاء ^(٢) . والواضح قول أُنَى على (في المسائل المنثورة) وقد أنشده فيها قال : بُنى على الكسر لأنه قد تضمن معنى الحرف ، وهو لام الأمر ، لأن التقدير : ليفدك الأقوام كلهم . فلمّا كان بمعناه بُنى . وبُنى على الكسر لأنه وقع للأمر . والأمر إذا حرك تحرك إلى الكسر . وتوّنوه لأنه نكرة . انتهى .

(١) ابن يعيش ٤ : ٧٠ ، ٧٣ وديوان النابغة ٢٦ .

(٢) أرى أن الخفاء يزول إذا فهمنا قوله فيما سبق : « إذا جاور الجر » على أنه الجار والمجرور وهو « لك » ، ونحوه .

قال الزمخشري (في المفصل) : ومنه فداء لك ، بالكسر والتنوين ، أى ليفدك . وأنشد البيت .

قال ابن المستوفى : قوله « ومنه » : يريد ما التزم فيه التنكير ، كما هيأ في الكف ، وويها في الإغراء ، وواهاً في التعجب . وعقبه بقوله : ومنه فداء ، يستعمل مكسوراً منوناً وغير منون ، حملاً على إيه وإيه . ثم نقل عن الزمخشري في حواشيه أنه قال : فداء بالرفع ، على أنه خير الأقوام . وفداء بالكسر ، لما ذكرنا ^(١) . وفداء بالنصب على أنه مصدر لفعله ، وهو ليفدك الأقوام . ويرفع الأقوام مع كسر فداء بالفاعل أيضاً لأنه أمر لهم بالفداء . يعنى أن الأقوام فاعل فداء أيضاً في حالة النصب ، لأنه فاعل المصدر ، كما أنه فاعله في حالة الكسر والتنوين .

وذكر القواس (في شرح ألفية ابن معطى) أن فيه لغات : فدى بفتح الفاء وضمها مع القصر ، وكسرها مع القصر والمد .
وروى أبو زيد (في نوادره ^(٢)) قول الراجز :
* ويهاً فداء لك يا فضاله *

بالكسر والتنوين . وهذا لا فاعل له في اللفظ ، وإنما الفاعل مفهوم من المقام ، أى ليفدك الناس ، ونحوه .
ويها : كلمة إغراء . وقوله : (مهلا) ، بمعنى أمهل وتأن . وقوله : (وما أثمر) معطوفة على الأقوام ، وهى موصولة والعائد محذوف ، أى أثمره . وأثمر : أجمع وأصلح . يقال ثمر فلان ماله ، إذا أصلحه وجمعه . ومن للبيان .

والبيت من قصيدة للناطقة الذبياني مدح بها النعمان بن المنذر ، وتنصّل
عن ما قذفوه به ، حتى خافه وهرب منه إلى بنى جفنة ملوك الشام .

(١) ط : « كما ذكرنا » صوابه في ش .

(٢) نوادر أبى زيد ص ١٣ .

وقد تقدّم شرح أبيات كثيرة منها في باب الحال ، وفي باب خبر
كان ، وفي النعت ، وفي البذل وغير ذلك .

وبعد هذا البيت بيت يورده علماء التصريف في كتبهم ، وهو :
(لا تَقْذِفْنِي بِرُكْنٍ لَا كِفَاءَ لَهُ)

قرين الشاهد

ولو تأثفك الأعداء بالرّفْد)

وقوله لا تَقْذِفْنِي ، أى لا تركبني بما لا أطيق ولا يقوم له أحد . والكيفاء
بالكسر : الجثل . وتأثفك الأعداء : اجتمعوا حولك واحتوشوك ، فصاروا
منك موضع الأثافي من القدر .

وقوله : بالرّفْد ، بكسر ففتح : جمع رَفْدَة بكسر فسكون ، أى يَرِفِد
بعضهم بعضاً ، يتعاونون بالنّمام عَلَيَّ ويسعون لي عندك . يقال رَفَدَ فلانٌ
فلاناً يرفّده رَفداً ، إذا أعانه .

* * *

وأشدد بعده ، وهو الشاهد الثالث والخمسون بعد الأربعمئة ، وهو من
شواهد س (١) :

٤٥٣ (كَذَبَ الْعَتِيقُ وَمَاءَ شَرٍّ بَارِداً)

إن كنت سألتي غبوقاً فاذهبي)

٩ على أن « كذب » في الأصل فعل ، وقد صار اسم فعل أمر بمعنى الزم .
لم أرَ مَنْ قال مِنَ النحويين وغيرهم أَنَّ كَذَبَ اسمُ فعلٍ . وهذا شيءٌ

(١) في كتابه ٢ : ٣٠٢ . وانظر أمالي ابن الشجرى ١ : ٢٦٠ واللسان (كذب ٢٠٤ عتق

انفرد به الشارح المحقق . وإثماً ذكره في جملة الأفعال التي مُنعت التصرف ، منهم ابن مالك (في التسهيل) .

وقول الشارح المحقق : « إذا رُوي بنصب العتيق » ، تحقيق لكونه اسم الفعل ، فإن أكثر اسم الفعل يكون بمعنى الأمر كما قاله الشارح ، ففاعله مستتر فيه وجوباً تقديره أنت ، والعتيق مفعوله وماء معطوف على العتيق ، وبارداً صفة ماء . ومفهومه أن العتيق إذا رُوي بالرفع لم يكن كذب اسم فعل . ولم يبين حكمه ، وكأنه ترك شرحه لشهرته بمعنى الإغراء .

وفيه أن كذب سواءً نصب ما بعده أو رفع ، بمعنى الإغراء كما في الأمثلة المذكورة في الشرح ، فجعله مع المنصوب دون المرفوع اسم فعل تحكّم لا يظهر له وجه . على أن النصب قد أنكره جماعة وعيّنوا الرفع ، منهم أبو بكر بن الأنباري (في رسالة شرح فيها معاني الكذب) على خمسة أوجه ، قال (١) :

كذب معناه الإغراء ومطالبة المخاطب بلزوم الشيء المذكور ، كقول العرب : كذب عليك العسل ، ويريدون كُل العسل . وتلخيصه (٢) : أخطأ تارك العسل ، فغلب المضاف إليه على المضاف . قال عمر بن الخطاب : « كذب عليكم الحجج ، كذب عليكم العمرة ، كذب عليكم الجهاد : ثلاثة أسفار كذب عليكم » معناه الزموا الحجج والعمرة والجهاد . والمغرى به مرفوع بكذب ، لا يجوز نصبه على الصحة ، لأن كذب فعل لا بد له من فاعل ، وخير لا بد له من محدث عنه ، والفعل والفاعل كلاهما تأويلهما الإغراء . ومن زعم أن الحجج والعمرة والجهاد في حديث عمر حكمهنّ النصب لم يصب ، إذ قضى بالخلو عن الفاعل . وقد حكى أبو عبيد عن أبي عبيدة عن أعرابي ، أنه نظر إلى ناقة نضو لرجل فقال : كذب البزّر والثوى . قال أبو عبيد :

(١) سيذكر هنا الخامس فقط . وانظر ما سيأتى في ١٩٤ - ١٩٩ .

(٢) التلخيص : التبيين والشرح . وهو أيضاً الاختصار .

لم يسمع النصب مع كذب في الإغراء إلا في هذا الحرف . قال أبو بكر :
وهذا شاذٌّ من القول ، خارجٌ في النحو عن مناج القياس ، ملحقٌ بالشواذِّ
التي لا يعولُّ عليها ولا يؤخذ بها . قال الشاعر :

* كذبَ العتيق وماءَ شَرٍّ باردٌ *

معناه الزمى العتيق وهذا الماء ، ولا تطالبيني بغيرهما . والعتيق مرفوع
لا غير . انتهى .

ومن الغريب قولُ ابن الأثير (في النهاية) في حديث عمر ، برفع الحج
والعمرة والجهاد ، معناه الإغراء ، أى عليكم بهذه الأشياء الثلاثة . وكان وجهه
النصب ، ولكنّه جاء شاذًّا مرفوعاً . انتهى .

وقد نقل أبو حيان كلام ابن الأنباري (في تذكرته ، وفي شرح
التسهيل) ، وزاد فيه بأن الذي يدلُّ على رفع الأسماء بعد كذب أنّه يتّصل بها
الضمير كما جاء في كلام عمر : « ثلاثة أسفار كذبن عليكم » . وقال
الشاعر :

* كذبتُ عليك لا تزال تُقوفُنِي ^(١) *

معناه عليكِ بـ ^(٢) : فرقع التاء وهي مغرّى بها ، واتصلت بالفعل لأثّه
لو تأخر الفاعل لكان منفصلاً ، وليس هذا من مواضع انفصال الضمير ^(٣) .
انتهى .

(١) للقطامي في اللسان (كذب ، قوف) وليس في ديوانه . ويروى أيضاً للأسود بن يعفر .
ط : « تنوقني » ش : « تنوقني » والصواب ما أثبت . وقافه يَقُوفُهُ مثل قفاه يقفوه ، أى تبعه .
(٢) في الأصل ، أى النسختين : « عليكين » ، صوابه من اللسان . (كذب ، قوف) . وفي
اللسان : « فأغراه بنفسه ، أى عليكِ بـ » .
(٣) كلمة « الضمير » ساقطة من ش .

والصحيح جواز النصب ، لنقل العلماء أنه لغة مضر ، والرفع لغة اليمن . ووجهه مع الرفع أنه من قبيل ما جاء لفظ الخبر [فيه ^(١)] بمعنى الإغراء كما قال ابن الشجري (في أماليه) كتؤمنون بالله ، بمعنى آمِنُوا بالله .
١٠ . ورحمهُ الله ، بمعنى اللهم ارحمهُ ، وحسبك زيد ، بمعنى اكتف به . ووجهه مع النصب من باب سريّة المعنى إلى اللفظ ^(٢) فإنّ المغرّى به لمّا كان مفعولاً في المعنى اتّصلت به علامة النصب ليطابق اللفظ المعنى .

وقال عبد الدائم بن مرزوق القيرواني (في كتاب حُكَي العُلَى ، في الأدب) : إنه يروى العتيق بالرفع والنصب ، ومعناه عليك العتيق وماء شَنّ وأصله : كذب ذاك ، عليك العتيق ، ثم حذف عليك وناب كذب منابه ، فصارت العرب تُغرّى به .

وقال الأعلام (في شرح مختار الشعراء الستة) عند كلامه على هذا البيت : قوله كذب العتيق ، أى عليك بالتمر . والعتيق : التمر البالى . والعرب تقول : كَذَبَكَ التَّمْرُ واللبن ، أى عليك بهما . وبعض العرب ينصب ، وهم مضر ، والرفع لليمن . وأصل الكذب الإمكان . وقول الرجل للرجل : كذبت ، أى أمكنت من نفسك وضَعُفت . فلهذا اتّسع فيه وأغرّى به ، لأنه متى أغرى بشيء فقد جعل المغرّى به ممكناً مستطاعاً إن رآه المغرّى . انتهى .

قال أبو حيان (في شرح التسهيل) بعد نقله لهذا الكلام : وإذا نصبنا بقى كذبَ بلا فاعل على ظاهر اللفظ ، والذي تقتضيه القواعد أنّ هذا يكون من باب الإعمال ، فكذب يطلب الاسم على أنّه فاعل ، وعليك

(١) تكملة يقتضيه الكلام .

(٢) أصل السريّة بالكسر سرى الليل : وفى اللسان : « ويقال فى المصادر أن تحيى على هذا البناء لأنه من أبنية الجمع . يدل على صحة ذلك أن بعض العرب يؤنث السرى والمهدى ، وهم بنو أسد ، توها أنهما جمع سريّة وهديّة » .

يطلبه على أنه مفعول ، فإذا رفعنا الاسم بكذب كان مفعول عليك محذوفاً لفهم المعنى ، التقدير كذب عليك الحُجْ . وإنما التزم حذف المفعول لأنه مكان اختصار ، ومَحَرَّفٌ عن أصل وضعه ، فجري لذلك مجرى الأمثال في كونها يلتزم فيها حالة واحدة يتصرّف فيها ، وإذا نصبنا الاسم كان الفاعل مضمراً في كذب يفسّره ما بعده على رأى سيبويه ، ومحذوفاً على رأى الكسائي . وقال ابن طريف (في الأمثال ^(١)) : وكذب عليك كذا ، أى عليك به ، معناه الإغراء ، إلا أنّ الشئ الذى بعد عليك يأتي مرفوعاً . انتهى .

وقد بسط الكلام على هذه الكلمة الزمخشري (في الفائق) فلا بأس بإيراده هنا ، وإن كان فيه طول . قال في حديث الحجامه : « فمن احتجم في يوم الخميس والأحد كَذَباك » أى عليك بهما . ومنه حديث عمر رضى الله عنه : « كذب عليكم الحجج » الحديث السابق . وعنه : أنّ رجلاً أتاه يشكو إليه التقيّس ، فقال : كذبتك الظهائر ، أى عليك المشئى في حرّ الهواجر وابتذال النفس . وعنه : أنّ عمرو بن مَعْدِيكَرْب شكّا إليه المَعَص ^(٢) . فقال : كذب عليك العسل ، يريد العسلان ^(٣) . فهذه كلمة مشكلة قد اضطربت فيها الأقاويل ، حتّى قال بعض أهل اللغة : أظنّها من الكلام الذى درجَ ودرج أهله ومَن كان يعلمه . وأنا لا أذكر من ذلك إلّا قولَ من هَجَّيراه التحقيق ^(٤) . قال أبو على : الكذب ضربٌ من القول ، وهو نطق كما أنّ

(١) صوابه « الأفعال » كما في إنباه الرواة ٢ : ٢٠٨ .

(٢) المعص ، بالتحريك : التواء في عصب الرجل ، ويقال أيضاً معصت قدمه : الثوت من كثرة المشئ . ط : « المعص » صوابه بالعين المهملة كما في الفائق ٢ : ٤٠٠ وكما في ش مع أثر تصحيح .

(٣) العسل والعسلان : ضرب من المشئ في سرعة . وانظر جمهرة العسكرى ٢ : ١٦٦ .

(٤) الهجيري : الدأب والشأن والعادة .

القول نطق . فإذا جاز في القول الذى الكذب ضرب منه أن يُتَسَّعَ فيه فيجعل غير نطق ، في نحو قوله :

* قد قالت الأنساع للبطن الحَقَى ^(١) *

جاز في الكذب ^(٢) أن يُجْعَلَ غير نطق ، في نحو قوله :

* كذب القراطف والقروف *

فيكون ذلك انتفاءً لها ، كما أنه إذا أخبر عن الشيء على خلاف ما هو به كان انتفاءً للصدق فيه . وكذلك قوله :

* كذبت عليكم أوعدونى *

معناه لست لكم ، وإذا لم أكن لكم ولم أعينكم كنت مُنابذاً لكم ، ومنتفيةً تُصرق عنكم . وفي ذلك إغراء منه لهم به .

وقوله : « كذب العتيق » ، أى لا وجود للعتيق وهو التمر فاطلبه ، وإذا لم تجدى التمر فكيف تجددين العَبوق ^(٣) .

وقال بعضهم في قول الأعرابي وقد نظر إلى جميل نضو : « كذب عليك القَتُّ والنوى » ، وروى : « البزر والنوى » ، ومعناه أن القَتَّ والنوى ذكرًا أُنْكَ لا تسمن بهما ، فقد كذبا عليك ، فعليك بهما ؛ فأُنْكَ تسمن بهما وقال أبو على : فأما من نصب البزر فإنَّ عليك فيه لا يتعلق بكذب ولكته

(١) ش والخصائص ١ : ٢٣ : « الحق » بدون ياء . وأثبت ما في ط وفائق الزمخشري . وفي اللسان أن « البطن » من الإنسان مذكر ، وحكى أبو عبيدة أن تأنيثه لغة .

(٢) ط : « معاندا » ، وأثبت ما في ش والفائق .

(٣) ما بعد « فاطلبه » إلى هنا ليس في فائق الزمخشري ، ولعله سقط من أصوله .

يكون اسم فعل وفيه ضمير المخاطب ، وأما كذب ففيه ضمير الفاعل ، كأنه قال : كذب السَّمن ، أى انتفى من بعيرك ، فأوجده بالبزر والنوى . فهما مفعولا عليك ، وأضمر السَّمن لدلالة الحال عليه في مشاهدة عدمه .

و (في المسائل القصريات) : قال أبو بكر في قول من نصب الحجج ، فقال كذب عليك الحجج : إنه كلامان ، كأنه قال : كذب ، يعنى رجلا ذم إليه الحجج ، ثم هيَّج المخاطب على الحجج فقال : عليك الحجج . هذا ، وعندى قول هو القول ، وهو أنها كلمة جرت مجرى المثل في كلامهم ، ولذلك لم تصرّف ولزمت طريقة واحدة في كونها فعلاً ماضياً معلقاً بالمخاطب ليس إلا ، وهى في معنى الأمر ^(١) ، كقولهم في الدعاء : رحمك الله ! والمراد بالكذب الترغيب والبعث ، من قول العرب : كذَّبته نفسه ، إذا منَّته الأمانى ونحَّلت إليه من الآمال ما لا يكاد يكون ، وذلك ما يرغب الرجل في الأمور ويبعثه على التعرُّض لها . ويقولون في عكس ذلك : صدَّقته ، إذا ثبَّطته ونحَّلت إليه المعجز ^(٢) والثَّكَّد في الطلب . ومن ثمَّ قالوا للنفس « الكذوب » . قال أبو عمرو بن العلاء : يقال للرجل يتهدَّد الرجل ويتوَعَّده ثم يكذب ويكُفُّ ^(٣) : صدَّقته الكذوب ! وأنشد :

فأقبل نحوى على قُدرة فلما دنا صدَّقته الكذوب ^(٤)

(١) ش : « الكلام » ، صوابه في ط والفائق .

(٢) في الفائق : « المعجزة » .

(٣) يقال كع يكُفُّ ويكُفُّ ، والكسر أجود ، أى جبن وضعف .

(٤) في الأصل : « على قدره » ، وأثبت ما في الفائق .

وأنشد الفراء :

* حَتَّى إِذَا مَا صَدَّقْتَهُ كُذُّبُهُ (١) *

أى نفوسه ، جعل له نفوساً لتفترق الرأى وانتشاره . فمعنى قوله :
كذبك الحجج : ليكذبك ، أى ينشطك ويبعثك على فعله .

وأما كذب عليك الحجج فله وجهان : أحدهما أن يضمّن معنى فعل
يتعدى بحرف الاستعلاء ، أو يكون على كلامين كأنه قال : كذب الحجج ،
عليك الحجج ، أى ليرغبك الحجج وهو واجب عليك . فأضمر فى الأوّل لدلالة
الثانى عليه . ومن نصب الحجج فقد جعل عليك اسم فعل كما سبق ، وفى
كذب ضمير الحجج . انتهى .

والبيت الشاهد هو من أبيات سبعة لعنترة صاحب المعلقة . ورؤى
أيضاً أنه لحزّز بن لؤذان السدوسى . وكلاهما جاهليّان .

قال الصاغاني : وهو موجود فى ديوان أشعارهما (٢) .

وهذه أبيات عنتره خاطب بها امرأته وكانت لا تزال تذكر خيله وتلوّمه
فى فرس كان يؤثره على سائر خيله ويسقيه اللبن :
(لا تذكرى فرسى وما أطعمته
فيكون جلدك مثل جلد الأجر)

(١) الكذب ، بضمّين : جمع كذوب . وفى ط : « كذوبه » صوابه فى ش والفائق وتاج العروس
(كذب ٤٤٩) ، وهو ما يقتضيه التفسير بعده .
(٢) ديوان عنتره ٢٤ - ٢٥ .

إِنَّ الْغَبُوقَ لَهُ ، وَأَنْتَ مَسْوءَةٌ
 فَتَأَوَّهِي مَا شِئْتَ ثُمَّ تَحَوَّيْ
 كَذِبَ الْعَتِيقِ وَمَاءَ شَنْ بَارِدٍ
 إِنَّ كُنْتَ سَأَلْتِي غَبُوقًا فَاذْهَبِي
 إِنَّ الرِّجَالَ لَهْمُ إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ
 إِنْ يَأْخُذُوكَ تَكْحَلِي وَتَخْضَبِي
 وَيَكُونُ مَرْكَبُكَ الْقَعُودَ وَجِدْجَه
 وَابْنُ النِّعَامَةِ عِنْدَ ذَلِكَ مَرْكَبِي
 وَأَنَا أَمْرُو إِنْ يَأْخُذُونِي عَنُودٌ
 أَقْرَنُ إِلَى شَرِّ الرِّكَابِ وَأُجَنَّبُ
 لِمَنِّي أَحَاذِرُ أَنْ تَقُولَ ظَعِينَتِي :
 هَذَا غِبَارٌ سَاطِعٌ قَتْلَبٍ (

١٢

وقوله (١) : « مثل جلد الأجر » أى لا تلومينى فى إيثار فرسى
 فأبغضتك وأهجر مضجعك وأتحمأك ، كما يتحامى الأجر من الإبل ويبتعد
 عنها لئلا يُعديها . وقيل معناه أضربك فيبقى أثر الضرب عليك كالجر .
 فيكون تهديها بالضرب الأليم .

وقوله : « إِنَّ الْغَبُوقَ لَهُ » إلخ الغبوق : شرب اللبن بالعشي . والعشي :
 ما بين الزوال إلى الغروب ، وقيل من الزوال إلى الصبح . ومسوءة ، أى آت
 إليك ما يسوءك بإيثار فرسى عليك . والتأوه : التحزن ، وأن تقول : آه !
 توجعا . والتحوب : التوجع ، ويقال هو الدعاء على الشيء .

(١) ش : « قوله » بدون واو .

وقوله : (كذب العتيق) إلخ العتيق هو التمر القديم . قال الدّينوريّ (في كتاب النبات) : يقال عَتَقَ وعَتَّقَ بالفتح والضّمّ ، إذا تقادم . والعتيق : اسمٌ للتمر عَلِمَ . وأنشد هذا البيت . و (الشَّنُّ) : القرية الخلق ، والماء يكون فيها أبرد منه في القرية الجديدة . يقول : عليك بالتمر فكليهِ ، والماء البارد فاشربه ، ودعيني أوتر فرسى باللين . وإن تعرّضت لشرب اللبن فاذهبي . وإنما يتوعّدها بالطلاق .

وقد أورد سيبويه هذا البيت في باب وجوه القوافي في الإنشاد ، على أنّه سمع من العرب من ينشده :

« إن كنت سائلتي غبوقاً فاذهب »

بسكون الباء ، لأنّهم لم يريدوا الترم .

وقوله : « إن الرجال » إلخ ، ويروى « إن العدو » . والوسيلة : القرية ، وقيل المنزلة القريبة . قال الأعلام (في شرح مختار شعر عنترة) : هذا منه وعيدٌ وتحويّفٌ أن تُسبى فيستمتع بها الرجال ، [ولذلك ^(١)] قال : تكحّلي وتخصّبي . والمعنى : إن أخذوك تكحّلي وتخصّبي لهم ليستمتعوا بك . وقال ابن الشجري : أن يأخذوك موضعه نصب بتقدير حذف الخافض ، أى فى أن يأخذوك ، أى لهم قربةً إليك فى أخذهم إياك . قدّفها بإرادتها أن تؤخذ مسيئة .

هذا كلامه ، وهذا تحريفٌ منه ، فإنّ إن شرطية لا مفتوحة مصدرية ، وقد جُزمت الشرط والجزاء . وقد غفل عنهما .

(١) التكملة من ش .

وقوله : « ويكون » إلخ القعود بفتح القاف : ما اتخذ من الإبل للركوب خاصة . والجندج ، بكسر الميم و آخره جيم : مركب من مراكب النساء . وروى بدله « رحله » . وابن النعمان : اسم فرسه . وقيل هو الطريق ، وقيل هو صدر القدم . يقول : إن أخذوك حُمِلت سبيّة على قعود ونجوت أنا على فرسى . والمعنى على الثاني والثالث أنه إن أسر يمشى راجلاً مُهاناً .

وقوله : « وأنا امرؤ » إلخ العنوة بالفتح : القسر والقهر . والركاب : الإبل التي يُحمَل عليها الأثقال . وأقرن أى ألصق بها وأجعل مقروناً لها . وأجنب : أقاد . يقول : إن أخذت عنوة قرنت إلى شر الإبل وجنبت كما تُجنب الدابة .

وقوله : « إئني أحاذر » إلخ الطعينة : الزوجة مادامت في الهدج . والتلبب : التحزم ، أى تحزّم للمحاربة . وقيل هو الدخول في السلاح . وقوله : « هذا غبار » ، يعنى غبار الخيل عند الغارة . والساطع : المستطير في السماء .

وترجمة عنتره تقدمت في الشاهد الثاني والعشرين أول الكتاب (١) . وترجمة ابن لوزان تقدمت أيضاً في الشاهد العشرين بعد المائة (٢) .

تممة

أصل الكذب الإخبار على خلاف الواقع . قال ابن قتيبة : الكذب ١٣ يكون في الماضي ، والخلف في المستقبل . قال ابن السّيد : هذا الأكثر

(١) صوابه « الثاني عشر » . انظر الخزانة ١ : ١٢٨ .

(٢) انظر الخزانة ٢ : ٢٣٢ - ٢٣٣ .

(١٣ خزانة الأدب ج ٦)

والأشهر . وقد جاء الكذب مستعملاً في المستقبل . قال تعالى : ﴿ ذلك وعدٌ غيرُ مكذوب ﴾ ^(١) . ومن المجاز حديثُ : « صدق الله وكذب بطنُ أخيك » . قال صاحب التَّهْيَاة : استعمل الكذب ههنا مجازاً ، حيث هو ضدُّ الصدق . والكذب يختصُّ بالأقوال ، فجعل بطن أخيه حيث لم ينجع فيه العسل كاذباً ؛ لأنَّ الله تعالى قال : ﴿ فيه شفاءٌ للناس ﴾ ^(٢) .

وقد ألَّف أبو بكر بن الأنباري (رسالة في معاني الكذب) قال :
الكذب ينقسم على خمسة أقسام :

إحداهنَّ : تغيير الحاكى ما يسمع ، وقوله ما لا يعلم نقلاً ورواية ^(٣) .
وهذا القسم هو الذي يؤثم ويهضم المروءة .

الثاني : أن يقول قولاً يشبه الكذب ولا يقصِد به إلَّا الحقَّ ، ومنه حديث « كذب إبراهيم ثلاث كذبات ، في قوله : إني سقيم . وفي قوله : بل فعله كبيرهم هذا ، وفي قوله : سارة أختي ^(٤) » ، أى قال قولاً يشبه الكذب . وهو صادق في الثلاث ، لأنَّ معنى إني سقيم : الموت في عنقي ، ومن الموت في عنقه سقيم أبداً . وقوله : بل فعله كبيرهم هذا ، تأويله فعله الكبير إن كانوا ينطقون ، فهو في الحقيقة لا يفعل كما لا ينطقون أبداً . وتأويل قوله : سارة أختي ، هي أختي في ديني لا في نسبي .

الثالث : بمعنى الخطأ ، نحو : أقدر أن فلاناً في منزله الساعة ، فيقال

(١) الآية ٦٥ من هود .

(٢) الآية ٣٩ من النحل .

(٣) ط : « رواية » ، صوابه في ش .

(٤) هو من حديث عبادة بن الصامت ، انظره بتفصيل في سنن أبي داود ٢ : ٣٦ في (باب

في من لم يوتر) .

لقائله : صدقت وكذبت . فتأويل صدقت أصبت ، ومعنى كذبت أخطأت . قال ابن الأثير (في النهاية) : ومنه حديث صلاة الوتر : « كَذَبَ أَبُو مُحَمَّدٍ » أى أخطأ ، سَمَاهُ كَذَبًا لِأَنَّهُ شَبِيهُهُ فِي كَوْنِهِ ضِدُّ الصَّوَابِ ، كما أَنَّ الكَذِبَ ضِدُّ الصِّدْقِ وَإِنْ افْتَرَقَا مِنْ حَيْثُ النِّيَّةُ وَالْقَصْدُ ، لِأَنَّ الكاذِبَ يَعْلَمُ أَنَّ مَا يَقُولُهُ كَذِبٌ ، وَالْخَطِيءُ لَا يَعْلَمُ . وهذا الرجل ليس بمخبر ، وإنما قاله باجتهاد أَدَّاهُ إِلَى أَنَّ الْوَتَرَ وَاجِبٌ . والاجتهاد لَا يَدْخُلُهُ الْكَذِبُ ، وَإِنَّمَا يَدْخُلُهُ الْخَطَأُ . وأبو محمد : صحابى اسمه مسعود بن زيد (١) .

وقد استعملت العربُ الكَذِبَ في موضع الخطأ . قال الأنخل :
كذبتك عينك أم رأيت بواسط

غَلَسَ الظَّلَامُ مِنَ الرَّيَابِ خِيَالًا (٢)

انتهى .

الرابع : البُطُولُ ، كَذَبَ الرَّجُلُ بِمَعْنَى بَطَلَ عَلَيْهِ أَمْلُهُ وَمَا رَجَاهُ . قال أبو ذؤاد الإيادى :

قُلْتُ لَمَّا ظَهَرَ فِي قُبَّةِ

كَذَبَ الْعَيْرُ وَإِنْ كَانَ بَرَحَ (٣)

معناه كذب العيرَ أمله وبطلَ عليه ما قدَّرَ ، لِأَنَّهُ كَانَ أَمَّلَ السَّلَامَةِ مَتَى لَمَّا بَرَحَ . وتفسير برح أخذ من جهة شمالى ماضياً على يمينى ، فلَمَّا قَلَبْتُ

(١) إلى هنا ينتهى نص ابن الأثير . وترجمة أى محمد في الإصابة ٧٩٣٩ .

(٢) ديوان الأنخل ٤١ .

(٣) في ديوانه ٣٠١ والمقاييس واللسان (كذب) والمعاني الكبير ١١٨١ وجمهرة العسكرى ٢ :

١٦٦ . وروايته فيها : « قلت لما نصلا من قبة » .

عليه الرمح وطعنته بطل عليه ما كان أمل من التخلص والسلامة .

وقد قيل في هذا البيت :

كذبتم وبيت الله لا تأخذونها

مغالبة مادام للسيف قائم

إن معناه : كذبكم أملكم . ومثله أيضاً قوله :

كذبتم وبيت الله لا تنكحونها

بنى شاب قرناها تضر وتخلب^(١)

تقديره : كذبكم أملكم .

وفسر قول أبي طالب :

كذبتم وبيت الله نُبِرَى محمداً

ولما نطاعن دونه ونناضل^(٢)

معناه : بطل عليكم ما أمّلت .

وقال بعض أهل اللغة في قول الله تعالى : ﴿ انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ ﴾^(٣) : انظر كيف بطل عليهم أمّلتهم ، لأنهم لما قالوا : ﴿ وَاللّٰهُ رَبُّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ ، رجّوا أن يزول عنهم بهذا القول البلاء ، ولم يحلفوا على الذى أقسموا عليه إلا وهو في معتقدهم حق ؛ إذ كانوا في حالة ما أقسموا ، على ما قدّروه في دار الدنيا ، من أنّ الشرك غير شرك ، وأنّ الكفر هدى وإيمان .

١٤

(١) من شواهد سيبويه في كتابه ١ : ٢/٢٥٩ : ٧ ، ٦٤ .

(٢) ديوان أبي طالب الورقة الثانية مخطوطة الشنقيطى .

(٣) الآية ٤٣ من سورة الأنعام .

ومن كانت هذه سبيله فليس كذبه إلا من جهه بطول أمله . وقد خولف هذا اللغوى . انتهى .

ومنه قول سيبويه : « وهو محال كذب » أى باطل وفاسد ^(١) ، قاله فى الكلام المختل ، وهو الذى لا تحصل فائدته ، نحو : سوف أشرب ماء البحر أمس ، وقد شربت ماء البحر غداً .

قال أبو حيان (فى تذكرته) : وخالفه فيه أصحابه : الأخفش ، والمازنى ، والمبرد ، فقالوا : هذا القسم محال وليس بكذب ، لأنه لا يحصل له معنى . والكذب سبيله أن يقع لما يخاطب بمعناه . قال أبو بكر : وقول سيبويه عندى صحيح ، لأن الكذب يقع على الفاسد من القول ، كما يقع الصدق على الصحيح منه . وجائز عندى أن يقال محال لكل ما لا يحصل معناه من الخطأ والكذب ، من حيث أن تأويل المحال فى اللغة المعير عن الصواب ، المزال عن طريق الصحة . فمن كذب وأخطأ فى قول يفهم عنه فقد أقال . انتهى .

قال ابن الأنبارى : ومما يدل على أن كذب بمعنى أخطأ ، وهو مصحح لقول سيبويه ، ومبطل لمذهب مخالفه - أن عروة بن الزبير ذكر عند عمر بن عبد العزيز ما كانت عائشة رضى الله عنها تخص به عبد الله بن الزبير من البر والأثرة والمحبة ، فقال له عمر : كذبت ! وبالحضرة غبيد الله بن عبد الله فقال : إئى ما كذبت ، وإن أكذب الكاذبين لمن كذب الصادقين . قال أبو بكر : فلا يحمل هذا من قول عمر بن عبد العزيز إلا على أنه أراد أخطأت ، إذ المعنى الآخر يلزم عمر كذباً فيأثم . وجواب عروة وقع على غير المعنى الذى قصد له عمر ، لأنه حين غضب حمل كذب على معنى قلت غير الحق .

(١) انظر سيبويه ١ : ٨ بولاق ، ١ : ٢٦ من نشرتنا .

ومثله قول معاوية للناس : كيف ابنُ زياد فيكم ؟ قالوا : ظريفٌ عَلى أنه يلحن . قال : فذاك أظرفُ له . أراد القومُ بقولهم يلحن : يخطئ ، وذهب معاوية إلى أنَّهم أرادوا يلحن بمعنى يَفْطَن ويُصِيب ، من قول العرب : فلانٌ ألحن بحجته من فلان .

وقد حُكي عن بعض أصحاب رسول الله ﷺ أنه حُكي له عن صحابيٍّ روايةً رواها عن رسول الله ﷺ فقال : كذب (١) ، يعني أخطأ . لا مُحْتَمَلٌ لهذا غير التأويل ، إذ هم معادنُ التقوى والورع ، وأربابُ الصدق والفضل ، وصفهم الله بالصدق بقوله : ﴿ وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون ﴾ (٢) .

ويقال : كذبت الرجل ، إذا كذبتَه فيما هو فيه كاذب . وكذبتَه إذا نسبته إلى الكذب فيما هو فيه صادق . قال الله تعالى : ﴿ فإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ ﴾ (٣) أراد لا يصحِّحون عليك الكذب وإن نسبوك إليه .

قال أبو بكر : وقد أجبتُ عنها بجوابٍ آخر ، فإنَّهم لا يكذبونك بقلوبهم عندما ينسبونك إلى الكذب بالسنتهم ، لأنه عليه الصلاة والسلام كان عندهم علماً في الصدق قبل النبوة وبعدها ، ولذلك كانوا يدعونه : « الأمين » . وأنشدنا أحمد بن يحيى لابن الدُّمينة :

حَلَفْتُ لها أنْ قد وَجَدْتُ من الهوى
أخا الموتِ ، لا بدعاً ولا متأسباً (٤)

(١) إشارة إلى حديث أنى محمد مسعود بن زيد ، الذى سبق قريباً فى ص ١٩٥ .

(٢) الآية ٨ من سورة الحشر .

(٣) الآية ٣٣ من سورة الأنعام .

(٤) أثبت البيهقي محقق ديوان ابن الدمينة ٢١٣ نقلاً عن هذا الموضع من الخزائنة .

١٥

وقد زعمت لى ما فعلت فكيف بى

إذا كنت مردودَ المقال مكذّبا

أراد منسوباً إلى الكذب فيما أنا فيه محقّ صادق .

والمعنى الخامس من المعانى كَذَبَ : الإغراء . وقد تقدم الكلام فيه فى أول الشاهد (١) .

* * *

وأنشد بعده :

(وَذِيانِيَّةٌ أَوْصَتْ بِنِهَا

بأن كَذَبَ القراطف والقُروفُ)

على أن كذب فيه مستعملٌ فى الإغراء والقراطف فاعله ، والمعنى على المفعولية ، أى عليكم بالقراطف والقُروف فاعنموهما .

وتقدّم ما يتعلق بكذب فى البيت الذى قبله . وبعده :

(تجهّزهم بما اسطاعت وقالت

بَنَى فكلّكم بطلٌ مُسيّفُ

فأخلفنا مَوَدَّتَهَا ففاظت

ومأقّى عينها حَديرٌ تطوفُ)

والأبيات من قصيدة لمعقّر البارقي ، وكان حليفاً لبنى نمر ، ومدحهم فيها صاحب الشاهد

وذكر ما فعلوا ببني ذبيان . وقد تقدّمت ترجمته مع شرحها فى الشاهد الثالث والثلاثين بعد الثلاثمئة (٢) .

(١) انظر ص ١٨٤ .

(٢) الخزائن ٥ : ١٦ - ١٨ .

وهذا شرحها باختصار . يقول : ربّ امرأة ذبيانية أمرت بنبيها أن يُكثروا من نهب هذين الشيعين إن ظفروا ببني نمر^(١) ، وذلك لحاجتهم وقلة ما لهم . والقراطف : جمع قَرَطَف كجعفر ، وهو كساء مُحَمَّل . والقروف : جمع قَرَف بفتح القاف وسكون الراء : وعاء من جلد يدبغ بالقرفة بالكسر ، وهي قشور الرُّمّان ، يُجعل فيه الخَلع بفتح الخاء المعجمة وسكون اللام ، وهو لحم يطبخ بالتوابل يوضع في القَرَف ويُرَوَّد به في الأسفار . وبنى منادى . والمُسيف : الذى قد هلك إبله ومواشيه . يقال أساف الرجل ، أى هلكت مواشيه بالسَّواف بفتح السين^(٢) المهملّة وضمها ، وهو مرض الدوابّ وطاعونها . يعنى^(٣) أن أولادها فقراء قد هلكت مواشيم . تحرّضهم على الغنيمة .

وقوله : « فأخلفنا مودتها » إلخ ، أى أخلفنا مأمولها . وفاظت : ماتت . والمأقى : لغة في الموق ، وهو طرف العين من ناحية الأنف . وحدير وصفٌ بمعنى منحدر . ونطوف : سائل ، يقال نطف الماء ، إذا سال . يعنى ماتت وهى في هذه الحالة .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والخمسون بعد الأربعمئة^(٤) :
 ٤٥٤ (يا أيُّها المائحُ ذلوى دُونِكا
 إئنّى رأيت الناسَ يَحْمَدونِكا^(٥))

(١) ط : « بنى نمر » ، صوابه في ش .

(٢) ش : « بالهمزة وفتح السين » ، صوابه في ط .

(٣) ط : « تعنى » ، والوجه ما أثبت من ش .

(٤) أمالى القالى ٢ : ٢٤٤ والعقد ٥ : ١١١ وأمالى الزجاجى ٢٣٧ عن الخزاعة ، والانصاف

٢٢٨ وابن عيش ١ : ١١٧ والمقرب ٢٧ والشذور ٤٠٧ والعينى ٤ : ٢٢١ والتصریح ٢ : ٢٠٠ والهمع

٢ : ١٠٥ والأشموئى ٣ : ٢٠٦ واللسان والتاج والمقاييس (مبح) .

(٥) ط : « المائح » بالتاء في هذا الموضع وسائر المواضع ، والوجه ما أثبت من ش في جميع

المواضع .

على أنَّ معمول اسم الفعل يجوز تقدُّمه عليه كما هنا ؛ فإنَّ قوله : دلوى
مفعول دونكا ، والمعنى : خذْ دلوى . ومنعه البصريُّون فجعلوا دلوى مبتدأ
ودونك ^(١) ظرفاً لا اسمَ فعل ، أى دلوى قدَّامك فخذْها ، فدونك ظرف خبر
المبتدأ .

وقد بيَّن الفراء مذهب الكوفيين (فى تفسيره) ، عند قوله تعالى :
﴿ كَتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ ^(٢) من سورة النساء ، قال : قوله : كتاب الله عليكم
كقولك : كتاباً من الله عليكم . وقد قال بعضُ أهل النَّحو : معناه عليكم
كتاب الله . والأوَّل أشبه بالصواب . وقلماً تقول العرب : زيداً عليك أو زيداً
دونك ، وهو جائز ، كأنَّه منصوب بشئٍ مضمَر قبله . وقال الشاعر :

* يا أيها المائح دلوى دونكا *

الدلو رفعٌ كقولك : زيد فاضربوه : هذا زيدٌ فاضربوه ^(٣) . والعرب ١٦
تقول : الليلُ فبادروا ، والليلُ فبادروا . وتنصب الدلو بمضمَر فى الخِلفَة ^(٤)
كأنك قلت : دونك دلوى دونك . انتهى .

وتعقبه الزجاج (فى تفسيره) قال فى ﴿ كَتَابَ اللَّهِ ﴾ : منصوب على
التوكيد محمول على المعنى ؛ لأنَّ المعنى حُرِّمَتْ عليكم أمهاتكم ، كتب الله
عليكم هذا كتاباً . وقد يجوز أن يكون منصوباً على جهة الأمر ، ويكون
عليكم مفسراً له ، فيكون المعنى الزموا كتابَ الله عليكم . ولا يجوز أن يكون
منصوباً بعلينكم لأنَّ قولك عليك زيداً ليس له ناصب فى اللفظ متصرفٌ
فيجوز تقديم منصوبه .
وقول الشاعر :

(١) ش : « ودونكا » .

(٢) الآية ٢٤ من النساء . وانظر معانى الفراء ١ : ٢٦٠ .

(٣) هذا زيد فاضربوه ، ليست فى معانى الفراء .

(٤) الخلفة ، بالكسر : الذى يخلف صاحبه ، يذهب هذا ويحى هذا .

* يا أيها المائح دلوى دونك *

يجوز أن يكون دلوى في موضع نصب بإضمار تُخذ دلوى ، ولا يجوز أن يكون على : دونك دلوى ، لما شرحنا . ويجوز أن يكون دلوى في موضع رفع ، المعنى : هذه دلوى دونك . انتهى .

وقد أورد هذه المسألة ابن الأنباري (في مسائل الخلاف) فقال : ذهب الكوفيون إلى أن عليك وعندك ودونك يجوز تقديم معمولاتها كما في الآية والبيت ، ولأنها قامت مقام الفعل فتعمل كعمله . ومنعه البصريون والفراء وقالوا : إن كتاب الله منصوب بكتب مقدراً ، وإن دلوى خبر مبتدأ مقدر ، أو منصوب بفعل محذوف كخذ ، يفسره دونك ، لا بدونك . وأجابوا عن الثاني بأن الفعل متصرف في نفسه فتصرف في عمله ، وهذه الألفاظ لا تستحق عملاً وإنما أعملت لقيامها مقام الفعل ، وهي غير متصرفة في نفسها فلا تتصرف في عملها ، فلا يقدم معمولها . انتهى .

وقوله : إن الفراء تبع البصريين ، مخالف لنص كلامه ، فإنه صرح بجواز عمله مؤخرًا ومحذوفًا .

وردّهما الزجاج وجعل دلوى منصوباً بفعل محذوف يفسره دونك . فدونك على هذا اسم فعل قد حذف مفعوله ، أي دونكه . ويكون في جعله دلوى خبر مبتدأ محذوف ، دونك ظرفاً في موضع الحال لا اسم فعل .

وهذان الوجهان غير ما وجّه به الشارح المحقق ، وإنما حكاها عن البصريين ، لأنه تخريج موافق لقواعدهم . وقد وجّه به أيضاً ابن هشام : (في شرح القطر ، وفي المغنى) .

وقول الشيخ خالد (في التصريح) : « وفيه نظر لأن المعنى ليس على الخير المحض حتى يخبر عن الدلو بكونه دونه » ، لا وجه له ، كما قال عبد الله الدنوشري . وما المانع من أن يكون خيراً محضاً قصد به التنبيه على أن الدلو أمامه ويكون الدال على الأمر بأخذ الدلو مقدراً . والتقدير : فتناوله .

وجوز ابن مالك أن يكون دلوى منصوباً بدونك مضمرة ، مدلولاً عليها بدونك المذكورة ، مستنداً لقول سيبويه في زيدا عليك : كأنك قلت : عليك زيدا . وقد ردّه الزجاج وغيره .

قال ابن هشام : (في المغنى) : شرط الحذف أن لا يؤدي إلى اختصار المختصر ، فلا يحذف اسم الفعل دون معموله ، لأنه اختصار للفعل . وأما قول سيبويه في : زيدا فاقتله ، وفي : شأنك والحج ، وقوله :

« يا أيها المائح دلوى دونكا »

إنّ التقدير : عليك زيدا ، وعليك الحج ، ودونك دلوى ، فقالوا : إنما أراد تفسير المعنى لا الإعراب ، وإنما التقدير : خذ دلوى ، والزم زيدا ، والزم الحج . ويجوز في دلوى أن يكون مبتدأ ودونك خبره . انتهى .

وظاهره أن البيت ذكره سيبويه في كتابه . وليس كذلك ، فإنه لم يورده فيه البتة . ولم يورد الدماميني هنا شيئاً سوى ما نقله عن الشارح المحقق من أنه لا يجوز تقدّم معمول اسم الفعل عليه .

و (المائح) : فاعل من الميح بالمشاة التحتية والحاء المهملة ، قال صاحب الصحاح : المائح الذي ينزل البئر فيملأ الدلو ، وذلك إذا قلّ ماؤها ، والجمع مائح ، وقد ماح يمح . وأنشد هذا البيت . وأما المائح بالمشاة الفوقية

فهو الذى يسقى الماء ^(١) ، يقال متح الماء يمتحه متحا ، من باب فتح ، إذا نزع بالدلو . ويتر متوح للتي يمد منها باليدين على البكرة .

والبيتان لراجز جاهلي من بنى أسيد بن عمرو بن تميم ، ولهما قصة أوردها أبو رياش ، وأبو عبد الله النمرى ، وأبو محمد الأسود الأعرابي ، (في شروحهم لحماسة أبى تمام) .

قال أبو محمد الأسود : أملى علينا أبو الندى قال : كان وائل بن صريم الغبيري ذا منزلة من الملوك ومكان عندهم ، وكان مفتوق اللسان حلو ، وكان جميلا ، فبعثه عمرو بن هند اللخمي ساعيا على بنى تميم فأخذ الإتاوة منهم حتى استوفى ما عندهم ، غير بنى أسيد بن عمرو بن تميم ، وكانوا على طوليع ^(٢) ، فأتاهم فنزل بهم ، وجمع النعم والشاء ، فأمر بإحصائه ، فبينما هو قاعد على بئر أتاه شيخ منهم فحدثه ، فغفل وائل فدفعه الشيخ فوقع في البئر فاجتمعوا فرموه بالحجارة حتى قتلوه ، وهم يرتجزون ويقولون :

يا أيها المائح دلوى دونكا
إني رأيت الناس يحمدونكا

وإنما هذا هزء به . فبلغ الخبر أخاه باعث بن صريم ، فعقد لواء ونادى في غبر فساروا ، وآلى أن يقتلهم على دم وائل حتى يلقى الدلو فتمتلئ دما ! فقتل باعث منهم ثمانين رجلا ، وأسر عدة ، وقدم رجلا منهم يقال له قمامة فذبحه حتى ألقى دلوه ، فخرجت ملأى دما . ولم يزل يغير عليهم زمانا ، وقتل

(١) كنا في النسختين . والمعروف « يسقى الماء » كما في المعاجم .

(٢) طوليع : ماء لبنى تميم .

منهم فأكثر ، حتّى إنّ المرأة من بنى أسيّد كانت تعثر فتقول : تَعِسَتْ غُبْر ،
ولا لقيت الظفر ، ولا سقيت المطر ، وعَدِمَتِ النفر ! وقال باعث في ذلك :
سائل أسيّد هل تأرت بواثل

أم هل أتيتهم بأمرٍ مُبرّم
إذ أرسلوني مائحاً لِدلائهم
فملائها حتّى العراقيّ بالدم

انتهى .

والغُبْرَى : نسبة إلى غُبْر بضم الغين المعجمة وفتح الموحدة ، قبيلة .
وأسيّد بضم الهمزة وفتح السين وتشديد الباء المكسورة .

وقد أنشدتهما جارية من بنى مازن وضمت إليهما بيتين آخرين . قال
الصغاني (في العباب) في مادة الميح ، ونقله العيني : ومنه حديث البراء بن
عازب رضی الله عنه : أتى رسول الله ﷺ على بحر ذمّة فنزلنا سته ماحّة ،
ونزل فيها ناجية بن جندب الأسلمي رضی الله عنه بأمر رسول الله ﷺ ،
فأدلت جارية من بنى مازن دلوها وقالت :

يا أيّها المائح دلوى دونكا
إني رأيت الناس يحمدونكا
يُثنون خيراً ويمجدونكا
خُذها إليك اشغل بها يمينكا

فأجابها ناجية :

قد علمت جارية يمانية
أني أنا المائح واسمي ناجية

وطعنة ذات رشاش واهية
طعنتها تحت صدور العادية

انتهى .

١٨

ويتر ذمة بالوصف ، أى قليلة الماء ، أى إنها تُدْمُ لقلة مائها .
والذميم : الماء المكروه . ومازن : اسم ثلاث قبائل فى عدنان . وهذا يخالفه قول
ناجية :

* قد علمت جارية يمانية *

فإن أهل اليمن كلهم من قحطان . وأثنى عليه خيرا ، من الثناء وهو
الوصف الجميل ، فعليك فى الرجز مقدرة . ويمجدونك : يذكرونك بالمجد وهو
العز والشرف والكرم . وشغل من باب نفع . وطعنة أى رب طعنة . ورشاش
الطعنة بالفتح : الدم المتطاير منها . وأرشت الطعنة بالألف : نفذت فأنهرت
الدم . كذا فى المصباح . وزعم الشامى (فى السيرة) أنه بالفتح جمع رش ،
والمراد به المطر القليل . هذا كلامه . وواهية : صفة طعنة ، أى منشقة
مسترخية . والعادية ، قال الشامى : هم الذين يعدون : يسرعون الجرى .
وأخذ العينى من ظاهر نقل الصاغاني أن البيتين الأولين لتلك الجارية ،
وليس كذلك . وروى السيوطى (فى شواهد المغنى) عن البيهقي (فى
الدلائل) ، عن ابن إسحاق قال : زعمت أسلم أن جارية من الأنصار أقبلت
بدلوها عام الحديبية ، وناجية بن جندب الأسلمى صاحب بطن رسول الله
ﷺ فى القلب يميح على الناس ، فقالت . وأنشد الشعرين :

* خذها إليك اشغل بها يمينكا *

وقوله : « جارية من الأنصار » يوافقه قوله جارية يمانية ، فإن أصل
الأنصار من اليمن . وكذا روى الشامى (فى السيرة) .

وزعم ابن الشجرى (فى أماليه) أنَّ البيتين لرؤية ، وأنه لم يستسق ماءً
فى الحقيقة وإنما طلب عطاء .

وكلاهما لا أصل له كما عرفت . والبيت الذى لرؤية إنما هو هذا :
كأنَّها دلو بئر جدَّ ماتِمْحَا
حتَّى إذا ما رآها خانه الكربُ

أى كأنَّ الناقة فى السرعة دلو ملأى وصلت إلى فم البئر ، ثم انقطع
حبلُها فهوت فيها . والماتح هنا بالمشاة الفوقية ، هو الذى يستقى على رأس
البئر . والكرب بفتححتين : الحبل الذى يُشدُّ على عرقوة الدلو .

وروى الزجاجى (فى أماليه) قال : حدَّثنا ابن دريد قال : أخبرنا
أبو حاتم قال : أخبرنا أبو عبيدة قال : كتبت امرأة من العرب إلى طلحة
الطلحات :

يا أيُّها الماتح دلولى دونكا إئنى رأيت الناس يحمدونكا

« يُثنون خيراً ويمجدونكا »

فلما قرأ طلحة الكتاب أحبَّ أن لا يفطن الرسول ، فقال : ما أيسرَ
ما سألت ، إنما سألت جنبة ^(١) . ثم أمرَ بجنبة ^(٢) عظيمة فقوّرت وملئت
دنابير ، وكتب إليها :

(١) فى النسختين : « جنبة » تحريف . والجنبة ، بتقديم النون : جلدة من جنب البعير يعمل
منها علية . وفى التهذيب : أعطى جنبة ، فيعطيه جلدا فيتخذة علية .

(٢) كذا على الصواب فى ط . وفى ش : « بجنبة » تصحيف .

إِنَّا مَلَأْنَاهَا تَفِيضًا فَيَضًا فَلَنْ تَخَافِي مَا حَيَّيْتَ غَيْضًا

* تُحْذِي لَكَ الْجَنْبَ وَعُودِي أَيْضًا *

وغيضاً ، من غاض الماء في الأرض ، إذا غار فيها وانمحق .

* * *

وأنشد بعده :

(أَلَا أَيُّهَا الطَّيْرُ الْمَرِيَّةُ بِالضُّحَى

عَلَى خَالِدٍ لَقَدْ وَقَعْتَ عَلَى لَحْمٍ)

على أن تنوين لحم للإبهام والتفخيم ، أى لحم وأى لحم .

تقدم شرحه مفصلاً في الشاهد الثامن والأربعين بعد الثلاثمائة من باب النعت (٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والخمسون بعد الأربعمائة (٣) :

٤٥٥ (وَقَفْنَا فَقُلْنَا إِلَيْهِ عَنْ أُمِّ سَالِمٍ وَمَا بَالُ تَكْلِيمِ الدَّيَارِ الْبَلَاغِ)

على أن ابن السكيت والجوهري قالا : إنما جاء ذو الرمة هنا بإيه غير مُنَوَّن مع أنه موصول بما بعده ، لأنه نوى الوقف .

(١) في النسختين : « الجين » ، تصحيف كذلك .

(٢) الخزائن ٥ : ٧٥ - ٨٦ .

(٣) مجالس نعلب ٢٧٥ والمقتضب ٣ : ١٧٩ وابن عيش ٤ : ٣١ ، ٩/٧١ ، ٣٠ : ١٥٦

والشدور ١١٩ وديوان ذى الرمة ٣٥٦ .

هذا الكلام نقله الجوهرى عن ابن السكيت ، ثم نقل عن ابن السريّ الزجاج^(١) أنه قال : إذا قلت إيه يا رجل فإئما تأمره بأن يزيدك من الحديث المعهود بينكما ، كأنك قلت : هات الحديث . فإن قلت إيه بالتنوين فكأنك^(٢) قلت : هات حديثاً ما ؛ لأنّ التنوين تنكير . وذو الرمة أراد التنوين فتركه للضرورة . انتهى .

وإئما كان ترك التنوين ضرورةً لأنه أراد من الطلل أن يُخبره عنها أى حديث كان ، وليس فيه ما يقتضى أن يحدّثه حديثاً معهوداً . كذا قيل ، وفيه أنّه إئما طلب حديثاً مخصوصاً وهو الحديث عن أمّ سالم . وبه يسقط قول ثعلب (فى أماليه) : تقول العرب إيه بالتنوين بمعنى حدّثنا^(٣) . وأما قول ذى الرمة فإئما ترك التنوين وبني على الوقف ، ومعناه إيه أى حدّثنا^(٤) .

قال ابن جنى (فى سر الصناعة) : تنوين التنكير لا يُوجد فى معرفة ، ولا يكون إلا تابعاً لحركات البناء ، وذلك نحو إيه ، فإذا تَوَّنت وقلت إيه فكأنك قلت : استزادة . وإذا قلت إيه فكأنك قلت : الاستزادة . فصار التنوين علمَ التنكير ، وتركه علمَ التعريف . قال ذو الرمة :

« وقفنا فقلنا إيه عن أمّ سالم »

فكأنه قال : الاستزادة . وأما من أنكر هذا البيت على ذى الرمة فإئما خفى عليه هذا الموضع .

(١) ش : « الزجاجى » ، تحريف . والزجاج هو إبراهيم بن سهل ، أبو إسحاق ، كان يخرط الزجاج ، ثم مال الى النحو فلزم المبد ، وصار إماماً فى النحو ، توفى فى سنة ٣١١ . وأما الزجاجى تلميذه فهو عبد الرحمن بن إسحاق ، صاحب كتاب الجمل . توفى سنة ٣٣٩ .

(٢) ش : « كأنك » .

(٣) ط : « حديثاً » فى هذا الموضع وتاليه ، صوابه فى ش ومجالس ثعلب .

(٤) فى المجالس : « إيه حدّثنا عن أمّ سالم » .

هذا كلامه . وفي (شرح الصَّفَّار لسيبويه) : وأما إليه فمعناه حَدَّث
أو زِدْ ؛ لكن هو لازم ، لا يقال : إليه كذا .

قال أبو حيان : قد استعمله بعض الشعراء المولَّدين متعديًا فقال :

« إليه أحاديث نعمانٍ وساكنته ^(١) »

وقال آخر :

« إليه حديثك عن أخبارهم إليه »

والبيت من قصيدة طويلة لذي الرمة ، وهذا مطلعها :

خليلِيَّ عَوْجًا عَوْجَةً نَاقَتِيكُمَا عَلَى طَلَلٍ بَيْنَ الْقَلَاتِ وَسَارِعٍ ^(٢)
به ملعبٌ من مُعْصِفَاتٍ نَسَجَتْهُ كَنَسَجَ الْيَمَانِي بَرْدَهُ بِالْوَشَائِعِ ^(٣)
وقفنا فقلنا إليه البيت

آيات الشاعر

وقوله : « عَوْجًا عَوْجَةً » يقالُ عَجَتَ البعيرُ أُعْوجَهُ عَوْجًا وَمَعَاجَا ، إذا
عطفَ رأسه . والتاء في عَوْجَةً للمرة . وناقتيكما مفعول عوجا . والطلل :

(١) ش: « وسأكتبه » ، صوابه في ط . وهو لابن الأثير كما في حواشي شذور الذهب . وقد
استشهد في الشذور ١١٨ بهذا الصدر أيضا ، وظنه الشيخ محي الدين عمزا فوضعه في الفهرس في
قافية النون . والحق أنه صدر ، وعجزه كما في أزهار الرياض في أخبار عياض ١ : ٦ .

« إن الحديث عن الأحياء أسما »

(٢) ش : « الفلاة » صوابه في ط والديوان ٣٥٥ وذكر ياقوت أنها جمع قلت وهو كالنقرة تكون
في الجبل . وذكر أنها قلات الصمان . وقد وردت « شارع » في النسختين بالسين المهملة ، ولم ترد بهذا
الرسم في مواضعهم ، وإنما هي « شارع » بالشين المعجمة كما في الديوان ومعجم البلدان ٥ : ٢١١
وذكرت كذلك في رسم (القلات) ٧ : ١٤٢ . وشارع : جبل من جبال الدهناء . وذكرت كذلك
في اللسان في نهاية مادة (شرع) قال : « وفي جبال الدهناء جبل يقال له شارع ذكره ذو الرمة في
شعره » . لكن البغدادى قيدها بالمهملة فيما سياتي .

(٣) كلمة (اليماني) مبيض لها في ش . وإثباتها من ط والديوان .

ما بقى في الدار من أثر الراحلين ، كالأثففة ونحوها . والقلاط ، بكسر القاف وآخره مثناة ، وسارع بالمهملات : موضعان .

وقوله : « به ملعب » إلخ المعصيفة : الريح الشديدة ، يقال عصفت الريح وأعصفت . ونسجته ، أى ذهبت عليه الريح وجاءت كالنسج . والوشائع : جمع وشيعة ، من وشعت المرأة الغزل على يدها : خالفته . وتوشعت الغنم في الجبل ، أى اختلفت .

وقوله : (وقفنا فقلنا) إلخ أى وقفنا عليه ، أى الطلل . والعطف بالفاء لا بالواو كما في الشرح . قال الأصمعي : أساء في قوله إيه بلا تنوين . و (البال) : الشأن والحال . وما : استفهام إنكارى ، أى ليس من شأنها الكلام .

و (الديار البلاقع) : التى ارتحل سُكَّانها ، فهمى خالية . طلب الحديث من الطلل أولاً ليخبره عن محبوبته أم سالم ، وهذا من فرط تحيره وتدليه في استخباره ممّا لا يعقل ، ثم أفاق وأنكر من نفسه بأنّه ليس من شأن الأماكن الإخبار عن السواكن .

وترجمة ذى الرمة تقدّمت في الشاهد الثامن في أول الكتاب (١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والخمسون بعد الأربعمئة (٢) :

٤٥٦ (تَذَرُ الْجَمَاجِمَ ضَاحِيًا هَامَاتُهَا)

بَلَّهَ الْأَكُفَّ كَأَنَّهَا لَمْ تُخْلَقِ)

على أنّه قد روى (الأكف) بالحركات الثلاث .

(١) الخزائن ١ : ١٠٦ .

(٢) السيرة ٧٠٥ وابن يعيش ٤ : ٤٧ ، ٤٨ وشرح شواهد المغنى ١٢٢ والشذور ٤٠٠

والتصريح ٢ : ١٩٩ والمجمع ١ : ٣٢٦ والأشعرون ٢ : ٣/١٢١ : ١٠٣ وديوان كعب ٢٤٥ .

أَوَّلُ البيت : (فترى الجماجم) ، وقبله :
(نَصِلُ السُّيُوفُ إِذَا قَصُرْنَ بِخَطُولِنَا
قُدَمًا ، وَتُلْجِفُهَا إِذَا لَمْ تَلْحَقِ)

وَأَيْمًا يَنْشُدُونَهُ : « تذر الجماجم » ليعرى من التعلق بما قبله .

وَالْقُدُمُ بضمّتين : الْقُبْلُ بضمّتين أيضاً ، كذا في المصباح . وقال صاحب الصحاح : « وَمَضَى ^(١) قُدَمًا بضم الدال : لم يعرج ولم ينش » . ويجوز أن يكون بكسر القاف وسكون الدال ، اسمٌ مِنَ الْقَدَمِ أى خلاف الحدوث ، وهو ظرف لقوله نصل .

قال الجاحظ (في كتاب البيان ^(٢)) : إِنَّ الْفَارِسَ رُبَّمَا زَادَ فِي طَوْلِ رِجْلِهِ لِيُخْبِرَ عَنْ فَضْلِ قُوَّتِهِ ؛ وَيُخْبِرُ عَنْ قِصْرِ سَيْفِهِ لِيُخْبِرَ عَنْ فَضْلِ نَجْدَتِهِ . وَأَنْشُدَ هَذَا الْبَيْتَ وَنَظَائِرَهُ .

وقوله : (فترى الجماجم) ، إلخ الرؤية بصرية . والجماجم مفعول الرؤية . وضاحياً حال سببية من الجماجم ، وهاماتها فاعل (ضاحياً) وهو من ضحا يضحو ، إذا ظهر وبرز عن محله . و (الجماجم) : جمع جمجمة ، قال صاحب المصباح : هِيَ عَظْمُ الرَّأْسِ الْمُشْتَمِلُ عَلَى الدِّمَاغِ ، وَرُبَّمَا غُبِرَ بِهَا عَنِ الْإِنْسَانِ فَيُقَالُ : تُخَذُ مِنْ كُلِّ جَمَجِمَةٍ دِرْهَمًا ، كَمَا يُقَالُ تُخَذُ مِنْ كُلِّ رَأْسٍ ، بِهَذَا الْمَعْنَى . وَقَالَ أَيْضاً : الْهَامَةُ مِنَ الشَّخْصِ : رَأْسُهُ . فَالْمُنَاسِبُ هُنَا أَنَّ الْجَمَجِمَةَ بِمَعْنَى الْإِنْسَانِ . وَقَدْ فَرَّقَ الزَّجَاجُ (فِي كِتَابِ تَخْلُقِ الْإِنْسَانِ) بَيْنَ الْجَمَجِمَةِ وَالْهَامَةِ ، بِجَعْلِ الْهَامَةِ بَعْضاً مِنَ الْجَمَجِمَةِ ، فَقَالَ : عَظْمُ الرَّأْسِ الَّذِي فِيهِ الدِّمَاغُ يُقَالُ لَهُ الْجَمَجِمَةُ . وَالْهَامَةُ : وَسْطُ الرَّأْسِ وَمَعْظَمُهُ . وَزَعَمَ الدِّمَامِينِيُّ (فِي الشَّرْحِ الْمَزْجِ عَلَى الْمَغْنَى) أَنَّهُ يَصْحُحُ أَنْ تَكُونَ الْجَمَاجِمُ هُنَا الْقِبَائِلُ الَّتِي تَجْمَعُ الْبَطُونَ فَيَنْسَبُ إِلَيْهَا دُونَهُمْ .

(١) في النسختين : « ومعنى » ، وصواب النص من الصحاح (قدم) .

(٢) البيان ٣ : ٢٦ .

فمعنى بله الأكفّ على رواية نصب الأكفّ : إنك ترى رعوس الرجال
أى بعض الرعوس بارزة عن محلّها بضرب السيوف ، كأنها لم تخلق على
الأبدان ، فدع ذكر الأكفّ فإن قطعها من الأيدى أهون بالنسبة إلى الرعوس .
قبلة على هذا : اسم فعل .

وعلى الجر : إنك ترى تطاير الرعوس عن الأبدان ، فتركاً لذكر
الأكفّ ، أى فاترك ذكرها تركاً ؛ فإنها بالنسبة إلى الرعوس سهلة . قبلة على
هذا مصدر مضاف .

وعلى الرفع : إنك ترى الهامات ضاحية عن الأبدان ، فكيف الأكفّ
لا تكون ضاحية عن الأيدى . يعنى إذا جعلت السيوف الأبدان بلا رعوس فلا
عجب أن تترك الأيدى بلا أكفّ . قبلة بمعنى كيف للاستفهام التعجّبي .
فبله الأكفّ على الأوّل والثالث جملة اسمية ، وفتحة بله (١) بنائية .
وعلى الثانى جملة فعلية حذف صدرها ، والفتحة إعرابية .

وهى بالمعنى (٢) الأوّل والثانى مأخوذة من لفظ البله والتباله ، وهو من
القفلة ؛ لأن من غفل عن شيء تركه ولم يسأل عنه . وكذلك هنا ، أى
لا تسأل عن الأكفّ إذا كانت (٣) الجماجم ضاحية مقطعة . كذا (فى
الروض الأنف) للسّهيلي .

قال أبو على (فى إيضاح الشعر) : قال سيبويه : أما بله زيد فبله هنا ٢١

(١) ش : « بيانية » ، صوابه فى ط .

(٢) ش : « وهى بمعنى » .

(٣) ط : « إذ كانت » ، وأثبت ما فى ش والروض الأنف ٢ : ٢٠٦ .

بمنزلة المصدر ، كما تقول ضربَ زيد . فمن قال بله زيد جعله مصدرًا . ولا يجوز أن تضيف ويكون مع الإضافة اسم الفعل ، لأنَّ هذه الأسماء التي يسمَّى بها الأفعال لا تضاف . ألا ترى أنَّه قال : جعلوها بمنزلة النَّجاءك ، أى لم يضيفوها إلى المفعول به كما أضافوا أسماء الفاعلين والمصادر إليه . فهى فى قوله على ضريين : مرَّةً تُجرى مجرى الأسماء التي تسمَّى بها الأفعال ، ومرَّةً تكون مصدرًا . وقال أبو زيد : إنَّ فلانا لا يطيق أن يحمل الفهرَ فمن بله أن يأتى بالصَّخرة ؛ يقول : لا يطيق أن يحمل الفهرَ فكيف يُطيق أن يحمل الصخرة . قال : وبعض العرب يقول : مِنْ بَهْل أن يحمل الصخرة ! فقلب . وأنشد :

نذر الجماجم البيت

فما حكاه أبو زيد من دخول من عليه والإضافة والقلب ، يدلُّ على أنَّه مصدر وليس باسم فعل ، لأنَّ أسماء الفعل لا تضاف ، ولا يدخل عليها عوامل الأسماء . ألا ترى أنَّ أبا الحسن يقول : إنَّ دونك ليس ينتصب على حدِّ انتصابه قبل . ويقوَّى كونه مصدرًا أن أبا عمرو الشيبانيَّ حكى : ما بَلُهكَ لا تفعلُ كذا ، أى مالك . ومن الناس من ينشده : « بله الأكف » بالنصب . فهذا على هذا الإنشاد اسم فعل ، كأنه قال دع الأكف ، فجعلها اسمًا لدع . والدلالة على جواز كونها اسمًا للفعل كما أجاز سيبويه ، قول الشاعر :

يمشى القَطُوفُ إذا غَنَّى الحداةُ به

مَشَى الجوادِ فَبَلَّه الجِلَّةُ التُّجبا

فأمَّا ما يتعلق به « مِنْ » فيما حكاه أبو زيد من قوله « فمن بله » فهو ما ينتصب عليه بله فى مَنْ جعله مصدرًا وأضاف .

وهذا خلاف ما قاله الشارح المحقق ؛ فإنه جعل بله فيما حكاه أبو زيد بمعنى كيف . ولم يتعرض أبو علي في هذا الكتاب لمجئ بله بمعنى كيف . ونقل الشارح عنه لعله من غير هذا الكتاب .

ونقل عنه ابن هشام : (في المغنى) نقيض ما نقله الشارح عنه فقال : وإنكار أى علم أن يرتفع ما بعدها ، مردود بحكاية أى الحسن وقطرب له . انتهى .

والقطوف من الدواب وغيره : البطيء . والجلة بكسر الجيم : جمع جليل ، كصبية جمع صبي ، وهو المسن من الإبل . والتجب ، بضم التين : جمع نجيب ، وهو الأصل الكريم . والمعنى أن البطيء يمشى كمشى الجواد من الخيل مع الحذاء ، فدع الإبل الكرام ، فإنها مع الحذاء تسرع أكثر من غيرها . ورواه صاحب الصحاح :

* مشى النجبية بله الجلة التجبا *

ونسبه إلى ابن هرمة .

وقال أبو حيان (في تذكرته) : هذا الذى تأوله سيبويه في الخفض من نياية بله عن المصدر المضاف إلى المخفض عند الكوفيين على معنيين : إن كان المخفض بتأويل مرفوع ، وتقدير ضرب : ليضرب زيد ، فالكلام صحيح . وإن كان تقدير المخفض النصب والتأويل اضرب زيدا فالكلام عندهم خطأ ، لأن المصدر الذى يتعدى فعله إلى المفعول إذا أفرد بواحد أضيف إليه ولم يذكر معه غيره ، فلا بد من أن يكون ذلك الواحد مرفوعاً ، لأن الفعل لا يخلو من الفاعل وما يجرى مجراه ، فيعجنى ركوب الفرس ، موضع

الفرس عند الكوفيين رفع لا غير ، لأنَّ معناه يعجبك أن يُركبَ الفرس . وجوَّز البصريون أن يكون منصوباً بتأويل أن يركبَ الفرسَ ، أى يركب راكبُ الفرس . ورد الكوفيون هذا واحتجُّوا بأنَّ المصدر لا يحتمل ضميراً من الفاعل فإذا أُضيف إلى الفرس والفرس منصوب بقى الركوب بلا فاعل له مظهر ولا مضمر ، وفي هذا فساد التركيب . وقال البصريون : عملت (١) على الاختصار ومعرفة المخاطب بأنَّ للركوب فاعلاً وإن لم يكن مظهرًا ولا مضمرًا . وقال الكوفيون : ما وجدنا فاعلاً خلا الفعل من إظهاره معه أو إضماره فيه ، وما يصل إلى إظهار الفاعل ولا إضماره مع المصدر إذا انفرد واحد . والمصدر على الفعل مبنى ، فما لم يعرف صحته مع الفعل فهو سقيم مع المصدر . انتهى .

والبيتان من قصيدة لكعب بن مالك ، شاعر رسول الله ﷺ ، قالها صاحب الشاهد في وقعة الأحزاب ، وأوردها أصحاب السير والمغازي في كتبهم ، وهى :

(مَنْ سَرَّ ضَرْبَ يُرْعَبُ بَعْضُهُ

أبيات الشاهد

بَعْضًا كَمَعْمَعَةِ الْأَبَاءِ الْمُحَرَّقِ (٢)

فَلْيَايَ مَأْسَدَةً تَسْنُ سَيُوفُهَا

بَيْنَ الْمَذَادِ وَبَيْنَ جِزَعِ الْخَنْدِقِ

دَرَبُوا بِضَرْبِ الْمُعَلِّمِينَ فَأَسْلَمُوا

مُهْجَاتِ أَنْفُسِهِمْ لِرَبِّ الْمَشْرِقِ

(١) ط : « عملنا » صوابه في ش .

(٢) في الديوان ٢٤٤ والسيرة ٧٠٥ : « يجمع بعضه بعضا » .

في عُصْبَةٍ نصر الإله نبيّه
 بهم ، وكان بعبده ذا مرفق
 في كلّ سابعَةٍ تخطُّ فُضُولُها
 كالنَّهْيِ هَبَّت رِيحُه المترقِ
 بيضاء مُحَكَّمَةٍ كأنَّ قَتِيرها
 حَذَقُ الجنادب ذاتِ شَكِّ مُوثِق
 جدلاءَ يَجِفُّها نِجادٌ مهتد
 صافي الحديدة صارم ذى رَوْتِ
 تلکم مع التقوى تكون لباسنا
 يومَ الهياج وكلّ ساعة مَصْدَقِ
 نصلُ السُّيُوف إذا قَصُرْنَ بِحَطُونا
 قُدَمًا ونُلحقها إذا لم تُلْحَقِ
 فترى الجماجمَ ضاحياً هامئها
 بَلَّةُ الأكف كأنَّها لم تخلق
 تلقى العدو بفخمة ملمومة
 تنفى الجموع كَقَصْدِ رأسِ المشرق
 وتُعدُّ للأعداءِ كلَّ مقلص
 ورِدٍ ومحجول القوائم أبلق
 تردى بفرسانٍ كأنَّ كُمائهم
 عندَ الهياج أسود طلل مُلثِق

صُدِّقَ يُعَاطُونَ الكَمَاةَ خُتُوفَهُمْ
 تَحْتَ العِمَاءَةِ بِالوَشِيحِ المَرْهَقِ (١)
 أَمَرَ الإِلَهِ بِرِبْطِهَا لَعْدُوهُ
 فِي الحَرْبِ إِنَّ اللَّهَ خَيْرُ مُوَفِّقٍ
 لَتَكُونَ غِيْظًا لِلْعَدُوِّ وَحَيْطًا
 لِلدَّارِ إِنْ دَلَفْتَ خِيُولَ التُّرُقِ (٢)
 وَيُعِينُنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ بِقُوَّةٍ
 مِنْهُ ، وَصِدِّقِ الصَّبْرَ سَاعَةً نَلْتَقِ
 وَنَطِيعُ أَمْرٍ نَبِيْنَا وَنُجِيبُهُ
 وَإِذَا دَعَا لِكَرْهِيَةٍ لَمْ تُسَبِّقِ
 وَمَتَى يَنَادِي لِلشَّدَائِدِ نَأْتِيهَا
 وَمَتَى نَرَى الحَوَامِتِ فِيهَا نُغْنِقِ (٣)
 مَنْ يَتَّبِعْ قَوْلَ النَّبِيِّ فَإِنَّهُ
 فِينَا مَطَاعُ الأَمْرِ حَقٌّ مُصَدِّقٌ
 فَبِذَاكَ يَنْصُرُنَا وَيُظْهِرُ عِزَّنَا
 وَيُصَيِّنُنَا مِنْ نِيلِ ذَاكَ بِمَرْفِقِ
 إِنَّ الَّذِينَ يَكْذِبُونَ مُحَمَّدًا
 كَفَرُوا وَضَلُّوا عَنْ سَبِيلِ الْمُتَّقِي (

(١) ط : « بالوشيح » صوابه في ش والديوان والسيرة . وفي الديوان والسيرة : « تحت العماية »
 بالياء ، وكلاهما صحيح .

(٢) ش : « وحيطا » ، صوابه في ط والديوان والسيرة . وفي ط : « لا تلفت » ، صوابه في ش
 والديوان والسيرة .

(٣) في الديوان فقط : « ومتى يناد إلى الشدائد » .

قوله : « من سره ضرب » إلخ رعبله : قطعهُ . والمعجمة ، قال صاحب
 الصحاح : هو صوت الحريق في القصَب ونحوه ، وصوتُ الأبطال في الحرب .
 وأنشد هذا البيت . والأبَاءُ : القصَب ، واحداً أباءة ، كسحابٍ وسحابة ،
 وقيل أجمة الحلفاء والقصَب خاصة . كذا في الصحاح . وقال السهيلي : (في
 الروض الأنف) : والهمزة الأخيرة بدل من ياء ، قاله ابن جنى ، لأنَّه عنده من
 الإِبائية ، كأنَّ القصَب يأى على من أراده بمضغٍ أو نحوه . ويشهد لما قاله قولُ
 الشاعر (١) :

يراه الناس أخضرَ من بعيدٍ
 وتمنعه المرارة والإبَاءُ

والمُحَرَّق : اسم مفعول .

وقوله : « فليات مأسدة » إلى آخره هذا جواب الشرط . قال
 السُّهيلي : المأسدة : الأرض الكثيرة الأسد ، وكذلك المسبعة : الأرض الكثيرة
 السَّباع . ويجوز أن يكون جمع أسد ، كما قالوا مشيخة ومعلجة . حكى
 سيبويه : مشيخة ومشيوخاء ، ومعلجة ومعلجاء .

قوله : « تسنَّ سيوفها » قال السهيلي : نصب الفاء هو الصحيح عند
 القاضي أبي الوليد ، ووقع في الأصل عند أبي بحر برفعها . ومعنى الرواية الأولى
 تسنُّ أى تصقُل . ومعنى الثانية أى تسنُّ للأبطال ولمن بعدها من الرجال سُنَّةَ
 الجرأة والإقدام . والمزاد قال أبو عبيد البكري (في معجم ما استعجم) : هو
 بفتح الميم بعدها ذال معجمة والآخر دال مهملة ، الموضع الذي حَفَّر فيه

(١) هو بشر بن أفي خازم . والبيت في ديوانه ٤ واللسان (أبى) وأمالى ابن الشجرى ٦٧ .

رسول الله ﷺ الخندق . وقال السيوطي (في شواهد المغنى) : هو أُطَم بالمدينة . وقال الشامي : هو لبنى حرام غربى مساجد الفتح ، سميت به الناحية . والجزع بكسر الجيم : منعطف الوادى . قال الشامي : وهو هنا جانب الخندق . والخندق هنا خندق المدينة المنورة .

وقوله : « دَرَبُوا بِضَرْب » إلخ قال صاحب الصحاح : الدربة بالضّم : عادة وجُرأة على الحرب وكل أمر ، وقد دَرَبَ بالشئ بكسر الراء ، إذا اعتاده وضرب به . والمُعَلَّمُونَ بضم الميم وفتح اللام ^(١) : الذين يُعَلِّمُونَ أنفسهم بعلامات في الحرب يعرفون بها ^(٢) ، وهم الشجعان هنا . وأسلموا : من أسلم أمره لله ، أى سلّمه له . والمهجة هنا : الروح . وأراد برب المشرق رب المشرق والمغرب .

وقوله : « بَعْبُدْهُ ذَا مَرْفَق » : مصدر كالرفق ضد العنف . قال أبو زيد : رَفَقَ الله بك ورفق عليك رِفْقاً ومَرَفَقاً ومَرَفَقاً ، بفتح الميم وكسر الفاء في الأول ، وبالعكس في الثانى . وزاد غيره مَرَفَقاً بفتح الميم والفاء ، حكاه الصاغاني (في العباب) .

وقوله : « فى كل سَابِغَة » إلخ السابغة ، الدرع الواسعة . وتخطُّ بالبناء للفاعل . وقضوها : جمع فضل ، وهو الزائد . أى ينسحب ذيل الدرع على الأرض لطولها . والنهى بفتح النون : الغدير ، وأهل نجد يكسرون النون . والمتفرق بالجرّ صفة للنهى ، من تفرّق إذا تحرك وجاء وذهب . والريح إذا هبّت على الماء حصلت هذه الصفة . وزعم السيوطى أنّه بمعنى اللامع .

وقوله : « بِيَضَاءَ مُحْكَمَةٍ » ، إلخ البيضاء : المجلوة . والقَتِير ، بفتح

(١) كذا في النسختين . والوجه كسر اللام كما في اللسان .

(٢) ط : « ويعرفون بها » .

القاف وكسر المثناة الفوقية قال صاحب الصحاح : رءوس المسامير في الدروع ، شَبَّهَها بعيون الجُنْدب ، وهو نوعٌ من الجراد ، في البريق واللَّمعان . والشك : مصدر شككت الشيء ، إذا ضممته إلى غيره ، ومنه شك القوم بيوتهم ، إذا جعلوها مصطفةً متقاربة . وهو معنى قول الشامي : الشك هنا : إحكام السرد ، وهو متابعة نسج حلق الدرع ، ومولاته شيئاً فشيئاً حتى يتناسق . والموثق : المثبت .

- ٢٤ وقوله : « جدلاء يحفزها » إلخ الجدلاء ، بفتح الجيم : الدرع المحكمة التَّسْج . ويقال درع مجدولة أيضاً ، من جدلت الحبل أجذله بالضم جدلا ، أى فتلته محكما . ويحفزها ، أى يشمرها ويرفعها ، بالحاء المهملة والفاء والزاء المعجمة . والتَّجَاد : سيور السيف . والمهند : السيف المطبوع من حديد الهند . قال السهيلي : هذا كقول ابن الأَسلَت (١) في وصف الدرع :
أَحْفَزُهَا عَنِّي بَذَى رُونِقٍ
أَبْيَضَ مِثْلَ الْمِلْحِ قَطَاعٍ (٢)

وذلك أَنَّ الدرع إذا طالت فضولها خَفَزَها ، أى شَمَرُها فربطوها بنجاد السَّيْف . وقال غيره : كانت العرب تعمل في أَعْمَادِ السُّيُوفِ أَشْبَاهَ الْكَلَالِيبِ ، فإذا ثَقَلَتِ الدرع على لابسها رفع ذيلها فعَلَّقَهُ بِالْكَلَّابِ الَّذِي فِي غَمَدِ السَّيْفِ لِيَخَفَّ عَلَيْهِ . وصارم : قاطع . والرَّونِق : جوهر السيف .

وقوله : « تلکم مع التقوى » إلخ ، الإشارة للدرع الموصوفة . قال السهيلي : هذا من أجود الكلام ، انتزعه من قول الله تعالى : ﴿ وَلِبَاسُ التَّقْوَى ﴾

(١) هو أبو قيس بن الأَسلَت الأنصاري . أنظر المفضليات ٢٨٤ .

(٢) في المفضليات : « مهند كالمِلْح » .

ذلك خَيْرٌ ^(١) . وموضع الإجابة جعله لباسَ الدروع تَبَعاً للباسِ التقوى ،
لأنَّ حرفَ مَعَ يفيد أن ما بعده هو المتبوع وليس بتابع . ويوم الهياج : يوم
القتال . والمَصْدَق ، كجعفر : الحملة الصادقة على العدو ، يقال للرجل
الشجاع والفرس الجواد : إِنَّهُ لَنُو مَصْدَق ، أى صادق الحملة وصادق
الجرى ، كأنه ذو صدق فى وعد ذلك .

وقوله : « نصل السيوف » إلخ قد نُظِمَ هذا المعنى كثيرا . قال الأحنس
ابن شهاب :

إذا قصُرت أسيافنا كان وصلُّها

خطانا إلى أعدائنا فنضارب

وقال السموءل بن عادىء :

إذا قصُرت أسيافنا كان وصلُّها

خطانا إلى أعدائنا فتطوُلُ

وقال رجل من بنى نُمير :

وَصَلَّنا الرِّقاقَ المِرْهَفَاتِ بِحَطِّوْنا

عَلَى الهَوْلِ حَتَّى أَمَكَّنْتِنا المِضَارِبُ

وقال آخر ^(٢) :

إذا الكِماةُ تَنَحَّوْا أَنْ يَصِيبَهُمْ

حَدُّ الطُّبَاتِ وصلَّناها بأيدينا

(١) الآية ٢٦ من سورة الأعراف .

(٢) هو بشامة بن حزن النهشلى . الحماسة ١٠٨ بشرح المرزوق .

وقال آخر :

الطاعنون في النحور والكُلَى
شَزْرًا وَوَصَّالُو السِّوْفِ بِالْخُطَى

وقال آخر :

إِنَّ لَقَيْسَ عَادَةً تَعْتَادُهَا
سَلَّ السِّوْفِ وَخُطَى تَزْدَادُهَا
وهذا كله شعر جاهلي . وقال حميد بن ثور الهلالي الصَّحَابِي :
ووصل الخطى بالسيف والسيف بالخطى
إذا ظَنَّ أَنَّ السيف ذو السيف قاصرُ

وله نظائر أخر ستأتي إن شاء الله تعالى في باب الظروف .
وقوله : (فترى الجماجم) قد غيَّره النحويون إلى قولهم : « نذر
الجماجم » وتقدم شرحه (١) .

قال السهيلي : خفض الأكف هو الوجه ، وقد روى بالنصب لأنه
مفعول ، أي دع الأكف . وبله كلمة معناها (٢) دع ، وهي من المصادر
المضافة إلى ما بعدها ، وهي من لفظ البَلَه أي الغفلة ، لأن من غفل ترك ولم
يسأل عنه (٣) ، وكذلك هذا . أي لا تسأل عن الأكف إذا كانت الجماجم
ضاحيةً مقطعة .

(١) انظر ص ٢١٢ .

(٢) كلمة « دع » ساقطة من ش .

(٣) في الروض ٢ : ٢٠٦ : « لأن من غفل عن الشيء تركه ولم يسأل عنه » .

وقال الدماميني (في الشرح المزج على المعنى) : الجمجمة : عظم الرأس المشتغل على الدماغ ، والقبيلة تجمع البطون فينسب إليها دونهم . والبيت محتمل لكل من المعنيين . والمعنى على رواية رفع الأكف أن تلك السيوف تترك قبائل العرب الكثيرة بارزة الرؤوس للأبصار ، كأنها لم تخلق في محالها من تلك الأجسام . أو تترك تلك العظام المستورة مكشوفة ظاهرة ، فكيف الأكف . أى إذا كانت حالة الرؤوس هذه مع عزّة الوصول إليها ، فكيف حال الأيدي التى يتوصّل إليها بسهولة . وعلى رواية النصب : أنها تترك الجماجم ^(١) على تلك الحالة ، دع الأكف فأمرها أيسر وأسهل . وعلى رواية الجر : أنها تترك الجماجم ترك الأكف منفصلة عن محالها ، كأنها لم تخلق متصلة بها .

وقال ابن الملا (في شرحه على المعنى) : الجمجمة : القحف ، أو العظم فيه الدماغ ، والسيد ، والقبيلة التى تنسب إليها البطون . ومتى أريد بالجماجم القبائل جاز أن يراد بالهامات رؤساؤها ، وبالأكف من دونهم من الكفاة . ففي القاموس : الهامة : رأس كل شئ ، ورئيس القوم .

والمعنى على رواية الرفع أن تلك السيوف تترك تلك العظام المستورة ظاهرة فكيف الأكف البادية ، أى إذا كانت حالة الرؤوس هذه مع عزّة الوصول إليها فكيف الأكف التى يتوصّل إليها بسهولة ، فإنها تدعها كأنها لم تخلق في محالها . ولا حاجة إلى دعوى المجاز في الأكف عن الأيدي كما يفهم من صنيع الشارح . أو تترك السادات من كل قبيلة أو القبائل من العرب بارزة الرؤوس للأبصار بإبانيتها عن محالها كأنها لم تخلق فيها . أو تترك القبائل بارزاً

(١) من هنا إلى « الجماجم » التالية ، سقط في ش .

رعوسها للقتل ، أى مقتولة . وأراد بالأكف من يُتَقَوَّى به من فرسان القبائل .
وعلى النصب : أنها تترك الجماجم على تلك الحالة ، دع الأكف فإن أمرها أيسر وأسهل .

وعلى الجرّ : أنها تتركها ترك الأكف ، منفصلة عن محالّها ، كأنها لم تخلق متصلة بها . انتهى .

وهذا كله تكلف وتوسيع للدائرة .

وقوله : « نلقى العدو » إلخ الفخمة : الجيش العظيم ، من الفخامة وهى العظم . وملمومة : مجموعة .

وقوله : « كقصد رأس المشرق » قال السهيلي : الصحيح ما رواه ابن هشام عن أنى زيد : « كرأس قدس المشرق » ، لأنّ قدس جبل معروف من ناحية المشرق . انتهى :

وظاهره أنّه بفتح الميم . وقول الشامى المشرق نعت لقدس بمعنى جبل ، إشارة إلى ضمة الميم ، وهو اسم فاعل من الإشراف . والظاهر أنّ هذا هو الجيد . قال البكري (فى معجم ما استعجم) : القدس بضم القاف وسكون الدال من جبال تهامة ، وهو جبل العرج . قال ابن الأنبارى : قدس مؤنثة لا تنصرف ؛ لأنها اسم للجبل وما حوله .

وقال ياقوت (فى معجم البلدان) : قدس : جبل عظيم بأرض نجد . قال ابن دريد : قدس أواره : جبل معروف . وأنشد الأمدى لبغيت (١) :

(١) بغيت ، بباء بعدها غين معجمة وآخره تاء مثناة ، كما فى المؤلف ٥٨ حيث أنشد البيت .
وفى الأصل : « لبغيت » ، وفى معجم البلدان : « لبغيت » تصحيف .
وقال الأمدى : « وبغيت : تصغير باغت ، مثل شرح تصغير شارح ، وحرث تصغير حارث ، وهو من تصغير الترخيم » .

ونحن جلبنا يوم قُدس أواره

قنابل خيل تترك الجَوَّ أقتما ^(١)

وقال الأزهري : قدس أواره ^(٢) : جبلان لمزينة ، وهما معروفان بجذاء سقيا مُزينة . وقال عَرَّام ^(٣) : بالحجاز جبَلان يقال لهما القدسان : قدس الأبيض وقدس الأسود ، وهما عند وَرْقَان . أما الأبيض فهو جبَلٌ شاخ بين العرج والسُّقيا . والقدسان جميعاً لمزينة . انتهى .

فظهر بهذا أنّه ليس جبَلٌ في المشرق اسمه قُدس ، فالصواب ما قاله الشامي . وقوله : « ونعدُّ للأعداء » نُعَدُّ : نُهَيِّئُ ، من الإعداد ، وهو التهيئة . والمقلّص ، قال صاحب الصحاح : فرس مقلّص ، بكسر اللام ، أى مشرف طويل القوائم . والورد : الفرس الذى تضرب حمرة إلى الصفرة . والحجول : الفرس المحجّل ، والتحجيل : بياضٌ في قوائم الفرس أو في ثلاثٍ منها ، أو في رجله ، قلّ أو كثر ، بعد أن يجاوز الأرساغ ، ولا يجاوز الركبتين والعرقوبين ، لأنها مواضع الأحجال ، وهى الخلاخيل والقيود . ولا يكون التحجيل واقعاً بيد أو يدين ما لم يكن معها رجلٌ أو رجلان . كذا في العباب للصاغاني . والأبلق : الفرس الذى فيه البلق بفتحتين ، وهو سواد وبياض .

وقوله : « تردى بفرسان » إلخ قال صاحب الصحاح : ردى الفرس بالفتح يردى ردّياً وردياناً : إذا رَجَمَ الأرض رجماً بين العدو والمشى الشديد .

(١) ط : « قبائل » ش : « قنائل » ، صوابه ما أثبت من المؤلف . والقنابل : ما بين الثلاثين والأربعين من الخيل .

(٢) في معجم البلدان : « قدس وآرة » .

(٣) في النسختين : « أبو عرام » . والصواب ما أثبت من معجم البلدان الذى ينقل من كتاب أسماء جبال تهامة وسكانها لعرام بن الأصيغ السلمى . وقد قمت بنشره وتحقيقه مرتين ، الأولى في كتاب مستقل سنة ١٣٧٢ هـ والأخرى في المجلد الثانى من نواذر المخطوطات .

والكمة : جمع كميّ ، وهو الشجاع المتكميّ في سلاحه ، لأنّه كمى نفسه ،
أى سترها بالدرع ^(١) والبيضة . والطلّ : المطر الضعيف . والملثّق : اسم فاعل
صفة لطل ، من اللثّق بفتحتيّن ، قال السهيليّ : واللثّق : ما يكون عن الطلّ
من زلق . والأسد أجوع ما يكون وأجرأ في ذلك الحين . وقال صاحب
العباب : اللثّق : اللّدى . قال كعب بن زهير :

باتت له ليلة جمّ أهاضيها

وبات ينفض عنه الطلّ واللثقا

وألقه غيره . قال سلمه بن الخرشب :

خداريّة فتخاء ألثّق ريشها

سحابة يوم ذى أهاضيها ماطر ^(٢)

وقوله : « صَدَّق يعاطون » إلخ بالرفع صفة أسود ، وهو بضم الصاد
جمع صدق بفتحها ، والبدال ساكنة معهما ، يقال رجل صدق اللقاء وصدق
النظر ، إذا مضى فيهما ولم يثنيه شيء . والصدق أيضاً : الكامل المحمود من كلّ
شيء . والصدق أيضاً : الصلّب من الرماح ، ويقال المستوى .

ويعاطون : يناولون . والكمة : الشجعان مفعول أول ، وحتوفهم مفعول
ثان ، وهو جمع حتف ، وهو الهلاك . والعماء بالمد ، كالسحابة وزناً ومعنى .
قال أبو زيد : العماء : السحاب ، وهو الدخان يركب رؤوس الجبال ، وأراد به
هنا الغبار النائر في المعركة .

(١) : « بالدروع » ، وأثبت ما في ش .

(٢) المفضليات ٣٧ .

ورواه الشامي : « العَمَاية » بالياء ، وفسره بالسحاب ، وليس في الصحاح إلا ما ذكرنا ^(١) . وإنما فيه : عماية : جبل من جبال هذيل .
والوشيج : الرماح ، وأصله شجر الرماح . والمزهرق : اسم فاعل ، المذهب للأرواح .

وقوله : « لتكون غيظاً للعدو وحيطاً » قال الشامي : هو جمع حائط ، اسم فاعل من حاط يَحُوط أى كالأه ورعاه . وأراد بالدار المدينة المنورة . ودلفت : قربت . والنزق : الأعداء ، وهو جمع نَزَق بفتح فكسر ، من نَزَق نَزَقاً كفرح فرحاً . والنزق : الخفة والطيش وسوء الخلق . وهذا أصله .
وقوله : « وإذا دعا لكريمة » إلخ ، الكريمة من أسماء الحرب . ونُسِبَ بالبناء للمفعول .

والحَوَمَات : جمع حَوْمَة ، وهى موضع القتال . ونُعِنِق : نسرع . قال في المصباح : العَنَق بفتححتين : ضرب من السير فسيح سريع ، وهو اسم من أعنق إعناقاً .

وقوله : « حَقَّ مَصْدَق » بفتح الدال المشددة مصدر ، أى تصديقاً حَقَّ تصديقاً . ٢٧

وترجمة كعب بن مالك الصحابي تقدمت في الشاهد السادس والستين ^(٢) .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والخمسون بعد الأربعمائة ^(٣) :
(أُعْطِيَهُمُ الْجَهْدَ مِنْى بَلَهَ مَا أُسْعُ)

٤٥٧

(١) لكن أثبت في اللسان اللغتين في معنى السحاب ، كما سبق في الحواشي .

(٢) الخزائن ١ : ٤١٧ .

(٣) ابن يعيش ٤ : ٤٩ واللسان (كون ، بله) وديوان أبى زيد ١٠٩ .

على أنَّ الأَخْفَش أوردته في باب الاستثناء وقال : بله فيه حرفُ جرٍّ كعدا وخلا بمعنى سوى .

أوردته أبو علي (في إيضاح الشعر) ، وعقد لَبْلَةً باباً ، قال : هذا باب ما يكون مرَّةً اسماً ، ومرَّةً مصدرًا ، ومرَّةً حرف جر . قال الشاعر :

حَمَالٌ أَثْقَالُ أَهْلِ الْوَدِّ آوَنَةٌ

أَعْطَاهُمُ الْجَهْدَ مِنْ بَلَّةٍ مَا أَسْعُ

قال أبو الحسن الأَخْفَش في باب من الاستثناء : إنَّ بله حرف جر . قال أبو علي : ووجه كونه حرفاً أنَّه يمكن أن يقال إنَّك إن حملته على أنَّه اسم فعل لم يجوز ، لأنَّ الجمل التي تقع في الاستثناء مثل لا يكون زيداً وليس عمراً وعدا خالداً ، فيمن جعله فعلاً ، ليس شيئاً منه أمراً ، وهذا يراد به الأمر ، وهو اسمٌ للفعل ، فإذا كان كذلك لم يجوز ، لأنه لا نظير له . فإن قلت : فلم لا تجعله المصدر ، لأنَّ المصدر قد وقع في الاستثناء في قولك : أتاني القوم ما عدا زيداً ، والتقدير : مجاوزتهم زيداً ، فهو مصدر . قلت : يمكن أن يقال إن ما زائدة وليست التي للمصدر ، وعدا إذا قُدِّرَتْ زيادةً « ما » كان جملةً ، فليس في ذلك دلالة ، لاحتماله غير ذلك . والحروف قد وقعت في الاستثناء نحو خلا وحاشا ، ولا وجه لهذه الكلم إلا أن تكون حروف جر ، فإذا كان بله زيد هنا ليس يخلو من أن يكون اسم فعل أو مصدرًا أو حرفاً ، وليس يجوز وقوع اسم الفعل هنا لما قدمنا ، ولا المصدر لأنَّه لم يقع عليه دلالة من حيث جاز أن تكون ما زائدة في ماعدا - كان حرف جرٍّ ؛ لأنَّ حروف الجر قد وقعت في موضع الاستثناء . انتهى كلامه .

وحاصله أنه استدللَّ لبَّله بكونه حرف استثناء بأنَّ اسم الفعل لم يقع في

الاستثناء ، فكذلك لم يكن مصدرًا ، لأنه لا يكون مصدرًا إلا حيث يكون اسم فعل . ثم اعترض نفسه بما عدا زيداً وبابه ، فقال : يمكن أن تكون ما زائدة .

قال أبو حيان (في تذكرته) : قلت كونها مصدريةً أولى ، وبه قال سيبويه والجماعة . وقد حكى أبو عبيدة وأبو الحسن النصب بعدها في الاستثناء . انتهى .

ويريد أبو علي أنها ليست في النصب حرفاً ، لأنها قد جرّت ، وليس في الاستثناء ما ينصب ويخفف إلا وهو متردد بين الحرفية والفعلية ، ولا يكون نصبها كنصب إلا لهذا ، ولأنها لا يقع بعدها المرفوع . كذلك قال أبو حيان . يريد أنها لم تخرج عن بابها وإن دخلها معنى الاستثناء . فالخفف على أنها مصدر ، والنصب على أنها اسم فعل . وقال الدماميني (في شرحه المزج ^(١)) على المغنى) : ذهب الكوفيون والبغداديون إلى أنّ به تردّد للاستثناء كغير . وجمهور البصريين على أنها لا يستثنى بها . واستدلّ ابن عصفور بأمرين : أحدهما : أنّ ما بعد به لا يكون من جنس ما قبلها . ألا ترى أنّ الأكف في البيت ليست من الجماجم .

والثاني : أنّ الاستثناء عبارة عن إخراج الثاني ممّا دخل في الأول ، والمعنى في به ليس كذلك . ألا ترى أنّ الأكف مقطوعة بالسيوف كالجماجم .

وفيه نظر . أما الأول فلائذا لا نسلم أنّ كلّ استثناء يكون ما بعد الأداة فيه من جنس ما قبلها ؛ بدليل المنقطع . وأما الثاني فلتتحقق الإخراج باعتبار الأوليّة . انتهى .

(١) ش : « في الشرح المزج » .

وقد بسط القول أبو حيان (في شرح التسهيل) على هذه المسألة فلا بأس بإيراده . قال :

مذهب جمهور البصريين : لا يجوز فيما بعدها إلا خفض . وأجاز الكوفيون والبغداديون فيه النصب على الاستثناء ، نحو أكرمت العبيد بله الأحرار . وإنما جعلوها استثناء لأنهم رأوا ما بعدها خارجاً عما قبلها في الوصف ، من حيث كان مرتباً عليه ، لأنَّ المعنى فيه : إنَّ إكرامك الأحرار يزيد على إكرامك العبيد . والصحيح أنها ليست من أدوات الاستثناء ، بدليل انتفاء وقوع إلا مكانها ، وأنَّ ما بعدها لا يكون إلا من جنس ما قبلها . ويجوز دخول حرف العطف عليها ، ولم يتقدّمها استثناء . قال شيخنا ابن الصائغ ^(١) : ومما يضعف إدخال بله ولاسيما في أدوات الاستثناء ، أنَّهم لم يأتوا بحتى في الاستثناء . ألا ترى أنَّ قولهم : قام القوم حتى زيد ، قد أُخرج زيد عن القوم لصفة اختصَّ بها في القيام لم تثبت لهم ، فلو كان هذا المعنى حقيقة في الاستثناء للزم . ولا تذكر حتى في أدوات الاستثناء . انتهى . وما ذهب إليه جمهور البصريين من أنَّه لا يجوز فيما بعدها النصب ليس بصحيح ، بل النصب بعدها محفوظ من العرب . قال الشاعر :

« مَشَى الجوادِ قَبْلَهُ الجِلَّةُ نُجْبا ^(٢) »

وقال جرير :

وهل كنت يا ابن القين في الدهر مالكا

لغير بعير بُلَّة مَهْرِيَّة نُجْبا

(١) هو علي بن محمد بن علي الإشبيلي ، وهو بالضاد المعجمة ، من شيوخ أبي حيان . توفي سنة ٦٨٠ .

(٢) لابن هرمة في ديوانه ٥٧ واللسان والتاج (بله) . وصدده :
« تمشى القطوف إذا غنى الحدادة بها »

وقال آخر :

« بَلَّةُ الْأَكْفِّ كَأَنَّهَا لَمْ تُخْلَقِ »

وقد روى الرفع أيضاً بعد بله على معنى كيف . ذكره قطرب وأنكره أبو علي . وفي (مختصر العين) : بَلَّةٌ بمعنى كيف ، وبمعنى دع . فأما الجر بعدها وهو المَجْمَعُ على سماعه فذهب بعض الكوفيين إلى أنَّها بمعنى غير ، فمعنى بله الأكف غير الأكف ، فيكون هذا استثناءً منقطعاً . وذهب الفارسي إلى أنها مصدر لم يُنطَقْ له بفعل ، وهو مضاف وهي إضافة من نَصَب . وذهب الأخفش إلى أنَّها حرف جر . وأما النصب فيكون على أنَّه مفعول وبله مصدر موضوع موضع الفعل ، أو اسم الفعل ليس من لفظ الفعل . فإذا قلت : قام القوم بله زيدا ، فكأنك قلت : تركاً زيدا ، أو دَعَ زيدا .

وأما الرفع فعلى الابتداء وبله بمعنى كيف في موضع الخبر . وقال ابن عصفور : إذا قلت قام القوم بله زيدا إثمًا معناه عندنا دع زيدا ، وليس المعنى إلا زيدا . ألا ترى أنَّ معنى بله الأكف دع الأكف . فهذه صفتها ، ولم يرد استثناء الأكف من الجماعم .

قال شيخنا : هذا مناقضٌ لقوله : كأنها لم تخلق ، فإنما يريد إذا كان فعلها في الجماعم كذا فالأكف أخرى بذلك ، فكأنها لم تكن قط ، فيقال إنها قطعتها . فلا فرق بين معنى لاسيما وبله . انتهى .

هذا ما أورده أبو حيان . وقول الشارح المحقق : « ومنه بله ما أُطْلِعْتُمْ » أى من الاستثناء بجعله بله بمعنى سوى . وهو قطعة من حديث أخرجه البخاري (في صحيحه) عن أبي هريرة في تفسير سورة السجدة وهو : « يقول

الله تعالى : أعددت لعبادِي الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ذُخْرًا بَلَّةً ما أُطْلِعْتُمْ عليه . ثم قرأ : ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قُرَّةِ أعينٍ جزاء بما كانوا يعملون ﴾ ^(١) . وأُطْلِعْتُمْ ضبطه القسطلاني بضم الهمزة وكسر اللام . قال : ولأى الوقت : « أُطْلِعْتُهُمْ » بفتح الهمزة واللام وزيادة هاء بعد التاء . وأخرجه مسلم أيضاً عن أنس هريرة في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها (من صحيحه) ولفظه : « قال رسول الله ﷺ : يقول الله عز وجل : أعددت لعبادِي الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ذُخْرًا ، بله ما أُطْلِعْتُمْ عليه » ، ثم قرأ : ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قُرَّةِ أعين ﴾ انتهى . وفي رواية منه : « بله ما أُطْلِعْتُمْ الله عليه » .

فقول القسطلاني في شرح البخاري : إنَّ هذا الحديث من أفراد البخاري سهُو ، مع أنَّ ابن حجر قال (في فتح الباري) : أخرج مسلم الحديث كله عن أنس بن مالك بن أبي شيبه ، قال النووي في شرح مسلم : بله معناها : دع عنك ما أُطْلِعْتُمْ عليه ، فالذي لم أُطْلِعْكم عليه أعظم . فكأنَّه أَضْرَبَ عنه استقلالاً له في جنب ما لم يطلع عليه . وقيل معناها غير ، وقيل معناها كيف . وقال ابن الأثير (في النهاية) : بله اسم فعل بمعنى دَعُ ، وقد يوضع موضع المصدر ويضاف . وقوله : ما أُطْلِعْتُمْ عليه ، يحتمل أن يكون منصوب المحل ومجروره . انتهى .

ورواه أبو حيان (في تذكرته) : « بله ما قد أُطْلِعْتُمْ عليه » ، وقال : يريد فدع ما أُطْلِعْتُمْ عليه ، وكيف ما أُطْلِعْتُمْ . وتقول العرب : إني لا أركب الخيل فكيف الحمير ، يريد : فدع ذكر الحمير لا تذكره . ففي هذا القول دلالة على موافقة كيف معنى دَعُ في هذه الجهة . انتهى .

(١) الآية ١٧ من السجدة .

ووقع في أكثر نسخ البخارى « مِنْ بَلِّهِ مَا أَطْلَعْتُمْ عَلَيْهِ » ،
 بزيادة « مِنْ » . قال القسطلانى : هى رواية أى ذر وأنى الوقت والأصيل
 وابن عساكر . قال ابن حجر : قال الصَّغَانِي : اتَّفَقَتْ نُسخُ الصحيح على
 مِنْ بَلِّهِ ، والصواب إسقاط كلمة مِنْ . وتُعَقَّبُ بَأَنَّهُ لا يَتَعَيَّنُ إسقاطها إلا إذا
 فسَّرت بمعنى دع ، وأما إذا فسَّرت بمعنى مِنْ أجل أو مِنْ غير أو سوى فلا .
 وقد بَيَّنَّتْ فى عدَّة مصنفاتٍ خارجِ الصحيح بإثبات مِنْ . وأخرجه سعيد بن
 منصور من طريق ابن مردويه من رواية أى معاوية عن الأعشى كذلك . وقد
 فسَّر الخطائى الجارَّ والجُرور بقوله : كَأَنَّهُ يَقُولُ : دع ما أَطْلَعْتُمْ عليه فَإِنَّهُ سَهْلٌ
 فى جَنْبِ ما أُدْخِرَ لَهُمْ . وهذا إِنَّمَا هو لائِقٌ بشرح بَلِّهِ بغير تقدُّم من عليها .
 وأما إذا تقدَّمت من عليها فقد قيل : هى بمعنى كيف ويقال أجل ، ويقال
 بمعنى غير أو سوى ، وقيل بمعنى فضل . انتهى .

قال ابن هشام (فى المغنى) : ومن الغريب أنَّ فى رواية البخارى « مِنْ
 بَلِّهِ » ، قد استعملت معربةً مجرورةً بمن ، وخارجةً عن المعانى الثلاثة . وفسَّرها
 بعضهم بغير ، وهو ظاهر . وبهذا يتقوى من يعدّها فى ألفاظ الاستثناء . انتهى
 وكذلك قال القسطلانى : قد ثبت جُرُّ بَلِّهِ بِمِنْ فى الفرع المعتمد
 المقابل على أصل اليونانى ، المحرَّر بحضرة إمام العربية أى عبد الله بن مالك .
 قال الدمامينى (فى شرح البخارى) : و (فى شروح المغنى) : نصَّ
 ابن التَّيْن (١) على أنَّ بَلِّهِ ضَبِطَ بالفتح والجُر ، وكلاهما مع وجود مِنْ . فأما
 الجُر فقد وجَّهه ابن هشام ، وأما توجيه الفتح مع وجود مِنْ فقد قال الرضى :
 إذا كان بَلِّهِ بمعنى كيف جاز أن تدخله مِنْ ، وعليه تتخرَّج هذه الرواية ،
 فتكون بمعنى كيف التى يقصد بها الاستبعاد . وما مصدرية ، وهى مع صلتها

(١) ذكره فى تاج العروس (تين) قال : « وعبد الرحمن السفاقسى المالكى المعروف بابن التين ،
 شارح البخارى » . وفى كشف الظنون : « عبد الواحد بن التين السفاقسى » .

في محل رفع على الابتداء والخبر من بله ، والضمير من عليه عائد على الذخر ،
أى كيف ومن أين أطلعكم على الذخر الذى أعددت ، فإنه أمر قلما تتسع
العقول لإدراكه والإحاطة به . انتهى .

ومثله لابن حجر قال : ووقع في المعنى لابن هشام أن بله استعملت
معربة مجرورة بمن ، وأنها بمعنى غير ، ولم يذكر سواه . وفيه نظر لأن ابن التين
حكى رواية من بله بفتح الهاء مع وجود من ، فعلى هذا فهي مبنية
وما مصدرية ، وهى وصلتها في موضع رفع على الابتداء ، والخبر هو الجار
والمجرور المتقدم ، ويكون المراد ببله كيف التى يقصد بها الاستبعاد . والمعنى :
من أين أطلعكم على هذا القدر الذى تقصّر عقول البشر عن الإحاطة به .
ودخول من على بله إذا كانت بهذا المعنى جائز كما أشار إليه الشريف (فى
شرح الحاجبية) . وأوضح التوجيهات لخصوص سياق حديث الباب أنها
بمعنى غير . وذلك بين لمن تأمله . انتهى .

وهذا الاتفاق من الدمامينى وابن حجر غريب ، يقل وقوع مثله ،
فإنهما وإن كانا متصاحبين لم ير كل منهما شرح الآخر على البخارى .
أقول : كسرة بله يحتمل أن تكون كسرة بناء . ويؤيده ما قاله أبو حيان
(فى الارتشاف) بأنه سمع فى بله فتح الهاء وكسرها .

والبيت الشاهد من قصيدة لأبى زبيد الطائى النصرانى . وقبلة ، وهو صاحب الشاهد
مطلع القصيدة :

(من مبلغ قومنا النائين إذ شحطوا)

آيات الشاهد

أنَّ الفؤادَ إليهم شيق ولع

حَمَّالٌ أَثْقَالُ أَهْلِ الْوَدِّ آوَنَةٌ

أَعْطَاهُمُ الْجَهْدَ مَنَى بَلَهَ مَا أَسْعُ

مَنْ استفهامية ومبلغ متعدي إلى مفعولين ، يقال أبلغته السلام ، فقومنا مفعوله الأول ، والنائين وصفه ، وأنَّ الفؤاد إلخ بفتح أن في تأويل مصدر منصوب هو المفعول الثاني . والنائين : جمع ناء اسم فاعل من النأي ، وهو البعد . وإذا ظرف معناه التعليل متعلق بمبلغ . وشحطوا بفتح الحاء ، يقال شحط يشحط شحطاً من باب منع وشحوطاً ، وهو البعد . وشيئ : مشتاق ، وأصله شيوق بوزن فيعل . وولع بكسر اللام : وصف من ولع بفتح اللام وكسرها يَلْع بفتحها مع سقوط الواو ، ولعاً بسكون اللام وفتحها ، بمعنى علق به ، من علاقة الحب . كذا في المصباح .

وحمال : مبالغة حامل خبر لمخذوف ^(١) أى هو حَمَّال . وأثقال : جمع ثقل بفتحيتين ، وهو متاع المسافر . وآونة : جمع أوَّان بمعنى الحين ، كأزمنة وزمان وهو ظرف لحَمَّال ، أى حَمَلته في أزمان كثيرة . وضمير أعطيهم لأهل الودِّ ، وجمعه باعتبار معناه . والجهد بالفتح : النهاية والغاية ، وهو مصدر جهد في الأمر جهداً من باب نفع ، إذا طلب حتَّى بلغ غايته في الطلب . ومنه اجتهد في الأمر ، أى بذل وسعه وطاقته في طلبه ليلبلغ مجهوده ويصل إلى نهايته . والجهد أيضاً : الوسع والطاقة ، يفتح في لغة الحجاز ويضم في غيره . وأسع : مضارع وسع ، يتعدى ولا يتعدى . يقال وسع المكان القوم ، ووسع المكان ، أى اتسع . قال النابغة :

(١) ش : « خبر المخذوف » .

تَسْعُ البلادُ إذا أَتَيْتُكَ زائراً وإذا هَجَرْتُكَ ضاقَ عَنِّي مَقْعَدِي^(١)
 والسَّعةُ والوسعُ : الطاقة ، والجدة أيضاً . والفعل وسع بكسر السين
 يَسْعُ بفتحها ، وأصل الفتحة الكسرة ، ولهذا أسقطت الواو لوقوعها بين ياء
 مفتوحة وكسرة ثم فتحت بعد الحذف لِمكانِ حرف الحلق . فأسع إن كان
 متعدياً فما موصولة أو موصوفة والعائد محذوف ، أى أسعه . وإن كان لازماً
 بمعنى اتسع فما مصدرية . فالجهد إن كان بالمعنى الأول فالوسع بالمعنى
 الثانى ، وبالعكس لثلاثا يتكرر . وظهر من هذا التقدير أن الاستثناء لا مِساس
 له هنا ، وإنما المعنى على أحد الأوجه الثلاثة فى البيت السابق . فالأول أتى
 أعطيهم فوق الوُسع ، فتركاً للوسع ، أو فدع الوُسع أى ذكره ، أو فكيف
 الوُسع لا أعطيه ، فتأمل .

* * *

وأنشد بعده :

(وقفنا فقلنا إِيه عَنِّ أُمَّ سَالِمٍ)
 تقدّم شرحه قبل بيتين منه (٢) .

* * *

وأنشد بعده :

(مَهْلًا فِدَاءٍ لَكَ الْأَقْوَامُ كُلُّهُمْ
 وما أَثْمَرُ من مَالٍ ومن وَلَدٍ)
 وهذا أيضاً تقدّم شرحه فى أول الباب (٣) .

* * *

(١) ديوان النابعة ٣٤ تحقيق شكرى فيصل .

(٢) انظر هذا الجزء ص ٢٠٨ .

(٣) فى الشاهد ٤٥٢ ص ١٨١ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والخمسون بعد الأربعمئة ^(١) :

٤٥٨ (أَلَا حَيِّيا لَيْلَى وَقَوْلَا لَهَا هَلَا)

فقد ركبَتْ أمراً أغرَّ محجَّلاً (

على أن (هَلَا) فيه اسم فعل بمعنى أُسرعى ^(٢) .

المعروف ^(٣) أنها زجرٌ للدابة لتذهب ، فتكون من أسماء الصوت كما فسَّره هو بهذا في باب الصوت .

قال صاحب الصحاح : هَلَا : زجرٌ للخيل ، أى توسَّعى وتنحَّى .

قال :

* وَأَيَّ جَوَادٍ لَا يُقَالُ لَهُ هَلَا *

وللناقة أيضاً ، وقال :

* حَتَّى حَدَوْنَاهَا يَهِيدُ وَهَلَا *

وهما زجران للناقة ، وقد تسكَّن بها الإناث عند دُتُو الفحل منها .

قال :

أَلَا حَيِّيا لَيْلَى وَقَوْلَا لَهَا هَلَا

انتهى

فقد عكس الشارح كما ترى ، ففسَّرها بأسرعى دون اسكنى .

وقال ابن الأثير (فى النهاية) فى شرح حيَّهلاً من حديث ابن مسعود :

« إذا ذُكِرَ الصالحون فحيَّهلاً بعمر » ، قال : أى أقبل به وأسرع ، وهى

(١) الأغاني ٤ : ١٣٢ وابن يعش ٤ : ٧٤ وديوان النابغة الجعدي ص ١٢٤ .

(٢) الذى فى الرضى ٢ : ٦٧ : « ومنها هلا ، وله معنيان : اسكن ، وأسرع » ، فقط .

(٣) ش : « أو المعروف » بزيادة « أو » من النسخ مقرونة بكلمة « صح » . والحق أن الكلام

هنا للبعدادى لا للرضى .

كلمتان جعلتا كلمة واحدة ، فحى بمعنى أقبل وهلا بمعنى اسكن عند ذكره حتى تنقضى فضائله . انتهى .

فهلاً من حيّها إمّا بمعنى أسرع وإمّا بمعنى اسكن ؛ لأنها تأتي للمعنيين كما قال الشارح .

وكأنه رحمه الله أخذ كلامه من هنا لكنه لم يُنعم النظر .

وأورده الزمخشري (فى مفصله) قال : ويستعمل حىّ وحده بمعنى أقبل ، وهلاً وحده . وأنشد البيت .

والبيت أول أبيات للناطقة الجعدى الصحابى هجا بها ليلى الأخيلية . صاحب الشاهد وبعده :

(ذرى عنك تهجاء الرجال وأقبل)

إلى أدلّقى يملأ استك فيشلا (١)
بريدنة بل البراذين ثفرها

وقد شربت فى أول الصيف أيل
وقد أكلت بقلأ وخيماً نباته

وقد نكحت شرّ الأخيلا
وكيف أهاجى شاعراً رُمحه استه

خضيب البنان لا يزال مكحلاً)

وقوله : (ألا حيا) ، أى ابلاغها تحيتى ، على طريق الهز والسخرية .

وروى : ألا أبلغا ، أمر مخاطبين بالتبليغ أو واحداً ، إما بتقدير الألف مبدلة من

(١) فى الديوان : « وأقبل على أدلقى » .

٣٢ نون التوكيد الخفيفة . وإمّا من قبيل خطاب الرجل صاحبه بخطاب الاثنين على عادتهم . وهلا هو المحكى بالقول .

وقوله : (فقد ركبت) إلخ أراد أنها ركبت بسبب التعرض لى (١) أمراً واضحاً ظاهراً لا يخفى . وهذا يقال فى كل شئ ظاهرٍ عُرف كما يُعرف الفرس الأغر المحجّل . ومنه قول الشاعر (٢) :

وأيا منّا معروفةٌ فى عدونا

لها غررٌ معروفةٌ وحجولٌ

وروى : « لقد ركبت أيرا » بالمشناة التحتية بدل الميم ، وهو تحريف من الكتاب .

وقوله : « ذرى عنك » إلخ ذرى : اتركى . وتهجاء بالفتح : مصدر لمبالغة الهجاء . وأذلقى ، أى أير أذلقى . والأذلقى : السنن المسنون المحدد . قال صاحب العباب : ذلق السنن بالكسر يذلق ذلقاً ، أى صار حديداً ، فهو ذلق ؛ وأسِنَّةٌ ذلق .

وقال العيني : أذلقى أى رجلٌ فصيحٌ متقن .

وهذا لا مناسبة له هنا . ومثله لبعض فضلاء العجم (فى شرح أبيات المفصل) ، وتبعه الكرماني (فى شرح أبيات الموشح) قالا : أذلقى أى فصيح ، يقال فلانٌ ذلق اللسان أى طليقه . والأذلقى مبالغة . انتهى .

(١) ط : « التعرض لى » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

(٢) هو السموئل ، كما فى ديوانه ص ١٥ والحماسة ٢١ بشرح المرزوق .

(٣) فى الديوان : « وأيامنا مشهودة فى قديمنا » .

وروى : « أذلغى » بدل « أذلقى » بذال وغين معجمتين بينهما لام .
 قال صاحب العباب : ويقال للذكر أذلغ وأذلغى ، ومذلغ بكسر الميم .
 والأذلغى : منسوب إلى بنى أذلغ : قوم من بنى عامر ، يوصفون بالنكاح . قال
 ابن الكلبي : الأذلغ هو عوف بن ربيعة بن عبادة ، وأمه من ثمالة .
 وقال الأزهرى : الذكر يسمى أذلغ إذا ائتمهّل^(١) فصارت ثومته مثل
 الشفة المنقلبة . ويقال رجل أذلغ ، إذا كان غليظ الشفتين . وذلغ جاريتته ، إذا
 جامعها . انتهى .

والفيشل ، بفتح الفاء : رأس الذكر ، ومثله الفيشلة . كذا في
 العباب . وقال العينى : الفيشل : الذكر العظيم الكمرة . ولم أره بهذا المعنى .
 وقوله : « بريذينة حلّ البراذين » إلخ هو مصغر البروذنة . قال
 المطرّزى : البرذون : التركى من الخيل ، وهو خلاف العراب . وقال ابن
 الأنبارى : البرذون يقع على الذكر والأنثى ، وربما قالوا فى الأنثى بروذنة . كذا
 فى المصباح . والثفر بفتح المثناة وسكون الفاء . قال صاحب المصباح :
 الثفر ، مثل فلّس ، للسباع وكل ذى مخلب بمنزلة الفرج والحيا للناقة . وربما
 استعير لغيرها .

وقوله : « وقد شربت من آخر » إلخ الأيّل ، بضم الهمة وتشديد الياء
 المفتوحة : جمع آيل ، كقارح وقُرح . والآيل : اللبن الخائر . وقيل اسم جمع
 له ، يقال آل اللبن يؤول أولاً ، إذا خثر . وأراد ألبانا أَيْلاً ، فحذف
 الموصوف . وقيل هو آيل بفتح الهمة وكسرها وتشديد الياء المكسورة ، وهو

(١) فى النسختين : « اذا تمهل » ، والصواب ما أثبت كما فى اللسان (ذلغ ٣٠٨) . وفى
 اللسان (تمهل) : « تمهل الشيء تمهلاً : أى طال ، ويقال اعتدل . وكذلك ائمال وائمأر ، أى طال
 واشتد » .

الذَّكَر من الأوعال . والأنثى أَيْلَة وأرْوِيَة . والأَيْل هو ذو القرن الأشعب مثل الثور الأهل ؛ وإِنَّمَا سُمِّي أَيْلًا لأنه يُؤوِل إلى الجبال يتحصَّن فيها . قال ابن السيّد (فى شرح أبيات أدب الكاتب) : أراد لبن أَيْل ، فحذف المضاف وخصَّه دون غيره لأنه يهيج الغلّمة .

وقال صاحب العباب : قال شمر : هو لبن الأيائل . قال أبو الهيثم : هذا محال ، ومن أين يوجد ألبان الأيائل .

وقال أبو نصر : هو البول الخائر من أبوال الأروى ، إذا شربته المرأة اغتلمت . وهو يُغْلَم ، أى يَقْوَى على التّكاح .

وقوله : « قد أكلتُ بقلًا وخيمًا » إلخ الوخيم : الثقيل . ونكّحت : تزوّجت ، من باب ضرب . والأخايل : جمع أخيل ، قال صاحب العباب : بنو الأُخَيْل : حَيٌّ من بنى عُقَيْل رهط ليلى الأخيلية . وقولها :

نَحْنُ الأَخايل ما يزال غلامنا

٣٣

حَتَّى يدبَّ على العَصَا مذكورا

وإنَّمَا جمعت القبيلة باسم الأخيل بن معاوية العُقَيْلى . انتهى .

أراد أنها تزوّجت بأشْرَ بنى أخيل . وأخيل صفة لشر ، لتأويله بمشعوم فإنَّ الأخيل هو الشَّقَرَّاق ، والعرب تتشاءمُ به .

وقوله : « وكيف أهاجى شاعراً » إلخ أى كيف أهاجى امرأةً بهذه الصفات . والاستفهام إنكارى . أى لا أهاجو ؛ استنكافاً من هذه الصفة .

وسبب هجو النابغة لليلى أنه كان يهاجى زوجها سَوَّار بن أوفى
القُشَيْرى ، فاعترضت ليلى بينهما فهجت النابغة بشعر ، فهجاها بهذا
الشعر ، فهجته بقصيدة منها هذه الأبيات :

أنايغ لم تنبغ ولم تك أولاً
وكننت صُنْبًا بين صُدَّين مَجْهَلًا (١)
أنايغ إن تنبغ بلؤمك لا تجد
للؤمك إلَّا وَسْطَ جَعْدَةٍ مَجْهَلًا
أعيرتنى داءً بأمك مثله
وأى حَصَانٍ لا يقال لها : هَلَا
تُساوِر سَوَّارًا إلى المجد والعلا

وفى ذمتى لئن فعلت ليفعل
فعلته ، ولهذا صار النابغة معدوداً من المغلَّبين . هذا هو الصحيح فى
الرواية كما فى الأغاني وفى شرح شواهد إصلاح المنطق ، لا العكس (٢) ، كما
قاله ابن هشام (فى شرح الشواهد) ، وتبعه العيني وغيره .
ثم إنها وفدت إلى الحجاج بن يوسف فأعطاهما ما سألت ، ثم قال لها :
ألك حاجة بعد هذا ؟ قالت : نعم ، تدفع إلى النابغة الجعدى . قال : قد
فعلت . فلما بلغ النابغة فعل الحجاج به خرج هارباً إلى عبد الملك بن مروان
عائداً به ، فأتبعته إلى الشام فهرب إلى قتيبة بن مسلم بخراسان ، فاتبته (٣)
بكتاب الحجاج إليه ، فماتت بقومس . وقال ابن قتيبة : بساوة ، وقبرت
هناك .

(١) ديوان ليلى ١٠٠ . وانظر ما فيه من تخرىج .

(٢) فى هامش طبعة بولاق : « قوله لا العكس إلخ أقول : راجعت شرح الشواهد لابن هشام
فلم أر فيه عكس ما هنا ، بل مثله . كذا بهامش الأصل » .

(٣) فى النسختين : « فاتبته » .

وقولها « أنايغ » أتلخ الهمزة للنداء . ونايغ : مرثم نابغة ، وهو لقب والهاء للمبالغة . يقال نايغ الرجل ، إذا لم يكن في إرث الشعر ثم قال وأجاد ، ومنه سمي النوايغ من الشعراء ، وهم ثمانية . واسم الجعدى قيس بن عبد الله ، وقد تقدمت ترجمته في الشاهد السادس والثمانين بعد المائة (١) .

وتبع ينبغ بفتح الباء في الماضي ، وبتثنيها في المضارع ، إذا ظهر وعلا . وقولها : « ولم تك أولاً » أى لم تكن أول من قال شعراً ، وليس لك قدم فيه . والصنى : مصغر صينو بكسر الصاد المهملة وسكون النون ، وهو جنى صغير لا يرده أحد ولا يؤبه له ، ويقال هو شق في الجبل . كذا في الصحاح ، وقال ابن السيد (في شرح أبيات أدب الكاتب) : الصنى : شيعب ضيق بين الجبال ، وقيل هو الرماد ، وقيل هو الشيء الحقير الذى لا يلتفت إليه . والجنى بكسر الحاء وسكون السين المهملتين ، وهو الماء المتوارى في الرمل . قال ابن السيرافى (في شرح أبيات إصلاح المنطق) : لم تنبغ : لم تغل ولم تذكر . والصنى : الجنى الصغير ، تريد أنه بمنزلة الجنى ، كهذا الماء الذى بين جبلين لا يرده أحد . ومجهلاً نعت لصنى . والصد ، بضم الصاد وفتحها ، ويقال سد بالسين كذلك ، هو الجبل .
والجعل : مصدر ميمي بمعنى الجعل ، أى لم تجد من يجعلك شريفاً إلا قومك .

وقولها : « أعيرتنى داء » ، أى : أنسبتنى إلى العار ، وهو كل شئ يلزم منه عيب أو سبة ، يتعدى إلى المفعول الثانى بنفسه كما هنا . وبالباء أيضاً . قال المرزوقى (في شرح الحماسة) : المختار أن يتعدى بنفسه . والحصان ،

(١) الخزائن ٢ : ١٦٧ .

بالفتح : المرأة العفيفة . وروى بدله « وأئى جواد ، وهو الفرس الجيدة . وقولها :
« تُساوِرُ سَوَارًا » إلخ ، تساور : توثب وتغالب .

وسوار قال ابن قتيبة (في كتاب الشعراء) : هو سوار بن أوفى
القشيري . وكان زوجها . وصحفه بعضهم ورواه « تسور سوار » ، والصواب
ما روينا .

وهذا البيت أوردته سيبويه في كتابه ^(١) على أن الألف في ليفعلا أصلها
نون التوكيد الخفيفة قلبت ألفا . واللام في لئن موطئة للقسم ، واللام الثانية في
جواب القسم المقدّر ، وجملة : يفعل جواب القسم ، وجواب الشرط محذوف
وجوباً ، وفي ذمتي خبر مبتدأ محذوف ، أى في ذمتي القيام بما أدّعيه لسوار من
أن يغلبك ، والله لئن فعلت ليفعلن ، أى لئن واثبت ليواثبتك ويغلبنك .

وقال أبو علي (في إيضاح الشعر) قوله : « وفي ذمتي » قسم ، وجوابه
ليفعلن . فإن قلت : إن قوله ^(٢) : وفي ذمتي ، ليس بكلام مستقل ، والقسم
إنما هو جملة .

قلت : إنه أضمر في الظرف اليمين أو القسم ، لدلالة الحال عليه ، كما
أضمر في قوله سبحانه : ﴿ ثُمَّ بَدَأْ لَهُمْ ^(٣) الْفَاعِلُ ، وصار ليسجنّته
كالجواب ، لأنّ بدا بمنزلة علم ، وذاك أنه علّم . ومن لم يرفع بالظرف فينبغي
أن يكون المبتدأ عنده محذوفاً . ويبيّن ذلك قولهم : على عهد الله لأفعلن .
انتهى ^(٤) .

المبتدأ وجوباً إذا كان خبره صريحاً في القسم ، كقولهم : في ذمتي لأفعلن ، أى في
ذمتي يمين .

(١) سيبويه : ٢ : ١٥١ .

(٢) ش : « إن قولها » .

(٣) الآية ٣٥ من سورة يوسف .

(٤) يبدو أن بين هذا الكلام وتاليه سقطا تقديره : « ويحذف » وقد بيض له في النسختين بمقدار
نصف سطر .

وأنشد هذا البيت .

ولئنما عدّه صريحاً لأنه اشتهر استعماله في القسم . وبه يسقط قول من قال كما نقله العيني : يحتمل أن يكون : في ذمتي دينٌ أو عهد ، فلا يفهم القسم إلا بذكر المقسم به .

* * *

وأنشد بعده :

(قدنّي من نصر الحُبيّين قدي)

وقد تقدّم شرحه مفصلاً في الشاهد الثالث بعد الأربعمئة (١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والخمسون بعد الأربعمئة (٢) :

٤٥٩ (ومَتَى أَهْلِكَ فلا أُحْفِلُهُ

بَجَلِي الآنَ مِنَ العَيْشِ بَجَلٌ)

على أنَّ (بَجَلٌ) كان في الأصل مصدرًا بمعنى الاكتفاء ، ثم صار اسمَ فعل بمعنى الأمر ، فإن اتَّصل به الكاف كان معناه اكتف ، أمر مخاطب حاضر . وإن اتَّصل به الباء كان معناه لأكتف ، أمر متكلّم نفسه ، كما أنَّ قد وقَطَّ كذلك . ففيه ضمير مستتر وجوبا تقديره في الأول : أنت ، وفي الثاني : أنا .

ومثله (في المفصل للزمخشري) : أنَّ قدك وقطك بمعنى اكتف وانه . ولم يذكّر معهما بجل .

(١) الخزائن ٥ : ٣٨٢ - ٣٩٦ .

(٢) ديوان لبيد ١٩٧ والحامسة بشرح المرزوقي ٢٩١ ، ٦٠٨ .

وكونها موضوعةً لهذا المعنى هو المتبادر الظاهر من موارد استعمالها ،
والمطرد في كل موضع أتت فيه .

وذهب ابن مالك (في التسهيل) إلى أنّ الثلاثة موضوعةٌ لأكتفى فعلاً
مضارعاً للمتكلم . وهو قريب مما قاله .

وقال أبو حيان (في الارتشاف) : وأما بجل فقد ذكروا أنّها اسمٌ فعل
والياء في موضع نصب بمعنى كفاني أو يكفيني . وإذا لم تلحق فهي بمعنى
حسب .

واقصر المرادى (في الجنى الدانى) وابن هشام (في المغنى) وغيرهما ٣٥
على أنّها موضوعة ليكفى فعلاً مضارعاً غائباً . وهذا يحتاج إلى فاعل ظاهر
ولا يتيسر في بجلي الآن ، ولا في قول طرفة بن العبد .

وقد أورده ابن هشام (في المغنى) :

* أَلَا بَجَلِي مِنَ الشَّرَابِ أَلَا بَجَلُ *

لعدم وجوده . ولمّا رأوا أن لا فاعل اضطروا إلى جعل بجل في البيتين
بمعنى حسب ، وأثبتوا معنىً ثانياً لها . ولا ضرورةً تدعو إليه ، ولهذا لم يذكر
الشارح المحقق معنى حسب أصلاً ، حسماً للانتشار من غير فائدة .

فإن قلت : إنّ علماء اللغة المتقدمين كالأزهري ، وابن دُرَيْد ،
والجوهري وغيرهم ، إنما قالوا بَجَلُ بمعنى حَسَب ، ولم يتعرضوا لجيئها اسم فعل
فما وجهه ؟ قلت : هو راجعٌ إليه ، وإنما عبّروا بحَسَب لقرب المعنى تيسيراً
للفهم . وهم يتساهلون في تفسير بعض الألفاظ .

ولمّا كان غرض النحويّين متعلّقاً بأحكام الألفاظ دَقَّقُوا النظر فَبَيَّنُوا حقيقتها ، وفسَّروها بالفعل وسموها اسم فعل . ولا يصح أن تكون موضوعاً بمعنى حسب ، لأنّ كلاّ منهما لا يستعمل استعمال الآخر . أمّا حسب فإنها اسمٌ معرب متصرّف ، يقع مبتدأ وخبراً وحالاً ومجروراً ، ويدخل عليها العوامل اللفظية . ويَجَلُّ على خلاف هذا ، وإثبات هذه الأمور لها دَوْنُهُ خَرَطُ القتاد . وأمّا بجل فإنّ نون الوقاية تلحقها ، وحسب لا تلحقها ولا في الندرة .

وقد أخذ ابن مالك بظاهر كلام أهل اللغة فأثبت مجيء بجل بمعنى حسب . وحسب ليست اسم فعل لدخول العوامل عليها ، ولم يُصَبِّ من عدّها من أسماء الأفعال ، كالقواس (في شرح ألفية ابن معطى) ، ولا يجب لحاق نون الوقاية لبجل مع الياء ، بل يجوز بمرجوحية .

قال الشارح المحقق هنا : وتجب نون الوقاية في قد وقط دون بجل في الأعراف ، لكونهما على حرفين دونه .

وقال في باب المضمر : وكذا الحذف في بجل أولى من الإثبات وإن كان ساكن الآخر مثل قد وقَطْ ، لكراهة لام ساكنة قبل النون ، وتعرُّسُ النطق بها .

ومثله لابن هشام (في المغنى) : أنّ لحاق النون لبجل إذا كان اسم فعل نادر . وكذا حال جميع أسماء الأفعال ، يجوز إلحاق نون الوقاية وتركها . قال الشارح المحقق في باب المضمر ^(١) : يجوز إلحاق نون الوقاية في أسماء

(١) شرح الرضى ٢ : ٢٢ .

الأفعال ، لأدائها معنى الفعل ، ويجوز تركها أيضاً لأنها ليست أفعالاً في الأصل . حكى يونس : عَلَيَّكَى ، وحكى الفراء : مَكَانَكَيْ (١) . انتهى . وكذا قال الشاطبي (في شرح الألفية) : حكى سيويه في أسماء الأفعال عليكني وعليكي . بل ينبغي أن يكون إلحاق النون لاسم الفعل كالفعل من كل وجه ، فكما تقول تراكها : تقول تراكني ، وفي رويد : رويدني ، وفي هلم الحجازية : هَلُمْنِي . وكذلك سائر أسماء الأفعال المتعدية . وقد نص ابن مالك (في شرح التسهيل) على جواز إلحاق النون في اسم الفعل مطلقاً . انتهى .

وزعم ابن هشام (في شرح الألفية) و (في الجامع الصغير) وغيرهما أن إلحاقها لاسم الفعل واجب . وحينئذ يرد عليه ما استشكله الدماميني (في شرح المغني) قال : هذا مشكل ، لأنها حيث تكون اسم فعل بمعنى يكفى فالنون واجبة لا نادرة . نعم إذا كانت بمعنى حسب جاز الأمران ، إلا أن ترك النون أعرف من إثباتها ؛ فندور بجلني بالنون إنما هو إذا كانت بمعنى حسب لا بمعنى يكفى .

٣٦ هذا كلامه وتابعه عليه الشُّمْنِيُّ وناقشه بشيء لا طائل تحته . وقد لفق بين كلاميهما ابن المُلَّا على عادته ، ولم يأت بشيء .

وقول الشارح المحقق : إلا أن الضمير قد يحذف من بجل بخلاف قد وقط ، يعني قد تستعمل مجردة من إلحاق ضمير المتكلم أو المخاطب كما في البيت ، فإن بجل الثانية تأكيد للأولى ، وليس معها ضمير كالأولى . والمعنى عليه . ومثله قول طرفة :

(١) ش : « مكانتي » ، صوابه في ط وشرح الرضى .

« أَلَا بَجَلِي مِنَ الشَّرَابِ أَلَا بَجَلُ »

وكذلك قول بعض أهل البصرة في يوم الجمل (١) :

« رَدُّوا عَلَيْنَا شَيْخَنَا ثُمَّ بَجَلُ »

يريد : ثم بَجَلُكُمْ ، أى كفوا وانتهوا .

وزعم العيني أنَّ بَجَلَ الثانية حَرْفٌ بمعنى نعم ، ومع هذا هى تأكيد لبَجَلِ الأولى . وفيه أنَّ الحرف لا يُوَكِّد الاسم ، لتغايرهما بالنوعية .

وقول الشاعر : (ومتى أهلك) إلخ متى جازمة . وأهلك شرط ، ولهذا جزم . وجملة (لا أحفله) فى محل جزم جواب الشرط . وهلك الشيء من باب ضرب ، وكذلك حَفَلٌ من باب ضرب . قال صاحب العباب : وَحَفَلْتُ كَذَا أى بالَيْتُ به . ويتعدى بالباء أيضاً ، وهو الكثير . يقال حَفَلْتُ بفلان ، إذا قمتَ بأمره . ولا تحفل بأمره ، أى لا تبال به ولا تهتم به . واحتفلت به : اهتممت به . وضمير أحفله راجعٌ إلى الهلاك المفهوم من أهلك .

وهذا البيت من قصيدة للبيد بن ربيعة الصحابى ، ذكر فيها أيامه ومشاهدته وما جرى له عند النعمان بن المنذر ملك الحيرة ، والتأسف على موته . إلى أن قال :

« فمتى أهلك فلا أحفله » البيت

وبعده :

(مِنْ حَيَاةٍ قَدْ سَعَمْنَا طَوْلَهَا) البيت الشاعر
وجديرٌ طولٌ عيش أن يُملَّ (

(١) انظر وقعة صفين ٢٢٨ .

ثم رُئى أخاه لأُمه أريد ، لموته بصاعقة نزلت به بدعاء النبي ﷺ (١) ؛ لأنه كان جاء مع عامر بن الطفيل ، قاتلهما الله ، للغدر بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم .

وهذه القصيدة قالها قبل إسلامه . وتقدم شرح أبيات منها في الشاهد الخامس والعشرين بعد المائتين (٢) .

وترجمته تقدمت أيضاً في الشاهد الثاني والعشرين بعد المائة (٣) .

وقوله : « من حياة » بدل من قوله : « من العيش » في البيت السابق .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الستون بعد الأربعمئة (٤) :

٤٦٠ (أنشأت أسأله ما بال رُفقتِه

حَيَّ الحُمُولَ فَإِنَّ الركبَ قد ذهبَا)

على أن (حَيَّ) جاء متعدياً بمعنى اثت الحمول ، جمع حمل بالكسر .

وهذه رواية الجوهرى (فى الصحاح) ، وكذا رواه خطّاب بن يوسف (فى كتاب الترشيح) وقال : أخذ يسأل غلامه : ما بال الرفقة ؟ وأين أخذت ؟ ثم قال له : حَيَّ الحمول يا غلام ، أى اثتها وحُثّها . انتهى . نقله عنه أبو حيان (فى التذكرة) .

(١) من « وسلم » هنا إلى « وسلم » التالية ساقط من ش .

(٢) صوابه : « الثامن والعشرون بعد المائتين » . الخزائن ٣ : ٣٦٨ .

(٣) الخزائن ٢ : ٢٤٦ .

(٤) ابن يعيش ٤ : ٣٧ . وانظر اللسان (حيا ٢٤٣) .

وقد روى البيت أبو علي : (في كتاب إيضاح الشعر) والسُّهيلي (في
الروض الأنف) هكذا :
أنشأتُ أسأله عن حال رُفقتَه

فقال : حَيَّ فَإِنَّ الركبَ قد ذهبَا

وعليه فليس بمتعدي . ورواه الأخفش أبو الحسن سعيد بن مسعدة
المجاشعي (في كتاب المعاياة) :
وقلتُ أسأله عن حال رُفقتَه

فقال : حَيَّ فَإِنَّ الركبَ قد ذهبَا

وقال : أراد بقوله : حَيَّهَلْ ، فنقصه . والرفقة بضم أولها وتكسر . وجعل
الركب بمنزلة الواحد . ا هـ .

أى بالنظر إلى قوله ذهب بالافراد ، ولو كان راعى معناه لقال : ذهبوا .
وقال ابن أبي الربيع ^(١) . حَيَّ تستعمل مركبة وغير مركبة . فَإِنْ كانت
غير مركبة كانت بمنزلة أقبل ، فتتعدى بعل ، وإذا كانت مركبة كانت متعدية
بمنزلة ائت . انتهى .

وقوله : (أنشأت) أى شرعت أسأل غلامى كيف أخذ الركبُ .
و(البال) : الحال والشأن . و (الرفقة) ، قال صاحب المصباح : هى
الجماعة ترافقهم فى سفرهم ، فإذا تفرقت زال اسم الرفقة . وهى بضم الراء فى

(١) فى النسختين : « ابن الربيع » ، والصواب ما أثبت . وهو عبيد الله بن أحمد ، شيخ
أبى حيان ، وله شرح الإيضاح . وسيأتى على الصواب فى ٢٦٢ .

لغة تميم ، والجمع رفاق ، مثل بُرمة وبرام ، ويكسرهما في لغة قيس ، والجمع رَفَق مثل سِدْرَة وسِدْر . وقوله : (حَيَّ الحُمُول) مقول لقول محذوف ، أى فقال : حَيَّ الحُمُول ، وهو مصَرَّح به في رواية غير الجوهري . قال صاحب المصباح : وراكب الدابة جمعه رَكَب ، مثل صاحب وصحب ، ورُكبان . انتهى . وقال ابن قتيبة (في أدب الكاتب) : الرُّكَب : أصحاب الإبل ، وهم العَشْرَة ونحو ذلك . قال ابن السيد (في الاقتضاب) : هذا الذى قاله ابن قتيبة قاله غير واحد . وحكى يعقوب عن عُمارة بن عَقِيل ^(١) قال : لا أقول راكب إلا لراكب البعير خاصة ، وأقول لغيره فارسٌ وبَغَالٌ وحَمَارٌ . ويقوى هذا الذى قاله قول قُرَيْط العنبري :

فليت لي بهم قوماً إذا ركبوا
شئوا الإغارة فرساناً ورُكباناً

والقياس يوجب أن هذا غلط ، والسمع يعضد ذلك . ولو قالوا إن هذا هو الأكثر في الاستعمال لكان لقولهم وجه . وأما القطع على أنه لا يقال راكب ولا ركب إلا لأصحاب الإبل خاصة فغير صحيح ، لأنه لا خلاف بين اللغويين في أنه يقال ركبت الفرس وركبت البغل ، وركبت الحمار . واسم الفاعل من ذلك راكب ، وإذا كثرت الفعل قلت رُكَّاب ورُكُوب . وقد قال الله تعالى : ﴿ وَالْحَيْلُ وَالْبِغَالُ وَالْحَمِيرُ لَتَرْكَبُنَّهَا ﴾ ^(٢) فأوقع الركوب على الجميع . وقال امرؤ القيس :

(١) يعقوب ، هو ابن السكيت . وفي النسختين : « بن عمار بن عقيل » . والصواب ما أثبت . وانظر إصلاح المنطق ٣٣٨ الطبعة الثالثة .
(٢) الآية ٨ من النحل .

إذا ركبوا الخيل واستلّموا

تَحَرَّقَتِ الْأَرْضُ وَالْيَوْمَ قَرَّ (١)

وقال زيد الخيل الطائفي :

وَتَرَكْتُ يَوْمَ الرَّوْعِ فِيهَا فَوَارِسٌ

بَصِيرُونَ فِي طَعْنِ الْأَبَاهِرِ وَالْكَلْبَى (٢)

وهذا كثير في الشعر وغيره . وقد قال الله تعالى : ﴿ فَرَجَالًا
أَوْ رُكْبَانًا ﴾ (٣) . وهذا اللفظ لا يدل (٤) على تخصيص شيء بشيء ، بل
اقتترأه بقوله فرجالاً يدل على أنه يقع على كل ما يُقَلُّ على الأرض .

ونحوه قول الراجز :

بَنَيْتُهُ بِعُصْبَةٍ مِنْ مَالِيَا أَخَشَى رُكْبِيًّا أَوْ رُجَيْلًا عَادِيًّا (٥)

فجعل الركب ضد الرجل ، وضد الرجل يدخل فيه راكب الفرس
وراكب الحمار وغيرهما . وقول ابن قتيبة أيضاً إِنَّ الرُّكْبَ العشرة ونحو ذلك ،
غلط آخر ، لأن الله تعالى قال : ﴿ وَالرُّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ ﴾ (٦) يعني
مشركي قريش يوم بدر ، وكانوا تسعمائة وبضعة وخمسين . والذي قاله يعقوب في

(١) ط : « تحرقت » ، صوابه في ش مع أثر تصحيح ، والديوان ١٥٤ .

(٢) ط : « منا فوارس » ، وأثبت ما في ش ، وهو يطابق ما سيأتي في الشاهد ٧٨٥ .

(٣) الآية ٢٣٩ من البقرة .

(٤) في النسختين : « يدل » ، والوجه ما أثبت .

(٥) لأحيحة بن الجلاح في الخزائن ٢ : ٢٣ .

(٦) الآية ٤٢ من الأنفال .

الركب هم العشرة فما فوقها . وهذا صحيح ، وأظن أن ابن قتيبة أراد ذلك
فعلط في النقل . انتهى .

وقبل البيت الشاهد :

(تعدو بنا شطر جمع وهي عاقدة

قد قارب العقد من إيفادها الحقب)

وتعدو ، أى الناقة ، من العدو ، وهو ما قارب الهرولة ، وهو دون
الجرى . وبنا أى بنى وبغلامى ؛ فإنه كان زميل على الناقة . والشطر هنا
بمعنى الجهة . وجمع : اسم المزدلفة . وسميت به إما لأن الناس يجتمعون
بها ، وإما لأن آدم اجتمع هناك بحواء . والعاقدة : الناقة التى قد أقرت
باللقاح ، لأنها تعقد بذنبها فيعلم أنها حملت . وقيل : العاقدة : التى تضع
عنقها على عنقها . والإيفاد : الإسراع ، مصدر أوفد بالفاء ، أى أسرع .
والحقب ، بفتح المهملة والقاف : حبل يشد به الرحل إلى بطن البعير مما يلى
ثيله ، أى ذكره ، كى لا يجتذبه التصدير . تقول منه : أحقبت البعير .
وروى أيضا :

تعدو بنا شطر جمع وهي مؤفدة

قد قارب العرض من إيفادها الحقب

ومؤفدة : اسم فاعل بمعنى مسرعة ، من الإيفاد المذكور .
والعرض ، بفتح العين المعجمة وسكون الراء المهملة بعدها ضاد معجمة ،
ويقال له غرضة بالضم ، وهو التصدير ، وهو للرحل بمنزلة الجزام
للسرج ، والبطان للقتب . يقول : قد لوت عنقها وعسرت بذنبها ^(١) ،

(١) عسرت بذنبها : رفعته فى العدو ، أو بعد اللقاح . ط : « عسرت » صوابه فى ش .

وتخامصت ببطنها ، ففرب كل واحد من الغرض والحقب ، من صاحبه ،
وذلك من شدة السير .

والبيتان من قصيدة لابن أحرر . كذا أورد البيتين السهيلي (في الروض
الأنف) : قال الحافظ مُطْطَاي (في حاشيته عليه) : وفيه نظر ، من حيث
أنّ الذي في ديوان ابن أحرر أنّ ذلك البيت بعد قوله :

(قالوا : عَيِينَا فما نَدْرِي وقد زعموا

أبيات الشاعر

أنّ قد مضى منهم ركبٌ فقد نصيباً^(١)

إِذَا الْجِبَالُ وَإِذَا ذُو الْحِجَازِ وَإِذَا

مَا فِي مِثْلِي سَوْفَ تَلْقَى مِنْهُمْ سَبِيحاً

وَأَفِيثٌ لَمَّا أَتَانِي أَنَّهَا نَزَلَتْ

إِنَّ الْمَنَازِلَ مِمَّا يَجْمَعُ الْعَجَبَا

ثُمَّ ارْتَمَيْنَا بِقَوْلٍ بَيْنَنَا دَوَلٍ

بَيْنَ الْهَبَاءِ لَا جَدًّا وَلَا لَعِبَا^(٢)

فِي طَمَئَةِ النَّاسِ لَمْ يَشْعُرْ بِنَا أَحَدٌ

لَمَّا اغْتَنَمْنَا جِبَالَ اللَّيْلِ وَالصَّخْبَا

حَتَّى أَتَيْتُ غَلَامِي وَهُوَ مَمْسُكُهَا

يَدْعُو يَسَاراً وَقَدْ جَرَّعَتْهُ غَضْبَا

أَنْشَأَتْ أَسْأَلُهُ مَا بَالُ رَفَقَتِهِ الْبَيْتِ) . انتهى .

(١) ط : « عَيِينَا فَايْذَرِي » ، صوابه في ش .

(٢) ش : « لَا حَذَا وَلَا لَعِبَا » .

وهو شاعر إسلامي في الدولة الأموية. وهجا يزيد بن معاوية فأراد يزيد أن عمرو بن أحر يأخذه ففر منه ولم يقدر عليه .

قال الجواليقي (في شرح أدب الكاتب) : هو عمرو بن أحر ، من باهلة ، وهو أحد غوران قيس ، وهم خمسة شعراء : تميم بن أبي بن مقبل ، والرأعي ، والشَّماخ ، وابن أحر ، وحيد بن ثور .

وقال ابن الشجري (في أماليه) : هو عمرو بن أحر بن العمرد بن عامر بن عبد شمس بن معن بن مالك بن أعصر بن سعد بن قيس بن عيلان ابن مضر . وكان من شعراء الجاهلية وأدرك الإسلام .

وأورد الآمدي (في المؤلف والمختلف) من يقال له ابن أحر أربعة ، وقال : منهم عمرو بن أحر الباهلي . قال ابن حبيب : هو عمرو بن أحر بن العمرد بن عامر بن عبد شمس بن عبد بن قدام بن قرص (١) بن معن ، الشاعر الفصيح ، كان يتقدم شعراء أهل زمانه . وقد ذكرت حاله وأشعاره مع الشعراء المشهورين . انتهى .

٣٩

وأورده ابن حجر (في قسم المخضرمين من الإصابة) وقال : قال المرزباني : هو مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام فأسلم ، وغزا مغازي في الروم ، وأصيب بإحدى عينيه هناك ، ونزل الشام ، وتوفي على عهد عثمان بعد أن بلغ سنًا عالية . وقال أبو الفرج : كان من شعراء الجاهلية المعدودين ، ثم أسلم وقال في الإسلام شعراً كثيراً ، ومدح الخلفاء الذين أدركهم ، ولم يلق أبا بكر ، ومدح عمر فمن دونه إلى عبد الملك بن مروان .

(١) وردت « قرص » في النسختين والمؤلف ٣٧ بالقاف ، صوابه في جمهرة ابن حزم ٢٤٥ والمعارف ٣٦ والاشتقاق ٢٧٤ والقاموس (قرص) .

وهذا يخالف قول المرزباني : إنَّه في عهد عثمان .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والستون بعد الأربعمئة :
٤٦١ (يَتَمَارَى فِي الذِّى قُلْتُ لَهُ

وَلَقَدْ يَسْمَعُ قَوْلِي حَيْهَلٌ)

على أن ليبدأ سكَّن اللام للقافية ، ولا يجوز تسكين اللام في غير الوقف .

تبع الشارح المحقق في هذا صاحب الصحاح ، فإنه قال : وأما حَيَّ هلا ، بلا تنوين فإنما يجوز في الوقف ، وأما في الإدراج فإنها لغة رديئة . وأما قول لبيد يذكر صاحباً له في السَّفر كان أمره بالرحيل :

يَتَمَارَى فِي الذِّى قُلْتُ لَهُ البيت

فإنما سكنه للقافية .

وأصله من (كتاب الأصول لابن السراج) قال : وأما حَيْهَلٌ فإذا وقفت فإن شئت قلت حَيْهَلٌ بالسكون ، وإن شئت قلت حَيْهَلًا ، تقف على الألف كما وقفت في أنا . انتهى .

وتبعه أبو على (في إيضاح الشعر) ، وسيأتى كلامه .
والصحيح أن تسكين اللام لغة سواء كان في الوقف أم في الدُّرَج . قال أبو حنيفة الدينورى (في كتاب النبات) : حَيْهَلٌ وحَيْهَلًا وحَيَّ على ، يقال في الاستسراع والاستحثاث . وقال زكريا الأحمر ^(٢) : في حَيْهَلٌ ثلاث لغات :

(١) الخصائص ٣ : ٤٦ وابن يعيش ٤ : ٤٢ ، ٤٥ ويس ٢ : ٩٩ وديوان لبيد ١٨٣ .

(٢) في إنباه الرواة ٤ : ١١٤ « أبو زكريا الأحمر ، من الأعراب » .

يقال حيَّهْل بفلان مجزم اللام ، وحيَّهْل بفلان بحركة اللام ، وحيَّهْلاً بفلان بالتثنية . وقد يقولون من غير هل ، من ذلك : حيَّ على الصلاة . انتهى .

فهل تكون لغةً فى هَلا ، كما قال ابن جنى (فى الخصائص) عند الكلام على هَلَمْ . وهو : قال الفراء : أصل هَلَمْ هَلْ زجر وحثٌ دخلت على أمَّ كأنها كانت : هَلْ أمَّ ، أى اعجل واقصد . وأنكر أبو عليٍّ عليه ذلك وقال : لا مدخل هنا للاستفهام . وهذا عندى لا يلزم الفراء ، لأنه لم يدع أن هل هنا حرفٌ استفهام ، وإنَّما هى عنده زجر ، وهى التى فى قوله :

« ولقد يسمع قول حيَّهْل »

قال الفراء : فألزمت الهمزة فى أمَّ التخفيف فيقيل : هَلَمْ . انتهى .

وقال ابن عصفور : إنَّ حيَّهْلا مركبة من حيَّ وهلا ، إلَّا أنَّ ألف هلا تحذف فى بعض اللغات تخفيفاً .

وهذا البيت من قصيدة طويلة للبيد بن ربيعة الصحابى ، قد شرحناه مع صاحب الشاهد أبيات قبله فى الشاهد الخامس والعشرين بعد المائتين (١)

و (التمارى) : المجادلة ، ومثله الامترأء ، وهما من المرية بالكسر ، وهى الشكُّ . وحيَّهْل : بمعنى أسرع .

وقول الشارح المحقق : « وفى الكتاب الشعرى لأبى عليٍّ : حيَّهْل بكسر اللام وتثنيته » ، أراد به كتاب (إيضاح الشعر) فإنَّه يعبر عنه تارة بالأوّل ، وتارة بالثانى ، وتارة بكتاب الشعر . وهذا نصُّ فيه :

(١) صوابه « الثامن والعشرين بعد المائتين » . الخزائن ٣ : ٣٦٨ .

وقد وصلوها بهَلْ فقالوا حَيَّهْل . وزعم أبو الخطاب أنَّ بعضهم يقول
حَيَّ هِل الصَّلَاة . وقال أبو زيد : حَيَّ هَلْ ، وَحَيَّ هَلْ ، وَحَيَّ هَلَا . والقول
في حَيَّ هِل أنَّ التنوين دخله للتنكير ، كما دخل في صِه ونحوها . وكأنَّه قدَّر فيه
٤٠ الإسكان ، كأنَّه قال حَيَّ هِل على الوقف ، كما قال لبيد :

* ولقد يسمع قولي حَيَّهْل *

فكسر اللام كما كسر الذال في يومئذ . ولا يجوز أن تكون حركة اللام
للإضافة ، لأنَّ هذه الأسماء التي سميت بها الأفعال لا تضاف ، ألا ترى أنَّه
قال : جعلوها بمنزلة النَّجَّاح ، أى لم يضيفوها إلى المفعول كما أضافوا المصادر
وأسماء الفاعلين إليه .

ويجوز أن يكون لَمَّا نَكَّرَ حَرَّكَ بالكسر ليكون على لفظ غيره من أمثاله
من النكرات ، نحو صِه وإِيه ، وَلَمَّا جرى في كلامهم غير مضاف لإجرائهم
إياه مجرى الفعل لنصيبهم الأسماء المخصوصة بعده لم يستجيزوا إضافتها إلى
المفعول به ، فيكون ما لم يُجْعَل بمنزلة الفعل على حدِّ ما جعل من هذه الأسماء
بمنزلة . ألا ترى أنَّ الأسماء لم تُجْعَل بمنزلة الفعل مفردة حتى ينضم إليها جزء
آخر وإن كان فيها ضمير ، لأنَّ الضمير الذى فى اسم الفاعل لما لم يظهر فى
أكثر أحواله صار لا حكم له ، فإذا لم يضيفوا هذا الباب لأنَّ إضافته يخرج بها
عن الحدِّ الذى استعملت عليه ، علمت أنَّ الكاف فى حَيَّهْل للخطاب ،
لا لضمير الاسم . وإذا كان كذلك علمت أنَّ الكاف فيه مثلُ الهاءِ فى :
هَهْنَاهُ وهؤلاء ، فى أنَّها لحقت الألف لتبنيها لما لم يلتبس بالإضافة . فكذلك
الكاف فى حَيْهْل لحقت للخطاب حيث لم يجز لحاق التى تكون اسماً فى هذا
الموضع ، كما لم تلحق الهاء التى لحقت فى هَهْنَاهُ أفعاءه ونحوها . والضمير الذى فى حَيْهْل

ينبغي أن يكون فى مجموع الاسمين ، ولا يكون فى كل واحد منهما ضمير كما كان فى حى على الصلاة ضمير ، لأن الاسمين جعلاً بمنزلة اسم واحد ، كما أن خمسة عشر بمنزلة مائة . فكما أن خمسة عشر حكمه حكم المفرد ، كذلك حى هل حكمه حكم المفرد . وإذا كان كذلك كان متضمناً ضميراً واحداً . ويدلُّ على ضم الكلمة الثانية إلى الأولى قول ابن أحر :
 أنشأت أسأله عن حال رُفْقَتِهِ فقال : حى فإنَّ الركب قد ذهباً

انتهى . وعلم من قوله : والضمير الذى فى حيل ينبنى أن يكون فى مجموع الاسمين ، أن ما نقله الشارح المحقق عنه وعن أبى على ، حالهما مع التركيب فى احتمال الضمير ، كحال حلو حامض إلى آخر ما نقله - مخالف لما هنا ، ولعله نقله عنه من كتاب آخر له . والله أعلم .

ونقل أبو حيان (فى الارتشاف) عن (النهاية لابن الخباز) ، قيل : فى حى وهلا ضميران ؛ لأنهما فى الأصل اسماً فعلٍ أمر ، فكل واحد منهما يستحق الضمير ، وقيل فيهما ضمير واحد ، لأنهما بالتركيب صاراً كالكلمة الواحدة . ويدلُّ على ذلك أن حى وهل لا يتعديان ، فلما ركباً تعدّيا ، فدلَّ على أن حكم الأفراد قد زال . وقوله :

* يوم كثير تناديه وحيَّهله (١) *

أضافه إلى الضمير وأعرَّبه . انتهى .

(١) لرجل من بنى أبى بكر بن كلاب ، انظر سيبويه ٢ : ٥٢ وهو الشاهد التالى .

وحاصل ما ذكر الشارح من لغاتٍ حَيَّهْل ثمانية :

أولها : حَيَّهْلٌ بحذف الألف وإبقاء فتح اللام . قال ابن عصفور (في شرح إيضاح أبي علي) : إذا وقفت عليها في هذا الوجه جاز أن تقف بالسكون ، وأن تقف بالألف لتبيين حركة المبنى في الوقف .

ثانيها : حَيَّهْلٌ بسكون الهاء وفتح اللام بلا تنوين .

ثالثها : حَيَّهْلًا بفتح الهاء والتنوين .

رابعها : حَيَّهْلًا بسكون الهاء والتنوين . ولا ينبغي أن يعدَّ المنون من

٤١ اللغات ، إذ التنوين في اسم الفعل للتنكير . وإذا كان غير منون فهو معرفة ^(١) فإن المجرد من التنوين غير المنون .

قال أبو حيان (في الارتشاف) : ولا يكون المنون إلّا بمعنى ائت . ويرد عليه : « فحَيَّهْلًا بعمر » ، فإنه بمعنى أُسْرِعْ بذكره .

خامسها : حَيَّهْلًا في الوقف ، بفتح الهاء وسكون الألف وحذف التنوين ^(٢) فيهما .

وقال ابن عصفور : هذه اللغة تكون في الوقف والوصل . ولم يقيّد كونها رديقة في الوصل كما قيّد الشارح المحقق تبعاً لصاحب الصحاح .

وقال ابن أبي الربيع : منهم من يقول : حَيَّهْلًا في الوصل والوقف ؛ لأنَّ

(١) بعدها بياض في النسختين ، كما سقطت كلمة « فإن » التالية من ش .

(٢) الكلام بعد « بعمر » السابقة في س ١١ إلى هنا ساقط من ش .

هلا صوت ، أو لأنه من إجراء الوصل مجرى الوقف ، أو لأن منهم من يقول
حَيَّهْل بالسكون فى الوصل ، فإذا وقف وقَف بالألف ، فتكون الألف عوضاً
من هاء السكت كألف أنا .

وكذلك قال أبو حيان (فى الارتشاف) : إن حَيَّهلا بإثبات الألف
تكون وصلًا ووقفًا ، كما قال الشاعر :

* بِحَيَّهْلًا يُرْجُونَ كُلَّ مَطِيَّةٍ *

سادسها : حَيَّهْل بسكون اللام فى الوقف . وأطلق أبو حيان تبعاً لابن
عصفور ، سواء كان فى الوقف أم الوصل . وقال الراعى (فى شرح الألفيَّة)
ذكر سيبويه فى حَيَّهْل ثلاث لغات : فتح اللام بلا تنوين ، وفتحها مع
التنوين ، وفتحها مع الإشباع . وزاد ابن سيده تسكين اللام . قيل : وما سمع
منه لا حججه فيه ؛ لاحتمال أن يكون للوقف . انتهى . وفيه ما تقدّم عن (كتاب
النبات) . وهذا نص سيبويه : من العرب من يقول حَيَّهْل إذا وصل ، وإذا وقف
أثبت الألف . ومنهم من لا يثبت الألف فى الوقف والوصل . انتهى .

سابعها : حَيَّهْل بكسر اللام والتنوين . وظاهره أنَّ الهاء فى هذه اللغة
يجوز سكونها أيضاً .

ثامنها : حَيَّهْلَك بفتح اللام وإلحاق الكاف التى هى حرف خطاب .
ولم أعرف هل يجرى مع الكاف سكون الهاء أيضاً أم لا .

قال ابن عصفور : وتستعمل فى جميع ذلك متعدية بنفسها ، وبإلى ،
وبعلى ، وبالباء . فإذا تعدّت بنفسها كانت بمعنى ائت ، وإذا تعدّت بإلى

أو بعلى كانت بمعنى أقبل ، وإذا تعدت بالباء كانت بمعنى جئ . انتهى .
 وقول الشارح المحقق (١) : إن الباء للتعدية كذهبت به ، فيه أنهم
 ذكروا أن باء التعدية في ذهبت به غير التعدية المشهورة ، وذلك أن مدخولها
 يكون فاعلاً في المعنى كقوله تعالى : ﴿ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ ﴾ (٢) ، أى جعله
 ذاهباً ، فهي تساوى همزة التعدية . وهذا المعنى لا يجرى هنا .

وقول الشارح المحقق : وقد تركب (٣) حَيَّ مع هلا إلخ ، قال ابن
 عصفور : إذا رُكِبَ حَيَّ مع هلا فالأكثر أن تستعمل (٤) لاستحثاث العاقل
 تغليباً لحَيَّ . ومنهم من يغلب هَلَا فيستعملها لاستحثاث غير العاقل ؛ وذلك
 قليل . وقد يستعمل كل واحدة منهما على انفرادها ؛ فإذا استعملت حَيَّ
 وحدها كانت بمعنى أقبل ، وإذا استعملت هَلَا على انفرادها كانت بمعنى
 تقدّم . وحَيَّ خاصة باستحثاث العاقل ، وهلا باستحثاث غير العاقل . وقد
 تستعمل هلا في العاقل إلا أن ذلك قليل . ومن ذلك قوله :

* ألا حَيِّاً ليل وقولا لها هلا *

انتهى

وقال أبو حيان (في الارتشاف) : وحَيَّهل مركبة من حَيَّ ومعناها
 أقبل ، ومن هَلْ وهلا . قال ابن هشام : بمعنى عجل ، وقيل بمعنى قرّ وتقدّم ،
 وقيل لئُثها (٥) صوت الإبل . انتهى .

(١) الكلام بعده إلى « الشارح المحقق » التالية ساقط من ش .

(٢) الآية ١٧ من سورة البقرة .

(٣) ش : « قد تركب » ، وأثبت ما في ط وشرح الرضى ٢ : ٦٨ .

(٤) ط : « يستعمل » ، وأثبت ما في ش .

(٥) ط : « انهما » ، وأثبت ما في ش .

وزعم الراعي (في شرح الألفية) أنَّ حَيْهَل كلمة واحدة عند الجمهور وقيل مركبة . انتهى .
وهذا خلاف المنقول .

تتمة

قال أبو حنيفة الدينوري (في كتاب النبات) : الحَيْهَل : نبت من دِقِّ الحَمْض ، الواحدة حَيْهَلَة ، سَمِّيت بذلك لسُرْعَةِ نباتها . قال حميد بن ثور :

٤٢

* دميث به الرمث والحَيْهَل (١) *

والرَّمْث أيضا من الحمض . فأما أبو زياد فقال : الحَيْهَل ، فخفف الياء وسكَّنْها فيما بلغني عنه ، وقال : الحَيْهَلُ ينبت في السَّباخ ، وإذا أَخْصَب الناسُ ومُطَرُوا هلك ، فلا يكاد يرى منه نبت ، فإذا أَسْتَوُوا وذهبت الأمطار نبت في مواضعه (٢) ، وهو دُقاق قَصِيف ليس لها خشب ولا حطب ، وإنما يأكله من الإبل الإبل التي عَوَّدوها إياه . يحسونها فيه حين لا تجد شيئا تأكله ، وربما قتل الإبل في أوَّل أمرها ، وذلك إذا أكلته ثم كَطَم عليها لا تسليح ، فإذا سلحت نجت وطابت بطونها . انتهى باختصار .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثاني والستون بعد الأربعمائة وهو من شواهد س (٣) :

(١) ملحقات ديوان حميد ١٢٨ عن اللسان (هـ ، ل ، ن) ، وصدرة :

* بميث بقاء نصيفية *

والرواية في الموضع الأول : « دميث بها » ، وفي الثاني عن التهذيب : « دميث به » .

(٢) ش : « موضعه » .

(٣) في كتابه ٢ : ٥٢ . وانظر المقتضب ٣ : ٢٠٦ وابن يعيش ٤ : ٤٦ .

٤٦٢ (فهِيجَ الحَيَّ من كَلْبٍ فَظَلَّ لهم
يومٌ كثيرٌ تناديه وَحِيَّهُلُ)

على أن ضمة اللام حركة إعراب ، وهو مفرد بلا ضمير .
قال سيبويه : وأما حيهل التي للأمر فمن شيعين ، يدلُّك على ذلك :
حَيَّ على الصلاة . وزعم أبو الخطاب أنه سمع من يقول حَيَّ هَلَّ الصَّلَاةُ .
والدليل على أنَّهما جعلاً اسماً واحداً قول الشاعر :

وهَيَّجَ الحَيَّ من دارٍ فَظَلَّ لهم
يومٌ كثيرٌ تناديه وَحِيَّهُلُ
والقوافي مرفوعة . وأنشدناه هكذا أعرابى من أفصح الناس ، وزعم أنه
شعر أبيه . انتهى .

قال الأعلام : الشاهد في قوله حَيَّهُلُ وإعرابه بالرفع ، لأنه جعله وإن
كان مركباً من شيعين ، اسماً للصوت ، بمنزلة معديكرب في وقوعه اسماً
للشخص ، وكأنه قال : كثيرٌ تناديه وَحَيَّهُ ومبادرته ، لأن معنى قولهم حَيَّهُلُ
عَجِّلْ وبادر . وصَفَ جيشاً سُمِعَ به وَخِيفَ منه ، فانتَقَلَ عن المحلِّ من أجله
وَبُوْدِرَ بالانتقال قبل لحاقه . انتهى .

و (في شرح أبيات المفصل) لابن المستوفى : وقال السيرافي : زعم
سيبويه أن الشعر لرجل من بني أُنَى بكر بن كلاب ^(١) ، واحتجَّ به لِيُرَى أَنَّهُ
من شيعين ، إذ ليس في الأفعال والأسماء المفردة مثل هذا البناء . قال ابن
السراج في حيَّهله : جعله اسماً واحداً كحضر موت ، ولم يأمر أحداً بشيء . قال

(١) في النسختين : « بكر بن كلاب » ، والصواب من الجمهرة ٢٨٢ ، وذكر أن أبا بكر هذا
اسمه « عبيد » .

سيبويه : والقوافي مرفوعة ، أى إنه جعله بمنزلة اسم واحد ، ولو لم يكن كذلك لقال وحْيَهْلَه بالفتح . وجميع ما يجرى هذا المجرى إذا جُعل علماً أعرب . وقالوا : إذا قال حْيَهْلًا تركه على البناء مع التسمية ، وإذا قال حْيَهْلَه أعربه كما يعرب وبار إذا سمى به . ووجدته يُروى لرجل من بَجيلة . انتهى .

و (هَيَّج) بمعنى فَرَّق ، وفاعله ضمير الجيش على ما قال الأعلم . و (الحى) : القبيلة مفعوله . وقوله : (من كلب) هى قبيلة . ولم أره كذا إلا هنا ، وأما فى كتاب سيبويه ، وفى المفصل وشروجهما ، فقد رأيت بدله (من دار) . قال أبو عبيد (فى معجم ما استعجم) : دار معرفة لا تدخله الألف واللام ، قال ابن دريد : هو وادٍ قريبٌ من هَجَر ، معروف . انتهى . و (ظَلَّ) بمعنى استمر . ويومٌ فاعل ظَلَّ ، وتناديه فاعل كثير . و (التنادى) : تفاعل ، مصدرٌ من نادى القوم بعضهم بعضاً . و (حَيْهْلَه) معطوف عليه .

وقال بعض فضلاء العجم (فى شرح أبيات المفصل) : قيل فاعل هَيَّج غراب البين وقد ذُكر قبل . ويجوز أن يكون هَيَّج وظَلَّ متوجهين إلى يومٍ على التنازع . وظل لهم يوم ، من باب قولهم : نهأه صائم ؛ لأن الظلول فى الحقيقة للقوم لا لليوم . وروى : (فظللهم) موصولا . ومعناه دنا منهم يومٌ ، وحقيقته : ألقى عليهم ظله . انتهى .

والبيت من أبيات سيبويه الخمسين التى ما عُرف قائلها . والله أعلم .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والستون بعد الأربعمئة ، وهو من شواهد س (١) :

٤٦٣ (بَحِيْهَلًا يُزْجُونَ كُلَّ مَطِيَّةٍ

أَمَامَ المَطَايَا سَيْرُهَا المَتَقَاذِفُ)

على أَنَّ (حِيْهَلًا) بلا تنوين مَحَكِيٌّ أريد به لفظه .

قال النحاس : جعله بمنزلة خمسة عشر ، فلذلك لم يَنْوَنه .

وقال الأعمش : الشاهد في قوله بَحِيْهَلًا ، فتركه على لفظه محكِياً . يقول :

لعجلتهم يسوقون المطايا بقولهم : حِيْهَلًا . ومعناه الأمر بالعجلة على أَنَّها متقدِّمة في السير متقاذفة عليه ، أى مترامية . وجعل التَّقَاذِفَ للسَّير اتساعاً ومجازاً . انتهى .

قال ابن السيرافي : المتقاذف : الذى يتبع بعضه بعضاً ، كأنَّ كُلَّ

سير تسيره هذه المطية يقذف بها إلى سير آخر . ومثله قول عمر بن أبى ربيعة :

أخو سفي جَوَّابُ أرضٍ تقاذفت به فَلَوَاتٌ فهو أشعثٌ أغبر (٢)

أى رمته فلاةً إلى أخرى . وقال غيره : إن القَذَافَ سرعة السير . وفرس

متقاذف : سريع العدو . ويجوز أن يكون المتقاذف الذى يرمى بعضه بعضاً

لسرعته . والإجزاء بالزأى المعجمة والجيم : السَّوْقُ . والمطِيَّةُ : الدَّابَّةُ ، يقال لها

(١) في كتابه ٢ : ٥٢ . وانظر المقتضب ٣ : ٢٠٦ وابن يعيش ٤ : ٣٦ وشرح شواهد الشافية

٤٧٨ وملحقات ديوان الجعدي ص ٢٤٧ .

(٢) رواية ديوان عمر ٧٦ : « أخا سفر » . وقيله :

رأت رجلاً أما إذا الشمس عارضت فيضحي وأما بالعشى فيخضر

مَطِيَّةٌ لأنها تمطو في السير ، أى تمتد . و (أَمَامَ) بالفتح ، قال ابن الحاجب (فى أُماليه) : يريد أنهم مُسْرِعُونَ فى السير ، فهم يسوقون بهذا الصوت لتسرع فى سيرها . وقال « أَمَامَ المَطَايَا » ، لأنه إذا سبقت الأولى تبعها ما بعدها ، بخلاف سوق الأواخر . وقال : سيرها المتقاذف ، يعنى أنهم يسوقونها مع كون سيرها متقاذفاً ، والتقاذف : الترامي فى السير ، وإذا سبق المتقاذف كان سيره أبلغ مما كان عليه . وأمام المطايا فى موضع وصف المطية ، وسيرها المتقاذف جملة ابتدائية صفة لمطية ، والجائر والمجرور متعلق بيزجون . انتهى .

وأجود من هذا أن يكون سيرها فاعل الظرف ، لاعتماده على الموصوف ، والمتقاذف صفة لسيرها . ويجوز أن يكون سيرها المتقاذف مبتدأ موصوفاً والظرف قبله خبره ، والجملة صفة مطية .

والبيت أنشده سيبويه للنابعة الجعدى الصَّحَابَى ، وتبعه عليه تحذمة صاحب الشاهد كتابه . وقد تقدمت ترجمته فى الشاهد السادس والثمانين بعد المائة ^(١) . ونقل ابن المستوفى (فى شرح أبيات المفصل) عن السيرافى أنه من قصيدة لمزاحم ابن الحارث العُقَيْلى . وأورد هذه الأبيات منها :

(ووجدى بها وجد المِضْلَ بعيره بمكة لم تعطف عليه العواطف ^{أبيات الشاهد}
رأى من رفيقيه الجفاء وفائه بنشداؤها المستعجلات الخوانف ^(٢)
وقالوا : تعرفها المنازل من منى وما كل من وافى منى أنا عارف)
الوجد : ما يجده الإنسان من العشق . والمِضْل : اسم فاعل من أضله ،

(١) الخزانة ٣ : ١٦٧ .

(٢) ط : « بنشديتها » ، صوابه فى ش .

وجملة « لم تعطف » إلخ حال من المضلّ . وهذا غاية في الحيرة . ولم تعطف عليه العواطف : جمع عاطفة ، أى لم ترقّ له ... (١) ولم يحمله على بعير من إبله ، وهو جمع عاطفة . ويراد بها في الصداقة (٢) والرحم والمودة والصحبة وما أشبه ذلك . وروى « نخلة » بدل مكة ، وهى موضع بقرب مكة ، وعليها يأخذ الحاج بعد انقضاء حَجِّهم ، ولذلك قال : لم تعطف إلخ ، لأنّهم آخذون في الانصراف . أى إنّهُ وجد بمفارقتها لها كما وجد الذى ضلّ بعيره في هذا الموضع .

والبيت من أبيات سيبويه ، ومحلّ الشاهد فيه أنه جعل وجدى مبتدأ ووجد المضلّ خبره لا يستغنى عنه ، فلم يجز نصبه على المصدرية . وأصله وجدى بها وجدّ مثل وجد المضلّ بعيره .

والخوائف : جمع خائفة ، وهى الناقة التى تخف برأسها ، أى تُميلها إذا عدّت . وهى بالخاء المعجمة والنون والفاء .

وقوله : « وقالوا تعرّفها المنازل » إلخ قال أبو عبيد البكرى (فى معجم ما استعجم) : كانوا يسمّون منى المنازل ، وأنشد هذا البيت . ثم قال : ويقال للرجل إذا أتاها : نازل . قال عامر بن الطفيل :
 أنازلة أسماء أم غير نازله أيبنى لنا يا أسم ما أنت فاعلة
 وقال غيره : المنازل من منى : حيث ينزلون أيام رمى الجمار .

(١) كتب مصصح طبعة بولاق : « هكذا بياض بالأصل . متى وقع بياض في النسخة فسببه أن الأصل المنقول منه هذه النسخة منقول من مسودة المصنف ، وكثرا ما يكتب رحمه الله في الهامش ، فيغتنال بعض ذلك أيدى المجلدين والبلا . فليتنبه . اهـ من هامش الأصل » .
 (٢) ش : « فى الطلاقة » .

والبيت أورده سيبويه في موضعين من كتابه ، برفع كل على لغة الحجاز . قال سيبويه : وإن شئت حملته على ليس ، يعني إن شئت جعلت كل مرفوعاً بما ، وجعلت أنا عارف في موضع الخبر ، وأضمرت في عارف هاء تعود إلى كل ، كأنك قلت عارفه . ثم قال : وإن شئت حملته على كله لم أصنع . وهذا أبعد الوجهين ، يعني وإن شئت رفعت كل بالابتداء وجعلت الجملة في موضع الخبر كذلك ، على لغة تميم كما قلت : كله لم أصنع ^(١) ، فرفعت كل بالابتداء ^(٢) [وأضمرت هاء في أصنع . ومعنى قوله « وهذا أبعد الوجهين » يعني رفع كل بالابتداء] ، وذلك لأن من يرفعه بالابتداء لا يعمل ما ، فإذا لم يعملها أمكنه أن يعمل عارف في كل ، فإذا لم يعمل فقد قبح ، إذ قد وجد السبيل إلى المختار ، ولا ضرورة تدعو إلى غيره . ومن رفع كل بما فهو لا يجد السبيل إلى إعمال عارف في كل إلا بحذف ما ، وحذفها يُغيّر المعنى . وقال النحاس : ويجوز أن ينصب كلاً بعارف على أنها تميمية .

وقال ابن خلف : هذا البيت روى برفع كل ونصبه على جعل ما تميمية وإبطال عملها . ونصب كل بعارف .

وأنشده الفراء أيضاً (في تفسيره) مرتين : الأولى عند قوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ ﴾ ^(٣) . قال : أنشدني أبو ترّوان :
« وقالوا تعرّفها المنازل من منى ^(٤) »
البيت

(١) انظر الخزانة ١ : ٣٥٩ حيث الكلام على هذا الشاهد .

(٢) ما بعده إلى « بالابتداء » التالية ساقط من ش .

(٣) الآية ٢١٥ من البقرة . ومعاني الفراء ١ : ١٣٩ . وفي النسختين : « ويسألونك » ، وأثبت نص الآية كما ورد في معاني الفراء . وفي الكتاب آية أخرى أولها : « ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو » ، وهي الآية ٢١٩ من البقرة . وليست مرادة هنا .

(٤) عجزه في معاني الفراء في هذا الموضع وتاليه :

« وما كل من يغشى منى أنا عارف »

رفعاً . قال : ولم أسمع نصب كل .

والثانية عند قوله تعالى : ﴿ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ ﴾^(١) قال :
العرب في كل تختار الرفع ، وقع الفعل على راجع الذكر أو لم يقع . وأنشدوني
فيما لم يقع الفعل على راجع ذكره :

فقالوا تعرفها المنازل البيت

فلم يقع عارق على كل ، وذلك أن في كل تأويل : وما من أحد وافي
منى^(٢) أنا عارف . ولو نصبت لكان صواباً ، وما سمعته إلا رفعاً . وقال
الآخر^(٣) :

قد علقْتُ أمَّ الخِيَارِ تدعى
على ذنباً كله لم أصنع

رفعاً . وأنشدني بعض بني أسد نصباً . انتهى .

وأنشده ابن الناظم (في شرح الألفية) ، وابن هشام (في شرحها وفي
المغنى أيضاً) ينصب كل على إبطال ما ، لإيلائها معمول الخبر ، وليس ظرفاً
لأن كلا معمول لعارف .

وقال ابن هشام (في شرح شواهد) : ويروى كل بالرفع على أنه اسم
ما ، والجملة من قوله أنا عارف خبرها ، والعائد محذوف أي عارفه . وذلك

(١) الآية ١٣ من سورة الاسراء . وانظر معاني الفراء ١ : ٢٤٢ . لانشاده . انظر حواشي
الصفحة السابقة .

(٢) لأى النجم العجلى ، كما سبق في ١ : ٣٥٩ وكما سيأتى .

متسَهِّل إذا كان المخبر عنه كُلاً ، كقراءة ابن عامر : ﴿ وكلَّ وعد الله الحسنى ﴾^(١) ، وكقوله^(٢) :

* ثلاث كلهن قتلن عمداً *

وقول أبنى النجم :

* كلُّه لم أصنع^(٣) *

وانتصاب المنازل على إسقاط (في) توسعاً ، لا على الظرف ، لأنه مختص . انتهى .

وهذا ردُّ على ابن خلف في زعمه أنه منصوب على الظرف . وتعرَّفها ، أى اعرف منزلها بالسؤال عنها . قال النحاس : سألتنا أبو إسحاق الزجاج عن معنى هذا البيت فقال : الإنسان يسأل عن الشيء من يعرفه ومن لا يعرفه ، فما معنى هذا البيت ؟ وأجاب فقال : هذا يذكر امرأة يتعشَّقها ، فليس يسأل عن خبرها إلا من يعرفه ويعرفها .

ومزاحم بن الحارث شاعرٌ إسلاميٌّ من بنى عُقيل بن كعب بن ربيعة مزاحم العقيل ابن عامر بن صعصعة . قال صاحب الأغاني : وقيل هو مزاحم بن عمرو بن مُرة بن الحارث^(٤) . وهذا القول أقربُ عندى إلى الصواب . انتهى . فيكون الحارث غلى هذا جدَّ أبيه .

ثم قال : وهو شاعر بدويٌّ فصيح إسلامي ، كان في زمن جرير والفرزدق ، وكان جريرٌ يصفه ويقرّظه ويقدِّمه ، ويقول : ما مِن بيتين كنت أحبُّ

(١) الآية ٩٥ من سورة النساء .

(٢) هو الشاهد ٥٧ من الخزائن . وقامه كما في الخزائن ١ : ٣٦٦ .
« فأخزى الله رابعة تعود »

(٣) هو الشاهد ٥٦ من الخزائن في الجزء الأول ص ٣٥٩ .

(٤) الذى في الأغاني ١٧ : ١٥٠ : « وقيل مزاحم بن عمرو بن الحارث بن مصرف » .

(١٨ خزائن الأدب ج ٦)

أَنْ أَكُونَ سَبَقْتُ إِلَيْهِمَا غَيْرَ بَيْتَيْنِ مِنْ قَوْلِ مُزَاجِمِ الْعُقَيْلِيِّ ، وَهَمَا :
 وَدِدْتُ عَلَى مَا كَانَ مِنْ سَرَفِ الْهَوَى
 وَعَيَّ الْأَمَانِي أَنْ مَا شَعْتُ يُفَعَّلُ
 فَتَرْجَعُ أَيَّامٌ تَقْصُصْتُ ، وَلَذَّةٌ
 تَوَلَّيْتُ ، وَهَلْ يُثْنَى مِنَ الدَّهْرِ أَوَّلُ (١)

وسَرَفُ الْهَوَى : خَطْوُهُ . ومثله قول جرير :

« مَا فِي عَطَائِهِمْ مَنْ وَلَا سَرَفٌ » (٢)

أَرَادَ : أَنَّهُمْ يَحْفَظُونَ مَوَاضِعَ الصَّنَائِعِ ، لَا أَنَّهُ وَصَفَهُمْ بِالْاِقْتِصَادِ
 وَالتَّوَسُّطِ فِي الْجُودِ (٣) .

وَرَوَى أَنَّ الْفَرَزْدَقَ دَخَلَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ أَوْ بَعْضِ بَنِيهِ فَقَالَ
 لَهُ : أَتَعْرِفُ أَحَدًا أَشْعَرَ مِنْكَ ؟ قَالَ : لَا ، إِلَّا أَنَّ غَلَامًا مِنْ بَنِي عُقَيْلٍ يَرْكَبُ
 أَعْجَازَ الْإِبِلِ وَيَنْعَتُ الْفُلُواتِ فَيَجِيدُ ! ثُمَّ جَاءَهُ جَرِيرٌ فَسَأَلَهُ عَنْ مِثْلِ مَا سَأَلَ
 الْفَرَزْدَقَ ، فَأَجَابَهُ بِجَوَابِهِ ، فَلَمْ يَلْبِثْ أَنْ جَاءَهُ ذُو الرِّمَّةِ ، فَقَالَ لَهُ : أَنْتَ أَشْعَرُ
 النَّاسِ ؟ قَالَ : لَا وَلَكِنْ غَلَامٌ مِنْ بَنِي عُقَيْلٍ يَقَالُ لَهُ مُزَاجِمٌ يَسْكُنُ الرُّوَضَاتِ
 يَقُولُ وَحْشِيًّا مِنَ الشَّعْرِ لَا يُقَدَّرُ عَلَى قَوْلٍ مِثْلِهِ (٤) . فَقَالَ : أَنْشِدْنِي بَعْضَ
 مَا تَحْفَظُ مِنْ ذَلِكَ . فَأَنْشَدَهُ :

(١) فِي الْأَغَانِي : « أَيَّامٌ مَضَيْنَ » ، وَ « وَهَلْ يُثْنَى مِنَ الْعَيْشِ » .

(٢) صَدَرَهُ فِي الْأَغَانِي وَدِيوانِ جَرِيرٍ ٣٨٩ :

« أَعْطَوْا هَنِيْدَةً يَحْدُوها ثَمَانِيَةٌ » .

(٣) فِي الْأَغَانِي : « أَرَادَ أَنَّهُمْ لَا يَحْفَظُونَ مَوَاضِعَ الصَّنَائِعِ ، إِلَّا أَنَّهُ وَصَفَهُمْ بِالْاِقْتِصَادِ وَالتَّوَسُّطِ فِي
 الْجُودِ » .

(٤) فِي الْأَغَانِي ١٧ : ١٥٣ : « لَا يَقْدَرُ عَلَى مِثْلِهِ » .

خليلِيَّ عوجا بي عَلَى الدَّارِ نَسألِ
متى عهدُها بالطَّاعِنِ المتحمِّلِ
فَعَجْتُ وعاجُوا بين بِيَدَاءِ مَوْرَثِ
بها الرِّيحُ جَوْلَانِ الترابِ المنحَلِ (١)
حتى أتى على آخرها . ثم قال : ما أعرف أحداً يقول قولاً يواصل
هذا . انتهى .

* * *

وأنشد بعده :

(إِنَّ لَوْاً وَإِنَّ لَيْتاً عَنَاءُ)

هذا عجز ، وصدره :

(لَيْتَ شِعْرِي وَأَيْنَ مَتَّى لَيْتَ)

ويأتى إن شاء الله شرحه في باب العلم (٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والستون بعد الأربعمئة (٣) :

٤٦٤ (لَشْتَانُ مَا بَيْنَ الْبِزِيدَيْنِ فِي النَّدَى

يَزِيدُ سُلَيْمٍ وَالْأَغْرُ بْنُ حَاتِمِ)

على أنه قد يقال في غير الأكثر الأفصح : شتان ما بين زيد وعمرو ، ٤٦
كما في البيت .

(١) في الأغاني : « فَعَجْتُ وعاجوا فوق بِيَدَاءِ صَفَقَتِ » .

(٢) في الشاهد ٥٣٧ .

(٣) الأغاني ٤ : ٣٨ والعمدة ٢ : ١٤٠ والعقد ١ : ٢٨٨ ، ٥/٣٠٦ : ٣٠٥ وابن يمش ٤ :

٣٧ ، ٦٨ والشذور ٤٠٤ .

قال أبو علي (في المسائل العسكرية) : وأما شتان فموضوع قولك : افترق وتباين ، وهو من قوله عز وجل : ﴿ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ﴾^(١) ، و﴿ أَشْتَاتَا ﴾^(٢) . وهذا الباب إذا كان كذلك اقتضى فاعلين فصاعداً ، فمن ثمَّ يقال : شتان زيد وعمرو . وعلى هذا قول الأعشى :

شَتَّانَ مَا يَوْمِي عَلَى كُورِهَا

ويومُ حَيَّانَ أَخِي جَابِرٍ

فأسنده إلى فاعلين معطوف أحدهما على الآخر . فأما قولك : شتان ما بينهما ، فالقياس لا يمنعه إذا جعلت ما بمنزلة الذي ، وجعلت بين صلة ، لأنَّ « ما » لإبهامها قد تقع على الكثرة ، ألا [ترى ^(٣)] قوله : ﴿ يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ﴾^(٤) ثم قال : « ويقولون » ، فعلمت أنَّ المراد به جمع . وكذلك : ﴿ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا ﴾^(٥) ، ثم قال : ﴿ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ فإذا كان كذلك لم يمتنع في القياس . وقد جاء في الشعر « لشتان ما بين اليزيديين ^(٦) » إلا أن الأصمعي طعن في فصاحة هذا الشاعر ، وذهب إلى أنه غير محتج بقوله . ورأيت أبا عمرو قد أنشد هذا البيت على وجه القبول له والاستشهاد به . وقد طعن الأصمعي على غير شاعر قد احتج بهم غيره ، كذى الرمة والكميت ، فيكون هذا أيضاً مثلهم . انتهى .

ومثله للإمام المرزوقي (في شرح فصيح ثعلب) قال : شتان موضوع

(١) الآية ٤ من سورة الليل .

(٢) من الآية ٦١ من النور و ٦ من الزلزلة .

(٣) تكملة ضرورية ليستقيم الكلام .

(٤) الآية ١٨ من يونس .

(٥) الآية ٧٣ من النحل .

(٦) ش : « شتان ما بين اليزيديين » .

موضع تشئت ، وإذا قلت شتان ما هما ، فما صلة أكد بها الكلام ، وهما في موضع الفاعل ، ولا يُستغنى بواحد ، لأنه وُضع لاثنتين فصاعداً ، كما أن تشئت كذلك . والعامة تقول : شتان ما بين فلان وفلان ، وكثير من الناس يدفعونه ، حتى خطأ جماعة من النحويين ربعة الرقي . وله وجه صحيح ، وهو أن يكون « ما » لأحوال اليزيديين وأوصافهما ، وجعلت ما بعده صلة له فعرفته ، أو صفة له فنكرته ، لأنه حينئذ يصح دخول شتان وتشئت عليه . ولا يكون لواحد . انتهى .

وهذا مخالف لصنيع الشارح المحقق ، فإنه منع أن تكون ما موصولة مع تفسير شتان بما يطلب فاعلين ، لأن مشاركة اليزيديين في كل من خصلتى الجود والبخل ضد مقصود الشاعر ، وإنما مراده انفراد أحدهما بالجود والآخر بالبخل . ويدل عليه قوله بعد :

فهم الفتى الأزدى إتلاف ماله وهم الفتى القيسى جمع الدراهم

وهذا مبني على أن في البيت حذف معطوف ، والتقدير لشتان ما بين اليزيديين في الندى والبخل ، فيكون من قبيل قوله تعالى : ﴿ سَرَّايِلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ ﴾^(١) ، أى والبرد . فإن قلت : يجوز أن يشتركا في الندى ، ويكون أحدهما في الطرف الأعلى منه والآخر في الطرف الأسفل ، فلا يكون فيه حذف معطوف . قلت : هذا أيضاً خلاف مقصوده . فإنه يريد أن يثبت صفة الجود لأحدهما ويثبت خلافها للآخر ، فلا اشتراك لهما في أصل الجود . ويدل عليه قوله أيضاً :

يزيد سليم سالم المأل ، والفتى أخو الأزد للأموال غير مسالم

(١) الآية ٨١ من سورة النحل .

٤٧

فلما رأى الشارح المحقق ما ذكر من منع تفسير شتان بافترق ، حمل شتان على معنى « بُعد » الطالب لفاعل واحد ، وهو :
 إمّا « ما » وتكون عبارة إما عن البون والمسافة . والبون : الفضل والمزية ، وهو مصدر بانه يَبُونُهُ بونا إذا فضله . وبينهما بون ، أى بين درجتيهما وبين اعتبارهما فى الشرف . وأمّا إذا كانا متباعدين بالجسم . فيقال : بينهما بَيْن بالياء . والمسافة : قطع الطريق ، مفعلة من السَّوْف وهو الشَّم ، لأنّ الدليل يَسُوْف ترابّ الموضع الذى يسير فيه ، فإن استأف رائحة أبوال الإبل وأبعارها علم أنه على جاذّة ، وإلا فلا . يقال : بينهم مسافة بعيدة . و« ما » فى الحقيقة على هذين الوجهين موصولة ، أى البون الذى بينهما ، أو المسافة التى بينهما .

وإمّا « بين » هو الفاعل ، وتكون ما زائدة كما قرره الشارح المحقق . ويؤيده ورود « بين » بالنصب فاعلاً لشتان بدون ما . قال حسّان بن ثابت :
 وشتان بينكما فى الندى

وفى البأسى والخير والمنظر^(١)

وقال آخر :

أخاطب جهرًا إذْ هُنَّ تخافنَّ

وشتان بين الجهر والمنطق الخفّ^(٢)

وقال جميل :

أريد صلاحها وتريد قتلى

وشتًا بين قتلي والصلاح^(٣)

(١) من أبيات فى ديوانه ١٨٢ يفضل فيها الحارث بن أوى شمر الغسانى على النعمان بن المنذر

اللقى .

(٢) اللسان (خفت ، شت) .

(٣) ديوان جميل ٥٢ وأمالى القالى ١ : ٢١٦ .

أصله شَتَانٌ وحذفت النون ضرورة . وعلى هذا لا يعتبر حذف معطوف ، كما اعتبر على غير توجيه الشارح المحقق .

ويجوز رفع بين إذا لم يسبقها ما ، وقدمه صاحب القاموس على النصب فقال : وشتان بينهما ، وينصب . وروى أبو زيد (في نوادره) قول الشاعر :
شتان بينهما في كل منزلة

هذا يخاف وهذا يُرتجى أبداً^(١)

برفع بين . ثم قال : ومن العرب من ينصب بينهما ، كقوله تعالى : ﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ^(٢)﴾ .

وبين : لفظ مشترك بين المصدر والظرف ، وهي من الأضداد تكون للوصل وللفرقة . قال في القاموس : البين يكون فرقةً ووصلاً ، واسماً وظرفاً متمكناً .

وقول الشارح المحقق ، كما هو مذهب الأخفش ، في قوله تعالى : ﴿يُفْصَلُ بَيْنَكُمْ^(٣)﴾ بالبناء للمفعول إما بتشديد الصاد ، وهي قراءة ابن عامر ، وإما بتخفيفها وهي قراءة غيره وغير الأخوين وعاصم . وأما قراءة الأخوين^(٤) فهي بالبناء للمعلوم مع تشديد الصاد . وأما قراءة عاصم فهي كذلك مع تخفيفها^(٥) .

قال السمين (في الدر المصون) : من بناء للمفعول فالتائب إما ضمير المصدر أو الظرف ، وبنى على الفتح لإضافته إلى غير متمكن . أو الظرف وهو باقٍ على نصبه . انتهى .

(١) لم أجده في نوادر أبي زيد المطبوعة .

(٢) الآية ٩٤ من سورة الإنعام .

(٣) الآية ٣ من المنتحة .

(٤) الأخوان هما في مصطلح القراء : حمزة والكسائي . انظر جنى الجنتين للمحيى ص ١٨ .

(٥) انظر تفسير أبي حيان ٨ : ٢٥٤ وإتحاف فضلاء البشر ٤١٤ .

وهذا الأخير هو قول الأنخفش .

واعلم أنَّ الشارح المحقق مسبوِّق بتوجيهه .

أما الأول فقد قال ابن عصفور (في شرح الإيضاح لأبي علي) :
والذى يميز شتان ما بينهما يجعل^(١) شتان بمنزلة بُعد ، فكما يجوز بُعد ما بين
زيد وعمرو ، كذلك يجوز : شتان ما بين زيد وعمرو .

ومثله لابن السيد (في شرح أدب الكاتب) . قال : كان ربيعة عند
الأصمعي ممَّن لا يُحتجُّ بشعره . وهذا غلط^(٢) لأنَّ شتان اسمٌ للفعل يجرى
٤٨ مجراه في العمل ، فلا فرق بين ارتفاع « ما » به في بيت ربيعة ، وارتفاع « اليوم »
في بيت الأعشى ، كما أنك لو قلت : بعد ما بين زيد وعمرو ، لجاز بالاتفاق .
وكذلك قال اللُّبلى (في شرح فصيح ثعلب) : شتان بمعنى بُعد
وتفرَّق ، وما بمعنى الذى ، فاعل شتان ، وبين صلة لما .

وأما الثانى فقد قال أبو البقاء : إن جعلت ما زائدة وبين فاعلا وهى
ظرفٌ ، لا تكاد العرب تستعملها كذلك . وإن جعلتها بمعنى الذى ضعف
أيضاً ، لأنَّ المعنى يصير افترق الذى بين زيد وعمرو . وليس المراد ذلك ، بل
المراد افترق زيد وعمرو . ومن أجازاه قال : إن مفارقة زيد وعمرو ليس من جهة
الأشخاص ، بل المراد افتراقهما فى الأخلاق والأحوال ، وهو المعنى بالذى .
انتهى .

وقوله : « لا تكاد العرب تستعملها كذلك » غير مسلم ؛ فإنه قد قرئ

(١) ط : « يجعل » ، صوابه فى ش .

(٢) وكذا فى الاقتضاب ٣٨٩ . وفى ش : « وهو غلط » .

به في القرآن في عدّة مواضع . وكلامه وإن كان على اعتبار شتان بمعنى ما يقتضى فاعلين إلا أن المنزعين فيه .

وأما إنكار الأصمعيّ شتان ما بينهما فقد قال ابن بري : (في حاشية الصحاح) : ليس بشيء ، لأنّ ذلك قد جاء في أشعار العرب ^(١) ، قال أبو الأسود الدئليّ :

وشتان ما بيني وبينك ، أننى
على كلّ حالٍ أستقيم وتظلع ^(٢)

ومثله قول البعيث :

وشتان ما بيني وبين ابن خالد
أمية في الرزق الذى يُتقسّم ^(٣)

وقال آخر :

وشتان ما بيني وبين رعاتها
إذا صرصر المصفور في الرطب الثّعلب ^(٤)

والثّعلد ، بفتح المثلثة : ما لان من البُسر . ويقال شتان بينهما أيضاً بدون ما .

وتقدمت أبياته .

(١) ط : « في أشعار من العرب » ، وأثبت ما في ش .

(٢) ديوان حسان ٥٦ واللسان (شت) .

(٣) اللسان (شت) .

(٤) في النسختين : « دعائها » بالدال ، صوابه بالراء كما في اللسان (شت ، ثعد) .

وقد تبع الأصمعيّ في إنكاره جماعة ، منهم ابن قتيبة (في أدب الكاتب) قال : يقال شتان ما هما ، ولا يقال شتان ما بينهما ، وليس قوله :

* شتان ما بين اليزيديين في النّدى *

بحجّة .

ومنهام الأزهريّ (في التهذيب) قال : قول ربيعة ليس بحجّة ، إنّما هو مولّد . وأبى الأصمعيّ شتان ما بينهما . قال أبو حاتم : فأنشدته قول ربيعة فقال : ليس بفصيح يلتفت إليه .

وقول الشارح المحقق : « وموهمه شيخان : أحدهما لغة في شتان وهي كسر النون ^(١) » ، قال الإمام المرزوقي (في شرح فصيح ثعلب) : أصحابنا البصريون لا يُجيزون فيه إلا الفتح ، ولو كان مثني لجاز تأخيره فقيلاً : زيد وعمرو شتان ، بل كان هو الوجه والترتيب ، ولجاز أن يقلب ألفه في النَّصب والجرّ ياء ، وذلك لا يُعرف . ألا ترى أنّ قولهم سيان زيد وعمرو ، لما كان مثني سيّ وهو المثلّ جاز جميع ذلك فيه . انتهى .

وزعم ثعلب (في فصيحه) أن كسر النون هو قول الفراء . ونقل شارحه اللبليّ عن ابن درستويه أن الفراء إنما ذهب إلى الكسر لأنّ المعنى لما كان للاثنتين ظنّ أن شتان مُثْنِي فكسرو ، والعرب كلها تفتحه ، والكسر لا يجيزه عربيّ . انتهى .

أقول : الفراء لم يذهب إلى أن النون مكسورة لا غير ، وشتان مثنيّ

(١) الرضى ٢ : ٦٩ . والمراد قول الأصمعيّ . وقبله في الرضى : « وأنكره الأصمعيّ وقال : الشعر لمولد . وذلك بناء على مذهبه وهو أن شتان مثنيّ شت ، وهو المنفرد » .

شَتَّ ، وإنما حكى أن كسر النون لغة في فتحها ^(١) . قال : (في تفسيره)
عند قوله تعالى : ﴿ مَا هَذَا بَشَرًا ﴾ ^(٢) : أنشدني بعضهم :

لَشَتَّانِ مَا أَنُوِي وَيَتُوِي بَنُو أُنِي

جميعاً ، فما هذان مستويان

تَمَنُّوا لِي الْمَوْتَ الَّذِي يَشْعَبُ الْفَتَى

وَكُلُّ فَتَى وَالْمَوْتُ يَلْتَقِيَانِ ^(٣)

قال الفراء : يقال شَتَّان ما أنوى بنصب النون وخفضها ، هذا

كلامه ^(٤) .

٤٩

وكذا نقل الصاغاني . (في العباب) عنه أن كسر النون لغة في فتحها
وليس فيه ما زعمه ابن درستويه . وبه يسقط ترديد أني سهل الهَرَوِي ^(٥) (في
شرح الفصيح) حيث قال : وأما على قول الفراء فإنه يجوز أن يكون كسر
النون على أصل التقاء الساكنين ، ويجوز أن يكون أراد تثنية شَتَّ ، وهو
المتفرق . انتهى .

وزعم ابن الأنباري (في الزاهر) أنه لا يجوز كسر النون في شتان
ما بين أخيك وأبيك ، قال : لأنها رفعت اسماً واحداً . ويجوز كسرها في غيره ،
وهو شَتَّان أخوك وأبوك ، وشَتَّان ما أخوك وأبوك . قال : يجوز في هذا كسر
النون على أنه تثنية شَتَّ . هذا كلامه ، وفيه ما لا يخفى .

(١) هذا الصواب من ش . وفي ط : « فتحها » .

(٢) الآية ٣١ من سورة يوسف . معاني الفراء ٢ : ٤٢ .

(٣) نسب في العين ١ : ٥٤٣ إلى الفرزدق . وليس في ديوانه .

(٤) تعليق الفراء هذا لم يرد في معاني القرآن ، وأن كان الفراء قد أنشد البيتين شاهداً على رفع

أهل نجد للخبر بعد « ما » فقط .

(٥) ط : « أني سهل » تحريف . وهو أبو سهل محمد بن علي بن محمد ، نزيل مصر . كان

نحويًا ، وكانت له رئاسة المؤذنين بجامع مصر ، وله سنة ٣٧٢ وتوفي سنة ٤٣٣ . بغية الوعاة .

وقول الشارح المحقق : « الثاني : أن المرفوع بعده لا يكون إلا مثنى أو ماهو بمعنى المثنى » إلخ ، أقول : قد ورد المرفوع بعد شتان أربعة ، قال لقيط ابن زُرارة :

شتانَ هذا ، والعناق ، والتوم ، والمشرَبُ الباردُ في ظلِّ الدَّومِ

وهذا مما يردُّ على الأصمعي ويؤيد قول غيره أن شتان لا يكتفى بواحد ، لأنه وضع لاثنتين فصاعداً .

وقد أجاز ثعلب ما منعه الأصمعي ، قال (في فصيحه) : وتقول شتانَ زيد وعمر ، وشتان ما هما ، نون شتان مفتوحة . وإن شئت قلت شتان ما بينهما . والفراء يخفض نون شتان . انتهى .

ومحصل الكلام فيها أن شتان يكون مرفوعها شيعين ^(١) اتفاقاً ، وأكثر عند غير الأصمعي ، ويكون معهما ما الزائدة ويدونها . والصحيح جواز شتان ما بينهما ، خلافاً للأصمعي .

ولم يتعرض ابن السراج (في الأصول) لهذا . قال : قولك شتان زيد وعمر ، معناه بُعد ما بين زيد وعمر جداً . وهو مأخوذ من شت . والتشتيت : التباعد ما بين الشيئين أو الأشياء ، فتقديره تباعد زيد وعمر . انتهى .

وهي عند الشارح قسمان : أحدهما ما ذكر من أنه لا بُد لها من مرفوعين فصاعداً . والثاني : جواز الاكتفاء بمرفوع واحد . وهو في شتان ما بينهما لكونها بمعنى بُعد .

وبقى استعمالها مع « ما » الموصولة بفعل ، ولم يذكره . وهو ما أورده

(١) ش : « شيعان » ، صوابه في ط .

الفرء في الشعر المذكور ، وهو « شَتَان ما أنوى ^(١) » . وينبغي أن تقدر ما الموصولة في الفعل الثاني ، ليكون مرفوعها شيئين . وهي اسم فعل على الصحيح .

قال ابن عصفور (في شرح الإيضاح) : وهو ساكن في الأصل ، إلا أنه حُرِّك لالتقاء الساكنين ، وكانت الحركة فتحةً إبتاعاً لما قبلها وطلباً للخفة ، ولأنه واقع موقع الماضي مبنئ على الفتح ، فجعلت حركته كحركته . وزعم المرزوقي والهروى (في شرح الفصيح) أنها مصدر . قال الأول : شتان مصدر لم يُستعمل فعله . وهو مبنئ على الفتح ، لأنه موضوع موضع فعل ماض ، وزيد فاعل له .

وقال الثاني : معنى شَتَان البُعد المفرط بين الشيئين ، وهو اسم وضع موضع الفعل الماضي ، تقديره : شَتَ زيد وعمرو ^(٢) ، أى تشَتَّأ وتفرقا جداً . وسبقهما الزجاج كما نقل الشارح المحقق عنه .

قال ابن عصفور : وزعم الزجاج أنه مصدر واقع موقع الفعل جاء على فَعْلَان فخالف أخواته ، فبنى لذلك .

فإن قيل : لنا فَعْلَان في المصادر ، قالوا : لوى يلوى لَيَاناً ، وشنتته شَتَاناً ^(٣) . وأنت لو وضعت لَيَاناً وشَتَاناً موضع الفعل لبقيا على إعرابهما ولم يُبَيَّنَا .

فالجواب : أنهما مصدران قد استعملا بعد فعلهما وتمكنا ، فإذا وقعَا موقع فعلهما بقيا على إعرابهما ، وليس كذلك شَتَان ؛ لأنك لا تقول شَتَّ

(١) ط : « شتان ما أنوى » ، وأثبت ما في ش .

(٢) وعمرو ، ساقطة من ط ، وقد ألحقت في هامش ش بخط ناسخها .

(٣) يقال بسكون النون ويفتحها أيضا . وقرئ بهما قوله تعالى : « ولا يجرمنكم شتان قوم » .

يُشَيِّتُ شَتَاتًا ، وإِنَّمَا استعمل في أول أحواله موضوعاً موضع الفعل المبني ، فبنى لذلك . انتهى .

قال ناظر الجيش (في شرح التسهيل) : مقتضى هذا الجواب أن تبنى المصادرُ الملتزمُ إضمار ناصبها ، كسبحان الله ومعاذ الله . انتهى .

وجوّز المازنيّ تنوين شتان ، قال أبو علي (في التذكرة القصرية) : قال أبو عثمان : سبحان وشتان يجوز تنوينهما اسمين كانا ، أو في موضعهما . قال أبو علي : شتان إذا كان في موضعه فهو اسمٌ للفعل وهو شَتَّ بمنزلة صه ، فإنَّ نَوْنَتَهُ فهو نكرة ، وإنَّ لم تنوّنْ فهو معرفة .

فإن قيل : كيف يجوز أن يكون معرفة وهو بمنزلة شَتَّ ، وكذلك صه بمنزلة اسكت ، واسكت وصه لا يجوز أن يكونا معرفة . قيل : لأنَّهما اسمان للفعل وليساً بفعل . فإنَّ نقلت شتان عن أن يكون اسماً للفعل فجعلته اسماً للتشيت معرفة ، وصار بمنزلة :

* سُبْحَانَ من علقمة الفاخر *

في أنّه اسمٌ للتنزيه معرفة جاز . فإنَّ نَوْنَتَهُ ونونَت سبحان هذا تنكّر لأجل التنوين ، وصار بمنزلة زيد من الزيدين إذا نكرت زيدا المعرفة . ويضعف جعل هذه المعرفة نكرة ، لأنَّ المعنى الملقَّب بسبحان وشتان ، شيء واحد لا يصحُّ أن يكون له أمثال من جنسه ، هي تنزيه وتشيت ، وليس كذلك الملقَّب بزيد ، لأنَّه يصحُّ أن يكون له أمثال من جنسه فيقدر زيدا من الزيدين يصحُّ في المعنى ، وتقدير سبحان من أمثاله لا يصحُّ في المعنى . فالجواب أن هذا وإنَّ لم يصحَّ في المعنى فإنَّ تقديرهم له تقدير ما يصحُّ له في هذا المعنى

(١) الكلام بعده إلى « لا يجوز أن يكونا معرفة » ساقط من ش

جائز ، يدل على ذلك أن من قال : هذا ابن عرس مقبلا ، نزل الجنس منزلة شيء واحد ، وإن كان في الحقيقة أشياء ، ثم قال : هذا ابن عرس مقبل ، نزل ما قد نزل منزلة شيء واحد منزلة أشياء كثيرة . فهذا ابن عرس مقبل ، بمنزلة زيد من الزيدتين منكرًا من هذا ابن عرس مقبلا . ونظير تلقيب المعنى بسبحان وشتان ، فيمن جعله لقباً للمعنى ، جعل النحويين أفعال معرفة في قولهم : أفل إذا كان وصفاً لا ينصرف ، فيجعلون أفعال معرفة لقباً للمعنى ، وهو هذا الوزن . فلم يخرج النحويون بتلقيبهم المعاني عن كلام العرب ، لأنها قد لقت المعاني كما لقت الأشخاص . ونظير ذلك قولهم :

* فحملت برةً واحتملت فجاري *

وبرة تلقيب المعنى ، فلهذا لم يصرفها . انتهى كلام أبي علي ، ولنفاسته سقناه برمته .

والبيت الشاهد من قصيدة لربيعة الرقي ، مدح بها يزيد بن حاتم صاحب الشاهد المهلبى . وهذه أبيات من أولها :

(حلفت يميناً غير ذى مثنوية)

أبيات الشاهد

يمين امرئ آلى بها غير آثم ^(١)

لشتان ما بين الزيدتين فى الندى

يزيد سليم والأعر ابن حاتم

يزيد سليم سالم المأل ، والفتى

أخو الأزد للأموال غير مسالم

(١) الأبيات وخبرها فى الأغاني ١٥ : ٣٧ والمقد ١ : ٣٣١ ، ٥/٣٥٤ : ٣٠٥ ووفيات الأعيان (ترجمة يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب) .

فَهُمُ الْفَتَى الْأَزْدِيُّ إِتْلَافُ مَالِهِ
 وَهُمْ الْفَتَى الْقَيْسِيُّ جَمْعُ الدَّرَاهِمِ
 فَلَا يَحْسَبُ التَّمَتُّامُ أَتَى هِجَوُثُهُ
 وَلَكِنِّي فَضَّلْتُ أَهْلَ الْمَكَارِمِ
 فَيَا أَيُّهَا السَّاعِي الَّذِي لَيْسَ مُدْرِكًا
 بِمَسْعَاتِهِ سَعَى الْبَحُورِ الْخَضَارِمِ
 سَعَيْتَ وَلَمْ تُدْرِكْ نَوَالَ ابْنِ حَاتِمِ
 لَفَكَ أُسَيْرٌ وَاحْتِمَالُ الْعِظَائِمِ (١)
 كِفَاكَ بِنَاءُ الْمَكْرَمَاتِ ابْنُ حَاتِمِ
 وَنَمَتْ ، وَمَا الْأَزْدِيُّ عَنْهَا بِنَائِمِ
 فَيَا ابْنَ أُسَيْدٍ ، لَا تَسَامِ ابْنَ حَاتِمِ
 فَتَقَرَّعَ إِنْ سَامِيَّتَهُ سَنٌ نَادِمِ
 هُوَ الْبَحْرُ إِنْ كَلَّفَتْ نَفْسَكَ خَوْضَهُ
 تَهَالَكَتْ فِي أَمْوَاجِهِ الْمُتَلَاظِمِ
 تَمَنَّيْتُ مَجْدًا فِي سُلَيْمٍ سَفَاهَةٍ
 أَمَانِيَّ خَالٍ أَوْ أَمَانِيَّ حَالِمِ (٢)
 أَلَا إِنَّمَا آلُ الْمَهْلَبِ غُرَّةٌ
 وَفِي الْحَرْبِ قَادَاتٌ لَكُمْ بِالْحَزَائِمِ (٣)

٥١

(١) ش : « بفك أسير » . وأثبت ما في ط ووفيات الأعيان .

(٢) الخالي هنا : الذي يخلو بنفسه ويتأمل . ط : « حال » بالخاء المهملة ، صوابه في ش ووفيات الأعيان . وقد يكون الخال هنا مقلوب خائل ، أى متخيل . اللسان (خيل ٢٤٢) .
 (٣) كذا وردت بإهمال هنا وفي الشرح . والوجه « بالخزائم » بالخاء المعجمة كما في الوفيات ، وانظر حواشي ص ٣٠١ .

هم الأنفُ والخرطومُ ، والناسُ بعدهم
 مناسِمُ ، والخرطومُ فوقَ المناسِمِ
 قضيتُ لكم آلَ المهلبِ بالعلَا
 وتفضيلكم حقاً على كلِّ حاكمٍ
 لكم شيمٌ ليست لخلقٍ سواكمُ
 سماحٌ وصدقُ البأسِ عندَ الملاحِمِ
 مهينونَ للأموالِ فيما يُنوبكمُ
 مناعيشُ دَفَاعُونَ عن كلِّ جارِمِ

وقوله : « حلفتُ يمينا » إلخ ، مثنوية ^(١) : مصدر بمعنى الاستثناء في
 اليمين ، أى حلفت غير مستثنى في يميني . وقوله : غير ذى مثنوية ، أى غير
 يمين ذى مثنوية .

وهذا المصراع من شعرٍ للنابغة الذبياني ، وقامه :

* ولا علم إلاَّ حُسْنُ ظنِّ بصاحبٍ *

وهو من شواهد سيبويه ، وقد شرحناه مع قصيدته في الشاهد الثالث
 والعشرين بعد المائتين ^(٢) .

وقوله : يمين امرئ ، إلخ مفعول مطلق تشبيهي ، أى كيمين . واليمين :
 القسم ، سُمي بها لأنهم كانوا إذا تحالفوا ضربَ كلِّ امرئٍ منهم على يمين

(١) ما بعده إلى « مثنوية » التالية ، ساقط من ش .

(٢) الخزائن ٣ : ٣٢٧ .

صاحبه . قال صاحب المصباح : ويمين الحلف أنثى . قال ابن الأنبارى : ولهذا أعاد الضمير عليها من « بها » مؤنثا . وآلى ، بمعنى أقسم .

وقوله : (لشتان ما بين اليزيديين) لمخ ، اللام فى جواب القسم ، وما بعدها جوابه . قيل : شتان ما بين اليزيديين صار مثلاً فى ظهور الفرق . والتدى : السخاء والجود ، والألف أصلها واو ، لأنه يقال ندوت ^(١) . ويقال سنّ للناس التدى فندوا بفتح الدال . و (الأغر) من القرّة ، وهو بياض فوق الدرهم فى جبهة الفرس . يقال فرسٌ أغرٌ ومهرة غراء ، وقد استعيرت للوضوح والشهرة . وقال فى المصباح : ورجلٌ أغرٌ : صبيحٌ أو سيّدٌ قومه .

أما يزيد سلّيم فهو يزيد بن أسيد بضم الهمزة وفتح السين المهملة ، وينتهى نسبه إلى بُهثة بضم الموحدة وسكون الهاء بعدها ثاء مثلثة ، ابن سلّيم ، بضم السين ، ابن منصور بن عكرمة بن خَصْفة ، بفتح الخاء المعجمة والصاد المهملة ، ابن قيس بن عيلان بن مُضَر بن نزار بن معد بن عدنان .

وأما يزيد بن حاتم ، فهو يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أنى صُفرة ، وينتهى نسبه إلى الأزْد ، وهى قبيلةٌ عظيمة باليمن . وهو جدُّ الوزير المهلبى . فإنه أبو محمد الحسن بن محمد بن هارون بن إبراهيم بن عبد الله بن يزيد بن حاتم . ومات فى سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة .

وكان السبب فى هذه القصيدة أن ربيعة قصد يزيد بن أسيد ، وهو

(١) والتدى مع ذلك تكتب بالياء غالبا مراعاة للإمالة . انظر اللسان (ندى ١٨٥) . وقد وردت فى الأصل مكتوبة بالألف فى جميع المواضع ، لكنى أجريتها على الكتابة المألوفة .

يومئذٍ وإلى على أرمينية ، وكان قد وليها زماناً طويلاً لأبي جعفر المنصور ، ثم من بعده لولده المهدي . وكان يزيد هذا من أشرف قيس وشجعانهم ، ومن ذوى الآراء الصائبة . ومدحه ربعة بشعر أجاد فيه فقصر يزيد في حقه . ومدح يزيد ابن حاتم فبالغ في الإحسان إليه ، فقال ربعة هذه القصيدة يفضل يزيد بن حاتم على يزيد بن أسيد . وكان في لسان يزيد بن أسيد تتممة ، فعرض بذكرها : « فلا يحسب التتنام أنى هجوته » . كذا في تاريخ ابن خلكان .

قال صاحب المصباح : وتتم الرجل تتممة ، إذا تردّد في التاء ، فهو تتمم بالفتح . وقال أبو زيد : هو الذى يعجل في الكلام ولا يفهمك .

وقال ابن عبد ربه (في ثلاثة مواضع من العقد الفريد ^(١)) : مدح ربعة الرقي يزيد بن أسيد السلمى ، فلم يعطه شيئاً ، ثم عطف على يزيد بن حاتم وهو والى مصر ومدحه ، فتشاغل عنه في بعض الأمور ، واستبطأه ربعة فشخص من مصر وقال :

أرأى ولا كفران الله راجعاً

بحقنى حنين من نوال ابن حاتم

فبلغ قوله يزيد بن حاتم فأرسل في طلبه ، فلما دخل عليه قال له : أنت القائل :

أرأى ولا كفران الله راجعاً

البيت

قال : نعم . قال : هل قلت غير هذا ؟ قال : لا . قال : والله لترجعن

(١) سبقت الإشارة إليها في ص ٢٨٧ .

يُخَفِّي حنين مملوءة ذهباً^(١) . فأمر بِخَلْع ثُخْفِيهِ وَأَنْ تُمَلَّتَا^(٢) دنانير . ثم قال له : أَصْلِحْ ما أَفْسَدْتُ من قولك . فقال فيه لَمَّا عُزِلَ من مصر وولّى مكانه يَزِيدُ بن أَسِيد السلمي :

بكى أهل مصر بالذمومع السّواجم غداة غداً منها الأغرُّ ابنُ حاتم
وفيها يقول :

لشتان ما بين اليزيديين في الندى يزيّد سليم والأغرُّ بنُ حاتم
مع أبيات ثلاثة بعده . وكان يزيّد بن حاتم جواداً سرّياً مقصوداً ممدوحاً^(٣) . قصده جماعة من الشعراء فأحسن جوائزهم .

قال ابن عبيد ربّه : كتب إليه رجلٌ من العلماء يستوصله ، فبعث إليه ثلاثين ألفَ درهم وكتب إليه : أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ بَعِثْتُ^(٤) إليك ثلاثين ألفاً لا أَكْثَرُها امتناناً ، ولا أَقَلَّها تحقيراً ، ولا أَستثيبك عليها ثناء ، ولا أَقطع لك بها رجاءً . والسلام .

وقال ابن خَلِّكان : ذكر ابن جرير الطبري في تاريخه أَنَّ الخليفة أبا جعفر المنصور عزل حُمَيد بن قَحطبة عن ولاية مصر ؛ فولّاه نوفل بن

(١) وكذا في العقد ١ : ٣٢٢ وفيه « مملوءة مالا » . لكن في ٥ : ٣٠٥ : « مملوءتين مالا » . والخف مذكر ، ومنه : « فأقى عبد المطلب وعليه خفان أحمران » . ويبدو أنها تؤنث حملاً على « النعل » والنعل مؤنثة .

(٢) كذا في ط والعقد ، وفيه : « وإن تمَلَّتَا له مالا » لكن في ش : « مَلَّتَا » بالياء .

(٣) ش : « ممدحا » . لكن ما أثبت من ط يطابق ما في وفيات الأعيان .

(٤) في الأصل : « أما بعد بعثت » ، والتكملة من العقد ١ : ٣٠٦ .

الفرات ، ثم عزله ووُلّي يزيد بن حاتم ، وذلك في سنة ثلاث وأربعين ومائة . ثم إنَّ المنصور عزله عن مصر في سنة اثنتين وخمسين ومائة ، وجعل مكانه محمد ابن سعيد . انتهى .

وهذا لا يوافق ما قاله ابن عبد ربه .

وقيل : تَوَلَّى بعده ^(١) عبد الله بن عبد الرحمن من قِبَل المنصور . ولم أر ما قاله ابن عبد ربه ^(٢) .

ثم قال ابن خلكان : وقال ابن يونس (في تاريخه) : ولى يزيد بن حاتم مصر في سنة أربع وأربعين ومائة . وزاد غيره : في منتصف ذى القعدة . ثم إنَّ المنصور خرج إلى الشام وإلى زيارة بيت المقدس في سنة أربع وخمسين ومائة ، ومن هناك سَير يزيد بن حاتم إلى إفريقية لحرب الخوارج الذين قَتَلُوا عامِلَه عُمَر ابن حفص ، وجَهَّز معه خمسين أَلْف مقاتل ، واستقرَّ والياً ، وكان وصوله إليها واستظهاره على الخوارج في سنة خمس وخمسين .

ولمَّا عقد المنصور ليزيد المهلبى على بلاد إفريقية ، وليزيد السلمى المذكور على ديار مصر خرجا معاً ^(٣) ، وكان يزيد المهلبى يقوم بكفاية الجيشين ، فقال ربيعة الرقى :

(١) ش : « بعد » صوابه في ط . والبغدادى يناقش ما ورد في العقد من أن الذى جاء بعد يزيد ابن حاتم في الولاية هو يزيد بن أسيد السلمى . فإنَّ هذا معارض بما ذكر الطبرى أن الذى جاء بعده هو محمد بن سعيد ، وفي قول آخر أنه عبد الله عبد الرحمن .
(٢) أى لم يجد أحداً ذكر ما أورده ، غيره .
(٣) في النسختين : « معه » ، والصواب من وفيات الأعيان .

٥٣

يزيد الخير إنَّ يزيدَ قومي سَمِيكَ لا يجود كما تجودُ
تقود كتيبةً ويقود أخرى فترزُق من تقود ومن يقودُ

وقدّم أشعْبُ المشهور في الطمع على يزيد وهو بمصر ، فجلس
بمجلسه ، ودعا بعلامه فسارّه ، فقام أشعْب فقَبِل يده ، فقال له يزيد : لم
فعلت هذا ؟ فقال : إنّي رأيتك تسارِرُ غلامَكَ فظننتُ أنك قد أمرت لي
بشيء ! فضحك منه وقال : ما فعلتُ ولكنّي أفعل . ووصله وأحسنَ إليه .
وقدم عليه بمصر أبو عُبيد الله محمد بن مسلم ، الشهير بابن الموكي ،
وأنشده :

يا واحدَ العربِ الذي أضحى وليس له نظيرُ
لو كان مثلكَ آخَرُ ما كانَ في الدُّنيا فقيرُ

فدعا يزيد بخازنه . وقال : كم في بيت مالي ؟ قال : فيه من العَيْنِ
والورقِ ما مبلغه عشرون ألفَ دينار . فقال : ادفعها إليه . ثم قال : يا أخى ،
المعذرةُ إلى الله تعالى وإليك ، والله لو أن في ملكي غيرها ما أدخرته عنك .
وقال الطرطوشى ^(١) (في كتاب سراج الملوك) : قال سُحنون ^(٢) :

(١) نسبة إلى طرطوشة ، بضم أوله وقد يفتح : مدينة بالأندلس ، كما في القاموس . واقتصر في
معجم البلدان على أنها بالفتح . وهو أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف الفهرى ، رحل إلى
المشرق ودخل بغداد والبصرة والشام ، ثم نزل الإسكندرية واستوطنها . وتوفى سنة ٥٢٠ .
(٢) سحنون ، بضم السين ، وأصله اسم طائر . وفي تاج العروس أنّ سینه قد تفتح . وهو
سحنون بن سعد الإفريقى ، من أئمة المالكية ، جالس مالكا مدة ، ثم قدم بمذهبه إلى إفريقية فأظهره
فيها . وتوفى سنة ٢٤١ .

كان يزيد بن حاتم يقول : والله ما هبْتُ شيئاً قطُّ هبتي لرجل ظلمته وأنا لا أعلم ، وليس له ناصر إلا الله تعالى ، فيقول : حسبك الله ، الله بيني وبينك ! وذكر أبو سعيد السمعاني (في كتاب الأنساب) أن المسهر التميمي الشاعر وفد على يزيد بن حاتم بإفريقية ، فأنشده :

إليك قصرنا التَّصَفُّ من صلواتنا

مسيرَ شهرٍ ثم شهرٍ نواصلُهُ

فلا نحن نخشى أن يخيب رجائنا

لديك ولكن أهنا البرَّ عاجله

فأمر يزيد بوضع العطاء في جُنده وكان معه خمسون ألف مرتزق ، فقال : من أحبَّ أن يسرني فليضع لرائري هذا من عطائه درهمين . فاجتمع له مائة ألف درهم ، وضمَّ يزيد إلى ذلك مائة ألف درهم أخرى ودفعها إليه . ولما كان يزيد والياً بإفريقية كان أخوه روح بن حاتم والياً في السند ، وولى الخمسة من الخلفاء : أبا العباس السفاح ، والمنصور ، والمهدى ، والهادي ، والرشد ، فقال أهل إفريقية : ما أبعد ما بين هذين الأخوين ، فإنَّ يزيد هنا وأخاه روحاً في السند . فلما توفي يزيد بإفريقية يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة سبعين ومائة ، وكان والياً فيها خمس عشرة سنة وثلاثة أشهر ، فاتفق أن الرشيد عزل روحاً عن السند وسيَّره إلى موضع أخيه يزيد ، فدخل إلى إفريقية في أول رجب سنة إحدى وسبعين ومائة ، ولم يزل والياً عليها إلى أن توفي بها لإحدى عشرة ليلة بقيت من شهر

رمضان سنة أربع وسبعين ومائة ، ودفن في قبر أخيه يزيد . فعجب الناس من هذا الاتفاق بعد ذلك التباعد .

تتمة

قال الصولي (في كتاب الأنواع) : حدثنا أبو العباس محمد الجُبائي قال : أنشدنا بكر المازني ^(١) لربيعة بن ثابت الرقي ، يمدح يزيد بن حاتم المهلبِي ويهجو يزيد بن أسيد السُلَمي :

لشَتانَ ما بين اليزيديين في الندى البيت

وبعد الأبيات الثلاثة . قال : بلغ هذا الشعرُ أبا الشمقمق ، واسمه مروان ، فقال يفضِّل يزيد بن مزيد الشيباني على يزيد المهلبِي :

لشَتانَ ما بين اليزيديين في الندى

إذا عُذَّ في الناس المكارمُ والحمدُ

يزيد بنى شيبانَ أكرمَ منهما

وإن غضبتَ قيس بنُ عَيلان والأردُ

انتهى .

يزيد بن مزيد هذا هو ابن مَزِيد بن زائدة ، وهو ابن أخى معن بن زائدة الشيباني . وكان يزيد هذا من الأمراء المشهورين ، والشُّجعان المعروفين ، وكان واليا بأرمينية ، فعزله عنها الرشيد سنة اثنتين وسبعين ومائة ، ثم ولَّاه إياها وضم إليها أذربيجان في سنة ثلاث وثمانين . وهو من الأجواد ، وقد قصده الشعراء من سائر النواحي ، وأجاد صلاتهم .

(١) هو بكر بن محمد بن بقية ، أبو عثمان المازني ، المتوفى سنة ٢٤٩ .

وقد أطال ترجمته ابن خلكان .

وتوفى سنة خمس وثمانين ومائة ، ورثاه أبو الشمقمق ، ومسلم بن الوليد ، وأبو محمد عبد الله بن أيوب التيمي المشهور ، وغيرهم .

ورأيت في (رسائل الصاحب بن عباد) رسالة مُداعبة ، جمع فيها نظائر هذا الشعر ، وهي رسالة جيّدة أحببت أن أورها هنا وهي :

أبو الفرج عباد بن المطهر أعزه الله ، يزعم أن الشيخ الأمين ^(١) رضى الله عنه سمّاه عبّادا . والناس يروون :

لشتان بين اليزيدين في الندى

يزيد سليم والأعتر بن حاتم

وفيه من لا يعلم أنه لربيعه الرقي ، ولا أن اليزيدين : يزيد بن حاتم المهلبى وهو المدوح ، ويزيد بن أسيد وهو المذموم . وكما لا يدري أن الشعر بلغ أبا الشمقمق فقال ، وفضل عليهما يزيد بن مزيد الشيباني :

لشتان ما بين اليزيدين في الندى

إذا عُدد في الناس المكارم والحمد

يزيد بنى شيبان أكرم منهما

وإن غضبت قيس بن عيلان والأرد

وقد قال الآخر :

يزيد الخير إن يزيد قومي

سميتك لا يزيد كما تزيد

(١) الذى فى رسائل الصاحب ١٥٩ : « أن الشيخ الأمير » .

ويذكرني مولاي أنه أنشد كثيراً لأبي الهول الحميري ، في الفضل بن العباس ، والبرمكي :

فضلان ضمَّهما اسمٌ وشئت الأخبار ^(١)

كما سمعني أنشد لبشار :

رأيت السُّهَليين استوى الجودُ فيها

على بعد ذا من ذاك في حكم حاكم

سُهيل بن عثمانٍ يجودُ بماله

كما جاد بالفعلِ سُهيل بن سالم ^(٢)

ومن المبتدل في هذا :

شَتان بين محمد ومحمد

حَيَّ أَمَاتٍ وميَّتٍ أجياني

والمحمدان : محمد بن منصور بن زياد ، ومحمد بن يحيى بن خالد .
ولا أحسب عبادا هذا يعدُّ ما قلته تفضيلاً لعباد بن العباس عليه ، وإضافة له إليه ، ولا أن يقول كما قال يونس بن حبيب : أشدُّ الهجاء الهجاء بالتفضيل .
وذلك كما قال صديق مولاي القريب ، وابن عمته النسيب ، الفرزدق بن غالب ، وقد قيل له : انزل على أبي قَطَن قبيصة ، فحسبه ابن مخارق الهلالي ، فإذا هو آخر لا يحضرني نسبه ^(٣) وذمَّ قراه وجواره ، فقال :

(١) ورد في النسختين على أنه نثر . وهو بيت من مجزوء المبحث .

(٢) الفعل ، بالفتح : كناية عن الوجعاء ، وهي الدبر ، قصر وزنها للشعر ، وفي الأغاني ٣ :

٢٦ : « بالوجعاء » . وفي الرسائل :

« كما جاء بالفعلاء سهل بن سالم » .

وما هنا صوابه .

(٣) وكذا في ديوان الفرزدق ٥٨٧ ، ففي حواشيه : « أراد قبيصة بن المخارق الهلالي ، فنلظ فنزل

على قبيصة آخر غير هذا الهلالي » . وانظر لقبيصة جمهرة ابن حزم ٢٧٣ .

سَرَّتْ ماسرت من ليلها ثم وافقت
أبا قطن ليس الذى لخارق (١)
وقد تلتقى الأسماء فى الناس والكُنَى
كثيراً ، ولكن لا تلاقى الخلائق
فأما التفضيل الذى أومأْتُ إليه فقد أعجبنى منه أنَّ الحطيئة قال : ٢٥
فلما أن مَدَحْتُ القوم قلتم
هجوْت ، وهل يحل لى الهجاء
فلم أشتم لكم حسباً ولكن
حدوثٌ بحيث يُستمع الحُداء
حتى زعم بعضهم عن الزُّبرقان أنَّ هذا أوجعُ له من قوله :
دع المكارم لا ترحل لبغيتها
واقعدْ فإنَّك أنت الطاعمُ الكاسى
وعلى ذكر هذا البيت فلا أدري لم تُرك ما قيل قبله . فقد سبق الأعشى
بقوله :
فدَعْنَا وقوماً إنْ هم عمَدوا لنا
أبا ثابت ، واجلسْ فإنَّك طاعمٌ (٢)

(١) فى الديوان : « ثم وافقت أبا قطن غير الذى لخارق » . وفى البيت الثانى من هذين البيتين إقواء . وبينهما فى الديوان :

فباتت وبات الطل يضرب رحلها موافقةً ياليتها لم توافق

(٢) فى النسختين : « إنهم عمدوا لنا » صوابه فى رسائل الصاحب ١٦١ وديوان الأعشى ٥٨ . وفى الديوان : « وذرنا وقوما » . وأبو ثابت كنيته يزيد بن مسهر الشيباني ، الذى هجاه الأعشى بقصيدة هذا البيت .

لست أدرى ، أيدَّ الله مولائى ، ما هذا الوسواس الخناس ، الذى
يوسوس فى صدور الناس . وإلّما حضر هذا الفتى وله حقُّ العُربة وأعظمُ به
حقاً ، ثم حقُّ الأدب وأكرّم به فخراً ، وقد خدمني طفلاً ، والآن كهلاً ،
وهاجر إليّ ، فتظاهرت خُرماته لدى . وهذه التسمية أيضاً لها ذمّام يُرعى ،
وذمار لا يُنسى ، وسألنى أن أخاطبَ مولائى فى بابِهِ ، وأُسميه (١) فى مرعى
جنايه ، وتصوّر لى الأنسُ بمطاوله مولائى ؛ وحسبْتُنى أناجيه عن قرب كما أنا
مكاتبه عن بعد ، فليجّ الطبع والقلم ، وحضرت هذه الأبيات والعبر ، ومولائى
ولئى ما يوليه ، ويختصّه بالجميل فيه ، فقد كان أبو عيسى التّوشجانى
عبد المسيح (٢) أنشدَ والديّ :

وانّ اتلاف النفس أدنى قرابةً

لمن يدعى القرى إذا كان ظالماً

انتهى . وقوله : وقد قال الآخر :

يزيد الخير إنّ يزيد قومى

هذا سهوٌ منه فى زعمه أنّه لغير ربيعة ، والصواب أنه له كما نقلناه .

وقوله : « بمسعاته سعى البحور الخضارم » ، المسعاة : مصدر ميميّ ،

وهو السعى . والخضارم بالفتح : جمع خضرم ، بكسر الخاء وسكون الضاد

المعجمتين وكسر الراء : الواسع الكثير .

(١) ط : « وأسميه » ، صوابه فى ش ورسائل صاحب .

(٢) فى رسائل صاحب : « أبو عيسى التّوشجان بن عبد المسيح » .

وقوله : « بالخزائم » جمع حزام ، مستعار من حزام الدابة . أراد أنهم متشتمون للحرب ^(١) .

وقوله : « هم الأنف والخرطوم » ، هو بالضم : الأنف . وخرطوم القوم : سيدهم . والمناسم : جمع منسيم بفتح الميم وكسر السين ، وهو خف البعير .

والملاحم : جمع ملحمة ، بفتح الميم والحاء ، وهي الوقعة العظيمة في الفتنة .

والمناعيش : جمع منعاش مبالغة ناعش ، كمنحار مبالغة ناجر ، من نعشه ينعشه بفتح العين فيهما نعشاً بسكونها ، إذا رفعه من سقطته . والجارم : الكاسب الفقير ، من جرم يجرم كضرب يضرب .

وربيعة الرق هو أبو أسامة ربيعة بن ثابت ، من موالى سليم . ويدل عليه ربيعة الرق قوله :

* يزيد الخير إن يزيد قومي *

وقال محمد بن معاوية الأسدي : هو من بني جذيمة بن مالك بن نصر ابن قعين . وهو شاعر مطبوع . قال دغيل بن علي الخزاعي : قلت لمروان بن أبي حفصة : يا أبا السَّمط من أشعركم جماعة المحدثين ؟ قال : أشعرتنا أسيرنا بيتاً ^(٢) . قلت : من هو ؟ قال : الذي يقول :

(١) كذا قيد التفسير هنا رواية (الخزائم) في البيت ١٢ من قصيدة ربيعة الرق السابقة ، لكن في الوفيات : « قادات لكم بالخزائم » وأرى أنها صواب الرواية ، فالخزائم جمع خزيمة ، وهي حلقة من شعر تجعل في وتره أنف البعير يشد بها الزمام . وفي الحديث : « ومرهم أن يعطوا القرآن بخزائهم » ، يراد به الانقياد لحكم القرآن وإلقاء الأمانة إليه ، كما يؤخذ البعير بخزامته . وانظر اللسان (خزم) . والبيت لم يرد في العقد ولا في الأغاني .

(٢) ط : « أشعرتنا بيتا » ، وفي ش مع أثر تصحيح : « أسيرنا بيتا » ، وإكمال الكلام وتصحيحه من ضوء الأغاني ١٥ : ٣٧ ففيها « أشعرتنا أسيرنا بيت » ، وفيه تحريف كما ترى .

لشتان ما بين اليزيديين في الندى

يزيد سُلَيْم والأَعْرُ ابنُ حاتم

والرَّقَى : منسوب إلى رَقَّة ، بفتح الراء وتشديد القاف ، وهي مدينة ،
ومعناها في اللغة كلُّ أرض إلى جنب وادٍ ، ينسبط عليها الماء أيام المدِّ ثم
٥٦ ينحسر عنها فتكون جيِّدة النبات ، والجمع رقاق .

قال ياقوت (في معجم البلدان) : الرَّقَّة : مدينة مشهورة على
الفرات ، بينها وبين حرَّان ثلاثة أيام ؛ معدودة في بلاد الجزيرة ، لأنَّها من
جانب الفرات الشرقى . ويقال الرقة البيضاء ^(١) ، وهي من الإقليم الرابع .
ووصفها ربيعة الرَّقَى بقوله :

حَبَدًا الرقة داراً وبلدٌ بلدٌ ساكنه ممن تَوَدُّ ^(٢)
ما رأينا بلدةً تعدلُها لا ، ولا أخبرنا عنها أحد
إنَّها بريَّةٌ بحرِّيَّةٌ سُورها بحرٌ وسُورٌ في الجَدِّ
يسمِعُ الصِّلصلٌ في أشجارها هدهدُ البر ، ومُكَّاءٌ غِرْدٌ ^(٣)
لم تُضمَّنْ بلدةٌ ما ضُمَّنَتْ من جمالٍ ، في قریش وأسد

وكان بالجانب الغربى مدينة أخرى تعرف برَقَّة واسط ، كان بها قصران
لهشام بن عبد الملك ، كانا على طريق رُصافة هشام . وأسفل من الرقة
بفرسخ الرَّقَّة السوداء ، وهي قرية كبيرة ذات بساتين كثيرة . والرَّقَّة أيضاً :

(١) في معجم البلدان : « ويقال لها الرقة البيضاء » .

(٢) ش : « دار وبلد » . وفي معجم البلدان : « دار أو بلد » .

(٣) الصِّلصل بضم الصادين : طائر تسميه العجم الفاخنة . عَنى تجارب الطير في أرجائها .

البستان المقابل للتاج من دار الخلافة ببغداد^(١) ، وهى بالجانب الغربى ، وهو عظيمٌ جداً جليل القدر .
وأطنب ياقوت فى وصفها .

تتمة

قد تقدّم بيتان هما من شواهد النحويين ، وأوردهما الزمخشري (فى مَفَصَّلَه) ، أما الأول فهو :
شَتَّانَ ما يومى على كُورِها ويومُ حَيَّانَ أخى جابِرِ
وهو من قصيدة للأعشى ميمون ، قد شرحنا بعضَ أبياتها فى الشاهد الخامس والثلاثين بعد المائتين^(٢) .

قال ابن السيد (فى شرح أبيات أدب الكاتب) : حَيَّان وجابر ابنا عُميرة من بنى حنيفة^(٣) ، وكان حَيَّان نديماً للأعشى . يقول : يومى على كُور هذه الناقة ، بالضم ، وهو الرجل ، ويومى مع حَيَّان أخى جابر ، مختلفان لا يستويان ؛ لأنَّ أحدهما يومُ سفر وتعب ؛ والثانى يوم لهُو وطرب . روى أنَّ حَيَّانَ كان سيِّداً أفضلَ من أخيه جابر ، فلما أضافه إلى جابر غضب وقال : عَرَفْتَنى بأخى وجعلته أشهرَ مِنى ، والله لا نادمْتُكَ أبداً ! فقال له الأعشى : اضطرتنى القافية ! فلم يعذره . انتهى .

وقد غلط الأندلسى (فى شرح المفصل) فقال : الأخ يقال له جابر ،

(١) فى النسختين : « بغداد » ، والوجه ما أثبت من معجم البلدان .

(٢) الخزائن ٣ : ٣٩٧ .

(٣) فى الاقتضاب ٣٨٨ : « حيان وجابر : رجلان من بنى حنيفة » .

يقول : كُنَّا نشرب مع جابر . وهذا غلطٌ ظاهر ، يلزم منه أن يكون حيَّان وجابر مبينين للأخ . وهذا محال .

وقال الخوارزمي : يقول : كنا نشرب ونتنعم مع جابر ، وكان فيما يقال ملكا يختص بأبي حيَّان ^(١) ، لأنَّه نديمه .

هذا كلامه ؛ ونقله بعض فضلاء العجم (في أبيات المفصل) . وهذا غير صحيح أيضاً ؛ لأنَّه يصف حيَّان ويذكر عيشه معه ^(٢) ؛ ولم يكن يشرب مع جابر ، وإلّا ^(٣) كان نديمه حيان .

وقد وقع في شعر حسان نظير ما وقع للأعشى من تعريف المشهور بالخالمل ؛ قال في رثاء جعفر أخى على بن أبى طالب رضى الله عنهما :
وما زال في الإسلام من آل هاشم دعائهم عزَّ لا تُرام ومفخر ^(٤)
بهاليل منهم جعفر وابن أمّه عليّ ، ومنهم أحمد المتخير

البهاليل : جمع بهلول بالضم ، وهو السيّد الوضئ الوجه ، الطويل القامة . والمتخير : المنتخب . وقوله : « منهم أحمد المتخير » قد عابه بعض الناس لما أضاف أحمد المتخير إليهم ، وليس هذا بعيب ، لأنَّها ليست بإضافة تعريف ، وإنما هذا تعريف لهم حيث كان منهم . وإنما ظهر العيب في قول أبى نؤاس من قصيدة مدح بها العباس بن عبيد الله ^(٥) بن أبى جعفر المنصور :

(١) ش : « يحسن بأبي حيان » ، تحريف . على أن كلمة « بأبي » مقحمة ، فإن الرجل حيان لا أبو حيان .

(٢) ط : « عيلته معه » ، وأثبت ما في ش .

(٣) ش : « إنما » بدون واو .

(٤) ديوان حسان ١٨٠ .

(٥) في النسختين : « بن عبيد » ، وأثبت ما في ديوان أبى نؤاس ٦٦ . وفي أمالي ابن الشجرى

٢ : ٣٥٣ : « العباس بن عبد الله بن جعفر بن جعفر بن المنصور » .

كيف لا يُدينك من أمل من رسول الله من نفره

لأنه ذكر واحداً وأضاف إليه ، فصار بمنزلة ما عيب على الأعشى .

قال السهيلي (في الروض الأنف) : وجدت في رسالة لمهل بن يَموت ابن المزروع قال : قال علي بن الأصغر ، وكان من رِوَاة أبي نواس ، قال : لَمَّا عمل أبو نواس :

أيها المنتاب عن عُقره لست من ليل ولا سَمَره

أنشدنيها ، فلما بلغ قوله « مَنْ رسول الله من نفره » وقع لي أنه كلام مستهجن ، في غير موضعه ، إذ كان حق رسول الله ﷺ أن يضاف إليه ولا يضاف إلى أحد . فقلت له : أعرفت عيب هذا البيت ؟ فقال : ما يعيبه إلا جاهل بكلام العرب ، إنما أردت أن رسول الله ﷺ من القبيل الذي هذا الممدوح منه ، أما سمعت قول حسان بن ثابت شاعر الإسلام : « ومنهم أحمد المتخير » ؟! وأنشد البيتين .

ورأيت هذه الحكاية في آخر ديوان أبي نواس ، في الباب الخامس عشر ، أوردها حمزة بن الحسن الأصفهاني فيما دوّنه من شعر أبي نواس .

وأما الثاني فهو :

شتان هذا والعناق والنوم والمشرّب البارد في ظل الدوم

وهو للقيط بن زُرارة بن عُدس بن تميم ، ويكنى أبا دَحْتَنُوس ، وهي بنته ، وأبا نهشل أيضاً . وأخوه حاجب بن زُرارة صاحب القوس التي يقال لها

قوس حاجب . أنشده المبرد في المقتضب ^(١) ، وأنشده :

* والمشرب الدائم في الظلّ الدوم *

جعل المبرد المصدر في هذا الموضع موضع الوصف ، أى الدائم .
وأنشد غيره : « في ظلّ الدوم » على الإضافة . والدوم : شجر المقل . وهذه
رواية أبى عبيدة . قال الأصمعي : قد أحال ابن الحائك ، لأنه ليس بنجد ^(٢)
دوم ، وإنما الرواية : « في الظل الدوم » ، أى الدائم .

قال الخوارزمي : من أنكر على من روى « ظلّ الدوم » قال : أى ظلّ
يكون للدوم ، وهو شجر المقل . ولا يخفى أنّ المنكر هو الأصمعي ، وإنما
أنكره لأنّ الدوم ليس مما ينبت في بلاد الشاعر ، لا لما ذكره ، وأما شجر
المقلّ فله ظلّ قطعاً .

وقوله : شتانَ هذا ، اسم الإشارة راجع إلى الأمر الذى استصعبه
الشاعر من الحال . والعناق : المعانقة . والمعنى افترق هذا ، أى ما أنا فيه من
التعب ، والمعانقة والنوم والراحة والماء العذب في ظلّ هذا الشجر ، أو في الظل
الدائم . وقيله :

يا قوم قد حرّقتُمونى باللّوم ولم أقاتلَ عامراً قبلَ اليوم

وقد أرخيتنا هنا عنان القلم فجرى في ميدان الطُروس ، فأتى بما يُبهج
النفوس . وقد بقيت أشياء تركناها خشية السامة ، وأثقاء الملامة ، كالكلام
٥٨ على تشنية العلم في اليزيديين ، فإنّ ابن جنى قد حقّق ما يتعلق به (فى سِرِّ
الصناعة) . وإن ظهر لنا موضع يناسبه أوردناه فيه إن شاء الله تعالى .

* * *

(١) المقتضب ٤ : ٣٠٥ .

(٢) لأنه ليس ، ساقطتان من ش .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والستون بعد الأربعمئة ، وهو من شواهد سيبويه ^(١) :

٤٦٥ (قالت له ريح الصبَا : قَرَقَارِ)

على أن الأكثرين قالوا : لم يأت اسمُ فعل من الرباعي إلا كلمتان ، إحداهما قرقار .

قال سيبويه : وأما ما جاء معدولاً عن حده من بنات الأربعة فقولُه :

« قالت له ريح الصبا : قَرَقَارِ »

فإنما يريد بذلك قالت له : قَرَقِرْ بالرَّعدِ يا سحاب . وكذلك عَرَعَارِ وهي بمنزلة قرقار ، وهي لُعبة ، وإنما هي من عَرَعَرْتُ . ونظيرها من الثلاثة : خَرَجَ ، أى اخرجوا ؛ وهي لُعبة أيضا . انتهى .

قال الأعلم : قرقار : اسمٌ لقولك قَرَقِرْ ، كما أن نزال اسمٌ لقولك انزَلْ . وحقُّ هذا المعدول أن يكون في باب الثلاثي خاصّة ، فهو على طريق الشذوذ والخروج عن النظائر . وصَفَ سَحَاباً هبّت له ريح الصبا فألقَحَتْه ، وهيجت رعدُهُ ، فكأنه قالت له : قَرَقِرْ بالرعد ، أى صَوْتُ . والقرقرة : صوت الفحل من الإبل . وقد خولف سيبويه في حمل قرقار وعَرَعَارِ على العدل ، لخروجهما عن الثلاثي الذي هو الباب المطرّد ، وجُعلا حكايةً للصوت المرّدّد ، دون أن يكونا معدولين عن شيء . انتهى .

(١) في كتابه ٢ : ٤٠ . وانظر ابن يعيش ٤ : ٥١ والأشعوني واللسان (قرر ٣٩٩) .

أقول : المخالف هو المبرد ، قال : غلط سيبويه ، ولم يأت في الأربعة معدول ، إنما أتى في الثلاثي وحده . وقرقار وعرعار حكاية صوت نحو غاق غاق . قال السيرافي : والقول ما ذهب إليه سيبويه ، لأن حكاية الصَّوت لا يخالف فيها أوَّلُ ثانيا ، نحو : غاق غاق . وقد يصرفون الفعل من صوت المكرر ، نحو قرقرت من قار قار ، وعرعرت من عار عار ، يصيرون به إلى وزن الفعل . فلما خالف اللفظ الأوَّل الثاني علمنا أنه محمول على قرقر وعرعر ، لا على حكاية قار قار وعار عار . انتهى .

وقال أبو حيان (في شرح التسهيل) بعد ما ذكر أنَّ المبرد غلطه : وبما يقوَّى ما ذهب إليه سيبويه وجود مثل قرقار اسم فعل في غير الأمر ، وحكى ابن كيسان أنَّه يقال هَمَّهَم ، وَحَمَّحَم ، وَهَجَّهَج ، وَبَحَّاح ، أى لم يبق شيء . وأنشد :

ما كان إلَّا كاصطفاف الأقدام

حتَّى أتيناهاهم فقالوا هَمَّهَم

انتهى .

ولم يذكر صاحب الصحاح إلا همهام عن اللحياني ، قال : سمعت أعرابياً من بني عامر يقول : إذا قيل لنا : أبقى عندكم شيء ؟ نقول : همهام ، أى لم يبق شيء . وأنشد هذا الشعر .

وزاد الصاغاني (في العباب) على هذه الألفاظ : دعداع ، وقال : قرقار بنى على الكسر وهو معدول ، والعدل في الرباعي عزيز ، كعرعار وهمهام وهجهاج وبجباح ودعداع . قال أبو النجم يصف سحابا :

(حتى إذا كان على مُطَارٍ يُمناه ، واليسرى على الثَّارِ
 قالت له ريح الصَّبَا : قَرَقَارٍ تمرى خلايا هزيم نثارِ
 بين مشاييع له دُرَّارٍ فشَقَّ أنهاراً إلى أنهار) ٥٩

ومُطار بنجد ، والثَّار ببلاد الجزيرة . وقوله : قَرَقَار ، أى قرقر بالرفع
 وصُبَّ ماءك وهات ما عندك . ومعناه ضربته ريح الصبا فذر لها ، فكأنها قالت
 له : صبَّ ماءك . انتهى .

ولم يورد هو من هذه الألفاظ في كتابه إلا بحاج بموحدتين ومهملتين ،
 قال : قيل لبعض بنى عامر ، أبقى عندكم شيء ؟ فقال : بحجاج ! مبنيا على
 الكسر ، أى لم يبق شيء . هذا كلامه ، فكان ينبغي له أن لا يذكر هذه
 الألفاظ مع قَرَقَارٍ ، لئلا يتوهم أنها اسم فعل أمر معدول .

ولم يورد الجوهري ما أورده مع أنه أصله ، وإنما قال : وقولهم قَرَقَار بنى
 على الكسر ، وهو معدول ، ولم يُسمع العدل من الرباعي إلا في عرعار وقرقار .
 فلله درّه ما أحسن صنيعه !

وقال الأصمعي (في كتاب الإبل) : قالوا قَرَقَار وقرقار بفتح القاف
 وكسرها ، وقرقر . وأنشد البيت .

وأورده صاحب (الكشف) عند قوله تعالى : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ قالوا
 بلى ، ^(١) على أنه من باب التمثيل والتخييل كما في البيت .

(١) الآية ١٧٢ من الأعراف .

وقوله : « حتى إذا كان على مُطار » قال أبو عبيد البكري (في معجم ما استعجم) : مُطار بضم الميم : وادٍ قرب الطائف . وأنشد هذه الأبيات . وقال : والثثار بالجزيرة : ماءٌ معروف ، وقيل هو قريب من تكريت . ولم تختلف الرواة في هذا الوادى أنه مُطار بضم الميم . فأما مطار بفتحها فموضع في ديار بني تميم ، مؤنث لا ينصرف .

وقال في الثاء المثلثة : الثثار : ماء معروف قبل تكريت . وقال الهمداني : هو نهرٌ يصبُّ من الهرماس إلى دجلة . وقال أبو حنيفة : هو بالجزيرة .

واسم كان ^(١) يميناه ، والضمير للسحاب . و « على مطار » ، يريد أنه سحاب عظيم طرفه الأيمن على مطار ، وطرفه الأيسر على الثثار . وجملة قالت له لمخ جواب إذا .

وقرى : مضارع مريت الناقة مريا ، إذا مسحت ضرعها لتدر . وفاعله ضمير الريح . والخلايا : جمع خلية بالخاء المعجمة : الناقة تُعطف مع أخرى على وليد واحد فتدران عليه ، ويتخلى أهل البيت بواحدةٍ يحلبونها . وهزم بفتح الهاء وكسر الزاى المعجمة ، يقال غيثٌ هزم أى متبعق لا يستمسك . ونثار : مبالغة نثر . وبين ظرف للنثار .

والمشاييع : جمع مشياع ، وهو الذى يُشيع السر ^(٢) ، استعير للسحاب الساكب . ودُرَّار صفة لمشاييع ، وهو بضم الدال جمع دَار . يقال ناقة دَارٌ بدون هاء ، ونوق دُرَّار مثل : كافر وكفار ، أى كثيرة الدَّر ، وهو اللين .

(١) ط : « واسم واد كان » وكلمة « واد » مقحمة

(٢) ط : « يذيع السر » ، وأثبت ما فى ش .

وقوله : « فشَقَّ أنهاراً » إلخ أى فشَقَّ ماءً ذلك السحاب الأرضَ فصَيَّرَ فيها أنهاراً جارية إلى أنهار .

وأنشد الجوهري البيت الشاهد من هذا الرجز مع بيت آخر منه ، وهو :

« واختلط المعروف بالإنكار »

وهذا هو المشهور في كتب النحو . يريد : قالت الريح للسحاب قَرِّقْ بالرَّعد . ولما كان إنشاء السحاب بسبب الريح صار كأنَّ الريح قالت له قَرِّقْ بالرعد . والقرقرة : صوت فحل الإبل . والقرقرة : الهدير . وبغير قرقر الهدير ، إذا كان صافى الصوت في هديره .

وقوله : « واختلط المعروف » أى من صوت الرعد بالمنكر منه . وقيل أراد أنَّ السحاب أصاب كلَّ مكان مما يُعرَف ويُنكر ، أى عَمَّ الأرضَ كلها ، أو ممَّا كان معروفاً بأنَّ يُمطر وما كان منكراً لمطاره . قال ابن الأعرابي (في نوادره) : مُطرت مطراً شديداً فأنكرت ما تُعرَف مِنْ (١) آثار الديار ومعاملها . وقيل المعروف : المطر ؛ والإنكار : البرق ، والسَّيل (٢) والصاعقة . شَبَّه الريح بالآمر ، والسحاب بالمأمور ، وقرقار بالمأمور به ، لأنَّ الريح هى التى تنشئُ السحاب وتسوقه ، ولهذا جعلت كأنها قائلة له . كلُّ ذلك على سبيل التمثيل .

وترجمة أبى النجم العجلى ، وهو راجز إسلامي ، قد تقدمت في الشاهد السابع (٣) من أوائل الكتاب .

* * *

(١) في النسختين : « من تعرف » .

(٢) ش : « والسيل » بالياء الموحدة ، وهو المطر .

(٣) الخزائن ١ : ١٠٣ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والستون بعد الأربعمائة ^(١) :

٤٦٦ (يَدْعُو وَلِيْدُهُمْ بِهَا عَرْعَارِ)

لما تقدم قبله . وهذا عَجَزٌ وصدره :

(مَتَكْنَفِي جَنْبِي عُكَاطٌ كِلِيْهِمَا)

يعنى يقيمون فى كَنَفَى جنبى عكاظ . والكنف : الناحية . وهو جمع مذكر سالم حذف نونه للإضافة ، والإضافة لفظية . و (عكاظ) : سوق قريبة من مكة ، كانت فى الجاهلية تقام ، وقد شرحناها فيما مضى ^(٢) ، وهى غير مصروفة للعلمية والتأنيث . و (كليهما) تأكيد لقوله جَنْبِي . و (الوليد) : الصبى . وضمير بها لعكاظ . (عرعار) : لعبة للصبيان ، إذا خرج الصبى من بيته ولم يجد أحدا يلعبه رفع صوته فقال : عرعار ، أى هلموا إلى العرعة ، فإذا سمعوا صوته خرجوا ولعبوا معه تلك اللعبة . قال ابن دريد (فى الجمهرة) : سمعتُ عرعار الصبيان ، إذا سمعتُ اختلاط أصواتهم . وقال (فى الصحاح) : العرعة : لعبة للصبيان . وعرعار بنى على الكسر ، وهو معدول عن عرعة ^(٣) . والصحيح كما قال الأعلام عرعار معدولة عن قولهم عَرِعِر ، أى اجتمعوا للعب ، كما أنَّ خَرَجَ اسمُ لعبة لهم : معدول عن قولهم : اخرج .

ومعنى البيت أنهم آمنون فى إقامتهم هناك لِعَزْهِم ^(٤) وكثرتهم ،

(١) ابن يعيش ٤ : ٥٢ والأشْمُونى ٣ : ١٦٠ وديوان النابغة ٣٥ بشرح البطلبيوسى .

(٢) انظر ٤ : ٤٧٢ - ٤٧٤ .

(٣) ط : « من عرعة » ، وأثبت ما فى ش والصحاح . وبعده فى الصحاح : « مثل فرقار من فرقة » .

(٤) ش : « بعزتهم » .

وصبيائهم يلعبون بهذه اللعبة ليطهرهم ورفاهيتهم . ونحوه قول حسان :

* أولاد جفنة حول قبر أبيهم ^(١) *

أى لا يرحلون عنه لعزهم وغناهم ، بخلاف غيرهم ، لا بد له من
الرحلة للانتجاع .

والبيت آخر أبيات تسعة للناطقة الديباني ، حذر بها عمرو بن المنذر صاحب الشاهد
ابن ماء السماء ملك الحيرة من أعدائه ، وهم قوم النابغة . أخبره بأنهم نزلوا
بعكاظ وهم كثيرون ، ينتظرون وقوع الربيع فيرعونه ويحاربونه . وأولها ^(٢) :

أبيات الشاهد

ومن النصيحة كثرة الإنذار

لا أعرفنك عارضاً لرماحنا

في جف تغلب وارد الأمرار ^(٣)

الجف بضم الجيم : العدد الكثير ، والجماعة من الناس ، ومنه قيل
لبكر وتميم : الجفان ؛ لكثرتهم . وتغلب : أبو قبيلة عظيمة ، وهو تغلب بن
وائل . والأمرار بفتح الهمزة قال صاحب الصحاح : هى مياة فى البادية مرة .
وأنشد هذا البيت .

(ومعلقون على الجياد حلّوها حتى تصوب سماءهم يقطار)

(١) عجزه كما فى الديوان ٣٠٩ .

* قبر ابن مارية الكريم المفضل *

(٢) الأبيات فى ديوانه صنعة ابن السكيت ١٢٨ - ١٢٩ وليس فيها البيت الشاهد .

الْحَلَى ، بفتح المهملة وكسر اللام : ما تَعْتَلِفُه الخيل إذا يبس ؛ وإذا كان رطباً أخضر فهو نَصَى . وقَطَار ، بالكسر : جمع قَطْر . إلى أن قال :
(فيهم بناتُ العسجدى ولاحق)

وَرُقَى مراكلها من المِضمارِ)

عسجد ولاحق : فحلان من خيل غنّى بن أعصر . والمَرَكَل كجعفر : موضعُ عَقَب الفارس . يقول : تَضَمُّرُ خَيْلِهِم بِالرَّكُوبِ ، فتقرع أعقابهم مواضع المراكل فيتحاّت شعرها ثم ينبت بعد ذلك شعر أسود . ولهذا قال : وَرُقَى ، لأنه إذا نبت خرج يضرب إلى الغيرة ، وهى الوُرْقَة .
(تُشَلَى توابعها إلى آلافها)

حَبَبَ السَّيَّاعِ الْوَلَّهِ الْأَبْكَارِ

مُتَكَنِّفِي جَنبِي عَكَظَ كَلِيهِمَا

(البيت)

الإشلاء : الدعاء ؛ أشليته : دعوته . يعنى يدعى توابع من أولادها ومن خيل أخرى إلى ما ألفته . والْوَلَّةُ : التى قد ولّته إلى أولادها . والأبكار : التى وضعت بطناً ، وتكون التى لم تلد قَطُ . وقوله : متكنّفى حال من أصحاب هذه الخيل . والإضافة لفظية ، ولهذا صحّت الحال .

ولما بلغت هذه الأبيات عمرو بن هند قال :

أبلغ زياداً أنّ قومك حاربوا

فانهض ألينا أن قدّرت بجار^(١)

(١) ش : « بجار » ، صوابه في ط وديوان النابغة صنعة ابن السكيت .

تَجْزِيكَ إِنْذَاراً بَمَا أُنْذَرْنَا

وَذَكَرْتَ عَطْفَ الْوُدِّ وَالْأَصْهَارِ

وزياد : اسم النابغة . وله قصيدة على هذا الوزن والروى مطلعها (١) :

نُبْتُ زُرْعَةَ وَالسَّفَاهَةَ كاسمها

يُهْدِي إِلَيَّ غَرَائِبَ الْأَشْعَارِ

وزُرْعَة هو ابن عمرو بن خويلد أخى يزيد بن عمرو بن الصَّعِقِ

الكلابى ، كان هجاء للنابغة ، فلما بلغ هجاءه النابغة قال هذه القصيدة

يتوَعَّده بالهجاء ومحاربه إياه مع قومه ، ثم وصف قومه وأحلافهم إلى أن قال :

جَمَعَ يَظُلُّ بِهِ الْفَضَاءُ مَعْضَلًا

يَدْرُ الْإِكَامَ كَأَنَّهُنَّ صَحَارِ

معضَّل اسم فاعل ، يعنى غاصاً ضيقاً . يقال قد عضَّلت المرأة بولدها

تعضيلاً ، إذا تعسَّر عليها فنشِبَ ولم يُخْرِج .

وليس فى هذه القصيدة البيت الشاهد (٢) .

وزعم ابن المستوفى (فى شرح أبيات المفضل) وتبعه جماعة ، أنه منها .

وأورد معه قوله :

* جَمَعَ يَظُلُّ بِهِ الْفَضَاءُ مَعْضَلًا *

البيت مع أبيات آخر ، وقال : مدح بهذه القصيدة بنى غاضرة من بنى

أسد .

(١) القصيدة فى ديوانه ٣٤ بشرح البطليوسى .

(٢) الحق أن البيت الشاهد فيها فى ص ٣٥ كما سبقت الإشارة .

وليس الأمر كذلك كما بينّا .

وسأقّ شرح بعض هذه القصيدة بعد شاهد واحد إن شاء الله تعالى . وترجمة النابغة الذبياني قد تقدمت في الشاهد الرابع بعد المائة (١) .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والستون بعد الأربعمئة ، وهو من شواهد س (٢) :

٤٦٧ (ولأنت أشجع من أسامة إذ

دُعيت نزال ولج في الدغر)

على أن عبد القاهر استدلل على تأنيث فعّال الأمرى بما هنا ، فإن نزال نائب فاعل دُعيت ، ولولا أنها مؤنثة ما ألحق علامة التأنيث للفعل المسند إليها .

وفيه ما أورده الشارح المحقق . وعبد القاهر مسبوق بما قاله .

قال سيبويه ، في باب ما جاء معدولاً عن حذّه من المؤنث : ويقال نزال أى انزل . وأنشد البيت ثم قال : فالحذ في جميع هذا : افعّل ، ولكنه معدول عن حذّه ، وحرك آخره لأنه لا يكون بعد الألف حرف ساكن ، وحرك بالكسر لأن الكسر مما يؤنث به . وإنما الكسرة من الياء . انتهى .

وقال ابن السراج (في الأصول) : اعلم أنه لا يبنى على مثال فعّال من

(١) الخزائنة ٢ : ١٣٥ .

(٢) في كتابه ٢ : ٣٧ . وانظر المقتضب ٣ : ٣٧٠ والجمل ٢٣٣ وأمالى ابن الشجرى ٢ : ١١١ والإنصاف ٥٣٥ وابن يعيش ٢٦/٤ ، ٥٠ ، ٥٢ وشرح شواهد الشافعية ٣٣٠ وديوان زهير ٨٩ .

هذا الباب على الكسر إلا وهو مؤنث معرفة معدول عن جهته ، وإنما بنى
 على الكسر لأن الكسر مما يؤنث به ، تقول للمرأة : أنتِ فعلتِ وإنكِ فاعلة .
 وكان أصل هذا إذا أردت به الأمر السكون ، فحرّكته لالتقاء الساكنين ،
 فجعلت الحركة الكسرة للتأنيث ، وذلك قولك : نزال وتراك ، ومعناه انزل
 واترك ، فهما معدولان عن المتاركة والمنازلة . قال الشاعر تصديقاً لذلك :
 إذا دعيت نزال ولجّ في الدعر

فقال : دُعِيت ، لما ذكرت لك من التأنيث . انتهى .
 وهكذا قال تحفة كتاب سيبويه ^(١) . وشرح شواهد الجمل وغيرهم .
 قال الأعلام : الشاهد في قوله : نزال ، وهو اسم لقوله انزل ، ودلّ على
 أنه اسم مؤنث دخول التاء في فعله ، وهو دُعِيت . وإنما أخبر عنها على طريق
 الحكاية ، وإلا فالفعل ، وما كان اسماً له ، لا ينبغي أن يُخبر عنه . انتهى .
 ومثله في كون نزال أريد به لفظه فجعل نائب فاعل ، قول زيد الخيل
 الصحابي :

وقد علمت سلامة أنّ سيفي
 كريةً كُلّما دُعِيت نزال

وقد وقع مفعولاً به في قول ربيعة بن مقروم :
 فدعوا نزال فكنث أول نازلي
 وعلام أركبه إذا لم أنزل

(١) ط : « كلام سيبويه » ، صوابه في ش .

ومعنى دعاء الأبطال بعضهم بعضاً بهذه الكلمة : أن الحرب إذا اشتدت بهم وتزاحموا فلم يمكنهم التطاعن بالرماح ، تداعوا بالنزول عن الخيل ، والتضارب بالسيوف .

ومعنى (لُجَّ في الذعر) : تَتَابَعَ^(١) الناسُ في الفرع ، وهو من اللجاج في الشيء ، وهو التمدادى فيه .

وقد تقدم شرح النزال مفصلاً في الشاهد الأربعين بعد الثلاثئة^(٢) .

والشارح المحقق قد تبع صاحب الصحاح في روايته البيت كذا في مادة

(أَسْم) ، وهو مركب من بيتين ، فإن البيت الذى فيه دُعيت نزال ،

صاحب الشاهد وهو لزهير بن أبى سلمى ، صدره كذا :

ولنعم حَشَوُ الدَّرْعَ أَنْتَ إِذَا

دُعيتُ نزالٍ وَلُجَّ في الدُّعْرِ

وقوله :

« ولأنت أشجع من أسامة إذ »

إنما هو صدرٌ من بيت للمسيب بن علس ، وعجزه :

(تَقَعَ الصُّرَاخُ وَلُجَّ في الذعر^(٣))

وهذا ليس فيه دعيت نزال .

والبيت الشاهد كما ذكرناه هو رواية سيبويه وسائر النحويين . وبيت

(١) كذا في النسختين ، ولعلها « تتابع » بالياء .

(٢) صوابه الحادى والأربعين بعد الثلاثئة . انظر الخزانة ٥ : ٤٩ .

(٣) في النسختين « يقع » ، صوابه بالنون كما في الديوان ٨٩ والبيان ١ : ١٨٩ . ونقع الصراخ :

ارتفع . قال لبيد (ديوانه ١٩١) :

فمتى ينقع صراخ صادق يحلبوها ذات جرس وزجل

المسيّب بن علس على ما رتبناه هو رواية الجاحظ (في كتاب البيان والتبيين) .
وقد رأيت البيتين في ديوانيهما كذلك . أما بيت زهير فهو من قصيدة مدح بها
هَرَمَ بْنَ سَنَانٍ المُرِّي . وهذه أبياتٌ بعد ثلاثة أبيات من أولها :

أبيات الشاهد

دَغْ ذَا وَعَدَّ القَوْلَ فِي هَرَمٍ
خَيْرِ الْبُدَاةِ وَسَيِّدِ الحَضَرِ
تَاللهُ قَدْ عَلِمْتُ سَرَاةَ بَنِي
ذُبْيَانَ عَامَ الحَبْسِ وَالْأَصْرِ (١)
أَنْ نِعَمَ مُعْتَرِكُ الجِيَاعِ إِذَا
خَبَّ السَّفِيرُ وَسَانَعُ الخَمْرِ
وَلنَعَمَ حَشْنُو الدَّرْعِ أَنْتَ إِذَا
دُعِيتَ تَزَالُ وَلُجَّ فِي الدُّعْرِ
وَلنَعَمَ مَاوَى القَوْمِ قَدْ عَلِمُوا
إِنْ عَضَّتْهُمْ جُلٌّ مِنَ الْأَمْرِ
وَلنَعَمَ كَافِي مَنْ كَفَيْتَ ، وَمَنْ
تَحْمِلُ لَهُ تَحْمِلٌ عَلَى ظَهْرِ (٢)
حَامِي الذَّمَارِ عَلَى مُحَافَظَةِ الـ
سُجْلَى أَمِينُ مَغِيبِ الصَّدْرِ
حَدِثْ عَلَى المَوْلَى الضَّرِيكَ إِذَا
نَابَتْ عَلَيْهِ نَوَائِبُ الدَّهْرِ

٦٣

(١) في الديوان ٨٨ : « تالله ذا قسما لقد علمت » .

(٢) في الديوان : « يُحْمِلُ عَلَى ظَهْرِ » .

عَظُمَتْ دَسِيعَتُهُ وَفَضَّلَهُ
 جُزُّ النَّوَاصِي مِنْ بَنَى بَدْرٍ
 أَيَّامَ ذُبْيَانَ مَرَاغِمَةً
 (١) فِي حَرْبِهَا وَدَمَائِهَا تَجْرَى
 وَمُرْهَقُ النَّيْرَانِ يُطْعِمُ فِي الْـ
 لَأْوَاءٍ غَيْرِ مُلْعَنٍ الْقَدْرِ (٢)
 وَيَقِيكَ مَا وَقَى الْأَكَارِمُ مِنْ
 حُوبٍ تُسَبُّ بِهِ وَمِنْ غَدْرِ
 وَإِذَا بَرَزْتَ بِهِ بَرَزْتَ إِلَى
 ضَافِي الْخَلِيقَةِ طَيِّبِ الْخُبْرِ (٣)
 مَتَصَرِّفٌ لِّلْمَجْدِ مُعْتَرِفٌ
 لِّلنَّائِبَاتِ يَرَّاحُ لِلذِّكْرِ (٤)
 جَلْدٍ يَحْتُ عَلَى الْجَمِيعِ إِذَا
 كَرَةَ الظَّنُونُ جَوَامِعَ الْأَمْرِ
 وَلَأَنْتَ تَفْرِي مَا خَلَقْتَ وَبَعْدَ
 خَضُ الْقَوْمِ يَخْلُقُ ثُمَّ لَا يَفْرِي
 وَلَأَنْتَ أَشْجَعُ حِينَ تَنْجُو الْـ
 أَبْطَالُ مِنْ لَيْثٍ أَيْ أَجْرِ

- (١) ط : « ودمائها » ، ش : « ودماءها » ، والوجه ما أثبت كما في حواشي ديوان زهير .
 (٢) في الديوان : « يحمّد في اللأواء » .
 (٣) رواية ثعلب « صافي الخليفة » بالصاد المهملة .
 (٤) رواية الأعلام : « متصرف للحمد » .

يَصْطَادُ أَحْدَانَ الرِّجَالِ فَمَا
تَنْفُكُ أَجْرِيهِ عَلَى ذُخْرِ
وَالسُّتْرِ دُونَ الْفَاحِشَاتِ وَمَا
يَلْقَاكَ دُونَ الْخَيْرِ مِنْ سِتْرِ
أُثْنِي عَلَيْكَ بِمَا عَلِمْتُ وَمَا
أَسْلَفْتُ فِي النَّجْدَاتِ وَالذِّكْرِ^(١)

قوله : « وَعَدَّ الْقَوْلَ فِي هَرَمٍ » هو بفتح الهاء وكسر الراء ، أحد الأجواد في الجاهلية من بنى مُرَّة . أَيْ دَعَا مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ وَصْفِ الدِّيارِ ، وَعَدَّ الْقَوْلَ ، أَيْ أَصْرَفَهُ ، إِلَى مَدْحِ هَرَمٍ . وَالْبُدَاةُ : جَمْعُ بَادٍ . وَالْحَضَرُ : جَمْعُ حَاضِرٍ ، كَصَحْبِ جَمْعِ صَاحِبٍ .

وقوله : « تَاللَّهِ قَدْ عَلِمْتُ » إِنْخِ السَّرَاةُ : جَمْعُ سَرِيٍّ^(٢) ، وَهُوَ الْكَرِيمُ . وَالْحَبْسُ وَالْأَصْرُ ، بَفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَاحِدٌ ، وَهُوَ أَنْ يُحْدِقَ الْعَدُوُّ بِالْقَوْمِ فَيَحْبِسُوهُمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا يُخْرِجُوهُمْ إِلَى الرَّعْيِ ، خَشْيَةً أَنْ يُغَارَ عَلَيْهِمْ . وَالْأَصْرُ : الضِّيقُ أَيْضاً وَسُوءُ الْحَالِ .

وقوله : « أَنْ نَعِمَ مُعْتَرِكٌ » إِنْخِ ، أَنْ بَفَتْحِ الْهَمْزَةِ مَخْفَفَةً مِنَ الثَّقِيلَةِ مُؤَوَّلَةً مَعَ مَدْخُولِهَا بِمَصْدَرٍ ، سَادَةٌ مَسْدُ مَفْعُولٍ عَلِمْتُ . وَمُعْتَرِكٌ فاعِلٌ نَعِمَ ، وَالْمَخْصُوصُ مَحْذُوفٌ ، وَهُوَ اسْمُ مَكَانٍ ، أَيْ نَعِمَ مَوْضِعُ اِزْدِحَامِ الْفُقَرَاءِ أَنْتَ . وَأَصْلُهُ فِي الْحَرْبِ ، فَاسْتَعَارَهُ هُنَا . وَتَحَبَّ السَّفِيرُ ، أَيْ أَسْرَعَ وَطَارَ مَعَ الرِّيحِ . وَالسَّفِيرُ : مَا جَفَّ مِنَ الْوَرَقِ وَسَقَطَ ، وَذَلِكَ فِي شِدَّةِ الْبَرْدِ وَقَحْطِ الزَّمَانِ .

(١) ط : « سلفت » ، صوابه في ش والديوان .

(٢) الحق أنه اسم جمع لا جمع ، وإلا فقياسه سرقة بالضم ، وأسرياء وسُرَّاء .

وسائىء : معطوف على معترك ، وهو مهموز الآخر ، اسم فاعل من سبأ الخمر ، إذا اشتراها ، وإنما وصفه بسبأ الخمر في شدة الزمان ، ليدل على تناهى جوده ، فلا تمنعه شدة الزمان من إنفاق ماله .

وقوله : « ولنعم حشو الدرع » إلخ جعل لابس الدرع حشواً لها لاشتغالها عليه ، كما يشتمل الإناء على ما فيه . وهو العامل في إذا ، لأنه بمعنى لابس ، وقيل متعلق بنعم لما فيه من معنى الثناء كما فيما قبله . والجُل ، بالضم : الحادث العظيم كالجلّى . وقوله : « على ظهر » أى ظهر حمول قوى .

والذمار : ما يجب عليه أن يحميه . والجُلّى : النائبة الجليلة ، وقيل هنا بمعنى جماعة العشيرة . وقوله : « أمين مغيب الصدر » ، أى لا يضمّر إلا الجميل ، ولا ينطوى إلا على الوفاء والخير وحفظ السرّ ، فهو مأمون على ما غاب في صدره .

والحدب : المشفق . والمولى : ابن العم . والضريك : الفقير المحتاج . والدسيعة : العطية الجزيلة . وجزّ الناصية تكون في الأسير ، إذا أنعم عليه وأطلق جزّت ناصيته وأخذت للافتخار . ورأعهم : نابذهم وهجرهم وعاداهم .

وقوله : « ومرهق النيران » أى تُغشى ناره ؛ يقال رهقت الرجل ، إذا غشيت وأحطت به ؛ والمشدد للتكثير . يصف أنه يؤقد النار بالليل للطبخ وإطعام الناس ، وليعشّو إليها الضيف والغريب . وكثرة النيران ، للإخبار عن سعة معروفه . والأواء : شدة الزمان والقحط . وقوله : « غير ملعن القدر » أى لا يؤكل ما فيها دون الضيف والجار واليتيم والمسكين ، فهو محمود القدر لا مذمومها . وأوقع اللعن على القدر مجازاً ، وهو يريد صاحبها .

وقوله : « ويقيك ما وُقِيَ الأكارم » إلخ وُقِيَ بالبناء للمفعول .
والحَوْب : الإثم ، أى إِنَّ الأكارم وُقُوا أَنْ يُسَبَّوا فيقيك ذلك أنت أيضا ، أى
إِنَّه لا يغدر ولا يُسَبَّ فيأتى بإثم ^(١) . وروى « ما وُقِيَ الأكارم » بالبناء للفاعل
ونصب الأكارم .

وقوله : « وإذا برزت به » أى إليه ، يعنى إذا صرت إليه صرت إلى رجل
واسع الخلق طيب الخبر .

وقوله : « متصرف للمجد » إلخ أى يتصرف فى كل باب من الخير
لاكتساب المجد . والمعترف : الصابر ، أى يصبر لما نابه . وقوله : يَرَّاح ، أى
يَهْشَ وَيَخِفُّ وَيَطْرَبُ لِأَن يَفْعَلَ فعلاً كريماً يُذَكَّرُ به ويُمدح من أجله .

وقوله : « جلد يَحْتُ » إلخ أى قوى العزم مجتهد فيما ينفع العشيرة من
التألف والاجتماع ، فهو يحث على ذلك ويدعو إليه ، إذا كره الظنون الاجتماع
والتألف ، لما يلزمه عند ذلك من المشاركة والمواساة بماله ونفسه . والظنون :
الذى لا يؤثق بما عنده ، لما عُلم من قلة تحيره . وجوامع الأمر : ما يجمع الناس
فى شأنهم .

وقوله : « ولأنت تفري » إلخ هذا مثل ضربه . والخالق : الذى يَقْدِر
الأديم ويهيئه لِأَن يقطعه ويخرزه . والفَرَى : القطع . والمعنى : إنك إذا تهيأت
لأمر مضيت له وأنفذته ولم تعجز عنه ، وبعض القوم يَقْدِرُ الأمر ويتهاون له ثم
لا يعزم عليه ، عجزاً وضعف همة . قال ابن قتيبة (فى أدب الكاتب) : فرى
الأديم : قَطَعَهُ على جهة الإصلاح ، وأفراه : قَطَعَهُ على جهة الإفساد . وقال

(١) ط : « باسم » ، صوابه ش .

ابن السَّيِّد : هذا قول جمهور اللغويين ، وقد وجدنا فرى مستعملاً في القطع على جهة الإفساد ، قال الشاعر :

فَرَى نَائِبَاتُ الدَّهْرِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا

وَصَرَفَ اللَّيَالِي مِثْلَ مَا فَرَى الْبُرْدُ

وحكى أبو عبيد (في الغريب المصنف) عن الأصمعي : أفريت : شققت وفريت بمعنى ؛ وفريت إذا كنت تقطع للإصلاح . انتهى .

وقوله : « ولأنت أشجع » إنخ تنج : يواجه بعضهم بعضاً في الحرب . والأجر : جمع جرو مثلث الجيم ، وهو ولد الأسد وغيره . وإنما جعل الليث ذا أولاد لأن ذلك أجراً له وأعدى على ما يُريده ، لاحتياج أولاده إلى ما تنغذى به . وقوله : « يصطاد أجدان » إنخ جمع واحد ، والهمزة بدل من واو ، أى يصطاد الرجال واحداً بعد واحد ، فلا يزال عنده ما يذخره لما بعد اليوم . ومثله في وصف جروى أسيد :

ما مَرَّ يَوْمَ إِلَّا وَعَنْدَهُمَا لَحْمُ رِجَالٍ أَوْ يُوَلَّغَانِ دَمَا^(١)

وقوله : « والستّر دون الفاحشات » إنخ ، أى بينه وبين الفاحشات ستّر من الحياء وثقى الله ، ولا ستر بينه وبين الخير يحجبه عنه . وحكى أن عمر بن الخطاب لما سمعه قال : « ذلك رسول الله ﷺ » . ٦٥

(١) نسب في الحيوان ٧ : ١٥٤ إلى عبد الله بن قيس الرقيات . وانظر الكلام على نسبته في ملحقات ديوان أبي زيد ١٤٩ . والحق أنه لابن قيس الرقيات من قصيدة في ديوانه ٢٥٣ - ٢٦٠ .

وقوله « أثنى عليك » إلخ أى بما علمتُ من أمرك وشاهدت من
جُودك . وما أسلفتُ ^(١) أى ما قدمت في الشّدائد . والنّجدة : الشدة
والبأس . والذكر : ما يُذكر به من الفضل ^(٢) .

وترجمة زهير بن أبى سلمى تقدّمت في الشاهد الثامن والثلاثين بعد
المائة ^(٣) .

وأما بيت المسيّب بن علس فهو من قصيدة أيضاً مدح بها قيس بن
معديكرب الكندى ، تقدم شرح بعضها في الشاهد الثاني بعد المائتين ،
ورويت لابن أخته الأعشى ميمون ، وهى ثابتة في ديوانه أيضاً ، فيكون المسيّب
ابن علس خال الأعشى . وهذه أبيات منها :

أبيات الشاهد
في رواية أخرى

(وإليك أَعْمَلْتُ المطيئة مِن
سَهْلِ العراق وَأَنْتَ بالقفرِ
أَنْتَ الرَّئِيسُ إِذَا هُمْ نَزَلُوا
وَتَوَاجَهُوا كَالْأَسَدِ وَالتَّمْرِ
أَوْ فَارِسُ الْيَحْمُومِ يَتَّبِعُهُمْ
كَالطَّلَقِ يَتَّبِعُ لَيْلَةَ الْبُهِرِ
وَلَأَنْتَ أَشْجَعُ مِنْ أَسَامَةِ إِذْ
نَقَعَ الصُّرَاخُ وَلُجَّ فِي الذَّعْرِ ^(٤)

(١) في النسختين : « ما سلفت » ، والوجه ما أثبت .

(٢) ش : « والذكر به من الفضل » ، صوابه في ط .

(٣) الخزّانة ٢ : ٣٣٢ .

(٤) في النسختين : « يقع الصراخ » ، وانظر ما أسلفت من تحقيق في ص ٣١٨ .

ولأنت أجودُ بالعطاء من الـ
 رِيَّان لما ضُنَّ بالقَطْرِ
 ولأنت أحيا من مُحَبَّاةٍ
 عَذراء تقطنُ جانبَ الكِسْرِ
 ولأنت أبينُ حينَ تنطقُ مِن
 لُقمانَ لما عَيَّ بالأمرِ
 لو كنتَ من شيءٍ سوى بشرٍ
 كنتَ المنورَ ليلةَ القَدْرِ (١)

وفارس اليعموم ، هو النعمان بن المنذر ملك الحيرة . واليعموم : اسم فرسه . والطلق : الليلة التي لا حرَّ فيها ولا برد . وليلة البُهر : ليلة البدر حينَ بَهرَ التَّجُوم . وفي القاموس : أسامة بالضم معرفة : علم الأسد . والأسامة لغة فيه . والصُّراخ بالضم : الصوت الشديد ، يكون للاستغاثة وغيرها .

والريَّان قال ياقوت (في معجم البلدان) : جبل ببلاد طيء ، لا يزال بسيل منه الماء . وضُنَّ ، بالبناء للمفعول ، أى بُجِّل . وتقطن بالقاف ، أى تسكن . والكِسْر بكسر الكاف : الشُّقَّة السفلى من الخباء .

ولقمان ، هو كما قال الجاحظ (في كتاب البيان والتبيين) : هو لقمان ابن عاد الأكبر ، وكانت العرب تعظم شأنه في النباهة والقدر ، وفي العلم وفي الحكم ، وفي اللسان وفي الحلم . وهو غير لقمان المذكور في القرآن (٢) .

(١) كذا في النسختين . ورواية الأعلام ٦٤ : « ليلة البدر » ، وثعلب : « كنت المنير لليلة البدر » . وانظر ديوان زهير ٩٥ .
 (٢) انظر عبارة الجاحظ في البيان ١ : ١٨٤ فقد تصرف فيها البغدادى كثيرا .

وترجمة المسيب بن علس تقدمت في الشاهد الثامن والثلاثين بعد المائة (١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والستون بعد الأربعمئة ، وهو من شواهد س (٢) :

٤٦٨ (أَنَا اقْتَسَمْنَا نُحُطِّتِنَا بَيْنَنَا

فَحَمَلْتُ بَرَّةً وَاحْتَمَلْتُ فَجَارٍ)

على أن (فجار) مصدر معرفة مؤنث .

قال سيبويه : وأما ما جاء اسماً للمصدر فكقول النابغة :

* فَحَمَلْتُ بَرَّةً وَاحْتَمَلْتُ فَجَارٍ *

فَجَارٍ معدولة عن الفَجْرَةِ . وقال الشاعر :

فَقَالَ : امْكُثِي حَتَّى يَسَارَ لَعْلَنَا

نُحِجَّ مَعًا ، قَالَتْ : أَعَامًا وَقَابِلَهُ

فهى معدولة عن المَيْسَرَةِ ، فأجرى هذا الباب مجرى الذى قبله ، لأنه عُذِلَ كما عُذِلَ ، ولأنه مؤنث بمنزلة . ا هـ .

قال الأعلام : الشاهد في فجار ، وهو اسم للفجرة معدول عن مؤنث ،

(١) صوابه « الثاني بعد المائتين » . الخزانة ٣ : ٢٤٠ .

(٢) في كتابه ٢ : ٣٨ . وانظر مجالس ثعلب ٢٦٤ والجمل ٢٣٤ والخصائص ٢ : ٣/١٩٨ : ٢٦١ ، ٢٦٥ وأمالى ابن الشجرى ١ : ٣٨/٤ : ٥٣ والعينى ١ : ٤٠٥ والهمع ١ : ٢٩ والأشعوى ١ : ١٣٧ وديوان النابغة ٣٤ .

كأنه عُدل عن الفَجْرة بعد أن سُمِّيَ بها الفجور ، كما سُمِّيَ البِرُّ : بَرَّةً ، ولو عدلها لقال بَرارٍ كما قال فجارٍ . ا هـ .

٦٦ قال الشارح المحقق : « لم يَقم لى إلى الآنِ دليلٌ قاطع على تعريفه ولا تأنيثه » إلى آخر ما حَقَّقَه ، وأجاد فيه البحث ودَقَّقَه .

ومثله لناظر الجيش (فى شرح التسهيل) قال : وما ذكره المصنّف من أن ما كان من أسماء الأفعال على فَعَالٍ محكومٌ بتأنيثه ، كأنه أمر مجمع عليه من النحاة . وهو أمر يؤخذ تقليداً . وقال فى باب منع الصرف أيضاً : وأما قوله وكلها معدول عن مؤنث فهو أمر كالجمع عليه عند النحاة ، ولكن يتعين التعرّض لبيان المعدول عنه فى كلّ من الأربعة المذكورة .
أما الصفة المختصة بالنداء فالظاهر أن فساقٍ معدولٌ عن فاسقة ؛ لقصد المبالغة فى الذم .

وأما الصِّفَةُ الجارية مجرى الأعلام فذكروا أنها معدولة عن صفات غَلَبَتْ فاستُعملت أسماء ، كناية فى قوله :

« ونايغَةُ الجعدىُّ فى الرمل بيتَه ^(١) »

فنايغَةُ نعتٌ فى الأصل إلا أنه غلب حتى صار اسماً . قالوا : وكذلك لا يجوز أن تتبع موصوفاً . ولا يخفى أن الغلبة لا تكون عدلاً لأنَّ العدل عبارة عن تبديل لفظ بلفظ للدلالة على المبالغة فى ذلك المعنى الذى أفاده اللفظ المعدول عنه . ولم يتحقّق لى وجهُ العدل فى هذه المسألة .
وأما المصدر فقالوا : هو معدول عن مصدر مؤنث معرفة ، وإن كانوا لم

(١) لمسكين الدارمى فى ديوانه ٤٩ واللسان (وضع ، نبغ) . وعجزه كما فى كتاب سيبويه ٢ :

٢٤ ، ٣ : ٢٤٤ من نسختى :

« عليه تراب من صفيح موضع »

يستعملوا في كلامهم ذلك المصدر للمعرفة المؤنثة الذي عدل عنه . ويفهم من هذا أنه عدل تقديرى لا تحقيقى .

وأما الحال فقالوا : إنه عدل عن مصدر مؤنث معرفة . وقد فسّر سيبويه بداد ، بقوله بددا . وليس هذا بعدل لأنه نكرة ، وإنما هي معدولة عن البدة أو المباددة ، وهذا أيضاً عدل تقديرى .

وأما اسم الفعل فلم يذكروا ماذا عدل عنه ، ولم يتحقق لى وجه العدل فيه . والعجب أنهم يجعلون اسم الفعل أصلاً فى العدل والتأنيث . وما برحت أنطلب بيان ما عدل عنه نزال وبيان كونه مؤنثاً ، ولم أقف من كلامهم على ما يوضح لى ذلك . والذى يظهر أن القول بالعدل والتأنيث فى نزال ليس على وجه التحقيق ، بل على وجه التقدير . وقال صاحب الإفصاح : نزال عند سيبويه علم على المعنى كسبحان ، ومثله حلاق وجماد ، فى اسم المنية والسنة المجدبة .

وقد يكون هذا العدل علماً على الشخص كحذام . ويرى سيبويه أن هذه الأشياء بنيت حملاً على نزال ، ونزال بنى حملاً على الفعل . اهـ . ويظهر من كلامه أن العدل فى هذه الأمور تحقيقى ؛ وإنما هو تقديرى . وأما قوله إن نزال عند سيبويه علم فلم يتضح لى كونه علماً . انتهى ما أورده ناظر الجيش باختصار .

واستدل ابن السيد (فى شرح أبيات الجمل) للتأنيث بشيعين ضعيفين ، قال : أراد بفجار العذرة . وتسمى العذرة فجار كما تسمى المرأة حذام . فإن قلت : لم جعلته للعذرة المؤنثة دون أن تجعله اسماً للعذرة ، وما دليلك على هذه الدعوى ؟ قلنا : على ذلك دليلان : أحدهما أن فعال

المعدول لا يُعدّل إلا عن مؤنث ، ألا تراه قد قال دُعيت نزال ، وليس هذا في بيت زهير وحده ، بل هو مطّرد في فعالٍ حيثما وقعت . والثاني : أن النابغة سَمَّى الوفاء بَرَّةً ، وهو يريد البِرَّ ، وكذلك سَمَّى الغدر فجارٍ ، وهو يريد الفجور . انتهى .

وقال اللخمي : فجارٍ اسمٌ للفجور ، وهو معدول عن مؤنث كأنه عدل عن الفجرة ، وهو مصدر ، بعد أن سَمَّى بها الفجور كما سَمَّى البِرَّ : بَرَّةً . ٦٧ هذا مذهب سيبويه ، وحكى غيره أنه معدول عن صفة غالبية ، ودليل ذلك أنه قال :

« فَحَمَلْتُ بَرَّةً وَاحْتَمَلْتُ فَجَارٍ »

فجعلها نقيض بَرَّةً ، وبرة صفة كأنه قال : حملتُ الخصلة البرَّة وحملتُ الخصلة الفاجرة ، كما تقول : الخصلة القبيحة والحسنة ، فهما صفتان . اهـ .

وهذا الذي حكاها هو مذهب السيرافي كما نقله الشارح عنه . وزاد ابن جنى في الطنبور نعمة ، فزعم أن فجار معدولة عن فجرة علماً بدون أل ، قال في باب التفسير على المعنى دون اللفظ (من كتاب الخصائص) : اعلم أن هذا موضع قد أتعب كثيراً من الناس واستهواهم ، ودعاهم من سوء الرأي وفساد الاعتقاد إلى ما مَدَّلُوا به وتَتَابَعُوا فيه ^(١) حتى إن أكثر ما ترى من هذه الآراء المختلفة والأقوال المستشعنة ، إنما دعا إليها القائلين بها تعلّقهم بظواهر هذه الأماكن دون أن يبحثوا عن سرِّ معانيها ومَعَاقِدِ أغراضها . فمن ذلك قول سيبويه في بيت النابغة : إن فجارٍ معدولة عن الفجرة ، وإنما غرضه أنها معدولة عن فجرة علماً معرفة ، على ذا يدلُّ هذا الموضع ^(٢) . ويقوّيه وُرُودُ بَرَّةً معه في البيت ، وهي كما ترى عَلَمٌ ، لكنّه

(١) مَدَّلُوا به : أى ضجروا وقلقوا . وفي النسختين : « ما بذلوا به » ، صوابه من الخصائص ٣ : ٢٦١ . وتَتَابَعُوا ، بالياء ، أى تساقطوا وتهافتوا ، وفي النسختين : « وتتابعوا فيه » ، وأثبت ما في الخصائص .

(٢) في الخصائص : « هذا الموضع من الكتاب » .

فُسر^(١) على المعنى دون اللفظ . وسوَّغه أنه لما أراد تعريف الكلمة المعدولة عنها مثَّل ذلك بما يُعرَف^(٢) باللام ، لأنه لفظ معتاد ، وترك لفظ فجرة لأنه لا يُعتاد ذلك علماً ، وإنما يعتاد نكرة من جنسها ، نحو فجرت فجرةً ، كقولك : تجرت تجرةً . ولو عدلت برةً على هذا الحد لوجب أن يقال برارٍ كفجار . اهـ .

وقد أخذ الشاطبي هذا الكلام فزاده تنويراً (في شرح الألفية) عند قول ناظمها :

ومثله برةٌ للمبرة كذا فجارٍ علم للفجرة

قال : ومن علّم الجنس للمعنى : فجار ، وهو علم الفجور ومعدول عن فجرة علماً ، لا عن الفجرة ، فإنه من باب حَذام المعدول عن علم مثله . فقول سيبويه إن فجار معدولٌ عن الفجرة تجوز . كذا قال ابن جنى والمحققون .

وأل في الفجرة في كلام الناظم لا إشكال فيها ، إذ لم يُرد العلم كما أراد سيبويه ، وإنما مراده الجنس الذى هو مطلق الفجور . ومثل هذين المثالين فينة في قولهم : ما ألقاه إلا فينةً ، أى فى التدرية . قال ابن جنى : هو علم لهذا المعنى . ومنه حمادٍ للمحمدة ، ويسارٍ للميسرة . وأشار الناظم بمثالى برة وفجار إلى بيت النابغة . وفى عبارته شئٌ ، وهو أن الفجرة هى المرة الواحدة من الفجور ، ومعلوم أن فجار ليس علماً لجنس المرة الواحدة ، فإن أهل اللغة

(١) فى الخصائص : « لكنه فسره » .

(٢) فى النسختين : « فإنما يعرف » . وفى الخصائص : « بما تُعرَف » .

لم ينقلوا إلا أنه علم للفجور المطلق ، ولا يصح أن يُريد أن فجار اسم جنس للفجرة المعدول هو عنه ، إذ لم يقولوا ذلك ، ولا يصح في نفسه . فثبت أن قوله فجار علم للفجرة ، مشكل .

والجواب أن إتيانه بالفجرة مقصود له ، وذلك أن القاعدة في فعال أنه مؤنث ومعدول عن مؤنث . وقد بين ذلك سيبويه في أبواب ما لا ينصرف غاية البيان ، حتى إنه قدّر ما لم يستعمل مؤنثاً كأنه استعمل كذلك ، ثم جعل فعال معدولاً عنه . وإذا كان كذلك فالاسم المعدول عنه وهو العلم المقدر اسم لجنس مؤنث ، إذ لا بد من مطابقته له في التأنيث ، ولذلك قال : ومثله برة للمبرة ، ولم يقل للبر ونحوه .

٦٨ والحاصل أن الناظم نية بمثال الفجرة على أن فعال علم لاسم الجنس المؤنث ، فإن كان مستعملاً فذاك وإلا قدّر له اسم مؤنث . وهذه قاعدة محلّ بيانها باب ما لا ينصرف . انتهى كلامه باختصار يسير . وهذا كله لا يدفع ما أورده الشارح المحقق .

والبيت من قصيدة للناطقة الذبياني هدد بها زُرعة بن عمرو الكلاني ، وكان زُرارة لقي الناطقة بعكاظ ، وأشار عليه أن يُشير على قومه أن يغدروا بني أسد^(١) وينقضوا حلفهم ، فأثنى عليه الناطقة وجعل تُخطّته التي التزمها من الوفاء برة ، وتُخطّط زُرعة لما دعاه إليه من الغدر ونقض الحلف فاجرة . وبلغ الناطقة أن زُرعة هجاه وتوعّده فقال الناطقة - وهذا أول القصيدة عند أبي عمرو الشيباني والأصمعي :

صاحب الشاهد

(١) هذا ما في ش ، وهو صحيح ، يقال غدره وغدر به ، كما في اللسان . وفي ط : « يغدروا بني أسد » .

(نُثَبِّتُ زُرْعَةً وَالسَّفَاهَةَ كاسْمِهَا
 يُهْدَى إِلَى غَرَائِبِ الْأَشْعَارِ
 فَحَلَفْتُ يَا زُرْعَ بْنَ عَمْرِو إِنِّي
 مِمَّا يَشُقُّ عَلَى الْعَدُوِّ ضِرَارِي
 أَعْلَمْتُ يَوْمَ عَكَاظَ حِينَ لَقِيتَنِي
 تَحْتَ الْعُبَارِ فَمَا خَطَّطْتَ غُبَارِي
 أَنَا اقْتَسَمْنَا مُحْطَّتَيْنَا بَيْنَنَا
 فَحَمَلْتُ بَرَّةً وَاحْتَمَلْتَ فَجَارِ
 فَلْتَأْتِيَنَّكَ قَصَائِدُ وَلِيدَفَعَنْ
 أَلْفَ إِلَيْكَ قَوَادِمَ الْأَكْوَارِ
 رَهْطُ ابْنِ كُوزٍ مُحَقِّبُوا أَدْرَاعِهِمْ
 فِيهِمْ وَرَهْطُ رِبِيعَةَ بْنِ حُذَارِ
 وَلِرَهْطِ حَرَابٍ وَقَدْ سُورَةُ
 فِي الْمَجْدِ لَيْسَ غَرَابُهَا بِمُطَارِ
 وَبَنُو قُعَيْنٍ لَا مَحَالَةَ أَنَّهُمْ
 آتَوْكَ غَيْرَ مَقْلَمَى الْأُظْفَارِ
 سَهْكِينَ مِنْ صَدَأِ الْحَدِيدِ كَأَنَّهُمْ
 تَحْتَ السَّوَّارِ جِنَّةُ الْبَقَارِ
 وَبَنُو سُوءَاءَ زَائِرُوكَ يُوَفِّدُهُمْ
 جَيْشٌ يَقُودُهُمْ أَبُو الْمِظْفَارِ

وينو جذيمة حتى صديق سادة
 غلبوا على حبيب إلى تعشار
 والقوم غاضرة الذين تحمّلوا
 بلوائهم سيرا لدار قرار
 جمع يظل به الفضاء معضلا
 يذر الإكام كأنهن صحار)

وقال في آخرها :

(حولى بنو دودان لا يعصوننى

وينو بغيض كلهم أنصارى)

وقوله : « نُبِت زُرْعَة » إلخ بالبناء للمفعول والتاء نائب فاعل ، وزرعة مفعول ثان ، وجملة يُهْدَى إلخ فى موضع المفعول الثالث . وقوله : « والسفاهة كاسمها » اعتراض ، أى فعل السفاهة قبيح ، وإنما قال هذا لأنّ السفاهة كما تنكرها القلوب والعقول ، تمنح الأذان اسمها . فإن قلت : ما اسم السفاهة حتى قال : كاسمها ؟ قلت : أراد ما سمى سفاهة . أى المسمى بهذا الاسم قبيح ، كما أنّ الاسم الذى هو السّفَه قبيح ، إلا أنّه لمّا لم يجد إلى العبارة عن الذات طريقاً إلا باسمه قال : « والسفاهة كاسمها » . كذا قال الإمام المرزوق . وقوله : « يُهْدَى إلى غرائب الأشعار » إلخ يعنى أنه غير مشهور ، فالشعر من قبله غريب ، إذ ليس من أربابه .

وقوله : « فحلفت يا زرع » إلخ جملة إتنى إلخ جواب القسم . والضّرار

بالكسر : الدنو من الشيء ^(١) واللصوق به . يقول : أنا قويٌّ عزيز فالعدوُّ
يكره مجاورتي له .

وقوله : « أعلمت » إلخ الاستفهام تقريرٌ . وروى « أنسيَت يوم » ٦٩
وتخططت بالخاء المعجمة : شققت ، يقال ما حَطَّ غبارُهُ ، أى لم يدنُ منه
ولم يتعلَّق به .

وقوله : (أنا اقتسمنا) إلخ بفتح همزة أنا ^(٢) لأنها مع معموليها في تأويل
مصدر سادٍّ مسدٍّ مفعولى علمت ، هذه رواية أبى عمرو . وروى الأصمعى :
(يوم اختلفنا حُطَّتينا) ، وابن الأعرابى : (يوم احتملنا) . يقول : بررتُ أنا
وفجرتُ أنت . قال شارح الديوان : قوله فجار يعنى حُطَّةً فاجرة ، خرج
مخرج حذام ورقاش . والخطبة بالضم : الحالة والحَصْلَةُ . قال ابن السيد (فى
شرح أبيات الجمل) : وقال فى البر حملتُ وفى الفجور احتملتُ لأنَّ العرب
إذا استعملت فعل وافتعل بزيادة التاء كان الذى لا زيادة فيه يصلح للقليل
والكثير ، والذى فيه الزيادة للكثير خاصة ، نحو : قَدَّر واقتدر ، وكسب
واكتسب . فأراد أن يهجو بكثرة غدره وإيثاره للفجور ، فذكر اللفظة التى
يراد بها الكثير ليكون أبلغ فى الهجو . ولو قال : حملتُ فجار لأمكن أن
لا يكون غدرٌ إلا مرة واحدة .

وأما الأفعال التى لا تستعمل إلا بالتاء فخارجة عن هذا الحكم ، لأنها
تصلح لما قل ولما كثر ، كقولك : استويت على الشيء ، واجتويت البلد ، إذا
كرهته ، واكتريت الدار . فهذا لا يقال فيه إنه للتكثير خاصة ، لأنه
لم يستعمل غير مزيد .

(١) فى النسختين : « الدنو فى المشى » ، صوابه من شرح ديوان النابغة ٣٤ . وفيه : « يقال
أضر الشيء بالشيء إذا دنا منه وأثر فيه . ومنه ضرير الوادى ، وهو حرقه الذى يدنو منه ويؤثر فيه » .
(٢) ط : « إذا » ، صوابه فى ش .

وقوله : « فلتأتينك قصائد » إلخ ، هذا شروعٌ في تهديد زُرعة . يقول : والله لأُغِيرَنَّ عليك بقصائد الهجو ورجال الحرب . وروى بنصب ألف ورفع قوادم . يقول : لتركينَّ إليك نجائبُ تدفعُ إليك جيشاً . والكُور بالضم : الرجل ؛ وقادمته : العودان اللذان يجلس بينهما الراكب .

وقوله : « رهط ابن كوز » إلخ أى هم رهط إلخ . وابن كوز وربيعة بن حُذار بضمّ الحاء المهملة وكسرهما ، هما من بنى أسد . وقوله : « محقبو أذراعهم » أى يجعلونها خلفهم في موضع الحقائق . والحقيبة : تُخرج صغيراً يربطه الراكب خلفه .

وقوله : « ولرهط حرّابٍ وقدّ » إلخ الأوّل بفتح الحاء وتشديد الراء المهملتين ، والثاني بفتح القاف وتشديد الدال . قال ابن الكلبي وابن الأعرابي : هما من بنى والبة بن الحارث بن ثعلبة بن دُودان بن أسد . والسُورة بالضم : الفضيلة .

وهذا البيت استشهد به الزمخشري والبيضاوي ، عند قوله تعالى : ﴿ فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ﴾^(١) ، على أنّ السُورة : الرُتبة .

وقوله : « ليس غرابُها بمطار » كناية عن كثرة الرهط ودوام العزّ لهما . وإذا وُصف المكان بالخصب وكثرة الشجر قيل : لا يُطار غرابُه . يريد أنه يقع في المكان فيجد ما يُشبع ، ولا يحتاج أن يتحوّل . فجعله مثلاً للمجد ، أى مجدهم ليس بمنقلع .

وقال أبو عبيدة : هو في مكان مرتفع ، لا يؤدّي من العزّ . أراد أنهم

(١) الآية ٢٣ من البقرة .

أَعَزَّاءُ لَا يُوصَلُ إِلَيْهِمْ . وَتَخْصِيصُ الْغَرَابِ لِأَنَّهُ الْمُثَلُّ فِي الْحَذَرِ ، فَإِنَّهُ يَطِيرُ بِأَدْنَى رَيْبَةٍ .

وقوله : « وَبَنُو قُعَيْن » إلخ هم من بنى أسد . وقوله (غَيْرُ مَقْلَمَى) إلخ ، يريد لإنهم آتوك غير مسالين لك ، وعداوتهم ظاهرة ، وإنما يأتونك للمحاربة . وآتوك : جمع آتٍ .

وقوله : « سَهْكِينَ مِنْ صَدَأْ » إلخ ، متلبِّسينَ برائحة الحديد المُصْدِئِ^(١) . يعني أن السلاح يصدأ عليهم لطول لُبْسِهِمْ إِيَّاهُ . وَالسَّهْكَةُ : رائحة الحديد المُصْدِئِ . وَالسَّنَوْرُ : الدروع ، وقيل السِّلَاحُ كُلُّهُ . وَالْبَقَّارُ ، بالموحَّدة والقاف المشددة : موضعٌ برمِلٍ عَالِجٍ ، قَرِيبٌ مِنْ جَبَلَيْنِ طَيِّئَيْنِ ٧٠ . تَسْكُنُهُ الْجَنُّ . يقول : كأنهم جنٌّ في شجاعتهم .

وقوله : « وَبَنُو سُوءَاءَ » بضم السين والمَدِّ ، هم من بنى أسد أيضاً . وَأَبُو الْيَظْلِفَارِ هُوَ مَالِكُ بْنُ عَوْفٍ مِنْ بَنِي أَسَدٍ .

وقوله : « وَبَنُو جَذِيمَةَ » إلخ بفتح الجيم وكسر الذال المعجمة ، هو من بنى أسد أيضاً . وَجَذِيمَةُ هُوَ ابْنُ مَالِكِ بْنِ نَصْرِ بْنِ قُعَيْنَ . وَخَبَّتْ بَفَتْحِ الْمَعْجَمَةِ وَسَكُونِ الْمُوَحَّدَةِ : اسْمُ مَاءٍ فِي دِيَارِ كَنْدَةَ . وَتَعِشَارُ ، بكسر المثناة الفوقية وبعد المهملة شين معجمة : موضعٌ فِي بِلَادِ بَنِي تَمِيمٍ ، وَقِيلَ جَبَلٌ فِي بَنِي ضَبَّةَ ، وَقَالَ الْخَلِيلُ : مَاءُ لَبْنَى ضَبَّةَ بَنَجْدٍ . كَذَا (فِي مَعْجَمِ مَا اسْتَعْجَمَ) .

وقوله : « وَالْقَوْمُ غَاضِرَةٌ » إلخ غَاضِرَةٌ بِإِعْجَامِ الْأَوَّلَيْنِ : قَوْمٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ

(١) كَذَا فِي ش فِي هَذَا الْمَوْضِعِ وَتَالِيهِ . يُقَالُ صَدَأَ الْحَدِيدُ يَصْدَأُ ، وَأَصْدَأَ يَصْدِئُ . وَفِي ط : « الصْدِئُ » ، وَكِلَاهُمَا صَوَابٌ .

أيضاً . يقول : لم يتحملوا ليهربوا ^(١) ، إنما أرادوا الإقامة والثبات في منازلهم .
وقوله : « جمع يظُلُّ به » إلخ ، معضلاً بفتح الضاد المشددة : غاصاً
ضييقاً ^(٢) .

وقوله : « حولى بنو دودان » ، هم من بنى أسد . وبنو بغيض هم رهط
النايعة .

وترجمة النايعة تقدّمت في الشاهد الرابع بعد المائة ^(٣) .

وأما البيت الذى أورده سيبويه بعد البيت الشاهد فقد أورده غفلاً غير
منسوب ، ولم يعزه شرح أبياته ، وقال ابن السّيد : لا أعرف قائله . وعينه ابن
هشام اللخمي فقال : هو الحُميد الأرقط ، يقول لزوجيه وكانت قد سألته
الحجّ ، وكان مقلاً فقال لها : امكثي حتى يرزقنا الله مالاً نحجُّ به . فقالت
منكرة لقوله : أأمكث عاماً وقابله ، أى قابل ذلك العام . والقابل بمعنى
المقبل ، وهو جارٍ على قَبَل . يقال : أقبل وقَبَل ، وأدبر ودَبَر . وهو ظرف
ومثله : معاً ، وعاملهما محذوف دلّ عليه المعنى كما قدّرنا . والهمزة للإنكار .
وهو من أبيات ثلاثة هي :

تخرّضنى الذَّلْفا على الحجّ ويحّها

وكيف نحجُّ البيت والحالُ حائله

فقلت امكثي حتى يسار البيت

لعلّ ملّمات الزمانِ ستنجلي

وعَلَّ إله الناس يؤليك نائله

(١) ط : « ليهربوا » ، صوابه في ش .

(٢) ش : « عاضاً ضيقاً » .

(٣) الخزائن ٢ : ١٣٥ .

ويسار : اسمٌ لليسر ، معدول عن الميسرة وهى الغنى .
وترجمة حميد الأرقط تقدّمت فى الشاهد الثالث بعد الأربعمئة (١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والستون بعد الأربعمئة ، وهو من شواهد س (٢) :

٤٦٩ (جَمَادٍ لها جَمَادٍ ولا تقولى
طَوَالَ الدَّهْرِ ما ذُكِرَتْ : حَمَادٍ)
على أنهم قالوا : معناه قولى لها جَمُوداً ولا تقولى حمداً ، بالتنكير والتذكير .

وهذا واردٌ على قولهم إنَّ فعال معدولٌ عن معرّف مؤنث .
ومن قال كذا ابنُ السَّراج (فى الأصول) فإنه قال بعد ما أنشد البيت : قال سيبويه : يريد قولى لها جموداً ولا تقولى لها حمداً .
ومنهم ابنُ الشجرى ، [قال (٣)] (فى أماليه) : جماد اسمٌ للجمود ، وجماد اسمٌ للحمد فى هذا البيت . أراد قولوا لها : جموداً ولا تقولوا لها : حمداً .
وهذا لا يردُّ عليهم ؛ فإنهم قالوا : لا بدُّ من التعريف والتأنيث فى فعال بالمعانى الأربعة (٤) . وقولهم معناه جموداً وحمداً وما أشبهه ، فإنما هو تساهلٌ فى التعبير عنه .

(١) الخزانة ٥ : ٣٩٥ .

(٢) فى كتابه ٢ : ٣٩ . وانظر أمال ابن الشجرى ٢ : ١١٣ وابن يعيش ٤ : ٥٥ واللسان

(حمد) وديوان المتلمس ٧ شقيقى و ١٦٥ صبرى .

(٣) التكملة من ش .

(٤) انظر ص ٣٢٨ .

وكذلك فعل سيبويه ، إلا أنه اعتبر التأنيث في المعدول عنه ، إما تحقيقاً أو تقديراً ، قال : وأما ما جاء اسماً للمصدر فنحو فجار معدولة عن الفجرة ويسار معدولة عن الميسرة ، وكذلك قوله :

* والخيّل تعدو بالصعيد بداد *

٧١ فهذا بمنزلة قوله : تعدو بَدَدًا ^(١) ، إلا أن هذا معدول عن حذّه مؤنثاً . وكذلك لا مَسَاسٍ ، والعرب تقول : أنت لا مَسَاسٍ ، ومعناه لا تمسّني ولا أمسّك . ودعنى كَفَافٍ ، فهذا معدول عن مؤنث وإن كانوا لم يستعملوا في كلامهم ذلك للمؤنث الذي عدل عنه بداد وأخواتها . ونحو ذا في كلامهم . ألا ترى أنهم قالوا مَلَامَحٌ ومَشَابِهٌ وليالي ، فجاء جمعه على حدّ ما لم يستعمل في الكلام ، لا يقولون مَلَمَحَةٌ ولا ليلاء . ونحو ذلك كثير ، قال الشاعر :

جَمَادٍ لها جَمَادٍ ولا تقولى البيت

فهذا بمنزلة جموداً . ولا نقول عدل عن قوله جمداً لها ، ولكنّها عُدلاً عن مؤنث كبداد . انتهى نص سيبويه ^(٢) .

فعنده يجب فيما لو كان من أسماء الأجناس غير مؤنث فجعل له اسمُ فعال أن يقدّر له التأنيث . وقد قدّر سيبويه في حَضَارٍ وسَفَارٍ أنه اسمُ الكوكبة والماءة ، وهما من علم الشخص .

وقال السيرافي في بداد : إنه معدول عن البَدّة أو المبادّة أو غير ذلك ، يعنى مما يقدّر مؤنثاً يُعطى معنى ذلك المذكّر .

(١) هذا الصواب من سيبويه . في ط : « بداد » وفي ش : « بدادا » .

(٢) في هذا النص نقص عما في نسختي من كتاب سيبويه ٣ : ٢٧٦ . فانظره .

والبيت من قصيدة للمتلمس ، أورد بعضها الشريف ضياء الدين هبة صاحب الشاهد
الله على بن محمد بن حمزة الحسيني (في حماسه) ، وهي (١) :
(صَبَاً من بعد سلوته فؤادى

وَسَمَحَ للقرينة بانقياد
كَأَنِّي شَارِبٌ يَوْمَ اسْتَبَدُّوا
وَحَثَّ بِهِمْ وَرَاءَ الْبَيْدِ حَادِي (٢)
عُقَاراً عَثَقَتْ فِي الدَّنِّ حَتَّى
كَأَنَّ حَبَابَهَا حَدَقَ الْجَرَادِ
جَمَادٍ لَهَا جَمَادٍ وَلَا تَقُولُنَّ
لَهَا يَوْمًا إِذَا ذُكِرَتْ حَمَادٍ)

هذا ما أورده الشريف . وقوله : « صبا من بعد سلوته » إلخ ماضى
يصبو صَبَوَةً ، أى مال إلى الجهل والفتوة . وَسَمَحَ بمهملتين بمعنى ذَلَّ وفاعله
ضمير الفؤاد . ويقال أَسَمَحَ بالألف أيضا . والقرينة : النفس ، ومثله القرونة
بالواو أيضا . يقال أَسَمَحَتْ قَرِينَتُهُ وقرونته ، وكذلك قَرِينَتُهُ وقَرُونُهُ (٣) بدون
هاء ، أى ذَلَّتْ نفسه وتابَعَتْه على الأمر . وقوله :

* كَأَنِّي شَارِبٌ يَوْمَ اسْتَبَدُّوا * إلخ

أى مَضُونًا برأيهم ، كذا قال الشريف صاحب الحماسة . وهو من
استَبَدَّ فلانٌ بكذا ، أى انفرد به . والواو ضمير تعود على قوم حبيبتة . وقوله :

(١) الديوان وحماسة ابن الشجرى ٢٤٩ .

(٢) في الديوان : « يوم استقلوا » ، « لدى المومة حاد » .

(٣) ط : « قرينة وقرونة » ، صوابه في ش .

« وحثَّ بهم » إلخ أى أسرعَ بهم . وحادى فاعلٌ حثَّ ، وهو سائق الإبل بالحداء ، يقال حدا بالإبل يحدو حدواً ، أى حثها على السير بالحداء كغراب ، وهو الغناء لها . وقوله : « وراء البيد » قال الشريف : أى حال دونهم البيد ، وهو جمع بيداء ، وهى القفر والمفاضة .

وقوله : « عُقاراً عتقت » إلخ بضم العين مفعول شارب بمعنى الخمر . وهذا البيت يشهد للأصمعي ، فإنه قال : إن الخمر إنما سميت عُقاراً لطول مُكثها فى الدن . واحتج بقولهم : عاقر فلان الشراب ، إذا لزمه وأدمنه . والحباب بالفتح : ما ينتفخ من الماء ونحوه ويعلوه . قال الدينورى (فى كتاب النبات) : يقال لما ينزو من الخمر إذا مُزجت : الحباب والفواق . والجنادع : جنادب تكون فى العُشَر . فشبه ما ينزو منها بالجنادب إذا قَمَصَتْ (١) . وأنشد هذا البيت مع البيت الأخير . وقد شبه حباب الخمر بعيون الجراد . وقوله : (حماد لها حماد) إلخ بالجيم : الجمود ، والكلمة الأخيرة (حماد) بالمهمله : الحمد . قال الأعلم : هما اسمان للجمود والحمد ، معدولين عن اسمين مؤنثين سميا بهما ، كالمجدة والمحمدة . وقال صاحب الصحاح : يقال للبخيل جَمَادٍ له ، مثل قطام ، أى لا يزال جامد الحال . وإنما بنى على الكسر لأنه معدول عن المصدر ، أى الجمود ، كقولهم : فجار أى الفجرة . وهو نقيض قولهم : حماد بالمهمله فى المدح . وأنشد الأبيات الثلاثة الأخيرة للمتلمس ، ثم قال : أى قولى لها جموداً ولا تقولى لها حمداً وشكراً . اهـ .

وكونه معدولاً عن المصدر لا يكون سبباً لبنائه . قال الشريف صاحب

(١) قمصت : وثبت .

الحماسة : الضمير في لها يعود على القرينة . وقال جامع شعره أبو الحسن الأثرم : أى أجمد الله خيرها ، يقول قلَّله . يعنى الخمر . ا هـ .

ومنه تعلم أن الأعلم لم يُصب في قوله : وصف امرأة بالجمود والبخل ، وجعلها مستحقّة للذمّ غير مستوجبة للحمد . هذا كلامه ، وسببه أنه لم يطلع على البيت الأول .

وكذلك لم يصب ابن السّيد في قوله (فيما كتبه على كامل المبرد) : دعا على عادته بأن يقلّ خيرها . وهو مأخوذ من الأرض الجماد ، وهى التى لا تنبت شيئا . وقيل إنه دعا على بلاد هذه المرأة بالجمود وأن لا تنبت شيئا . انتهى .

وقوله : (ولا تقولى) بياء المخاطبة . وهذا هو المشهور ، وهو محرف من نون التوكيد الخفيفة كما رويناها عن الشريف ، وهى الصواب ، فإنّه خطاب لمذكر ولم يتقدم ذكر أنثى . ويؤيده ما رواه ابن السجري (فى أماليه) : « ولا تقولوا » بالواو . وقوله (طَوَّال الدهر) بفتح الطاء ظرف للقول ، يقال لا أكلّمه طَوَّال الدهر ، وطَوَّل الدهر ، بمعنى . وما مصدرية ظرفية ، ونائب فاعل ذُكرت ضمير القرينة ، وحماد فى موضع نصب لأنه مقول القول .

وهذه الأبيات الأربعة أوّل قصيدة ، وما أحسن هذه الأبيات منها : أبيات الشاهد

(وَأَعْلَمُ عِلْمٌ حَقٌّ غَيْرُ ظَنٍّ)

وتقوى الله من خير العتادِ

لِحِفْظِ الْمَالِ خَيْرٌ مِنْ ضَيَاعِ

وَضَرْبِ فِي الْبِلَادِ بَغِيرِ زَادِ

وإصلاح القليل يزيد فيه
ولا يبقى الكثير مع الفساد (
وقد ضَمَّن البيت الأخير بعضهم في الهجاء فقال :
يحصن زاده عن كلِّ ضيرس
ويُعمل ضيرسه في كل زاد
ولا يروى من الأشعار شيئاً
سوى بيتٍ لأبرهة الإيادي
« قليلُ المالِ تصلحُه فيبقى
ولا يَبْقَى الكثيرُ مع الفسادِ »
وقد أخطأ هذا القائل في نسبة البيت إلى أبرهة من وجهين .
ومثله لابن وكيع التَّيْسِيّ :
مَالٌ يُخْلَفُه الفتى للشامتين من العدا
خيرٌ له من قَصْدِهِ إخوانه مسترفدا
ورُوي أن حاتم الطائي لما سمع قول المتلمس قال : ماله قطع الله لسانه
يَحْمِلُ الناسَ على البخل ! هلاً قال :
وما الجودُ يُفْنِي المَالَ قبل فنائه
ولا البخلُ في مال البخيل يزيدُ
فلا تلتمس فقراً بعيشٍ فإنه
لكلِّ غِدٍ رِزْقٌ يعودُ جديداً

٧٣

ألم تر أن المأل غادر ورائح
وأن الذي يُعطيك ليس يبيد

والمتملس شاعر جاهل مُفلق مُقلّ ، ذكره الجمحى في الطبقة السابعة المتلس الضمى
من شعراء الجاهلية . قال أبو عبيدة : اتفقوا على أن أشعر المقلّين في الجاهلية
ثلاثة : المسيّب بن علس ، والحُصين بن حُمام ، والمتملس . واتفقوا على أن
المتملس أشعرهم .

والمتملس اسمه جرير ، وكنيته أبو عبد الله بن عبد المسيح بن عبد الله
ابن زيد بن دوفن بن حرب بن وهب بن جُلّى بن أحمر بن ضبيعة بن ربيعة
ابن نزار بن معدّ بن عدنان . وقيل : لآته جرير بن عبد العزى ؛ وقيل : غير
هذا . ودوفن بفتح الدال وسكون الواو وفتح الفاء بعدها نون . وجُلّى ، بضم
الجيم وتشديد اللام بعدها ألف مقصورة ^(١) . وأحمر : أفعل من الحماسة .
وضبيعة بالتصغير .

وسأقن إن شاء الله وجهه تسميته بالمتلمس في باب العلم .

وكان المتلمس مع ابن أخته طرفة بن العبد ينادم عمرو بن هند ملك
الحيرة ، ثم إنهما هجّوا ، فلما أشعر ^(٢) بهجّوهما كره قتلها عنده ؛ فكتب
لها كتابين إلى عامل البحرين يأمره بقتلهما ، وقال لهما : إنى كتبت لكما
بصلة ، فاذهبا لتقبضاها !

فخرجا حتّى إذا كانا ببعض الطريق إذا هما بشيخ على يسار الطريق ،
وهو يُحدث ويأكل ويقتل القمل ، فقال المتملس : ما رأيت كالיום شيخاً أحق !

(١) كذا . والصواب أنه بصيغة التصغير ، كما في الاشتقاق ٣١٣ والجمهرة ٢٩٢ ، ٢٩٣ .

(٢) ش : « شعر » .

فقال له الشيخ : ما رأيت من حُمقى ؟ أخرجُ الداءَ وَاكُلِ الدواءَ ، وأقتل الأعداء ! أحمقُ مئى والله من يحمل حتفه بيده ! فاستراب المتلمس بقوله ، وطلعَ عليهما غلامٌ من الحيرة ، فقال له المتلمس : تقرأ يا غلام ؟ قال : نعم . ففكَّ الصحيفةَ ودفعها إليه ، فإذا فيها : « أمّا بعد فإذا أتاك المتلمس فاقطع يديه ورجليه وادفنه حيّاً ! » فقال لطرفة : ادفعْ إليه صحيفتك ، فإنَّ فيها مثل الذى فى صحيفتى ، فقال طرفة : كلاً ، لم يكن ليجتريءُ^(١) على ، فإنَّ بنى ثعلبة ليسوا كبنى ضبيعة ! فقذف المتلمسُ صحيفته فى نهر الحيرة وهرب إلى بنى جفنة ملوك الشام ، وذهب طرفة إلى عامل البحرين ، فقتل هناك كما شرحناه مفصلاً فى ترجمته فى الشاهد الثانى والخمسين بعد المائة^(٢) .

وقال المتلمس فى ذلك يُخاطب طرفة :

مَنْ مَبْلُغُ الشُّعْرَاءِ عَنْ أَخَوَيْهِمَا
تَجَبَّرَ فَتَصُدُّقَهُمْ بِذَاكَ الْأَنْفُسُ
أَوْذَى الَّذِى عَلِقَ الصَّحِيفَةَ مِنْهُمَا
وَنَجَا حِذَارَ حِجَابِهِ الْمُتَلَمَّسُ
أَلْقَى الصَّحِيفَةَ لَا أَبَالِكَ إِنَّهُ
يُخْشَى عَلَيْكَ مِنَ الْحِجَابِ النَّقْرِسُ
وَالنَّقْرِسُ : داء فى الرَّجُلِ معروف . وصارت صحيفة المتلمس مثلاً يُضْرَبُ لِمَنْ يَحْصُلُ لَهُ الضَّرَرُ مِنْ جِهَةِ النِّفْعِ . قال الفرزدق :

(١) ش : « ليجترأ » .

(٢) الخزائنة ٢ : ٤١٩ .

يا مَرَوَ إِنَّ مَطَيَّتِي مَحْبُوسَةٌ
 تَرْجُو الحَبَاءَ وَرُبُّهَا لَمْ يَبْأَسِ
 وَحَبَوْتَنِي بِصَحِيفَةٍ مَخْتُومَةٍ
 يُخْشَى عَلَيَّ بِهَا جِبَاءُ النَّقْرِسِ
 أَلْقِ الصَّحِيفَةَ يَا فَرَزْدُقُ لَا تَكُنْ
 نَكَدَاءَ مِثْلَ صَحِيفَةِ الْمُتَلَمَّسِ

والبيت الأول من شواهد سيبويه (١) ، واستشهد به على ترخيم مروان
 بحذف الألف والنون ، لزيادتهما وكون الاسم ثلاثياً بعد حذفهما . وأراد مروان
 ابن الحكم .

وسبب هذا الشعر أنَّ الفرزدق قَدِمَ المدينة مستجيراً بسعيد بن العاصي
 من زياد بن سُمَيَّةَ ، فامتدح سَعِيداً وَمَرَوَّانَ عنده قاعد ، فقال :
 ترى الغُرَّ الجَحَاجِجَ من قُرَيْشٍ
 إِذَا مَا الْأَمْرُ بِالْمَكْرُوهِ عَالَا (٢)
 قِيَاماً يَنْظُرُونَ إِلَى سَعِيدٍ
 كَأَنَّهُمْ يَرَوْنَ بِهِ هِلَالاً

فقال له مروان : قعوداً يا غلام . فقال : لا وَاللَّهِ يَا أَبَا عَبْدِ الْمَلِكِ ،
 إِلَّا قِيَاماً . فَأَغْضَبَ مَرَوَانَ : وَكَانَ مَعَاوِيَةُ يُعَادِلُ بَيْنَ مَرَوَانَ وَبَيْنَ سَعِيدٍ ؛ فَلَمَّا وَلِيَ

(١) في كتابه ١ : ٣٣٧ . وانظر ديوان الفرزدق ٤٨٢ .

(٢) ديوان الفرزدق ٦١٨ .

مروانُ كتب للفرزدق كتاباً إلى واليه بضريّة^(١) ؛ أن يعاقبه إذا جاء ، وقال للفرزدق : إنني قد كتبت لك بمائة دينار ! فلما أخذ الكتاب وانصرف على أنه جائزته ندم مروان ، فكتب إلى الفرزدق :

قُلْ للفرزدق والسّفاهةُ كاسمها
إن كنت تارك ما أمرتكَ فاجلس
ودع المدينة إنَّها مرهوبة
واعمِدْ لِمَكَّةَ أو لبيت المقدس

فقطن الفرزدق وأجابه بهذه الأبيات ، فكان الفرزدق لا يقرب مروان في خلافته ، ولا عبد الملك ، ولا الوليد .

وروي من طريق أخرى : أن مروان تقدّم إلى الفرزدق أن لا يهجو أحداً ، وكتب إليه البيتين ، فأجابه الفرزدق بالأبيات .
وقوله : « فاجلس » أى اذهب إلى الجلس^(٢) ؛ بفتح الجيم وسكون اللام ، وهو نجد . يقال جلس الرجل ، إذا أتى نجداً . والحجاء : العطاء . وجعل الرجاء للناقة وهو يريد نفسه .

وروي ابن السّيد (في شرح أبيات الجمل) هذا الخبر على غير هذا الوجه فقال : إن الفرزدق كان مقيماً بالمدينة ، وكان أزنى الناس ، فقال شعراً يقول فيه :

(١) ضرية : قال ياقوت : قرية عامرة قديمة على وجه الدهر في طريق مكة من البصرة من نجد . ط : « بضرية » تحريف .
(٢) ط : « الجلسة » ، صوابه في ش مع أثر تصحيح .

هما دُلَّتَانِي مِنْ ثَمَانِينَ قَامَةً
 كَمَا انْقَضَ بَارِي أَقْتَمُ الرَّيشِ كَاسْرُهُ (١)
 فَلَمَّا اسْتَوَتْ رِجَالِي فِي الْأَرْضِ قَالَتَا
 أَحْيَى يُرْجَى أَمْ قَتِيلٌ نَحَاذِرُهُ
 فَقُلْتُ : اِرْفَعِ الْأَسْبَابَ لَا يَشْعُرُوا بَنَا
 وَأَقْبَلْتُ فِي أَعْجَازِ لَيْلِ أَبَادِرِهِ
 أَحَاذِرِ بَوَائِبِنِ قَدْ وُكِّلَا بِنَا
 وَأَسْمَرَ مِنْ سَايَ تَصِيلُ مَسَامِرِهِ
 فَعْيَرُهُ جَرِيرٌ بِذَلِكَ فِي شَعْرٍ طَوِيلٍ ، مِنْهُ :
 لَقَدْ وَلَدْتُ أُمُّ الْفَرْزُوقِ فَاجِرًا
 فَجَاءَتْ بَوَزَوَانِي قَصِيرِ الْقَوَائِمِ (٢)
 يُوَصِّلُ حَبْلِيهِ إِذَا جَنَّ لَيْلُهُ
 لِيَرْقَى إِلَى جَارَاتِهِ بِالسَّلَالِمِ (٣)
 تَدَلَّيْتُ تَزْنِي مِنْ ثَمَانِينَ قَامَةً
 وَقَصَّرْتُ عَنْ بَاعِ الْعُلَا وَالْمَكَارِمِ
 هُوَ الرَّجْسُ يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ فَاحْذَرُوا
 مُدَاخِلَ رَجْسِي بِالْخَبَائِثِ عَالِمِ

(١) ديوان الفرزدق ٣٦١ .

(٢) ديوان جرير ٥٥٨ . وبقية الأبيات من قصيدة أخرى في ٥٦٠ مع اختلاف في ترتيب الأبيات .

(٣) ط : « جنبه » ، صوابه من الديوان ومن ش مع أثر تصحيح .

لقد كان إخراج الفرزدق عنهم

طهوراً لما بين المصلّى وواقم^(١)

فاجتمع أشرف المدينة إلى مروان بن الحكم وكان والياً بها ، فقالوا :
ما يصلح أن يقال مثل هذا الشعر بين أزواج النبي ﷺ وقد أوجب عليه
الحّد ! فقال مروان : لست أحده ، ولكن أكتب إلى من يحده . فأمره مروان
بالخروج من المدينة وأجله ثلاثة أيام ، ففى ذلك قال :

تَوَعَّدَنِي وَأَجَلَنِي ثَلَاثًا كَمَا وَعِدْتَ لِمَهْلِكِهَا ثَمُودَ^(٢)

ثم كتب له كتاباً إلى عامله يأمره فيه بأن يحده ويسجنه ، وأوهمه أنّه
كتب له بجائزة . ثم ندم على ما فعل فوجّه عنه رجلاً وقال له : أنشده هذين
البيتين :

* قُلْ لِلْفِرْزْدَقِ وَالسَّقَّاهَةِ كَاسِمَهَا *

ففطن الفرزدق لما أراد ، فرمى الصحيفة وقال الأبيات الثلاثة ، وخرج
هارباً حتى أتى سعيد بن العاصي ، وعنده الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر
رضي الله عنهم ، فأخبرهم الخبر ، فأمر له كلّ واحد منهم بمائة دينار وراحلة ،
وتوجّه إلى البصرة .

وقيل لمروان : أخطأت فيما فعلت ، كأنك عرضت عرضك لشاعرٍ
مُضَرٍّ ! فوجّه وراءه رسوله ومعه مائة دينار وراحلة ، خوفاً من هجائه .

(١) واقم ، بالواو : أطم من أطام المدينة . ط : « راقم » ، صوابه من الديوان ومن ش مع أثر
تصحيح .

(٢) ديوان الفرزدق ١٨٥ .

ولمّا هرب المتلمس إلى ملوك الشام هجأ عمرو بن هند بقصيدة ،
وحرّض قوم طرفة على الطلب بدمه ، أولّها :
إنّ العراقَ وأهله كانوا الهوى

فإذا نأى بى ودّهم فليبعِدْ (١)

إلى أن قال :

إنّ الحَيّانة والمَغالة والخنى

والقَدَر تتركه ببلدة مُفسِد (٢)

ملكٌ يلاعب أمّه وقطيّنّها

ريخو المفاصل ، أيره كالجرودِ

بالباب يرصد كلّ طالب حاجة

فإذا خلا فالمرء غير مستدّ

فبلغ هذا الشعرُ عمراً فحلف إنّ وجده بالعراق ليقتلّه ، وأنّ

لا يطعمه حبّ العراق ! فقال المتلمس من قصيدة (٣) :

آليت حبّ العراق الدهرَ أطعمه

والحبّ يأكله في القرية السُّوسُ

لم تدر بُصرى بما آليت من قسم

ولا دمشق إذا ديسَ الكراديسُ

(١) ديوانه ١٣٥ ص ١٠٠ .

(٢) ديوانه ١٤٦ ص ١٠٠ .

(٣) ديوانه ٩٥ .

والبيت من شواهد سيبويه^(١) على أنَّ نصب حَبٍّ على نزع الخافض ،
أى على حَبِّ العراق . وآلَيْتَ بالخطاب لعمر بن هند ، يقول له : حلفتُ
لا تتركُنِي بالعراق ولا تطعمنِي من حَبِّه ، والحال أن الحَبَّ لا يبقى إن أبقَيْته ،
بل يُسرِع إليه الفساد ويأكله السوس ، فالبخل به قبيح . وهذا على طريق
الاستهزاء به والسخرية .

وُبَصْرَى : مدينة بالشام . يقول : لا تُدْرِ كَثْرَةَ الطعام الذى بُبَصِرَى
وبدمشق . والكراديس : أكّداس الطعام .

ومن شعر المتلمس ، وهو من شواهد البديع :

ولا يقيمُ عَلَى ضَيْمٍ يُرَادُّ به

إِلَّا الْأَدْلَانِ : عَيْرِ الْحَيِّ وَالْوَرْدُ^(٢)

هذا على الخسِفِ مربوطٌ بِرُمَّتِهِ

وَذَا يُشَجُّ فَلَا يَرِثِي لَهُ أَحَدٌ

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السبعون بعد الأربعمئة ، وهو من أبيات
المفصل^(٣) :

٤٧٠ (أَطَلْتُ فِرَاطَهُمْ حَتَّى إِذَا مَا

قَتَلْتُ سَرَائِهِمْ كَانَتْ قَطَاطِ)

على أن (قَطَاطِ) فيه وصف مؤنث بمعنى قاطِطٍ ، أى كافية .

(١) فى كتابه ١ : ١٧ .

(٢) ديوانه ٢٠٨ .

(٣) ابن يعيش ٤ : ٥٨ ، ٦١ واللسان (قَطَط) .

قال الزمخشري (في المفصل) : أى كانت تلك الفعلة كافية لى وقاطة
لثأرى ، أى قاطعة له . أشار إلى أن اسم كان ضمير الفعلة المفهومة من قتلت
سراهم . وقَطَّاط مبنية على الكسر فى محل نصب خبر كان . قال ابن يعيش
(فى شرحه) : وقطاط معدول عن قاطة أى كافية ؛ يقال قَطَّاط بمعنى
حسبى ، من قولهم : قَطَّك درهم ، أى حسبك ، مأخوذاً من القَطِّ وهو
القطع ، كأنَّ الكفاية قَطَّعت عن الاستمرار . انتهى .

وفراطهم ، بكسر الفاء ، أى إمهالى إيتاهم ، فهو مصدر مضاف إلى
المفعول والفاعل محذوف . قال صدر الأفاضل : أى أطلت إمهالهم والتأني
بهم . والصواب « فراطكم » و « سراتكم » بالخطاب كما سيأتى . قال ابن
السرياق (فى شرح أبيات الغريب المصنف) : الفراط هو التقدُّم . يقول :
سبقْتُ إليكم بالتهذُّد والوعيد لتخرجوا من حَقِّي . والسَّراة ، بالفتح ، قال أهل
اللغة قاطبة : هو جمع سرى بمعنى الشريف . ويردُّ عليهم أن فِعِيلاً لا يجمع
على فعلة بالتحريك ، لهذا قال الشارح المحقق (فى شرح الشافية) : الظاهر
أنَّه اسمُ جمع لا جمع .

وذهب السهيلي (فى الروض الأنف) إلى أنَّه مفرد لا جمع ولا اسمُ
جمع ، قال : لا ينبغي أن يقال فى سراة القوم إنَّه جمع سرى ، لا على القياس
ولا على غير القياس ، إنَّما هو مثل كاهل القوم وسنامهم .

والعجب كيف خفى هذا على النحويين حتى قلَّد الخالف منهم
السالف ، فقالوا : سراة جمع سرى . ويا سبحان الله كيف يكون جمعاً له وهم
يقولون جمع سراة سروات ، مثل قطاة وقطوات . يقال : هؤلاء من سروات
الناس كما تقول من رعوسهم .

ولو كان السراة جمعاً ما جُمع ، لأنَّه على وزن الفَعلة ، ومثل هذا البناء

في الجموع لا يجمع ، وإنما سرى فعيل من السرو وهو الشرف ، فإن جمع على لفظه قيل سرى وأسرياء كغنى وأغنياء ، ولكنه قليل وجوده ، وقلة وجوده لا تدفع القياس فيه . وقد حكاها سيبويه . انتهى .

صاحب الشاهد والبيت من أبيات عمرو بن معديكرب الصحاني ، قالها قبل إسلامه ، لبنى مازن من الأزدي ؛ فإنهم كانوا قتلوا أخاه عبد الله فأخذ اللدنية منهم ، فغيرته أخته كبشة بذاك ، فغزاهم وأثخن فيهم ، وقال هذه الأبيات :

(تمننت مازن جهلاً خِلاطى)

أبيات الشاهد

فذاقت مازن طعم الخِلاط^(١)

أطلت فراطكم عاماً فعاماً

ودين المذججى إلى فراط

أطلت فراطكم حتى إذا ما

قتلت سرائكم كانت قطايط

غدرتم غدره وغدرت أخرى

فما إن بيننا أبداً يعايط

بطعن كالخريق إذا التقينا

وضرب المشرفية في العطايط)

الخِلاط : مصدر خالطه مخالطة وخلاطاً . ومازن هو مازن بن زبيد ، وأراد به القبيلة . ودین بالفتح . ومذجج ، بفتح الميم وسكون الذال المعجمة وكسر الحاء المهملة بعدها جيم : قبيلة كبيرة من قبائل اليمن تفرغت منها قبائل

(١) في أمالي القالي ٣ : ١٩١ : « فنوق مازن » .

كثيرة . قال ابن الكلبي (في جمهرة الأنساب) : بنو الحارث بن كعب من مذحج . والتَّحَجُّع من مذحج ، وجنَّب من مذحج ، وصُدَاء من مذحج ، ورُهاء من مذحج ، وسَعَد العشيرة من مذحج ، والبطون المذكورة منها إلى زُييد . ومُرَاد من مذحج ، وعَنَس من مذحج ؛ وطِئٌ من مذحج . ومذحج : اسم امرأة ، وهي بنت ذى مَنَجِشَان (١) ، كانت أُمُّهَا وَلَدَتْهَا عَلَى أَكْمَةٍ يقال لها مَذْحِج ، فَلَقِبَتْ بِهَا .

ويعاط بفتح المثناة التحتية بعدها عين مهملة : كلمة إغراء على الحرب ، أى احمِلوا .

والغَطَاط بضم الغين المعجمة : أول الصبح .

كذا روى أبو علي القالى هذه الأبيات الخمسة (في نوادره) . وقد اختلف في رواية هذا الخبر . قال أبو علي القالى (في ذيل الأمل) : قال : أبو محَلَّم : حدثني (٢) السُّكْرِيُّ قال : حدثنا ابن حبيب قال : قال هشام بن الكلبي : مرَّ عبد الله بن معديكرب براع للمحزَّم (٣) بن سلمة ، من بنى مالك بن مازن بن زُييد ، فاستسقاها لبناً فأنى واعتلَّ عليه ، فشتمه فقتله عبد الله ، فثارت بنو مازن بعبد الله فقتلوه ، فتوانى عمرو في الطلب بدمه ، فأنشأت أخته تقول أبياتاً ، فاحتفى عمرو عند ذلك فتار في قومه بنى عُصَم (٤) ، فأباد بنى مازن ، وقال في ذلك :

(١) هذا ضبطه في اللسان (ذحج) والقاموس (نجش) .

(٢) ط : « وحدثني » .

(٣) في الأمل ٣ : ١٩٠ والأغانى ١٤ : ٣٢ : « للمحزَّم » بالخاء المعجمة ، لكن قيداها البغدادى فيما سيأتى بالخاء المهملة .

(٤) ط : « بنو عصم » ، صوابه في ش .

« تمنى مازن جهلاً خلاطى »

إلى آخر الأبيات الثلاثة الأول . ولم ينشد البيتين الأخيرين ^(١) .

وروى أيضاً (فى نوادره) أن الأصمعى قال : كان بين عمرو بن معديكرب وبين رجل من مراد يقال له أبى كلام ، فتنازعا فى القسم ، فعجل عمرو وكانت فيه عجلة ، وكان عبد الله أخو عمرو رئيس قومه ، فجلس مع بنى مازن رهط من سعد العشيرة ، وكانوا فيهم ، فقعد عبد الله يشرب ، ويسقيهم رجل يقال له المخزّم ^(٢) من بنى زبيد ، له مال وشرف . وكان عبد من عبيد المخزّم قائماً يسقى القوم ، فسبه عبد الله فضربه ، فقام رجل نشوان من بنى مازن فقتل عبد الله . فرأس عمرو بعد أخيه ، وكان غزاة غزوة فأصاب فيها ومعه أبى المرادى ، فادعى أنه كان مسانداً عمرو ، فأبى عمرو أن يعطيه ، فلما رجع عمرو من غزاته جاءت بنو مازن فقالوا : قتله رجل منا سفيه ، ونحن يدك عليه وعضدك ، وإنما قتله وهو سكران ، فنسألك بالرحم أن تأخذ الدية وتأخذ بعد ذلك ما أحببت ! فأخذ عمرو الدية وزادوه بعد ذلك أشياء كثيرة ، فغضبت أخت له تسمى كبشة ، وكانت ناكحاً فى بنى الحارث بن كعب ، فقالت :

أرسل عبد الله إذ حان يومه

إلى قومه أن لا تحلوا لهم دمي ^(٣)

(١) لم يرد الخبر على هذا الوجه فى الأمالى ، كما أن الأبيات الطائفة مروية فيها كلها .

(٢) انظر ما سبق فى حواشى ٣٥١ فيما يخص هذا العلم .

(٣) وكذا فى الحماسة بشرح المروزقى ٢١٧ ، بالخزم ، وفى الأمالى ومعجم البلدان (صعدة) : « وأرسل عبد الله » .

ولا تأخذوا منهم إفالاً وأبكرًا
 وأترك في بيت بصعْدَة مُظْلِم
 ودَغ عنك عَمراً إنَّ عَمراً مسالِّم
 وهل بَطْنُ عمرو غيرُ شبرٍ لمَطْعِم
 فإن أنتم لم تقتلوا وأتديتُمُو
 فَمَشُوا بِأَذَانِ النَّعَامِ المَصْلَمِ
 ولا تشربوا إلَّا فُضُولَ نَسَائِكُم
 إذا أنهلْت أعقابهنَّ من الدَّمِ (١)
 جَدَعْتُم بعبد الله سيِّدَ قَوْمِهِ
 بنى مازن أن سُبَّ ساقِ المَحْزَمِ (٢)
 فلما حَضَّتْ كبشة أخاها عَمراً أَكَبَّ بالغارة عليهم وهم غارُونَ ،
 فأوجعَ فيهم . ثم إن بنى مازن احتملوا فنزلوا في مازن بن مالك بن عمرو بن تميم
 فقال عمرو في ذلك :
 * تَمَنَّتْ مازنُ جهلاً خِلَاطِي (٣) *

الآيَاتُ الستة .
 والمَحْزَمُ ، بتشديد الزاءِ المفتوحة والحاء قبلها مهملة . والمساندة :
 المعاوضة . وخرج القومُ متساندين ، أى على رايَاتٍ شَتَّى ، أى ولم يكونوا
 تحتَ راية أمير واحد (٤) .
 وقولها : « أرسل عبد الله » أورد أبو تمام هذه الآيات إلا البيت الأخير

(١) في الحماسة ومعجم البلدان : « ولا تردوا » و « إذا ارتقلت » .

(٢) في الأمل : « المحزَم » .

(٣) ط : « فراطى » صوابه في ش .

(٤) كلمة « تحت » ساقطة من ش .

(في الحماسة) : قال التبريزي : إنما تكلّمتُ به على أنه إخبار عمّا فعله عبد الله ورضيها تحضيضهم على إدراك الثأر . وقولها : أن لا تخلّوا من التخلية . وهذه رواية القالي . ورواية الحماسة : « لا تعقلوا لهم دمي » . يقال عقلتُ ٧٨ فلاناً ، إذا أعطيت ديتة . والمراد : لا تأخذوا بدل دمي عقلاً . ورواه ابن الأعرابي : « أن لا يُغْلُوا لهم دمي » بالمشناة التحتيّة والغين المعجمة ، وقال : الإغلال عند العرب : ترك القَصَّاب بعضَ اللحم في الإهاب . والغلول : الخيانة في المغنم . والإفال : جمع أفيل ، وهو الصَّغير من الإبل ، وكذا الأَبْكَر ، وهو جمع بكر . قال التبريزي : فإن قيل : لم ذكر الإفال والأبكر ، وما يؤدّي في الديات لا يكون منهما ؟ قلت : أراد تحقير الديات ، كما يقال في تحقير نحو خلعة : أعطى فلان خرقاً ، وإن كانت فاخرة .

وقولها : « وأترك في بيت » إلخ ، صَعْدَة : مِخْلَافٌ من مخاليف اليمن ، أى ناحية منها . وإنما جعلت قبره مُظْلِماً لأنهم كانوا يزعمون أن المقتول إذا ثأروا به أضاء قبره ، فإن أُهْدِرَ دمه أو قبلت ديتة يبقى قبره مظلماً .
وقولها : « وهل بطن عمرو » إلخ تهديد في الدية ، كما روى في الخبر : « هل بطن ابن آدم إلا شبر في شبر » ، لما أريد تهديده في الدنيا .
وقولها : « اتّديتمو » أى قبلتمو الدية ، وهو افتعلتم ، يقال وديته فاتّدى .

وقولها : « فمَشُوا » إلخ أى امشوا . وضعف الفعل للتكثير . ومن روى بضم الميم فمعناه امسحوا بالمشوش بفتح الميم ، وهو منديل يُمسح به الدّسم . والمعنى إن لم تقتلوا قاتلي وقبلتم ديتي فامشوا أذلاءً بأذان مجذعة كأذان النعام . ووصف النعام بالمصلّم تصغيراً لها ، وإن كانت خلقة . يقول :

كأنكم مما تعيرون ليست لكم آذان تسمعون بها ، فامشوا بغير آذان .
واختلف في النعام فقليل إنها كلها صُلْم ، وقيل غير ذلك .

وقولها : « ولا تشربوا إلا فضول » إلخ رواه أبو تمام : « ولا تردوا » ،
و « إذا ارتملت » . قال التبريزي : يقال تَرْمَل وارتمل ، إذا تَلَطَّحَ بالدم ، فكان
من عادتهم إذا وردوا المياه أن يَتَقَدَّم الرجال ثم الرعاة ثم النساء ، فكنَّ يغسلن
أنفسهنَّ وثيابهنَّ ويتطهرنَّ ، آمناات مما يُزعجهنَّ ، فمن تأخَّر عن الماء حتى
يصُدِّر النساء فهو الغاية في الذل . وجعلت النساء مرتملات بدم الحيض
تفضيلاً للشَّان .

وقال التَّمَرِيُّ : قال أبو رياش : تقول : إذا قبلتم الدية فلا تأنفوا بعدها
من شيء كما تأنف العرب ، واغشوا نساءكم وهي حِيض . والفضول : بقايا
الحيض . وسمَّى الغُشيَّانَ ورداً مجازاً . وقال أبو محمد الأعرابي : معناه لا تردوا
المواسم بعد أخذ الدية إلا وأعراضكم دنسة من العار ، كأنكم نساء حِيض .
وهذا كما قال جرير :

لا تذكروا حُلَّ الملوك فإنكم

بعد الزَّيْرِ كحائض لم تَغْسِل (١)

وقال ابنُ الأعرابي بعد إيراده هذه الأبيات : إن المحزَّم (٢) بن سلمة
أحد بني مازن بن زبيد قتل عبد الله بن معديكرب أخا عمرو ، وكان عبد الله
لطم عبداً للمحزَّم على شراب ، فجاءت بنو مازن إلى عبد الله فقتلوه ورأسوا

(١) البيت لم يرد في ديوانه .

(٢) جعلها الشنقيطي هي وتالياتها : « المحزَّم » بالخاء المعجمة . ولكن قيدها البغدادى بالخاء
المهملة فيما سبق .

عليهم عمرو بن معديكرب ، فلما حضت عمراً أكبَّ على بني مازن بقتلهم ^(١) وهم غارون ^(٢) فيقال إنهم احتملوا فنزلوا في بني مازن بن عمرو ، فهُم فيهم . وأنفذ عمرو ابن أخ له وأعطاه الصمصامة ، وقال : اقتل بها المحزَّم . فمضى فقتل المحزَّم وابن أخ له ، ثم انصرف إلى عمرو فقال له : ما صنعت ؟ قال : قتلت المحزَّم وابن أخيه ! فقال عمرو : كيف أصنع ببني مازن وقد ٧٩ قتلت سيدها ؟! فقال الغلام : أعطيتني الصمصامة ، وسميتني المقدام ثم أقتل واحداً فما خبري إذن ؟ قال : فرحل عمرو في أربعين من بني زبيد فصار في جَرَم ، حتى جاء الإسلام وهاجر . اهـ .

وروى هذا الخبر مفصلاً الأصفهاني (في الأغاني) قال : كان عبد الله ابن معديكرب رئيس زبيد ، فجلس مع بني مازن فشرب ، فتغنى عنده حبشي وهو عبد للمحزَّم ^(٣) أحد بني مازن ، فشَبَّ بامرأة من بني زبيد ، فلطمه عبد الله وقال : أما كفاك أن تشرب معنا حتى تشبَّ بالنساء ! فنادى الحبشي : يا لَمَازن ! فقاموا إلى عبد الله فقتلوه ، فرؤس ^(٤) عمرو مكان أخيه . وكان عمرو غزا هو وأبى المرادي ، فأصابوا غنائم ، فادَّعى أنَّه كان مُسانداً ، فأبى عمرو أن يعطيه شيئاً ، فكرة أبى أن يكون بينهم شر ، لحدائثة قتل أخيه ، فأمسك عنه . وبلغ عمراً أنَّه توَّعده ، فقال في ذلك قصيدة منها :

تَمَنَّا لِيَقْتَلَنِي أُبَيٌّ وَدِدْتُ وَأَيْنَا مَنِي وَدَادِي

(١) وفيما سيأتى : « بالقتل » .

(٢) غارون : غافلون . ط : « عارون » ، صوابه في ش مع أثر تصحيح وضبط الرء بالشدة . وقد سبق على هذا الوجه في ص ٣٥٧ .

(٣) في ش والأغاني ١٤ : ٣٢ : « للمخزم » بالخاء المعجمة .

(٤) كذا في ش والأغاني . وفي ط : « فرأس » .

فلو لاقيتني للقيت قرناً وصرح شحم قلبك عن سواد
إذن للقيت عمك غير نكس ولا متعلم قتل الواحد^(١)
أريد جباؤه ويريد قتلى عذيرك من خليلك من مراد^(٢)

وكان علي بن أبي طالب إذا نظر إلى ابن ملجم أنشد :

أريد جباؤه ويريد قتلى البيت

وجاءت بنو مازن إلى عمرو فقالوا : إن أخاك قتل رجل منّا سفيه وهو
سكران ، ونحن يدك وعضدك ، فنسألك بالرحم إلا أخذت منا الدية
ما أحببت ! فهم عمرو بذلك وقال :

« إحدى يدي أصابتنى ولم ترد^(٣) »

فبلغ ذلك أختاً لعمرو يقال لها كبشة ، وكانت ناكحة في بني الحارث
ابن كعب ، فغضبت ، فلما وافى الناس من الموسم قالت شعراً . وأنشد
الآبيات الستة . فقال عمرو قصيدة منها :

أرقت وأمسيث لا أرقد وساورني الموجع الأسود
وبت لذكرى بني مازن كأنتي مرتفق أريد^(٤)

(١) في الأغاني : « ولا متعلما » . في الأصل : « قتل » ، وفي الأغاني « قبل » .

(٢) انظر تحقيق البيت في حواشي نسختي من سيبويه ١ : ٢٧٦ . ويروى : « أريد حياته » .

(٣) وكذا ورد في الأغاني ١٤ : ٣٣ على أنه نثر . وإنما هو عجز بيت هو أول حماسية رواها
أبو تمام ٢٠٧ لأعرابي قتل أخوه ابنا له فقدم إليه ليقناده منه ، فألقى السيف وهو يقول :

أقول للنفس تأساء وتعزية إحدى يدي أصابتنى ولم ترد
كلاهما خلف من فقد صاحبه هذا أخي حين أدعوه وذا ولدي

(٤) في الأغاني : « أريد » .

ثم أكبَّ عمرو على بنى مازن فقتلهم ، وقال فى ذلك :
 تُحذوا حَقَقًا مَخْطَمَةً صَفَايَا وَكَيْدَى يَا مَحْزَمَ مَا أَكِيدُ (١)
 قَتَلْتُمْ سَادِقَى وَتَرَكْتُمُونِى عَلَى أَكْتَا فِكُمْ عَبَاءَ جَدِيدُ (٢)

فأرادت بنو مازن ، أن يرُدُّوا عليهم الديةَ لما آذَنَهم بحرب ، فأبى عمرو . وكانت بنو مازن من أعداء مذحج ، وكان عبد الله أخا كبشة لأبيها وأُمِّها دونَ عمرو ، وكان عمرو يهْمُ بالكفِّ عنهم حتَّى قتل من قتل منهم ، فركبَتْ كبشةُ فى نساءٍ من قومها وتركتَ عمراً أخاها وعيرته فأفحمته ، فأكبَّ عليهم أيضاً بالقتل ، فلما أكثرَ فيهم القتل تفرقوا ، فلحقَّت بنو مازن بصاحبهم مازن بن تميم ، ولحقَّت ناشرةُ بنى أسد ، ولحقَّت فالج بسُلَيْم بن منصور . وفالج وناشرة ابنا أُمِّ مازن بن مازن بن ربيعة بن مُنَبِّه بن صَعْب بن سعد العشيرة . فقال كابية (٣) بن حُرْقُوص بن مازن (٤) :

يا ليتنى ياليتنى بالبلدة
 رُدَّتْ عَلَى نَجُومِهَا فَارْتَدَّتْ
 مَنْ كَانَ أَسْرَعَ فى تَفَرُّقِ فَالَجٍ
 فَلَبِوْهُ جَرِيَتْ مَعَا وَأَعْدَّتْ (٥)
 هَلَّا كَنَاشِرَةَ الذى ضَيَّعْتُمْ
 كَالْعُصْنِ فى غُلُوءِهِ الْمَتَنَّبِ

٨٠

(١) فى الأغاني : (يا محزم) . والحقق : جمع حقة بالكسر ، وهى من الإبل : ما دخل فى الرابعة ، تؤخذ فى الصدقات والديات . وفى الأصل والأغاني : « حقان » ، ولا يستقيم بها الوزن ولا المعنى .

(٢) ما بعد هذا من سائر الخبر لم يرد فى الأغاني .

(٣) ط : « كابية » صوابه فى ش مع أثر تصحيح . وانظر حواشى الحيوان ٦ : ٤٥٥ .

(٤) فى سيبويه ١ : ٣٦٨ نسبة الشعر إلى عنز بن دجاجة .

(٥) ط : « جذبت معا » ش : « جذبت معا » ، صوابها ما أثبت من سيبويه .

وقال عمرو فى ذلك :

* تَمَنَّتْ مَازَنٌ جَهْلًا خِلَاطِي *
 الأبيات السابقة إِلَّا البيت الأخير .

وتقدّمت ترجمة عمرو بن معديكرب فى الشاهد الرابع والخمسين بعد المائة (١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والسبعون بعد الأربعمئة ، وهو من شواهد س (٢) :

٤٧١ (والخيل تعدو فى الصَّعِيدِ بَدَادِ)

على أن (بداد) وصف مؤنث معدول عن متبذدة أى متفرقة ، فهو حال .

وهذا مخالف لقول سيبويه ، فإنه أنشده على أن بداد فيه معدول عن مصدر مؤنث لا عن وصف . قال : هذا بمنزلة قوله تعدو بدداً (٣) . فيكون المصدر مؤولا بالحال .

قال الأعلم : الشاهد فيه قوله بَدَادِ ، وهو اسم للتبذد ، معدول عن مؤنث ، كآته سمى التبذد بَدَّةً ثم عدلها إلى بداد ، كما سمى البر : بَرَّةً . انتهى .

وصنيع الشارح أحسن ، فإن الحال نادر وقوعها معرفة .
 ويأتى بداد اسم فعل أمر أيضا . وأورده الزمخشري فى فعال الأمرى ، قال :

(١) الخزائن ٢ : ٤٤٤ .

(٢) فى كتابه ٢ : ٣٩ . وانظر مجالس ثعلب ٥٢٧ والمقتضب ٣ : ٣٧١ وأمالى ابن الشجرى

٢ : ١١٣ وابن يعيش ٤ : ٥٤ والجمع ١ : ٢٩ والأشعرى ٣ : ٢٧١ واللسان (بدد ، حلق) وديوان حسان ١٠٨ والناطقة الجعدى ٢٤١ .

(٣) فى الأصل : « بدادا » ، صوابه من سيبويه .

وبداد ، أى ليأخذ كل منكم قرنه . ويقال أيضا : جاءت الخيل بداد ؛ أى متبذدة . فهى مشتركة بين الأمر والمصدر .

قال فى الصحاح : قولهم فى الحرب : يا قوم بداد بداد ، أى ليأخذ كل رجل قرنه . يقال منه تباد القوم يتبادون ، إذا أخذوا أقرانهم . وبنى لأنه واقع موقع الأمر . ويقال أيضا لقوا بدادهم ^(١) ، أى أعدادهم ، لكل رجل رجل . والبداد ، بالفتح : البراز . يقال : لو كان البداد ما أطاقونا ، أى لو بارزناهم رجل ورجل . وقولهم : جاءت الخيل بداد ، أى متبذدة . وبنى أيضا على الكسر لأنه معدول عن المصدر ، وهو البدد . قال :

« والخيل تعدو فى الصعيد بداد »

وتفرق القوم بداد ، أى متبذدة . قال حسان :

كُنَّا ثمانية وكانوا جحفلاً

لجبا فشلوا بالرماح بداد ^(٢)

وإنما بنى للعدل والتأنيث والصفة . انتهى .

فبداد على هذا ثلاثة أقسام . وهو تابع فى صنيعة . وكذلك تبعه ابن الشجرى (فى أماليه) فإنه أورد البيت فى قسم المصدر وقال : أراد بددا . والبيت من أبيات لعوف بن الخريع ^(٣) التيمى ، يرد على لقيط بن

(١) وكذا فى القاموس . وفى اللسان : « أبداهم » .

(٢) ديوان حسان ١٠٨ .

(٣) ط : « الجزع » ، صوابه فى ش ، وسيأتى فى نهاية الشاهد ضبطه .

زُرارة ، فإنه كان هجا عدوياً وتيمماً ، وعيَّره عَوْفٌ بِفِراره عن أخيه معبد لَمَّا أُسِر . وقبله :

(هَلَّا كَرَرْتُ عَلَى ابْنِ أُمِّكَ مَعْبِدَ)

والعامرُ يَقوده بِصِفَادٍ

وذكرت من لين المخلِّقِ شَرِبَةً

والخيلُ تعدو بالصعيدِ بِدَادٍ)

في الأغاني (١) بسنده أنَّ الحارث بن ظالم المرى لَمَّا قتل خالد بن جعفر ابن كلاب غدراً ، عند الثَّعْمان بن المنذر بالحيرة ، فأقَى زُرارةَ بن عُدَس فكان عنده ، فلم يزل في بني تميم عند زُرارة حتَّى لحق بقريش . فخرجت بنو عامر إلى الحارث بن ظالم حيث لجأ إلى زُرارة ، فسارت بنو عامر نحوهم ، والتَّقُوا بِرَحْرَحَانَ ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وأسر يومئذ معبدُ بن زُرارة ، أسره عامر بن مالك ، واشترك في أسره طُفَيْلٌ ورجل من غنًى يقال له أَبُو عُمَيْلَةَ ، وهو عَصَمَةُ بن وهب ، وكان أخا ابن مالك من الرُّضَاع ، وكان معبد بن زُرارة كثيرَ المال ، فَوَقَدَ لقيط بن زُرارة على عامر بن مالك في الشَّهْرِ الحرامِ رَجَب ، فسأل عامراً أن يطلق أخاه ، فقال عامر : أَمَّا حِصَّتِي فَقَدْ وَهَبْتُهَا لَكَ ، ولكن أرضي أخى وحليفى اللذين اشتركا فيه . فجعل لقيطُ لكل واحدٍ مائةً من الإبل ، فريضاً وأثيماً عامراً فأخبراه ، فقال عامرٌ للقيط : دَوِّنْكَ أَخَاكَ ، فأطلق عنه . فلمَّا أطلقه فَكَّرَ في نفسه لقيط وقال : أعطيتهم مائتين من الإبل (٢) وتكون

(١) الخبر هنا باختصار من الأغاني ١٠ : ٣٠ - ٣٢ .

(٢) في ش والأغاني : « مائة » ، وإنما هما مائتان كما في ط .

النَّعْمَةُ لَهُمْ ^(١) ؟ لا والله لأفعل ذلك ! ورجع إلى عامر فقال : إنَّ أبنَى زُرارة نهانا أن نزيد على دية مَضْرٍ وهى مائة ، إنَّ أنتم رضيتم أعطيتكم مائة من الإبل . فقالوا : لا حاجة لنا فى ذلك . فانصرف لقيط ، فقال له معبد : مالى يُخرجنى من أيديهم . فأبى ذلك عليه لقيط ، وقال معبد لعامر : يا عامر أنشدك الله لَمَّا خَلَّيْتَ سَبِيلَ ، فإنما يريدُ ابنُ الحمراء أن يأكل مالى ^(٢) ! ولم تكن أمُّه أمَّ لقيط . فقال عامر : أبعدَكَ اللهُ ، إن لم يشفقْ عليك أخوك فأنا أحقُّ أن لا أشفقَ عليك . فعمدوا إلى معبد فذبحوا شاةً فألبسوه جلدَها حارًّا وشدُّوا عليه القِدَّ ، وبعثوا به إلى الطائف ، فلم يزل بها حتَّى مات . فقال فى ذلك عوفُ بن عطية بن الخَرع :

* هَلَّا كَرَرْتُ عَلَى ابْنِ أُمَّكَ * البيتين

والكُرُّ هنا : الرجوع فى حومة الحرب لاستخلاص أخيه من الحرب .
واتفقت جميع الروايات على قوله (ابن أُمَّكَ) مع أنَّهما من أُمَيْن . قال ابن حبيب (فى شرح النقائص) : ليست أمُّهما واحدةً ، ولكن أمُّهما أمَّهات ^(٣) فجمعهما .

ورواه ابن السيد (فيما كتبه على كامل المبرِّد) : (على أُخَيْكَ معبد) .

وقال أبو محمد الأعرابى الأسود (فى ضالَّة الأديب) : قد غلط ابنُ الأعرابى من وجهين : أحدهما أنَّ الشعر لعوف بن الخَرع ، وهو قد نسبته إلى ابن كراع .

(١) فى الأغاني : « ثم تكون لهم النعمة على بعد ذلك » .

(٢) فى الأغاني : « كل مالى » . والحمراء : الرومية أو الفارسية .

(٣) ش : « لهما أمهات » .

والثانى : أَنَّهُ قَالَ : (عَلَى ابْنِ أُمِّكَ) وَإِنَّمَا الرِّوَايَةُ : (عَلَى أُخْتِكَ)
بِالتَّصْغِيرِ ، لِأَنَّ مَعْبِدًا لَمْ يَكُنْ لَأُمِّ لَقِيْطٍ .

وقوله : (وَالْعَامِرَى يَقُودُهُ) إِذْ لُغِ جُمْلَةٌ حَالٍ مِنَ التَّاءِ فِي كَرَرَتْ .
وَالصَّفَادُ بِالْكَسْرِ : جَمْعُ صَفَدٍ بِفَتْحَتَيْنِ ، وَهُوَ الْقَيْدُ .

وقوله : (وَذَكَرْتُ مِنْ لَبْنٍ) إِذْ لُغِ الْجُمْلَةُ مَعْطُوفَةٌ عَلَى هَلَاءُ كَرَرْتُ .
وَالْحَلَقُ بِتَشْدِيدِ اللَّامِ الْمَفْتُوحَةِ ، قَالَ صَاحِبُ النِّقَاطِضِ : الْحَلَقُ سَمَةٌ إِبِلِ بَنَى
زُرَّارَةَ .

وقال ابن السيد (فِيمَا كَتَبَهُ عَلَى الْكَامِلِ) : الْحَلَقُ : إِبِلٌ مُوسُومَةٌ
بِالْحَلَقِ عَلَى وَجْهِهَا . وَقَالَ ابْنُ الشَّجَرِيِّ (فِي أَمَالِيهِ) : أَى مِنْ لَبْنِ التَّعْمِ
الَّذِى عَلَيْهِ وَسُومٌ كَأَمْثَالِ الْحَلَقِ .

وقوله : (وَالْخَيْلُ تَعْدُو) الْجُمْلَةُ حَالٌ مِنْ تَاءِ الْمُخَاطَبِ فِي ذَكَرْتُ .
وَالصَّعِيدُ : وَجْهُ الْأَرْضِ . وَرَوَى بَدَلُهُ : (بِالصَّفَاحِ) بِالْكَسْرِ . قَالَ ابْنُ
السَّيِّدِ : وَهُوَ مَوْضِعٌ .

قال الأَعْلَمُ : يَقُولُ هَذَا لِلْقَيْطِ بْنِ زُرَّارَةَ التَّمِيمِ ، وَكَانَ قَدْ انْهَزَمَ فِي
حَرْبٍ أُسِرَ فِيهَا أَخُوهُ مَعْبِدُ بْنُ زُرَّارَةَ ، فَغَيَّرَهُ وَنَسَبَ إِلَيْهِ الْحَرَصَ عَلَى الطَّعَامِ
وَالشَّرَابِ ، وَأَنَّ ذَلِكَ حَمَلَهُ عَلَى الْانْهِزَامِ ، وَأَرَادَ بِالْحَلَقِ قَطِيعَ إِبِلٍ وَسُمَ بِمِثْلِ
الْحَلَقِ مِنْ وَسْمِ النَّارِ . انْتَهَى .

قال ابن قتيبة (فِي أَبْيَاتِ الْمَعَانِي) : قَالَ مَقَّاسُ الْعَائِذِي :

تَذَكَّرْتُ الْحَيْلَ الشَّعِيرَ عَشِيَّةَ

وَكُنَّا أَنَاسًا يَعْلفُونَ الْأَيَاصِرَا

أى ذَكَرْتُمْ ^(١) الْحَبَّ وَالْقُرَى فَانْهَزْتُمْ وَرَجَعْتُمْ إِلَيْهَا ، وَنَحْنُ نَعْلِفُ الْحَشِيشَ ، فَنَحْنُ نَسِيرُ لَا نَنْهَزُ وَلَا نَبَالِي أَيْنَ كُنَّا .

وَنَحْوُ مِنْهُ قَوْلُ عَوْفِ بْنِ عَطِيَّةِ بْنِ الْخَرَجِ لِلْقَيْطِ بْنِ زُرَّارَةَ :

هَلَّا كَرَرْتَ عَلَى ابْنِ أَمْلَكٍ الْبَيْتَيْنِ

وَالْمَخْلَقِ : لِإِبْلِ سَمَاتِهَا الْحَلَقِ . وَبَدَادَ : مَتَفَرِّقَةً . انْتَهَى

وَالْأَيَّاصِرَ : جَمَعَ أَيَّاصَرَ ، وَهُوَ الْحَشِيشُ .

٨٢

وَهَذِهِ الْوَقْعَةُ يُقَالُ لَهَا يَوْمُ رَحْرَحَانَ ، بِرَأْيَيْنِ وَحَاءَيْنِ مُهْمَلَاتٍ ، وَهُوَ

جَبَلٌ قَرِبَ عَكَاظٍ .

وَقَدْ شَرَحَ خَبَرَ هَذَا الْيَوْمِ شَارْحُ الْمُنَاقِضَاتِ شَرْحاً مُفَصَّلاً قَالَ :

قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : حَدَّثَنِي أَبُو الْوَيْثِقِ ، أَحَدُ بَنِي سُلَيْمَى بْنِ مَالِكِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ كِلَابٍ قَالَ : لَمَّا التَّحَفَ بَنُو دَارِمٍ عَلَى الْحَارِثِ بْنِ ظَالِمٍ لَمَّا قَتَلَ خَالِدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ كِلَابٍ ، وَأَيُّ بَنِي دَارِمٍ أَنْ يَسْلِمُوهُ أَوْ يُخْرِجُوهُ مِنْ عِنْدِهِمْ ، غَزَاهُمْ رِبِيعَةُ بْنُ الْأَحْوَصِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ كِلَابٍ ، بِأَفْنَاءِ عَامِرٍ ، طَالِباً بِدَمِ أَخِيهِ خَالِدِ بْنِ جَعْفَرٍ عِنْدَ الْحَارِثِ بْنِ ظَالِمٍ ، فَقَاتَلَ فِي الْقَوْمِ فَهَزَمَتْ بَنُو دَارِمٍ وَهَرَبَ مَعْبِدُ بْنُ زُرَّارَةَ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ غَنَى لِعَامِرٍ وَالْطَفِيلِ ابْنِ مَالِكِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ كِلَابٍ : هَذَا رَجُلٌ مُعْلِمٌ بِعِمَامَةِ حِمْرَاءَ ، فِي رَأْسِهِ جَرَحٌ ، رَأْيْتَهُ يَسْنِدُ ^(٢) فِي الْهَضْبَةِ - أَيْ يَصْعَدُ - وَكَانَ مَعْبِدٌ قَدْ طُعِنَ فَصُرِعَ ، فَلَمَّا أَجَلَّتْ عَنْهُ الْحَيْلُ سَنَدَ فِي هَضْبَةٍ مِنْ رَحْرَحَانَ ، وَهُوَ جَبَلٌ ، فَقَالَ عَامِرُ وَأَخُوهُ الطَفِيلُ لِلْغَنَوِيِّ : اسْنِدْ وَاحِدَرُهُ . فَسَنَدَ الْغَنَوِيُّ فَحَدَرَهُ عَلَيْهِمَا ، فَإِذَا هُوَ مَعْبِدُ بْنُ زُرَّارَةَ . فَأَعْطَا الْغَنَوِيُّ عَشْرِينَ بَكْرَةً وَصَارَ أَسِيرَهُمَا .

(١) ط : « تَذَكَّرْتُمْ » ، صَوَابُهُ فِي شِ وَالْمَعَانِي الْكَبِيرِ ١٠٤ .

(٢) ش : « يَسْتَنْدِي » ، صَوَابُهُ فِي طِ وَالنَّقَائِضِ ٢٢٨ .

وأما درواس ، أحد بنى زرارة ، فزعم أن معبدا كان يَرْحَرَحان متنعيا عن قومه فى عُشراوات له ، فأخبر الأخص بمكانه فاعْتَرَهُ ، فوفد لقيط بن زرارة عليهم فى فداء أخيه ، فقال : لكم عندى مائتا بعير . فقالوا : إِنَّكَ يا أبا نهشل سيدُ الناس ، وأخوك معبد سيد مضر ، فلا نقبل فداءً منك إلا دية مالك . فأبى أن يزيدهم ، وقال : إن أبانا أوصانا ^(١) أن لا نزيد بأسير مئتا على مائتى بعير فيحبُّ الناسُ أَخَدَنَا . فقال معبد : والله لقد كنتُ أبغض أخوتى إلى وفادةٍ على ، لا تدعنى وملك يا لقيط ، فوالله إنَّ عدَّة نَعَمى لأكثر من ألف بعير ^(٢) ، فافدنى بألف بعير من مالى ! فأبى لقيط وقال : تصير سنَّة علينا . فقال معبد : وملك يا لقيط ، لا تدعنى فلا ترانى بعد اليوم أبداً ! فأبى ومناه أن يغزوهم ويستنقذه ، ورحل عن القوم ، فما سَقَوْا معبداً الماء حتى هلك هُزْلاً . وقال أبو الوثيق : لما أبى لقيط أن يتفادى معبداً بألف بعير ظنُّوا أنه سيغزوه ، فقالوا : ضَعُوا معبداً فى حصن هَوازَن . فحملوه حتى وضعوه بالطائف ، فجعلوا إذا سَقَوْه قراه لم يشرب وضَمَّ بين قُفْميه وقال : لا أقبل قراكم وأنا فى القِدِّ أسيركم ! فلما رأوا ذلك عمدوا إلى عُودٍ فأولجوه فيه وفتحوا فاه ، ثم أوجروه اللبَنَ رَغَبَةً فى فدائه ؛ وكراهية أن يهلك . فلم يزل كذلك حتى هلك فى القِدِّ .

فلما هجا لقيطُ عدداً وثيماً قال عطيةُ بن عَوف التيمى يُعَيِّره أسَرَ بنى عامر معبداً ، وفراره عنه :

(١) فى النقائض : « ان أبانا كان أوصانا »

(٢) فى النقائض : « ان عُيْب نَعَمى من المنح والفقر لأكثر من ألف بعير » . الغيب : جمع غائب . والفقر : جمع فقرى ، وهى الناقة أو البعير يعار ظهره للركوب .

(٢٤ خزنة الأدب ج ٦)

هلاً كررت على ابن أُمّك معبد البيتتين

فلما انقضت وقعه يوم رَحْرَحان جمع لقيطُ بن زُرارة لبنى عامر ، وأُلب عليهم . وبين يوم رَحْرَحان ويوم جَبَلَة سنة ، وكان يومُ جَبَلَة قبل الإسلام بخمس وأربعين سنة في قول المكثّر ، وذلك عامٌ ولد النبي ﷺ . وفي قول المقلّل : أربعين سنة . انتهى باختصار .

وعوف بن الخرع التيمي شاعر جاهلي ، وهو عوف بن عطية بن الخرع ، واسم الخرع عمرو ، بن عيش بن وَرَيْقَة ^(١) بن عبد الله بن لؤي بن عمرو بن الحارث بن تميم بن عبد مناة بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان . كذا في جمهرة الأنساب .

فالخرع لقب جدّه ، وهو بفتح الخاء المعجمة وكسر الراء ، بعدها عين . وله ديوانٌ صغير ، وهو عندي . ٨٣

* * *

وأنشده بعده ، وهو الشاهد الثاني والسبعون بعد الأربعمائة ^(٢) :

٤٧٢ (قد كنتُ أحسبُكم أسودَ خَفِيّة

فإذا لَصَافٍ ، تَبَيّضُ فيه الحُمْرُ)

على أن (فعَالٍ) في الأعلام الشخصية جميع ألفاظها مؤنثة . وأما لَصَافٍ هنا فإنما ذكّره بإرجاع الضمير عليه من فيه ، لتأويله بالموضع ، وهو منزلٌ من منازل بني تميم . وروى أيضا « فيها » بتأنيث الضمير ، فلا إشكال حينئذ .

(١) في معجم المرزباني ٢٧٦ : « عمرو بن عبس بن وديعة » .

(٢) إصلاح المنطق ١٧٨ وأمالى القال ٢ : ٢٣٦ والسمط ٨٥٩ وابن يعيش ٤ : ٦٣ .

أقول : الذى رواه : « فيه » بضمير المذكر هو صاحب الصحاح والعياب . والذى رواه : « فيها » بضمير المؤنث جماعة كثيرة ، منهم ابن السكيت (فى إصلاح المنطق) ، والقالى (فى أماليه) ، وأبو محمد الأعرابى (فى ضالة الأديب) ، وأبو العلاء المعرى (فى شرح ديوان البحتري) ، وأبو عبيد البكرى (فى معجم ما استعجم) .

قال ابن دريد (فى الجمهرة) بعد إنشاده البيت : يخرج لَصَافٌ مخرج المؤنث فتقول : هذه لَصَافٌ ، ورأيت لَصَافً ، ومررت بلَصَافٍ ، فهو لا ينصرف . وكان أبو عبيدة يقول : هذا لَصَافٍ ، مبنئ على الكسر ، أخرجه مخرج حَذَامٍ وقَطَامٍ . وإن رفعت فجيّد ، وإن نصبت فجائز . انتهى .

قال الصاغاني (فى كتاب فَعَال ^(١)) : وبعضهم يُجرّيه مجرى ما ينصرف . وقد صرفه الشاعر فى قوله :

« إِنَّ لَصَافاً لَا لَصَافٍ فَاصْبِرِ ^(٢) » البيت

ولصاف باللام والصاد المهملة : اسم ماءٍ فى موضع بين مكة والبصرة لبنى يربوع ، من قبيلة تميم .

قال أبو عبيد (فى المعجم) : قال الأثرم : لصاف ماء لبنى يربوع ؛

(١) نشره وحققه عزة حسن بدمشق ١٣٨٣ باسم « ما بنته العرب على فعال » .

(٢) بعده كما فى كتاب فعال ومعجم البلدان :

« إِذْ حَقَّقَ الرِّكْبَانُ مَوْتَ الْمُنْذَرِ »

وسياق قريباً نسبته إلى عبد ناجر ، أو باجر .

وكانت لصاف هي وما يليها من المياه والمواضع أولاً لإياد ، وفيها يقول
عبد ناجر الإيادي (١) :

إنَّ لَصَافًا لَا لَصَافَ فَاصْبِرِي
إِذْ حَقَّقَ الرِّكْبَانُ مَوْتَ الْمُنْذِرِ
ثُمَّ نَزَلَتْهَا بَنُو تَمِيمٍ فَصَارَتْ لَهُمْ .

و (ل ص ا ف) موضع رفع على الابتداء ، وجملة (تبيض) إنلخ خبره .
و (الحُمُر) بضم الحاء المهملة وتشديد الميم المفتوحة : ضرب من الطير
كالعصفور ، الواحدة حُمْرَة ، وقد تخفف الميم فيقال حُمَرٌ وحُمَرَة . أنشد ابن
السكيت لابن أحمر :

إِنْ لَا تَدَارِكُهُمْ تَصْبِيحُ مَنَازِلِهِمْ
قَفَرًا تَبْيِضُ عَلَى أَرْجَائِهَا الْحُمُرُ

كذا في الصحاح ، وأنشد البيت .

وقال أبو حاتم (في كتاب الطير) : الحُمُرُ بِعِظَمِ الْعَصْفُورِ ، وتكون
كُدْرَاءَ وَرَقَشَاءَ . قال أبو العلاء المعري (في شرح ديوان البحتری) : يجوز أن

(١) في معجم ما استعجم في رسم (توضح) ١ : ٣٢٧ : « عبد باجر » . وهو الصواب ،
ففي القاموس (بجر) : « وكهاجر : صنم عبدته الأزد » . وفي ذيل الأضنام لابن الكلبي ٦٣ : « باجر ،
قال ابن دريد : وهو صنم الأزد في الجاهلية ومن جاورهم من طيى وقضاعة ، كانوا يعبدونه . بفتح الجيم
وربما قالوا : باجر بالكسر » . وروى ابن الأثير في النهاية أنه يسمى « باجر » بالحاء المهملة . وذكره في
مادة (بجر) بالجيم ، وقال : إنه كان في الأزد .

يكون كلٌّ من المشدّد والمخفف لغة ، ويجوز أن يكون المخفف ضرورة ، لأنَّ إحدى الميمين زائدة . وقد ذكر ابن السكيت المخفف في باب فُعْلة ، فأوجب عليه ذلك أن يكون يرى التخفيف أفصح . ومذهب سيبويه والخليل أن الميم الأولى هي الزائدة ، ومذهب غيرهما أنَّ الثانية هي المزيدة . وكلا القولين له مَسَاغ .

قال صاحب العباب : وابن لسان الحُمرة كوفيٌّ نَسَابَة ، واسمه عبد الله ابن لسان الحُمرة ابن حُصَيْن بن ربيعة بن صُعَيْر بن كلاب . وحُصَيْن هو لسان الحُمرة . وقرأت (في كتاب الفهرست) لمحمد بن إسحاق بن النديم بخطه : أنَّ اسم ابن لسان الحُمرة وَرَقَاء بن الأسعر . انتهى .

٨٤

وَحَفِيَّةٌ بفتح الحاء المعجمة وكسر الفاء بعدها مشاة تحية مشددة ، قال الخليل : هي اسم غَيضة ملتفتة تتخذها الأسد عريناً (١) . كذا في المعجم لأبي عبيد . يقول : كنت أحسبكم شجعاناً كأسود حَفِيَّة ، فإذا أنتم جبناء ضعفاء ، فكأنَّ أرضكم لصافٍ ، يتولَّد فيها هذا الطير لا الرجال .

والبيت أول أبيات لأبي المهوِّش الأسدي ، هجا بها نهشل بن حرَّي ، صاحب الشاهد أوردها أبو محمد الأعرابي (في ضالة الأديب) ، وهي :

(قد كنتُ أحسبُكمُ أسودَ حَفِيَّة)

أبيات الشاهد

فإذا لصافٍ تبيض فيها الحُمُرُ

فترفعوا هَدَجَ الرئالِ فإلما

تجنى الهُجيمُ عليكم والعنبرُ

(١) في معجم ما استعجم ١ : ٥٠٦ : « عريسة » .

عَضَّتْ تَمِيمٌ جِلْدَ أَيْرٍ أَبِيهِمْ
يَوْمَ الْوَقِيطِ وَعَاوَتْهَا حَضَجُرُ
وَكَفَاهُمْ مِنْ أُمِّهِمْ ذُو بَنَّةٍ
عَبْلُ الْمَشَاغِرِ ذُو قَلِيلٍ أَسْعُرُ
ذَهَبَتْ فَشِيْشَةُ الْأَبَاعِرِ حَوْلَنَا
سَرَقًا، فَصَبَّ عَلَى فَشِيْشَةِ أَبْجُرٍ^(١)
مَنْعَتْ حَنِيفَةً وَاللَّهَازِمُ مِنْكُمْ
قَشِيرَ الْعِرَاقِ وَمَا يَلْدُ الْحَنْجَرُ
وَإِذَا تَسْرُكٌ مِنْ تَمِيمٍ خَلَّةٌ
فَلَمَّا يَسُوءُكَ مِنْ تَمِيمٍ أَكْثَرُ
يَا نَهْشَلُ بْنُ أَيْ ضُمَيْرٍ إِيَّامَا
مِنْ مِثْلِ سَلَحِ أَبِيكَ مَا تَسْتَقِطُرُ
إِذْ كَانَ حَرَّى سَقِيطٍ وَلِيدَةٍ
بَظُرَاءَ يَرْكُضُ كَاذَتِهَا الْعُهُرُ)

قوله « فترفعوا هَدْجَ » إلخ استهزاء بهم . وهَدْجُ الرِّثَالِ منصوب بنزع الخافض ، أى عن هَدْجِهِ ، وهو مصدرٌ وفعله من باب فرح ، يقال هَدْجَ الظِّلِمُ ، إِذَا مَشَى فِي ارْتِعَاشٍ . والرِّثَالُ : جمع رَأُلٍ بفتح الراء وسكون الهمزة ، وهو فَرَخُ النِّعَامِ . وَالْهُجِيمُ بالتصغير والعنبر أَخَوَانِ ، وهما ابنا عمرو بن تميم . وأراد أولادهما ، فَإِنَّ كِلَا مِنْهُمَا أَبُو قَبِيلَةٍ .

(١) في أمالي القائل ٢ : ٢٣٦ : « ويروى هربا » ، أى بدل « سرقا » .

وقوله : « غَضَّتْ تَمِيم » إلخ روى بدل تميم « أُسَيْد » مصغر أسود لا ينصرف ، وهو أخو الهجيم والعنبر . وروى أيضاً بدل جلد « جذل » بكسر الجيم وسكون الذال المعجمة ، وهو أصل الخطب العظيم . شَبَّهَ أَيْرَ أَيْبِهِمْ بِهِ . وهذا الكلام سَبٌّ وتذليل عند العرب . وأراد بتميم ماتفرّع منه من القبائل والبطون .

ويوم الوقيط كان في فتنة عثمان بن عفّان ، وهو لِلْهَازِم ، رئيسُهم أبحر ابن بُجَيْر ، على بنى مالك بن حنظلة . فأما بنو عمرو بن تميم فَأَنْذَرَهُمْ نَاشِب ابن بَشَامَةَ العنبري فدخلوا الدّهْنَاءَ فَتَنَجَوْا . وفي هذا اليوم أُسِرَ ضِرَارُ بن معبد ابن زُرَّارَة .

وَحَضَنْجَرٌ بفتح المهملة وسكون المعجمة بعدها جيم ، وهو لقب العنبر . قاله أبو محمد الأعرابي . والمعاونة كانت بالإنداز كما ذكرنا .

وقوله : « وكفاهُم من أمّهم » ضمير « هم » راجعٌ لِأُسَيْدٍ وَالْهُجِيمِ والعنبر ، وأمّهم هي أمّ خارجة المشهورة بالنكاح ؛ يقال فيها : « أَسْرَعَ مِنْ نِكَاحِ أمّ خارجة » . كانت ذَوَاقَةً ، إِذَا ذَاقَتِ الرَّجُلَ طَلْقَتَهُ وَتَزَوَّجَتْ غَيْرَهُ . فَتَزَوَّجَتْ نَيْفًا وَأَرْبَعِينَ زَوْجًا ، وَلِدَتْ فِي عَامَةِ قِبَائِلِ الْعَرَبِ . وَكَانَ الْخَاطِبُ بِأَتْيَهِا فيقول : خِطْب ! فتقول : نِكَح ! وَكَانَ أَمْرُهَا إِلَيْهَا إِذَا تَزَوَّجَتْ ؛ إِنْ شَاءَتْ أَقَامَتْ وَإِنْ شَاءَتْ ذَهَبَتْ ، فَيَكُونُ عَلَامَةً ارْتِضَائِهَا لِلزَّوْجِ أَنْ تَصْنَعَ لَهُ طَعَامًا كُلَّمَا تَصَبَّحَ . وَكَانَ آخِرُ أَزْوَاجِهَا عَمْرُو بْنُ تَمِيمٍ ، وَهُوَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ « ذُو بَنَّةٍ » بفتح الموحدة وتشديد النون ، وهي رائحة بَعَرِ الطِّبَاءِ ، وَالرَّائِحَةُ أَيْضًا . وَالْعَبْلُ : الضَّخْمُ . وَالْمِشْفَرُ بِالْكَسْرِ ، فِي الْأَصْلِ : شَفَّةُ الْبَعِيرِ . وَالْقَلِيلُ بِالْقَافِ : دَقَّةُ الْجَنَّةِ . وَالْأَسْعَرُ ، بِالسَّيْنِ وَالْعَيْنِ الْمَهْمَلَتَيْنِ : الْقَلِيلُ اللَّحْمِ الظَّاهِرِ الْعَصَبِ . وَصَفَهُ بِحَقَارَةِ الْجَنَّةِ .

وقوله : « ذهب فشيشة » بالفاء والشين المعجمة : لقب لبعض بنى تميم ^(١) . وأبجر : رئيس اللهازم ^(٢) .

وقوله : « منعت حنيفة واللهازم ^(٣) » حنيفة : أبو قبيلة ، وهو حنيفة ابن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل . واللهازم هم تميم الله بن ثعلبة ابن عكابة بن صعب بن علي المذكور . واللهازم حلفاء بنى عجل ، وعجل أخو حنيفة المذكور . والقشير بفتح القاف وكسر الشين ، وهو التمر الكثير القشور . والحنجر : الحلقوم .

وقوله : « وإذا تسرك » إلخ الحلة بفتح الحاء المعجمة هي الخصلة . وقوله : « يا نهشل » إلخ هو نهشل بن حرث بن ضمرة ، وهو شقة ، ابن ضمرة بن جابر بن قطن بن نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك ابن زيد مناة بن تميم . وضمير هو مصغر ضمرة . والسلح : التقوط ، وهو مصدر سلح . والسلح بالضم : اسم النجو والعذرة . وتستقطر : تتبخر بالقطر بالضم ، وهو العود الذي يبخّر به .

وقوله : « إذ كان حرث » بفتح المهملة وتشديد الراء والياء ، وهو أبو نهشل المهجو . وسقيط بمعنى السقط . والوليدة : الخادمة . والبظراء : التي لم تحتن . ويركض : يحرك . والكاذتان : مانتا من اللحم في أعالي الفخذ . والعهر : جمع عاهر ، وهو الزاني . رمى أمه بالفجور .

(١) في اللسان أنه لقب لبني تميم . وفي السمط ٨٦١ : « تَبَرَّ لبني تميم ، مأخوذ من خروج الريح ، يقال فش الوط ، إذا أخرج منه الريح » .
(٢) هو أبجر بن جابر العجلي ، كما قال في السمط ٦٨١ . ثم قال « وقيل أن أبجر اسم من أسماء الدواهي » .
(٣) كلمة « منعت » ساقطة من ش .

ذكر المدائني وغيره قال : مرَّ الفرزدق بمضرِّس بن ربيعي الأسدي ، وهو يُنشد بالمزَّيد وقد اجتمع الناس حوله ، فقال : يا أخا بني فقعس ؛ كيف تركت القنَّان ؟ قال : تبيض فيه الحمَّر . قال : أراد الفرزدق قول نهشل بن حرَّي :

ضمن القنَّان لفقعس سوءاًتها

لأنَّ القنَّان بفقعس لمعمر^(١)

وأراد مضرِّس قول أبي المهوش الأسدي :

وإذا تسرَّك من تميم تحصَّلة

فلما يسوءك من تميم أكثر

قد كنتُ أحسبكم أسود خفيَّة

فإذا لصَّاف تبيض فيها الحمَّر

عصَّت أسيدٌ جَذَل أير أبيهم

يومَ النَّسار ، وتخصَّيته العنبر

نسبهم إلى الجين بقوله : « فإذا لصَّاف تبيض » إلخ ، ثم أعضَّهم أير

أبيهم لفرارهم يوم النَّسار .

وقال القالي (في أماليه) : حدَّثنا أبو بكر قال : حدَّثنا أبو حاتم عن

الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء قال : قيل للفرزدق : إنَّ ههنا أعرابياً قريباً

(١) في ش : « ضمن القنَّان بفقعس لمعمر » فقط . وفيه سقط .

منك يُنشد شعراً رقيقاً . فقال : إنَّ هذا لقائف أو لحائن ^(١) ! فأتاه فقال :
 ممَّن الرجل ؟ قال : من بنى فقعس . قال كيف تركت القنان ؟ قال : تركته
 يساير لصافٍ . فقلت : ما أراداً ؟ قال : أراد الفرزدق قول الشاعر :

ضَمِنَ الْقَنَانُ لَفَقْعَسٍ سَوَاءَهَا البيت

وأراد الفقعسي قول الآخر :

وإذا تسرُّك من تميم خصلة البيت

قد كنت أحسبهم أسودَّ خفية البيت

أكلت أسيد والهَجيم ودارم

أير الحمار ، وخصيتيه العنبرُ

انتهى .

قال أبو عبيد البكري (فيما كتبه على أمالي القالي) : البيت الأخير

٨٦ محوّل عن وجهه ، والمحفوظ فيه :

عَضَّتْ أَسِيدٌ جَذَلَ أَيْرِ أَبِيهِمْ

يَوْمَ النَّسَارِ وَخُصَيْتِيهِ الْعَنْبَرُ

انتهى .

وبنو تميم لا تعيّر بأكل أير الحمار ، وإنّما تعيّر به بنو فزارة . وقوله :

« يساير لصافٍ » ، من المحال الذي لا يجوز إلّا إذا سيّرت الجبال فكانت سرّابا

(١) قائف ، من القيافة ، وهي تتبع الأثر . وفي الأصل : « لقائف » وفي السمط ٨٥٨ :

« لقائف أو الحائن » . وفي الأمالي ٢ : ٢٣٦ : « لقائف أو لحائن » .

والتعريض الحسن هو ما نقلنا . انتهى .

قلت : وقد روى البيت المذكور أبو محمد الأعرابي كما رواه القالي ، وهو خطأ كما بينّا . وقنان بفتح القاف ونونين : جَبَل في ديار بنى فقعس .

أبو مهوش
الأسدي

وأبو مهوش الأسدي قال ابن الكلبي (في جمهرة الأنساب) : هو ربيعة بن رثاب ^(١) بن الأشتر بن حَجْوان بن فقعس بن طريف بن عمرو بن قعين ^(٢) بن الحارث بن ثعلبة بن دُودان بن أسد بن خزيمه بن مُدركة بن الياس ابن مضر .

ومهوّش ، بكسر الواو المشددة بعدها شين معجمة . وحَوّط بواو ساكنة بين مهملتين . ورثاب براء مهملة مكسورة بعدها همزة ممدودة . وحَجْوان بفتح المهملة وسكون الحيم . وقُعَيْن بضم القاف وفتح العين . ودُودان بضم الدال المهملة الأولى .

وقال أبو محمد الأعرابي (في ضالة الأديب) : اسمُه حَوّط بن رثاب . وبه ترجمه ابن حجر (في الإصابة) في قسم المخضرمين الذين أدركوا النبي ﷺ ولم يَرَوْهُ . قال : حوط بن رثاب الأسدي الشاعر ، ذكر أبو عبيد البكري (في شرح الأُمالي) أنّه مخضرم . وهو القائل :

(١) ط : « وثاب » صوابه في ش ، وهو ما يقتضيه الضبط بعده .

(٢) في النسختين : « عمرو قعين » وحاول الشنقيطي إصلاحها فتعذر عليه . وهو عمرو بن قعين ، كما في جمهرة ابن حزم ١٩٥ - ١٩٦ .

دَنَوْتُ للمجد ، والسَّاعُونَ قد بَلَغُوا
جَهْدَ النَّفُوسِ وَالْقَوَا دَوْنَهُ الْأُزْرَا

فظهر من هذا أنَّه إسلامي .

ولم أر له في كتب تراجم الشعراء ذكراً . والله أعلم .

الأصوات

أنشد فيه :

(باسم الماء)

وهو قطعة من بيت ، وهو :

(لا ينعش الطرف إلا ما تحوُّنه

داع يناديه باسم الماء مغموم)

* * *

وتقدّم شرحه مفصّلاً في الشاهد السابع بعد الثلاثمائة (١) :

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والسبعون بعد الأربعمائة (٢) :

(كما رُعَّتْ بالجوِّاتِ)

٤٧٣

وهو قطعة من بيت :

(دعاهنَّ رذّي فارعويّن لَصَوْتِه

كما رُعَّتْ بالجوِّاتِ الظَّمَاءُ الصَّوَادِبا)

على أنَّ بعض الأصوات قد يدخُله أداة التعريف .

(١) الخزائن ٤ : ٣٤٤ .

(٢) ابن يعيش ٤ : ٧٥ ، ٨٢ والعينى ٤ : ٣٠٩ .

قال الرخشي (في المفصل) بعد ما أنشدته : هو بالفتح محكيًا مع الألف واللام .

وقال ثعلب (في أماليه) : يقال للبعير جَوْتُ جَوْتُ ، إذا دعوته إلى الماء ؛ وإذا أدخلوا الألف واللام تركوها على حالها . وكان أبو عمرو يَكسر التاء ويقول : إذا أدخلت عليه الألف واللام ذهب منه الحكاية .

وجوَّز ابن الناظم (في شرح الألفية) الوجهين : الجرُّ على الإعراب ، والفتح على الحكاية .

قال الصَّغَانِي (في العباب) : يقال للإبل : جَوْتُ بفتح الجيم والتاء ٨٧ المشناة ، إذا دُعِيَتْ إلى الماء . وحكى الفراء : جَوْتُ بفتح الأوَّل وكسر الآخر وضمه أيضا . فالجيم مفتوحة لا غير . والتاء وردَ فيها الحركات الثلاث .

قال صاحب القاموس : جوت جوت ، مثلثة الآخر مبنية : دُعَاءٌ للإبل إلى الماء . وقد جَاوَتْهَا وجَأَيْتَهَا . أو زَجَرَّ لها . والاسم الجَوَات .

وأما حَوْب بفتح الحاء المهملة وآخره باء موحدة ، فهو زَجَرَّ للإبل وليس بمراءٍ هنا ، وباؤه مثلثة الحركات ، وقد أخذ منه فَعَلٌ ففعل : حَوْبَ فلان بالإبل ، إذا قال في زجرها : حَوْب .

والبيت وقع في شعرَي شاعرين : أحدهما : في شعر عُوفٍ القوافي ، وهو المشهور . واختلف في معناه ، فقليل أراد بالرَّدْفِ تَابِعُهُ من الجن ، فإنَّ القوافي إذا تراحمت في خاطره ووسوسته يقولون : إن له شيطانًا يوسوسه . فضمير دعاهنَّ للقوافي ، أى دعا شيطان القوافي فأجبنه وانتلن عليه . يعنى

صاحب الشاهد

أن الشعر أطاعه . والردف بالكسر في الأصل : المرتدّف ، وهو الذى يركب خلف الراكب .

والارعواء : النزوع عن الجهل وحسن الرجوع عنه . ورُعَتْ بالخطاب ، هو من قولهم : هذه شربة راع بها فؤادى ، أى برد بها غلة روعى بالضم ، وهو القلب أو موضع الفرع منه ، أو سواده . وقيل هو من راعه بمعنى أعجبه .

والظماء : جمع ظمآنٍ وظمآنٍة ، من ظمىء كفرح ، أى عطش ، أو اشتد عطشه . والصّوادى : جمع صادية ، من الصّدّى وهو العطش ، وفعله من باب رضى . وقيل معناه وهذا هو المشهور : أن رديفه لما دعا النساء اجتمعن ورجعن عما كنّ عليه من الشغل ، كما لو دعوت إلى الشرب الإبل فالتففن وتضامن للشرب . فضمير دعاهنّ راجع للنساء . ولم أقف على ما قبل البيت حتى أتخفقه .

والثانى : وقع في شعر سُحيم عبّيد بنى الحسحاس هكذا :

* وأودّة رِدْفِي فارعَوَيْنَ لَصَوْتِهِ ^(١) * ... إلخ

وأودّة فعل ماض ، قال صاحب القاموس : أودّة بالإبل ، أى صاح بها . ويوجد في (بعض نسخ مجمع الأمثال للميداني ^(٢)) عند قوله : « إلّا دَوْ فلا دَوْ » قال أبو السّمح : أظنه من الإيداء ، وهو الإهابة بالإبل . وأنشد هذا البيت .

وقد وقع المصراع الأوّل صدر بيت من قصيدة لمضرّس بن ربعى ، وهى قصيدة مختلفة المعانى ، وصف فيها الإبل ثم قال :

(١) لم يرد هذا البيت في ديوان سحيم .

(٢) النص التالى لم يرد في مطبوعة مجمع الأمثال عند هذا المثل .

دعاهنَّ رَدْفِي فارَعَوَيْنَ لصوته
 وقلنَّ لحاديهنَّ هل أنت ناظره
 قال الأصمعي : دعاؤه : أَنْ يَغْنَى ليعرفنَّ صوته وإنشاده ، فُيَحْبَسَنَّ
 عليه .

ومثله :
 نادُوا الذين تحمَّلوا كى يَرِيعُوا كيما يودَّع عاشقٌ ويودَّعوا
 وأضيف عُويِفٌ ^(١) إلى القوافي لقوله :
 سأكذب مَنْ قد كان يزعمُ أنَّنى
 إذا قلت قولاً لا أُجيد القوافيا ^(٢)

ويشبه أن يكون هذا البيت من قصيدة البيت الشاهد .

وعويِف هو عويِف بن معاوية بنُ عقبة بن ثعلبة بن حصن - وقيل :
 ابن عقبة بن عيينة بن حصن - بن حذيفة بن بدر بن عمرو بن جُوَيْفَة بن
 لُوْذان بن ثعلبة بن عدى فزارة بن دُبَيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن
 سعد بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار .
 وعويِف القوافي شاعر مقلٌّ من شعراء الدولة الأموية ، من ساكنى
 الكوفة ، وبيته أحد البيوتات المتقدِّمة الفاخرة في العرب . قال أبو عبيدة ٨٨
 حدثني أبو عمرو بن العلاء أن العرب كانت تعدُّ البيوتات المشهورة بالكِبَر
 والشرف من القبائل ، بعد بيت هاشم بن عبد مناف في قريش ، ثلاثة
 بيوتات . ومنهم من يقول أربعة . أولها بيت آل حذيفة بن بدر الفزاري : بيت
 قيس . وبيت آل زُرارة بن عُذْس الدَّارميِّين : بيت تميم . وبيت آل ذى الجَدَّين
 ابن عبد الله بن همَّام : بيت شيبان . وبيت بنى الدِّيَّان من بنى الحارث بن
 كعب . بيت اليمن .

(١) ط : « عوف » ، وأثبت ما في ش .

(٢) البيان ١ : ٣٧٤ ونوادير المخطوطات ٢ : ٣٠٩ والأغاني ١٧ : ١٠٧ .

وأما كندة فلا يُعدُّون من أهل البيوتات ، إنما كانوا ملوكا .
وروى صاحب الأغاني بسنده ^(١) أن عوف القوافي وقف على جرير بن
عبد الله البجلي وهو في مسجده فقال :
أصْبُ على بَجِيلَةٍ مِنْ شَقَّاهَا
هَجَائِي حِينَ أَدْرَكَنِي المَشِيبُ
فقال له جرير : ألا أشتري منك أعراض بَجِيلَةٍ ؟ قال : بلى . قال :
قل . قال : بألف درهم وبردون . فأمر له بما طلب فقال :
لولا جَرِيرٌ هَلَكْتَ بَجِيلُهُ
نعمَ الفتى وبمست القبيلة
فقال جرير : ما أراهم نَجَّوا منك بعد !
وروى بسنده أيضاً إلى أبي بردة الأشعري قال : حضرت مع عُمر بن
عبد العزيز جنازة ، فلما انصرف انصرفْتُ معه وعليه عمامةٌ قد سدَّلَها من
خَلْفِهِ ، فما علمت به حتى اعترضه رجل على بعير فصاح به :
أَجِبْنِي أبا حفص لقيتَ محمداً
على حوضه مستبشراً ورآكا ^(٢)
فقال عمر بن عبد العزيز : لبيك ! ووقف ووقف الناس معه ، ثم قال :
فمه ؟ فقال :

(١) الأغاني ١٧ : ١٠٧ .

(٢) ط : « وأراك » ، صوابه من ش والأغاني .

فَأَنْتِ امْرُؤٌ كَلْتَا يَدَيْكَ مُفِيدَةٌ

شِمَالُكَ خَيْرٌ مِنْ يَمِينِ سِوَاكَ

[قَالَ : ثُمَّ مَهْ ؟ فَقَالَ (١)] :

بَلَغْتَ مَدَى الْمُجْرَيْنِ قَبْلَكَ إِذْ جَرَوْا

وَلَمْ يَبْلُغِ الْمُجْرُونَ بَعْدَ مَدَاكَ

فَجَدَّكَ لَا جَدَّيْنِ أَكْرَمُ مِنْهُمَا

هَنَّاكَ تَنَاهَى الْمَجْدُ ثُمَّ هُنَّاكَ

فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : أَرَاكَ شَاعِرًا ، مَا لَكَ عِنْدِي مِنْ حَقٍّ . قَالَ : وَلَكِنِّي

سَأَلْتُ وَابْنَ سَيْبِلٍ . فَالْتَفَتَ عُمَرُ إِلَى قَهْرْمَانِهِ فَقَالَ : أَعْطَيْهِ فَضْلَ نَفَقَتِي .

فَقَالَ : وَإِذَا هُوَ عُوَيْفُ الْقَوَافِي الْفَزَارِيُّ . وَكَانَتْ أُنْتُ عُوَيْفُ الْقَوَافِي تَحْتَ

عُيَيْنَةَ بْنِ أَسْمَاءَ بْنِ خَارِجَةَ الْفَزَارِيِّ ، فَطَلَّقَهَا عُيَيْنَةُ فَكَانَ عُوَيْفٌ مَرَاغِمًا لِعُيَيْنَةَ ،

وَقَالَ : الْحُرَّةُ لَا تَطْلُقُ لِغَيْرِ مَا بَأْسٍ . فَلَمَّا حَبَسَ الْحِجَااجُ عُيَيْنَةَ وَقَيْدَهُ قَالَ

عُوَيْفٌ :

مَنْعَ الرُّقَادِ فَمَا يُحْسُ رِقَادُ

خَبَّرَ أَتَاكَ وَنَامَتْ الْعَوَاذُ

خَبِرَ أَتَانِي مِنْ عُيَيْنَةَ مَوْجِعُ

وَلِمَثْلِهِ تَتَصَدَّعُ الْأَكْبَادُ

بَلَغَ النُّفُوسَ بِلَاؤُهَا فَكَأَنَّا

مَوْتَى وَفِينَا الرُّوحُ وَالْأَجْسَادُ

سَاءَ الْأَقَارِبُ يَوْمَ ذَاكَ ، وَأَصْبَحُوا

بِهَجِينٍ قَدْ سَرَّتْ بِهِ الْحَسَادُ (٢)

(١) التكملة من الأغاني ١٧ : ١١٠ .

(٢) أَيْ أَصْبَحَ الْحَسَادُ بِهِجِينَ مَسْرُورِينَ . وَفِي الْأَغَانِي : « قَدْ سَرُوا » . وَقَدْ أَضْمَرَ فِي « أَصْبَحُوا » قَبْلَ ذِكْرِ الْحَسَادِ .

يرجُونَ عَثْرَةَ جَدَّنَا وَلَوْ أَنَّهُمْ
 لَا يَدْفَعُونَ بِنَا الْكَارِهَ بَادُوا
 لَمَّا أَتَانِي عَنْ عَيِينَةِ أَنَّهُ
 عَانٍ تَطَاهَرُ فَوْقَهُ الْأَقْيَادُ
 نَخَلْتُ لَهُ نَفْسِي النَّصِيحَةَ إِنَّهُ
 عِنْدَ الْحَفَائِظِ تَذْهَبُ الْأَحْقَادُ
 وَذَكَرْتُ أَيُّ فَتَى يَسُدُّ مَكَانَهُ
 بِالرَّفْدِ حِينَ تَقْصُرُ الْأَرْفَادُ
 أَوْ مِنْ يُهَيِّنُ لَنَا كِرَائِمَ مَالِهِ
 وَلَنَا إِذَا عُذْنَا إِلَيْهِ مَعَادُ

٨٩

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والسبعون بعد الأربعمئة :

٤٧٤ (تُرْدُ بِحَيْهَلٍ وَعَاجٍ وَإِنَّمَا

من العاج والحَيْهَلُ جَنَّ جنونها)

على أَنَّ اسم الصوت إِذَا قُصِدَ بِهِ لَفْظُهُ أَعْرَبَ كَمَا فِي الْبَيْتِ ، فَإِنَّ
 عَاجَ ، وَهُوَ زَجْرٌ لِلْإِبِلِ لِتَسْرِعَ ، لَمَّا قُصِدَ لَفْظُهُ أَعْرَبَ بِالْجَرِّ وَالتَّنْوِينِ أَوَّلًا ،
 وَبِالْجَرِّ وَالتَّعْرِيفِ ثَانِيًا . أَيْ إِنَّهَا تُرْدُ بِمَجْرَدِ ذِكْرِ هَذِهِ الْكَلِمَةِ ، وَهِيَ اسْمُ فِعْلٍ
 كَمَا تَقَدَّمَ .

وأنشد ثعلب (فِي أَمَالِيهِ) بَيْتًا فِيهِ حَيْهَلٌ مَعْرُفًا بِاللَّامِ ، وَنَقَلَ ابْنُ بَرٍّ

(فِي حَاشِيَةِ الصَّحَاحِ) قَالَ : قَدْ عَرَفْتَ الْعَرَبُ حَيْهَلٌ كَقَوْلِهِ :

وقد غدوت قبل رفع الحِجَلِ أسوق نايبين وناياً م الإبل^(١)
قال : والنابان : العجوزان . وم الإبل ، أصله : من الإبل ، فحذفت
منه النون .

والبيت الشاهد نسبه الشارح المحقق لجهم بن العباس ، ولم أره إلا في
صاحب الشاهد شرحه ولا أعرف جهماً من هو . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده :

(تداعين باسم الشَّيب في مُتَلِّم)
تقدم شرحه مستوفى في الشاهد الثامن من أول الكتاب .

* * *

وأنشد بعده :

(كما رُغَّتْ بِالْجَوِّ الظَّمَاءُ الصَّوَادِيَا)
تقدم شرحه قريباً قبل هذا بشاهد واحد .

* * *

وأنشد بعده :

(إِنَّ لَوْاً وَإِنَّ لَيْتاً عَنَاءً)
على أَنَّ الكلمة المبنية إذا قصد لفظها أعربت كما أُعْرِيت لو وليت .
وسياتي الكلام عليه إن شاء الله تعالى في باب العلم^(٢) .

* * *

وأنشد بعده :

(عَدَسٌ مَا لِعَبَادٍ عَلَيْكَ إِمَارَةٌ)
نجوت وهذا تحمليين طليق (

(١) لم يرد في أمال ثعلب المنشورة .

(٢) هو الشاهد ٥٣٧ في الجزء السابع .

على أن عدس فيه زجر للبلبل .

وتقدّم شرحه مفصلاً في الشاهد الثامن والعشرين بعد الأربعمائة (١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والسبعون بعد الأربعمائة :

٤٧٥ (حتى استقامت له الآفاق طائعة

فما يقال له هَيْدٌ ولا هَادُ)

على أن الشاعر لمّا قصد لفظ هيد وهاد أعربهما بالرفع على جعل الأول نائب فاعل يقال ، والثاني معطوفاً عليه .

وهذا مأخوذ من صحاح الجوهري ، قال فيه : وهيد بفتح الهاء وكسرهما ، وهاد : زجر للإبل . وأنشد أبو عمرو :

وقد حَدَوْنَاهَا بهيد وهَلَا

حَتَّى يُرَى أسفلها صارَ علَا

وقولهم : ماله هيد ولا هاد ، أى ما يقال له هيدٌ ولا هاد . وأنشد الأحمر :

* حتى استقامت له الآفاق طائعة * البيت

أى لا يحرك ولا يمنع من شئ ولا يزجر عنه . اهـ .

وخطأه ابن بَرٍّ ، في رواية الرفع ، قال (في أماليه على الصحاح) :

البيت لابن هرمة ، وصواب إنشاده بالكسر في هيد وهاد لأنهما مبنيان .

وأول القصيدة :

(١) انظر هذا في الجزء السادس ص ٤١ - ٥٦ ، وقد سقط هذا الشاهد من نسخة ش .

(٣) ابن يعيش ٤ : ٨٠ وديوان ابن هرمة ١٠٥ .

(اربَع علينا قليلاً أيها الحادى
 قَلَّ الثَّوَاءُ إذا نَزَعْتُ أوتادى)
 والبيت فى شعره بخلاف ما أنشده الجوهري وهو :
 (إئْتِ إذا الجار لم تُحَفَظْ محارمه
 ولم يُقَلَّ دونه هيد ولا هاد^(١)
 لا أخذل الجار بل أحمى مَبَاءَتَه
 وليس جارى كعُشٍّ بين أعواد^(٢)
 انتهى .

وتبعه الصلاح الصفدى (فى كتابه نفوذ السهم ، فيما وقع للجوهري
 من الوهم) ، ونقل كلامه برمته وقال : فالبيت الذى أورده الجوهري تغير أكثر
 ألفاظه مع تغيير القافية ؛ لأن هيد وهاد مبنيان على الكسر ، وهما بمعنى الزجر
 عن الشئ وفعله . ا هـ .

وأنا استبعد أن يكون بيت الجوهري من قصيدة ابن هرمة ؛ لاحتمال أن
 يكون من شعر آخر . والله أعلم .
 وقوله : « اربَع » بكسر الهمزة وفتح الموحدة ، أى قَفَّ وتَحَبَّسَ . والثَّوَاءُ :
 الإقامة .

وقوله : « إئْتِ إذا الجار » خبر إئْتِ أول البيت الثانى ، وهو لا أخذل .
 والمبءاة بالفتح والمد : منزل القوم فى كل موضع .

(١) ديوان ابن هرمة ١٠٥ .

(٢) فى اللسان (هيد) : « كعُشٍّ » .

وأما البيت الأول وهو :

* وقد حدوناها بهيد وهلا *

فلم يكتب ابن برى عليه شيئاً^(١) ، وقد نسب إلى القتال الكلاى ، ولم يوجد فى ديوانه . ونسبه أبو محمد الأعرابى لغيلان بن حريث الرىعى كذا :

* ليس بثانها بهيد أو حلا^(٢) *

وقال الصفدى : هلا فى هذا الرجز غلط ، لأن هيد : زجر للإبل ، وهلا : زجر للخيل ، والذى يقرن به هيد إنما هو حلا ، وكذا هو فى الرجز . وهو لغيلان . على أن البيت مغير . والصواب .

* ليس بثانها بهيد وحلا *

وترجمة ابن هرمة تقدمت فى الشاهد الثامن والستين^(٣) .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والسبعون بعد الأربعمئة^(٤) :

(إلا دؤ فلا دؤ)

٤٧٦

(١) فى ملحقات ديوان القتال ١٠٠ : « وأنشد أبو عمرو للقتال الكلاى ، وقال ابن برى : الراجز هو غيلان بن حريث الرىعى » ثم ساق أربعة أشطار من الأرجوزة . وقد نقل ابن منظور هذه النسبة من ابن برى فى اللسان (عطل) .

(٢) ش : « بهيد وحلا » ، وأثبت ما فى ط . وانظر التعليق التالى .

(٣) الخزائن ١ : ٤٢٤ .

(٤) ابن يعيش ٤ : ٨١ ومجمع الأمثال ٤٠ فى باب الهمزة ، واللسان (دده ٣٨٣) .

هو مَثَلٌ ، وَقَعَ فِي قِطْعَةٍ مِنْ رَجَزٍ لِرُؤْيَةِ بْنِ الْعَجَّاجِ ، يورد النحويون منه أربعة أبيات ، وهى :

(فاليومَ قد نهنيى تنهنيى
وأوّل حلم ليس بالمسْفَه
وقُؤِلَ إلا دِه فلا دِه
وحَقَّةٌ ليست بقول التُّرَّة)

وصف قبل هذه الأبيات شبابه وما كان فيه من مغازلة الغوانى ومواصلة الأمانى ، إلى أن قال : فاليوم قد زجرنى عما كنت فيه أربعة أشياء :
الأول التنهنه ، وهو مطاوع نهنته عن كذا فتنهنه ، أى كففته وزجرته عنه فكفّ ، أى زجرنى زواجر العقل .

الثانى : أوّل حلم ، أى رُجوع عقل لا يُنسب إلى السّفَه .

الثالث : عذل القائلين : إن لم تتب الآن مع الدواعى إلى التوبة فلا تتوب أبداً . فقولهُ : « وقُؤِلَ » هو على حذف مضاف .

والرابع : حَقَّةٌ أى مُحْطَةٌ حَقَّةٌ . فالموصوف محذوف ، وأراد بها الموت ٩١ وقُرْبَهُ . يقال حَقٌّ وحَقَّةٌ ، كما يقال أهل وأهله .

والتُّرَّة : اسم مفرد بمعنى الباطل ، يقال تُرَّةٌ وتُرْهَةٌ ، وجمع الأول تَراريهُ ، وجمع الثانى تَرّهات .

وقول الشارح المحقق : « دِه بفتح الدال وسكون الهاء » إلى آخر

ما ذكره ، هذا كلام شارح اللباب إسماعيل الفالائي من غير زيادة ولا نقص . ولا يخفى أنه إذا كان ده بمعنى اضرب فهو اسم فعل لا صوت ، والحق أنها في لغة الفرس زجرٌ لذى الحافر ليسرع أو ليذهب ، وليست بمعنى اضرب . وهذا أمر ظاهر من استعمالهم إلى الآن ، ولكنهم أجمعوا على أنَّها بمعنى الضرب . وحيثُذ فيرد عليهم أنها تكون اسمَ فعل لا صوتاً .

قال صاحب اللباب فيما علَّقه على مَتنه : ذَكَرَ جَارُ اللَّهِ أَنْ دِه زَجَرَ لِلإِبِلِ ، مثل هيد وهاد . وذكر في أمثاله أَنَّ دِه بفتح الدال وكسرها فارسية معناها الضرب ، قد استعملها العرب في كلامهم ، وأصله أَنَّ الموتور يلقى واتره فلا يتعرَّض له ، فيقال له « إَلَّا دِهْ فلا ده » ، أى إنك إن لم تضربه الآن فإنك لا تضربه أبداً . وتقديره : إن لم يكن ده فلا يكون ده ، أى إن لم يوجد ضربُ الساعة فلا يوجد ضرب أبداً . ثم اتسعوا فيه فضربوه مثلاً في كل شيء لا يُقَدِّم عليه الرجل وقد حان جيئه ، من قضاء دين قد حلَّ ، أو حاجة طُلِبَتْ ، أو ما أشبه ذلك من الأحوال التي لا يسوغ تأخيرها . وأنشد أبو عبيدة لرؤبة :

* وَقُولْ إَلَّا دِهْ فلا دِهْ *

وذكر هشام بن محمد الكلبي في حكاية طويلة أن هذا من قول الكاهن الذى سافر إليه عبد المطلب وحرب بن أمية ، وقد خبئوا له رأسَ جرادة في خَرَزٍ مزادة ، وجعلوه في قلادة كلبٍ يقال له سَوَّار ، فقال : « خبأتم لى شيئاً طار فسقط ، فتصوَّبَ فوقه ، فى الأرض منه بُقع » : جمع باقعة ^(١) وهى الداهية . فقالوا : لَا دِهْ ^(٢) ، أى بيئه . قال : « هو شيء طار فاستطار - أى

(١) كذا فى النسختين ، والباقعة لا تجمع على بقع ، وإنما مفرد البقع بقعة .

(٢) ما بعده إلى : « ده » التالية فى ص ٣٩٤ ساقط من ش .

تفرّق وفشا - ذو ذنب جرّار^(١) ، وساق كالمنشار ، ورأس كالمسمار ، فقالوا : لا ، دَو . فقال : « إلا دَو فلا دَو^(٢) . هو^(٣) رأس جرادة ، في خَرَز مزادة ، في عنق سَوَّارٍ ذى القلادة » . قالوا : صدقت .

وفي أمثال الميداني : إلا دَو فلا دَو ، رواه ابن الأعرابي ساكنَ الهاء . قال أبو عبيد : يضربه الرجل يقول : أريدُ كذا وكذا . فإن قيل له : ليس يُمكن ذا . قال : فكذا وكذا . وقال الأصمعي : معناه إن لم يَكُنْ هذا الآن فلا يكون بعد الآن . وقال : لا أدري ما أصله . ويروى أيضا : « إلا دَو فلا دَو » ، أى إن لم تعطِ الاثنين فلا تعطِ العشرة . انتهى .

وهذه رواية غريبة شاذة ، وبها يخرج ده مما نحن فيه ، فإن لفظ دو بالفارسية الاثنان من العدد بدال مضمومة بعدها واو ساكنة ، ولفظ ده بمعنى العشرة في لغتهم بدال مفتوحة وهاء ساكنة .

ثم قال الميداني : وقال المنذرى : قالوا معناه : إلا هذه فلا هذه ، يعنى أن الأصل إلا دَو فلا ذه ، بالذال المعجمة ، فعربت بالبدال غير المعجمة ، كما في يهودا مبدلة من يهوذا . انتهى .

أقول : هذا يقتضى أن تكون الكلمة عربية أبدلت ذالها المعجمة دالا مهملة ، لا أنها كانت أعجمية فعربت بما ذكر^(٤) . فتأمل .

والحاصل أن قولهم إلا ده فلا ده قد اختلّف في ضبط لفظه وشرح معناه ، وجميع الأقوال على أنها كلمة فارسية معربة . وقد أتى أبو محمد

(١) فى الأصل وهو هنا ط فقط : « وذنب جرار » ، صوابه فى مجمع الأمثال .

(٢) فلا ده ساقط من ش .

(٣) فى النسختين : « وهو » . وأثبت ما فى الأمثال .

(٤) يشير إلى ما ورد فى كلام شارح اللباب المتقدم .

عبد الله الشهير بابن برى المقدسى أن تكون هذه الكلمة في هذا المثل غير عريضة ، وذهب إلى أنها صفة مشبهة ، من الذهاء ، وهو الفطنة ، وردَّ على ملك النحاة (١) في زعمه أنها أعجمية في الأصل بمعنى اسم الفعل . ولقد أجاد فيما أفاد ، وحقق مدَّعاه فوق المراد ، فلا بأس بنقل كلاميهما .

قال أبو نزار الملقَّب بملك النحاة (٢) في مسائله التي سماها (المسائل العشر ، المنبوزة بإتعاَب الفكر إلى الحشر) وتحدَّى بها في قصَّة يطول ذكرها : المسألة السابعة ، وهي مسألة سُئِلت عنها بِغَزَنَةِ (٣) لما دخلتها ، فبيَّنتُ مشكلها للجماعة وأوضحتها . وذلك أتَّى سئلت عن قول الراجز :
* وقوِّلْ إلَّا دِهْ فلا دِهْ *

فذكرت أن هذه من باب كلماتٍ نابت عن الفعل فعملت عمله . وده في كلام العرب بمعنى صَحَّ أو يَصْحُ . ألا ترى أن قوما جاءوا إلى سَطِيحِ الكاهن وخبئوا له خبيئة وسألوه فلم يصرِّح فقالوا : لا ده . أى لا يصح ما قلت . فقال لهم : « إلَّا ده فلا ده ، حبة بُرٍّ ، في إحليلٍ مُهر » . فأصاب . فكأنه قال : إلَّا يَصْحُ فلا يَصْحُ أبداً ، لكنى أقول في المستقبل ما تشهد له الصَّحَّة . فكان كما قال . إلَّا أن التنوين في هذه الكلمة ليس كتَّنوين رجل و فرس ولكنه تنوين تنكير .

(١) ش : « بمالك النحاة » تحريف . ومَلِك النحاة هو الحسن بن صافي بن عبد الله . ولد سنة ٤٨٩ وتوفى سنة ٥٦٨ . قال السيوطي : « وكان يغضب على من لم يسمه بملك النحاة » . وكان يقول : « هل سيوبه إلا من رعيتي وحاشيتي ، ولو عاش ابن جنى لم يسعه إلَّا حمل غاشيتي » .

(٢) ش : « بمالك النحاة » ، وانظر الحاشية السابقة .

(٣) غزنة : مدينة عظيمة وولاية واسعة في طرف خراسان ، ش : « بعرفة » تحريف . وفي البهية : « ثم سار إلى خراسان وكرمان وغزنة » .

هذا كلامه ، وحذفتُ منه ما لا حاجة لنا إليه .

وأجاب ابن برى : إن قولك ده اسمٌ من أسماءِ الفعل ليس بصحيح على مذهب الجماعة ، ومن له حذق في هذه الصناعة . والصحيح أنها اسم الفاعل من دَهَى فهو داه ودو ، والمصدر منه الدَّهَى والدَّهَاء . فيكون المراد بدو فَطِن ، لأن الدَّهَاءَ الفُطْنَةُ ، وجودةُ الذهن ، فكأنته قال : إلا أكن دَهِياً أى فطنا فلا أدهى أبداً ، أى فلا أفطن . فهذا أصله . ثم أُجريت هذه اللفظة مثلاً إلى أن صارت يعبرُ بها عن كل فعل تُغتَنَم الفرصة في فعله . مثُل ذلك أن يقول الإنسانُ لصاحبه وقد أمكنته الفرصة ^(١) في طلب ثأر : إلا ده فلا ده ، أى إلا تطلب الآن ثأراً فلا تطلبه أبداً .

وهذا الرجز لرؤبة . وقبله :

صاحب الشاعر

(فالיום قد تَهَنَّهْنَى تَنَّهُهْى وأوّل حلم ليس بالمُسَفِّهْ

وقوّل : إلا ده فلا ده)

ومعناه إن لا تفلح اليوم فلا تفلح أبداً ، أى : إن لا تنته اليوم فلا تنته أبداً فهذا معنى ده في هذا المثل . وأما إعرابه فإنه في موضع نصب على خبر كان المحذوفة ، تقديره إلا أكن دَهِياً فلا أدهى . وإنما أسكن الياء وكان حقها أن تكون منصوبة ، من قَبْلِ أن الأمثال تنزّل منزلة المنظوم . وهذه الياء قد حَسُنَ إسكانها في الشعر ، وهو عندهم من الضرورات المستحسنة ، كقول الشاعر :

(١) ط : « وقد أمكنه الفرصة » ، وأثبت ما في ش .

« يا دارَ هندي عفت إلا أثافيها ^(١) »

وكقول الآخر :

« كفى بالتأي من أسماء كافي ^(٢) »

فقد ثبت بهذا أن ده اسم فاعل لا اسم للفاعل . وهي معربة لا مبنية ، وتنوئتها تنوين الصرف لا تنوين التنكير . ويدل على أنها ليست من أسماء الأفعال أنها لا تقع بعد حرف الشرط . ألا ترى أنه لا يحسن : إلا صبه فلا صبه ، ولا : إلا مَه فلا مه ، ولا هيات ١ ه .

وقد نقل السخاوي (في سفر السعادة) هذا السؤال عن ملك النحاة وهذا الجواب أيضاً ، لكنه لم يعزّه إلى ابن برّيّ .

وترجمة رؤية تقدمت في الشاهد الخامس .

وفي هذه الأرجوزة بيتان من أولها ، وهما :

(لله درُ الغانيات المُدو

سبحن واسترجعن من تألهي)

أورد هذا بعض المفسرين في بيان اشتقاق لفظ الجلالة فقال : هو من آله يأله إلهة ، كعبد يعبد عبادة ، وزنا ومعنى . والتأله : التعبد كما هنا . قال : فمعنى الإله المعبود .

(١) للحطيفة في ديوانه ١١١ . وهو من شواهد سيبويه ٢ : ٥٥ . وعجزه :

« بين الطوي فصارات فواديها »

(٢) لبشر بن أبي خازم في ديوانه ١٤ . وهو الشاهد ٣٢٣ في الخزانة ٤ : ٤٣٩ . وعجزه :

« وليس لنأيها ما طال شافي »

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والسبعون بعد الأربعمائة (١) :

٤٧٧ (رَمَى اللهُ فِي عَيْنِي بَثِينَةً بِالْقَدَى

وَفِي الْعُرِّ مِنْ أَنْيَابِهَا بِالْقَوَادِحِ)

عَلَى أَنْ الشَّيْءَ إِذَا بَلَغَ غَايَتَهُ يَدْعَى عَلَيْهِ ، صَوْنًا عَنْ عَيْنِ الْكَمَالِ (٢)

كما هنا .

قال ابن الأنباري (في الزاهر) : معنى قوله : رمى الله في عيني بئينة
لنخ سبحان الله ، ما أحسن عينيها . من ذلك قولهم : قاتل الله فلاناً
ما أشجعه ! وأنياب القوم : ساداتهم ، أي رمى الله الفساد والهلاك في سادات
قومها ، لأنهم حالوا بينها وبين زيارتي . انتهى .

وقال المرزوقي (في شرح الفصيح) : قيل إنه لم يدع عليها بذلك ، وإنما
هو كما يقال : قاتله الله ما أفرسه ! على وجه التعجب . وحكى بعض أهل
اللغة أن مما يشهد لطريق التعجب في مثل هذا أن بعضهم عدل عن لفظ قاتل
إلى قَاتَعَ فقال : قاتعه الله ما أشجعه ! ليزول المكروه من اللفظ كما لم يكن في
المعنى . وأحسن مما ذكرناه أن يقال : أراد بالعينين رقيبيها ، وبالْعُرِّ من أنيابها
كرام ذويها وعشيرتها . والمعنى أفناهم الله وأراهم المنكرات . فهو في الظاهر
يشتمها ، وفي النية يشتم من يتأذى به فيها . ويقال : هم أنياب الخلافة ،
للمدافعين عنها . وقيل أراد : بلغها الله أقصى غايات العمر حتى تبطل عواملها
وحواشها . فالدعاء على هذا لها لا عليها . انتهى .

وقال أبو عبيد البكري (في شرح أمالي القالي) : قد تأوله قوم على أنه

(١) الخصائص ٢ : ١٢٢ والسمط ٧٣٩ وديوان جميل ٥٣ .

(٢) أي حسد الشيء الكامل .

أراد بالعينين الرقيبين ، وبالأنياب سادة قومها الذين يحجبونها عنه ويمنعونه منها . انتهى .

و (بثينة) بالتصغير : محبوبة جميل العذرى . والباء فى (بالقذى) زائدة . قاله أبو حيان (فى تذكرته) . والقذى : كل ما وقع فى العينين من شئ يؤذيها كالتراب والعود ونحوهما . قال ثعلب (فى الفصيح) : تقول : قَذَّتْ عينه تَقْذِي قَذْيًا ، إذا أَلْقَتْ القَذَى ؛ وقَذَيْتَ تَقْذِي قَذَى ، إذا صار فيها القذى . وأقْذيتها لإقْداء ، إذا أَلْقَيْتَ فيها القذى . وقَذَّيتها تقْذِيَةً ، إذا أخرجت منها القذى . انتهى .

وقوله : (وفى القَرِّ) إلخ معطوف على قوله : « فى عيني » ، وهو جمع أغرّ وغرّاء . أراد : ورمى الله فى أنيابها الحسان النقيّة البيضاء القوادح . فالباء زائدة أيضاً . و (أنياب) : جمع ناب ، وهو السن . وللإنسان أربع وثلاثون سنًّا ^(١) : أربع ثنايا ، وهى مقدّم الأسنان اثنان من فوق واثنان من تحت . وأربع رباعيات . وأربعة نواجذ تكون بينها الأنياب . وأربع ضواحك تكون بينها النواجذ . واثنان عشرة رَحَى تكون بينها الضواحك .

و (القوادح) : جمع قادح ، قال صاحب الصحاح : القادح : السواد الذى يظهر فى الأسنان .

وقال أبو حنيفة الدينورى (فى كتاب النبات) : يقال قُدِحَ فى سنّه أى بالبناء لمفعول ، إذا وقع فيها الأكل ووقع فى أسنانه القادح ، وإذا عرض

(١) فى حواشى المطبوعة الأولى : « قوله أربع وثلاثون سنا ، صوابه اثنان وثلاثون ، ليطابق التقسيم ويوافق ما هو مذكور فى كتب اللغة . اهـ من هامش الأصل » .

شئ من جميع ما ذكرنا من آفات العود قيل : قُدَح العودُ يُقَدَحُ قَدْحاً فهو مقدوح وهي القوادح . وبعضهم يقول قُدَح في العود ، إذا عرض له القادح فأتكَل يأتكل ائتكالاً . وقال الباهلي : يقال عود قد قُدَح فيه ولا يقال مقدوح .

٩٤

وكذلك قُدَح في سنه ، إذا وقع الأكل ، ووقع في أسنانه القادح . وأنشد البيت .

وهذه التأويلات يدفع في صدرها ما رواه الأصمباني (في الأغاني ^(١)) :
قال : حدثني علي بن صالح قال : حدثني عمر بن شُبَّة عن إسحاق قال :
لقي جميلً بثينةً بعدَ تهاجرٍ بينهما طالت مدته ، فتعابها طويلاً ، فقالت
له : ويحك يا جميل ، أتزعم أنك تهواني وأنت الذي تقول :

* رمى الله في عيني بثينة بالقذى * البيت

فأطرق جميلٌ طويلاً يبكي ثم قال :

ألا ليتني أعمى أصمُّ تقودني

بثينةُ لا يخفى على كلامها

فقالت له : وما حملك على هذه المتى ، أو ليس في سعة العافية ما كفانا جميعاً .

وروى بسنده أيضاً أنَّ جميلاً لما ودَّع بثينةً وذهب إلى الشام لكثرة اللَّقَطَ فيها واصلت بعده حَجَبَةً ^(٢) الهلالي . ولما رجع من الشام بعد حين

(١) الأغاني ٧ : ٧٩ - ٨٠ .

(٢) في ش : « حجية » في جميع المواضع ، تحريف . وانظر ما سيأتى في الشعر .

قال حَجْبَة لبثينة ، وكان ابن سُرَّيَّة : لا أرضى إلا أن تُعلمي ^(١) جميلاً أنك
استبدلت به ! فقالت لجميل :

ألم تر أنّ الماء غيّر بعدكم
وأنّ شِعَابَ القلب بعدك حُلَّتْ

فقال جميل :

فإن تك حُلَّتْ فالشُعَابُ كثيرةٌ

وقد نَهَلْتُ منها قَلوصي وغلَّتْ

فقالت الحَجْبَة : عَرَّضْتَنِي لجميل يَجْعَلُنِي حديثاً . وقالت لجميل : إنَّه
استزَلَّنِي ، وقد ناشدتك الله أن تسترني فأثَّرها كانت هفوة . فقال جميل من
أبيات :

فيا بَشْرَ إنْ واصلتِ حَجْبَة فاصرمي

جبالاً وإن صارمته فصليني ^(٢)

ولا تجعليني أسوة العبد واجعلي

مع العبد عبداً مثله وذريني

وانصرف عنها . وهجرها وقال :

* رمى الله في عيني بثينة بالقذى * البيت

(١) في النسختين : « أن تعلمين » ، والوجه ما أثبت . وهذا الخبر لم يرد في الأغاني .

(٢) البيتان في ديوان جميل ٢٠٩ نقلا عن الخزائنة .

وقال في ذلك أيضاً :

ولمى لأستحيى من الناس أن أرى

رديفاً لوصل أو على رديف (١)

ولمى للماء المخالط للقذى

إذا كثرت وُراده لعيوف

وقال أيضاً :

بيننا جبال ذات عقيد لبثينة

أتيح لها بعض الغواة فحلها (٢)

فعدنا (٣) كأننا لم يكن بيننا هوى

وصار الذى حلّ الجبال هوى لها

وروى أيضاً بسنده عن كثير ، ونقله القالى (فى أماليه) ، والمرزبانى

(فى الموشح) أيضاً : أن كثيراً حَدَث وقال : وقفت على جماعة يفيضون فى

وفى جميل : أئنا أصدق عشقاً ، ولم يكونوا يعرفوننى ، ففضلوا جميلاً فقلت

لهم : ظلمتم كثيراً ، كيف يكون جميل أصدق منه ، وحين أتاه من بثينة

ما يكره قال :

* رمى الله فى عينى بثينة بالقذى * البيت

(١) ديوان جميل ١٣٩ نقلا عن الخزنة ووفيات الأعيان ١ : ١١٦ . وبين هذا البيت وتاليه فى

الوفيات :

وأشرب رنقا منك بعد مودة وأرضى بوصل منك وهو ضعيف

(٢) ديوان جميل ١٩٠ عن الخزنة والأغاني ٨ : ١١٩ والزهرة ١٧٦ .

(٣) ط : « قعدنان » ، وأثبت ما فى ش .

وكثير حين أتاه من عزة ما يكره قال :
هنيئاً مريئاً غير داءٍ مخامر
لعزة من أعراضنا ما استحلت

فما انصرفوا إلّا على تفضيلي . اهـ .
وهذا كله يدلّ على أنّ جميلاً دعا عليها حقيقة ، ويدلّ أيضاً على أن
البيت لجميل لا لغيره .

ومن الغرائب أنّ الصاغاني قال (في مادة ترب من العباب) : إنّ هذا
البيت لأخى شَمَجَى ، يُخاطب أذينة بنت عمّ صعب بن كلثوم ، والرواية
كذا :

* رمى الله في عيني أذينة بالقذى * البيت
٩٥ وليس البيت لجميل ولا الرواية « في عيني بثينة » كما وقع في بعض كتب
اللغة منسوباً إليه . اهـ .
أقول : جميع من تكلم على هذا البيت وروى فيه خبراً ، أثبت لجميل في
بثينة . ومع كثرة ورود هذه الأخبار في أكثر كتب الأدب كيف يقال إنّ وقع
في بعض كتب اللغة . والله أعلم .
وجميل شاعر إسلامي تقدّمت ترجمته في الشاهد الثاني والستين (١) .
وشَمَجَى بالشين والميم والجيم وألف مقصورة ، قال في القاموس : وبنو
شَمَجَى بن جَرْم من قضاة ، وهو بفتحات ثلاثة .

* * *

(١) الخزائن ١ : ٣٩٧ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والسبعون بعد الأربعمئة ، وهو من شواهد س^(١) :

٤٧٨ (وَى كَأَنَّ مِنْ يَكُنْ لَهُ نَشَبٌ يُخْ

سَبَبٌ وَمَنْ يَفْتَقِرَ يَعْشَى عَيْشَ ضُرٍّ)

على أن (وى كَأَنَّ) ، عند الخليل وسيبويه مركبة من وى التعجبية وكَأَنَّ المخففة من المثقلة ، إلى آخر ما ذكره .

وهذا نص سيبويه ، ونقله ابن السراج (فى الأصول) بحروفه : سألت الخليل عن قوله تعالى : ﴿ وَيَكَاَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾^(٢) ، وعن قوله تعالى : ﴿ وَيَكَاَنَّا اللَّهُ ﴾^(٣) فزعم أنها « وى » مفصولة من كَأَنَّ ، والمعنى وقع على أَنَّ القوم انتبهوا فتكلموا على قدر علمهم ، أو نُبِّهوا فقبل لهم : أما يُشبه أن يكون هذا عندكم هكذا . والله أعلم . وأما المفسرون فقالوا : ألم تر أَنَّ الله . وقال زيد ابن عمرو بن نفيل :

* وى كَأَنَّ مِنْ يَكُنْ لَهُ نَشَبٌ * البيت

انتهى .

وقال النحاس : يريد أَنَّ معنى وى تنبيه ، يقولها الإنسان حين يستنكر

(١) فى كتابه ١ : ٢٩٠ . وانظر مجالس نعلب ٣٨٩ واختسب ٢ : ١٥٥ والخصائص ٣ : ٤١ ، ١٦٩ وابن يعش ٤ : ٧٦ وشرح شواهد المعنى ٢٦٦ والجمع ٢ : ١٠٦ والأشبونى ٣ : ١٩٩ .

(٢) الآية ٨٢ من القصص .

(٣) الآية ٨٣ من القصص .

أمرأ أو يستعظمه ، فيقول : وى ! فتكون ويكأن مركبة مِنْ وىٍ للتنبيه ، ومن كَأَنَّ للتشبيه .

وكذلك قال الأعلم . فقولُ الشارح المحقق إنّ وى عند سيبويه بمعنى التعجب خلافاً المنقول .

وهذا نص الفراء (في تفسيره ^(١)) قال في آخر سورة القصص : ويكأنّ في كلام العرب تقريرٌ ، كقول الرجل : أما ترى إلى صنْع الله ! وقال الشاعر :

وى كأن من يكن له نَشَبٌ يُحَدِّبُ البيت

وأخبرني شيخٌ من أهل البصرة قال : سمعتُ أعرابيةً تقولُ لزوجها : أين ابْنُكَ وَيْلَكَ ؟ فقال : ويكأنّه وراءَ البيت . معناه أما تَرَيْتَهُ وراءَ البيت .

وقد يذهب بعض النحويين إلى أنهما كلمتان يريد : ويك أنه ، أراد : ويلك ، فحذف اللام وجعل أنّ مفتوحة بفعل مضمر ، كأنه قال : ويلك اعلم أنه وراء البيت ، فأضمر اعلم . ولم نجد العرب تُعمل الظن والعلم بإضمار مضمر في أنّ ؛ وذلك أنه يبطل إذا كان بين الكلمتين أو في آخر الكلمة ، فلما أضمره جرى مجرى الترك . ألا ترى أنّه لا يجوز في الابتداء أن تقول : يا هذا أنك قائم ولا يا هذا أن قمت ، تريد علمتُ أو أعلم ، أو ظننت أو أظن .

وأما حذف اللام من ويلك حتى تصير « ويك » فقد تقوله العرب ، لكثرتها في الكلام . قال عنتره :

(١) معاني الفراء ٢ : ٣١٢ .

ولقد شَفَى نفسى وأبرأ سَقَمَهَا

قَوْلُ الفوارس ويكْ عَنَتُرْ أَقْدِم

وقد قال آخرون : إن معنى وى كَأَنَّ ، أُنْ وى منفصلة من كَأَنَّ ، كقولك لرجل : وى ، أما ترى ما بين يديك ؟ فقال : وى ثم استأنف كَأَنَّ ،
 ٩٦ يعنى كَأَنَّ الله ييسط الرزق لمن يشاء . وهى تعجب ، وكَأَنَّ فى مذهب الظنّ والعلم . فهذا وجه مستقيم . ولم تكتبها العرب منفصلة ، ولو كانت على هذا لكتبوها منفصلة . وقد يجوز أن تكون كَثُرَ بها الكلام فوصلت بما ليست منه ، كما اجتمعت العرب على كتاب يا ابن أم : يَنْتُوْ . قال : وكذا رأيتها فى مصحف عبد الله ، وهى فى مصاحفنا أيضاً . ١ هـ .

فَعَلِمَ من كلامه أُنْ ويكأن عنده كلمة بسيطة بمعنى ألم تر ، والاستفهام للتقرير ، لا أنها مركبة من كلمتين إِمَّا من ويك ومن أن ، كما نقله عن بعض النحويين ؛ وإما من وى ومن كَأَنَّ كما نقله عن بعض آخر .
 فما نقله الشارح المحقق عن الفراء نقلَ مركَّب من قوله الذى صَدَّرَهُ ومن القول الأوّل لبعض النحاة .

قال النحاس بعد نقل ما نقله الفراء : وما أكثر خطأ هذا القول ، وذلك لأنَّ المعنى لا يصحُّ عليه ، لأنَّ القوم لم يخاطبوا أحداً فيقولوا له ويك ، وكان يجب على قوله أن يكون إنه بالكسر . وأجمَعَ المسلمون على الفتح . وأيضاً فليس فى القرآن لام ، فكيف تُحذف اللام لغير علة .

وزعم ابن جنى (فى المحتسب) أن وى عند سيبويه والخليل بمعنى

أعجب ، كما قال الشارح المحقق ، وأنَّ كأنَّ ليست للتشبيه عندهما ، خلافاً للشارح . قال : ومن ذلك قراءة يعقوب : ﴿ وَيَكْ ﴾ يقف عليها ثم يبتدىء فيقول ﴿ إِنَّهُ ﴾ . وكذلك الحرف الآخر مثله .

قال أبو الفتح : في ويكأنه ثلاثة أقوال : منهم من جعلها كلمة واحدة فلم يقف على وى ، ومنهم من يقف على وى ، ويعقوب يقف على وَيَكْ ، وهو مذهب أبى الحسن .

والوجه فيه عندنا قول الخليل وسيبويه ، وهو أنَّ وى على قياس مذهبهما اسمٌ سمى به الفعل فكأنه اسمٌ أعجب ، ثم ابتداء فقال : كأنه لا يفلح الكافرون ، ووى كأنَّ الله ييسط الرزق ، ووى منفصلة من كأن . وعليه بيت الكتاب :

وى كأن من يكن له نَشَبٌ يحـ بَب البيت

ومما جاءت فيه كأنَّ عاريةً من معنى التشبيه قوله (١) :

كأنتى حين أمسى لا تكلمنى

متيمٌ أشتهى ما ليس موجودا (٢)

أى أنا حين أمسى متيمٌ ، من حالى كذا وكذا . ا هـ .

أقول : أما قوله إنَّ وى عندهما اسمٌ أعجب ، فقد تقدّم عن النحاس والأعلم ما يردّه .

(١) فى المختصّب : « ما أنشدناه أبو على » .

(٢) نسب فى الخصائص ٣ : ٩٦ إلى عمر بن أبى ربيعة كما فى ديوانه ٣١٢ ، وفى اللسان (عود

٣١٣) إلى يزيد بن الحكم الثقفى . ولم ينسبه ابن جنى فى المختصّب .

وأما قوله : إن كَأَنَّ عارية عن التشبيه ، فقولُ سيبويه : « أما يُشبهُ أن يكون هذا عندكم هكذا » ، يكذِّبه .

وأما تنظيره لخلو التشبيه بقوله : « كأنتى حين أمسى » البيت ، فهو مذهب الزجاج فيما إذا كان خبر كَأَنَّ مشتقاً لا تكون للتشبيه ، لئلا يتحد المشبه والمشبه به .

وأجيب بأنَّ الخبر في مثله محذوف ، أى كأنتى رجل متيم ، فهي على الأصل للتشبيه .

ثم قال ابن جنى : ومن قال إنها ويك فكأنه قال : أعجب لأنه لا يفلح الكافرون ، وهو قول أبى الحسن ^(١) . وينبغي أن تكون الكاف هنا حرف خطاب كما في « ذلك » ، لأنَّ وى ليست مما يُضاف ^(٢) . ومن وقف على ويك ثم استأنف فينبغي أن يكون أراد أن يُعلم أنَّ الكاف من جملة وى ، وليست بالتى في صدر كَأَنَّ ، فوقف شيئاً لبيان هذا المعنى .

ويشهد لهذا المذهب قول عنتره :

* قيلُ الفوارس ويك عنتر أقدم *

وقال الكسائى : فيما أظن أراد ويلك ثم حذف اللام . وهذا يحتاج إلى خبر نبي ليقبل منه . ٩٧

وقول من قال إنَّ ويكأنه كلمة واحدة إنما يريد به أنه لا يُفصل بعضه من بعض . اهـ .

(١) في النسختين : « وهو قول الحسن » ، وصوابه من المختضب ٢ : ١٥٥ .

(٢) في النسختين : « مما تضاف » ، صوابه في المختضب .

تتمتان

(إحداهما) : جعل ابن هشام (فى المغنى) وى وواها لغتين فى (وا) بمعنى أعجب . وهذا باطل فإن كل واحدة من هذه الثلاثة كلمة مستقلة فى نفسها أصلاً ومادة ، وليست ياء وى مبدلة من ألف (وا) كما يزعمه ابن قاسم ^(١) (فى حواشيه عليه) . هب أنه كذلك فما يقول فى واها . ولم يتنبه أحد من شراحه لما ذكرناه .

واعترض الدمامينى (فى شرح التسهيل) على قول ابن مالك إن وى اسم فعل بمعنى أعجب . فى كلام ابن الحاجب ما يشعر بأن القائل إنها اسم فعل يقول : إنها اسمٌ لإعجب ، أمراً لا مضارعاً ؛ لأنه قال : وى تعجب . ويجوز أن يقال إنها اسم صوت لا اسم فعل ، لأن المتعجب يقوله عند التعجب لا لقصد الإخبار بالتعجب ، بل كما يقول المتألم : آه .

وكذلك يقوله المتعجب منفرداً ، ولو كان اسم فعل لم يقله إلا مخاطباً لغيره . انتهى .

أقول : لا إشعار فيه بما زعمه ، فإن آه اسم صوت ، وهم قالوا إنه بمعنى أتوجع ، وليس فيه قصد الإخبار به . فتأمل .

(الثانية) : نقل المرادى (فى الجنى الدانى) عن صاحب (رصف المباني) أنه قال : وى حرف تنبيه معناها التنبيه على الزجر ، كما أن ها معناها

(١) كذا فى النسختين ، وشهرته « ابن أم قاسم » وهى جدته أم أبيه . وابن أم قاسم هو الحسن ابن عبد الله المرادى .

التنبيه على الحض ، وهى تقال للرجوع عن المكروه والمخذور ، وذلك إذا وُجد رجل يسبُّ أحداً أو يُوقعه فى مكروه ، أو يثْلِفُه ، أو يأخذ ماله ، أو يعْرِضُ بشئ من ذلك ، فيقال لذلك الرجل : وى ، معناه تنبّه وازدجر عن فعلك . ويجوز أن يوصل به كاف الخطاب .. انتهى .

صاحب الشاهد . والبيت الشاهد من أبيات لزيد بن عمرو بن نفيل ^(١) ، وهى :
(تِلْكَ عِرْسَايَ تَنْطِقَانِ عَلَى عَمِّ)

يَدِ إِلَى الْيَوْمِ قَوْلَ زُورٍ وَهْتَرِ
سَأَلْتَانِي الطَّلَاقَ أَنْ رَأَتَا مَا
لِي قَلِيلاً ، قَدْ جِئْتَانِي بِنُكْرٍ
فَلَعَلِّي أَنْ يَكْثُرَ الْمَالُ عِنْدِي
وَيُعْرَى مِنْ الْمَغَارِمِ ظَهْرِي
وَتُرَى أَعْبُدُ لَنَا وَأَوَاقِي
وَمَنَاصِيفُ مِنْ خَوَادِمَ عَشْرِ
وَنَجْرُ الْأَذْيَالِ فِي نَعْمَةٍ زَوِ
لِي تَقُولَانِ : ضَعَّ عَصَاكَ لِدَهْرٍ
وَيَ كَأَنَّ مَنْ يَكُنْ لَهُ نَشَبٌ يُحَدِّثُ
جَبَّ وَمَنْ يَفْتَقِرُ يَعْشَى عَيْشَ ضُرٍّ
وَيُجَنَّبُ سِرَّ النَجِيِّ وَلَكِنْ
مَنْ أَخَا الْمَالَ مُحَضَّرٌ كُلُّ سِرٍّ)

(١) فى البيان ١ : ٢٣٥ / ٣ : ١٢٤ أنها لأبى الأعور سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل . وانظر ما أثبت فى حواشيه .

قوله : « تلك عرساى » مثنى عرس مضاف إلى الياء . والعرس بالكسر : الزوجة ، أى هما عرساى . ويجوز أن يخالف اسم الإشارة المشار إليه كقوله تعالى : ﴿ عَوَّانٌ بَيْنَ ذَلِكَ ﴾^(١) . والعمد : القصد . والهتر بفتح الهاء وسكون المشنة الفوقية : مصدر هتره يهتره من باب نصر ، إذا مزق عرضه . والهتر ، بالكسر : الكذب والداهية ، والأمر العجب ، والسقط من الكلام والخطأ فيه . وبالضم : ذهاب العقل من كبر أو مرض أو حزن . وروى أيضاً :

تلك عرساى تنطقان بهجر
وتقولان قول أثر وعثر^(٢)

والهجر بالضم : اسم من الإهجار وهو الإفحاش في المنطق والختى . والأثر بالفتح : مصدر أثرت الحديث ، إذا ذكرته عن غيرك . ومنه الحديث المأثور ، أى ينقله خلف عن سلف . والأثر بالضم : أثر الجراح يبقى بعد البرء . والعثر بمثناة فوقية بعد المهملة : مصدر عثر الرمح ، إذا اضطرب واهتز ، من باب ضرب . والعثر ، بالمثلثة : الاطلاع على الشيء ، مصدر عثر عليه .

وقوله : « سالتانى الطلاق » إلخ استشهد به سيبويه^(٣) على أن الشاعر يبدل المهمزة ألفاً في الضرورة . قال : وليس هذا من لغة من يقول سيلت يسال كمخفت يخاف . وبلغنا أنه لغة . قال الأعلم : هى لغة معروفة ، وعليها قراءة من قرأ : ﴿ سَالَ سَائِلٌ بعذابٍ واقع ﴾^(٤) . وروى : (تسألان الطلاق) وحينئذ لا شاهد فيه .

(١) الآية ٢٨ من سورة البقرة .

(٢) في النسختين « الهجر » ، صوابه مما سأتى ص ٤٢٠ .

(٣) في كتابه ٢ : ١٧٠ .

(٤) الآية الأولى من سورة الماعز .

وقوله : « قد جئتاني بئكر » التفات من الغيبة إلى الخطاب . والتكر ، بالضم : الأمر القبيح المنكر .

وروى الزجاجي في أماليه بدل نكر (مر) ، من المارة : ضدّ الخلاوة . وروى أيضاً :

سالتاني الطلاق أن رأتاني قلّ مالى قد ... إلخ

فجملة قلّ مالى في محل نصب مفعول ثان للرؤية كالرواية السابقة . ويجوز أن تكون الرؤية بصرية . وجملة قلّ مالى حال من الباء . وقليلاً حال من مالى .

وقوله : « ويعزّي من المغارم » جمع مغرم بالفتح ، وهو ما ينوب الإنسان في ماله من ضررٍ لغير جناية ، كتحمل الدّيات ، والإطعام في النائبات .

وقوله : « وثرى أعبد » إلخ بالبناء للمفعول والخطاب ^(١) . وأعبد : جمع عبد . وأواق ، أى من الذهب والفضة ، وهو جمع أوقية ، وهى سبعة مثاقيل ، وأربعون درهما . وروى بدله : « وجياد » جمع جواد ، وهو الكريم من الخيل . ومناصيف : جمع منصّف ، وهو الخادم . قاله الجاحظ ^(٢) . فالباء زائدة لضرورة الشعر . ومنصّف بفتح الميم وكسرهما ؛ والأنثى بالهاء . وفعله نصفه ينصفه من باب نصر وضرب نصفاً ، ونصافاً ، ونصافة ، بكسرهما وفتحهما ،

(١) كذا في النسختين ، ولا خطاب هنا .

(٢) في البيان ١ : ٢٣٥ - ٢٣٦ .

أى خدمه ، ويقال أيضاً أنصفه بالألف . وخوادم : جمع خادم ، وهى الجارية ، ويقال أيضاً خادمة . والخادم يطلق على المذكور . وروى بدله : « من ولائد عشر » جمع وليدة بمعنى الخادمة .

وقوله : « فى نَعْمَةٍ زَوَل » بفتح الزاى المعجمة وسكون الواو صفة نعمة ، أى حسنة وجيدة . قاله الجاحظ .

وقوله : « ضع عصاك » إلخ وضع العصا كناية عن الإقامة ، لأنَّ المقيم يضعها عن يده ، والمسافر يحملها . قال الشاعر (١) :

فَأَلَقْتُ عَصَاهَا وَاسْتَقَرَّ بِهَا النُّوَى

كَمَا قَرَّ عَيْنَا بِالْإِبَابِ الْمَسَافِرُ

وما أحسن قول البأخرزى :

حَمَلَ الْعَصَا لِلْمَبْتَلَى بِالشَّيْبِ أَنْوَاعَ الْبَلَا
وَصَفَّ الْمَسَافِرُ أَنَّهُ أَلْقَى الْعَصَا كَيْ يَنْزِلَا
فَعَلَى الْقِيَاسِ سَبِيلُ مَنْ أَخَذَ الْعَصَا أَنْ يَرْحَلَا

واللام فى لدهر بمعنى إلى ، أى إلى انقضاء دهر ، وهو الزمان الطويل .

وقوله : « وى كأن من يكن » إلخ من شرطية ونشب اسم كان ، وله خبرها ، ويحبب بالبناء للمفعول من المحبة جزاء الشرط . وكذلك « من يفتقر يعيش » . وعيش مفعول مطلق . والضّر بالضم والفتح : سوء الحال من قلة

(١) هو مضرى الأسدى ، كما فى البيان ٣ : ٤٠ . وفى اللسان (عصا) نسبته إلى معقر بن حمار ، أو عبد ربه السلمى ، أو سليم بن ثمامة الحنفى . ونسب فى كتاب العصا إلى راشد بن عبد الله . نوادر المخطوطات ١ : ١٩٣ .

مال وجاه . والتَّشَبُّ بفتح النون والشين : المال الأصيل من الناطق والصامت .

وأورد صاحب الكشف هذا البيت ، عند قوله تعالى : ﴿ وَيَكَاثُهَا ۙ لَا يَفْلَحُ الْكَافِرُونَ ﴾^(١) على أنَّ وى مفصولة من كَأَنَّ . ٩٩

وقوله : « وَيَجْنِبُ سِرَّ النَجِيِّ » معطوف على يَعِشُ ، وهو بالبناء للمفعول من جَنَّبَهُ إياه تحنيباً ، أى باعده عنه . فهو متعدِّ لمفعولين أولهما نائب الفاعل وهو ضَمِير من يفتقر ، وثانيهما سِرَّ النجى . والسر هو الحديث المكتوم فى النفس .

والنجى : فعيل ، هو من يُفْشَى له السِّر . يعنى أنَّ الفقير يستحقِّره صاحبه فلا يفشى له سرُّه .

وقوله : مُحَضَّر : اسم مفعول من أحضره إِيَّاه ، أى جعله حاضراً غير غائب ، فهو متعدِّ إلى مفعولين أولهما نائب الفاعل وهو ضمير أخى المال ، والثانى كُلَّ سر . وروى أيضاً :

وَيُجَنَّبُ يُسَرُّ الْأُمُورَ وَلَكِنْ
مِنْ ذَوَى الْمَالِ حُضِرَ كُلُّ يُسَرِّ

واليسر : نقيض العسر . وحُضِرَ : جمع حاضر ، من حضره ، إذا شاهدهُ^(٢) .

(١) الآية ٨٢ من القصص .

(٢) ط : « إذا شاهد » .

والرواية الأولى هي رواية الجاحظ (في البيان والتبيين) ، والرواية الثانية هي رواية الزبير بن بكار (في أنساب قريش) ، وتبعه صاحب الأغاني . وأبو الحسن المدائني (في كتاب المقسات ^(١)) . وهي لزيد بن عمرو بن نفيل كما في كتاب سيبويه وخدمته . وكذا (في أمالي الزجاجي الوسطى) ، وأثبتها الجاحظ لابنه سعيد بن زيد ، ونسبها الزبير بن بكار لثبيه بن الحجاج .

قال أبو الحسن المدائني : قالوا : تزوج عمرو بن نفيل امرأة أبيه نفيل ابن عبد العزى ، فولدت زيد بن عمرو بن نفيل ، وكانت ولدت الخطاب أبا عمر بن الخطاب ، فكان الخطأب عم زيد وأخاه لأُمّه . وكان زيد يطلب الدّين ويخرج من مكة إلى الشام وغيرها يلتمس الدّين ، فكان الخطأب يعيب عليه خروجه عن مكة وطلبه الدين ، وخلاف قومه ، وكان يؤذيه ، وأمر امرأته أن تعاتبه وتأخذ به لسانها ، ففعلت ، فاعتزم على الخروج ، فقال زيد لامرأته صفيّة بنت الحضرميّ :

لا تحسبيني في الهوا نِ صَفِيّ ، ما داني ودأبه
إني إذا خفت الهوا نَ مشيع ذُلّ ركابه
دُعومصُ أبوابِ الملو كَ وجانب للخرق بابه
قطّاع أسباب تذر لَ بغير أقران صعباه
ولمّا ألف الهوا نَ العيرُ إذ يهوى إهابه ^(٢)

(١) كذا في ط ، وفي ش : « القسات » بإهمال نقط ما بعد القاف . ولعله « كتاب المغنيات » الذي ذكره ابن النديم في الفهرست ١٤٩ .

(٢) لعلها : « ولربما ألف » . وإلا ففي التفعيلة الأولى عيب الوقص .

وأخى ابن أُمّى ثم عمّ
 سى ، لا يُواتينى خطابه
 وإذا يعاتبنى أخـ
 سى أقول : أعيانى جوابه
 وإذا أشاء لقلت : ما
 عندى مفاتيحه وبابه
 وقال لامراتيه :

تلك عرسائى تنطقان الأبيات

أما الأول فهو زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن
 عبد الله بن قُوط بن رزّاح بن عدى بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر ،
 القرشى العدوى .

زيد بن عمرو
 بن نفيل

قال صاحب الاستيعاب : كان زيد بن عمرو بن نُفيل يطلب دين
 الحنيفية دين إبراهيم عليه السلام ، قبل أن يُبعث النبي ﷺ ، وكان لا يذبح
 للأنصاب ، ولا يأكل الميتة والدم .

قال ابن حجر (فى الإصابة) : ذكر البغوى وابن منده وغيرهما زيدا
 هذا فى الصحابة . وفيه نظر ، لأنه مات قبل البعثة بخمس سنين ، ولكنه يجىء
 ١٠٠ على أحد الاحتمالين فى تعريف الصحابى ، وهو أنه من رأى النبي ﷺ مؤمنا
 به ، هل يشترط فى كونه مؤمنا به أن تقع رؤيته له بعد البعثة فيؤمن به حين يراه
 أو بعد ذلك ، أو يكفى كونه مؤمنا به أنه سيبعث ، كما فى قصة هذا وغيره .
 وقد ذكر ابن إسحاق أن أسماء بنت أبى بكر قالت : لقد رأيت زيد بن

عمرو بن نفيل مسنداً ظهره إلى الكعبة يقول : يا معشر قريش ، والذي نفسى بيده ما أصبح منكم أحد على دين إبراهيم غيرى .

وأخرج الفاكهى بسند له إلى عامر بن ربيعة قال : « لقيت زيد بن عمرو وهو خارج من مكة يريد حراء ، فقال : يا عامر ، إني قد فارقْتُ قومي واتبعت ملة إبراهيم وما كان يعبدُ إسماعيلَ من بعده ، كان يصلّى إلى هذه البَيْتَةِ . وأنا أنتظر نبيّاً من ولد إسماعيلَ ثم من ولد عبد المطلب ، وما أراى أدركه . وأنا أومن به وأصدّقه وأشهد أنه نبي » الحديث . زاد الواقدي في حديث نحوه : « فإن طالَت بك مدة فأقرئه منى السلام ^(١) » . وفيه : لما أسلمت أقرأت النبي ﷺ منه السلام ، فردّ عليه وترحم عليه وقال : « رأيتك في الجنة يسحب ذيولاً » .

وروى الواقدي عن ابنه سعيد بن زيد قال : توفّي أبى وقريش تبنى الكعبة . وكان ذلك قبل المبعث بخمس سنين .

أما سعيد بن زيد المذكور فقد كان من السابقين إلى الإسلام ، وهاجر وشهد أحداً والمّشاهدَ بعدها ، ولم يكن بالمدينة زمانَ بدر ، فلذلك لم يشهدا . وهو أحد العشرة المبشّرة ، وكان إسلامه قديماً قبل عمر ، وكان إسلام عمر عنده في بيته ، لأنه كان زوجَ أخته فاطمة .

قال الواقدي : توفّي بالعقيق فحمل إلى المدينة ، وذلك سنة خمسين من الهجرة ، وقيل إحدى وخمسين ، وقيل سنة اثنتين ، وعاش بضعا وسبعين سنة .

(١) ش : « فأقرئه منى السلام » . والمعروف أقرئه السلام .

وزعم الهيثم بن عدى أنه مات بالكوفة وصلى عليه المغيرة بن شعبة .
قال : وعاش ثلاثاً وسبعين سنة .

وزعم العلامة الدواني (في شرح ديباجة العقائد العضدية) وتبعه
السيد عيسى الصفوى (في شرح الفوائد الغيائية) أن زيد بن عمرو المذكور
نبيٌ أوحى إليه لتكميل نفسه .

وهذه عبارته : النبيُّ : إنسانٌ بعثه الله إلى الخلق لتبليغ ما أوحاه إليه .
وعلى هذا لا يشمل من أوحى الله ما يحتاج إليه لكماله في نفسه ، من غير أن
يكون مبعوثاً إلى غيره ، كما قيل في زيد بن عمرو بن نفيل ، اللهم إلا أن
يُتكلَّف .

أقول : هذا غير صحيح ، فإنه لم يقل أحدٌ من المؤرخين والمحدثين : إنه
نبيٌ أو ادعى النبوة . وأمره مشهور ، وكان حياً في زمن النبي ﷺ ، وليس في
عصره نبيٌ غيره .

قال الذهبي : زيد بن عمرو بن نفيل هو الذي قال فيه رسول الله
ﷺ : « إنه يُبعث أمةٌ وحده (١) » ، وكان على دين إبراهيم ، ورأى النبي
ﷺ ، وتوفي قبل مبعثه ﷺ .

وكان دخل الشام والبلقاء . وكان نفرٌ من قريش : زيد ، وورقة ، وعثمان
ابن الحارث ، وعبيد بن جحش (٢) ، خالفوا قريشا وقالوا لهم : إنكم تعبدون

(١) ط : « واحدة » ، صوابه في ش مع أثر تصحيح ، ومن العثمانية للجاحظ ١٤٢ .

(٢) ذكره في الإصابة ٦٣٩٠ فيمن أدرك النبي ﷺ ولم يره . وقال : شهد القادسية ونزل
الكوفة .

ما لا يضُرُّ ولا ينفع من الأصنام ! ولا يأكلون ذبائحهم . واجتمع بالنبي ﷺ قبل البعثة وقال له : إني شامت النصرانية واليهودية فلم أر فيها ما أريد ، فقصصت ذلك على راهب فقال لي : إنك تريد ملة إبراهيم الحنيفية ، وهي لا توجد اليوم ، فالخلق ببلدك فإنَّ الله باعثٌ من قومك من يأتي بها ، وهو (١) ١٠١ أكرم الخلق على الله . اهـ .

ومنه تعلم أنَّ ما قاله الدواني لا يليق بمثله أن يذكره . وكذا ما في حواشي الكازروني من أنه يجوز أن يكون زيد مبعوثاً إلى الخلق ، بدليل أنه كان يُسند ظهره إلى الكعبة ويقول : أيها الناس لم يبق على دين إبراهيم غيـر . ويُعلم من هذا أنه يجوز أن يكون نبيا ، فلا ينتقض به التعريف . انتهى . وهذا مما يقضى منه التعجب ، وكذا جميع ما ذكره هنا أرباب حواشيه . وذكره البيضاوي عند تفسير قوله تعالى : ﴿ فلا تجعلوا لله أندادا ﴾ (٢) : وقال : هو موحد الجاهلية .

وأما الثاني فهو بُنيّه ، بضم النون وفتح الموحدة بعدها ياء ساكنة فهاء ، وكنيته أبو الرزّام بتشديد الزاى المعجمة ، ابن الحجّاج ، بتشديد الجيم الأولى ، ابن عامر بن حذيفة بن سهم بن عمرو بن هُصَيْص ، بالتصغير ، ابن كعب ابن لؤي بن غالب .

(١) ش : « وهم » تحريف .

(٢) الآية ٢٢ من سورة البقرة .

قال الزبير بن بكار (في أنساب قريش) : كان نبيّة وأخوه منّي ، على صيغة اسم الفاعل من التنبيه ، من وجوه قريش وذوى النباهة فيهم ، وقُتِلَا ببدر كافرين . وكانا من المطعّمين يوم بدر ، ورثاهما الأعشى بن نباش بن زُرارة التميمي ^(١) حليف بنى عبد الدار ، وكان مداحاً لنبيه بن الحجاج ، وله فيه من قصيدة يصف ناقته :

تَبْلَعُنْ رَجُلًا مَحْضًا ضَرَائِبُهُ
مُؤْتَلًا وَأَبُوهُ قَبْلُ مَأْمُولُ
إِنَّ نُبَيْهَا أبا الرِّزَامِ أَحْلَمَهُمْ
جِلْمًا ، وَأَجُودَهُمْ ، وَالْجُودُ تَفْضِيلُ

وكان نُبَيّْة شاعراً ، وهو الذى يقول فى زوجته وقد سألتاه الطلاق :

تلك عِرْسَايَ تنطقان بِهَجْرٍ
وتقولان قولَ أُنْثَى وَعَجْرٍ ^(٢)

إلى آخر الأبيات المقدّمة . ومن شعره :

قَصَّرَ الشَّيْءُ بِي وَلَوْ كُنْتُ ذَا مَا
لِي كَثِيرٌ لَأُخْلَبَ النَّاسُ حَوْلِي ^(٣)

(١) ط : « التميمي » ، صوابه في ش والمؤتلف ٢٠ والاشتقاق ١٤٢ . قال ابن دريد : « أخبرنا بعض أهل العلم عن الأعشى بن نباش بن زُرارة بن وقدان ، أحد بنى تميم .. وسترى تقسيوه في نسب تميم إن شاء الله » .

(٢) سبقت هذه الرواية في ص ٤١١ . وفي ط هنا : « تنطقان لهجر » .

(٣) أحلبوا ، بالحاء المهملة : جاعوا من كل وجه . وفي ط : « أجلب الناس » بالجيم ، وهو بالجيم للتجميع في الشر .

ولقالوا أنت الكريم علينا
ولخطوا إلى هواي وسلي
ولكنك المعروف كيلا هنيئا
يُعجز الناس أن يكيلوا ككيلى^(١)

وله أيضاً :
قالت سليمة يوم جئت أزورها
لا أبتغي إلا امرأ ذا مال
لا أبتغي إلا امرأ ذا أنضر
كى ما أسد مفارق وخلاي
فلأحرصن على اكتساب مُحِبِّ
ولأكسبن في عِفَّةٍ وجمال
وله شعر كثير . اهـ .
والأنضر كأحمد^(٢) : لغة في الأنضر ، وهو الذهب .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والسبعون بعد الأربعمائة^(٣) :

٤٧٩ (قول الفوارس ويك عنتر أقدم)
على أن الفراء قال : وى فى ويكائه ، كلمة تعجب الحق بها كاف
الخطاب ، كقوله : ويك عنتر ، أى ويلك وعجباً منك .

(١) ش : « هينا » بالتسهيل .

(٢) كذا فى النسختين بالبدال .

(٣) المختص ١ : ٢/١٦ : ١٥٦ وأمالى ابن الشجرى ٢ : ٥ ، ٦ وابن يعيش ٤ : ٧٧ وشرح

شواهد المغنى ٢٦٧ والمعنى ٤ : ٣١٨ والتصریح ١ : ١٩٧ والأشعرى ٣ : ١٩٨ .

١٠٢ أقول : ليس هذا مذهب الفراء ، وإنما هو قول لبعض النحويين نقله الفراء عنه كما مضى . زعم أن ويكأن مركب من ويك ومن أن ، وأن ويك أصله ويلك ، فحذفت منه اللام ، كما في بيت عنتره .

ولا تخفى ركافة قول الشارح : « وي كلمة تعجب ألحق بها كاف الخطاب » مع قوله : « أى ويلك وعجباً منك » .

قال ابن الشجرى (فى أماليه) : قال المفسرون فى قول الله تعالى : ﴿ وَيَكُنَّ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ ﴾ ^(١) ، معناه ألم تر أن الله .

ومثل ذلك : ﴿ وَيَكُنَّه لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ ^(٢) . واختلف فيها اللغويون فقال الخليل . إنها وي مفصولة من كآن ، والمراد بها التنبيه . وإلى هذا ذهب يونس وسيبويه والكسائى . وقال السيرافى : وي كلمة يقوؤها المتندم عند إظهار ندامته ، ويقوؤها المندم لغيره والمنبّه .

ومعنى كآن الله يبسط الرزق التحقيق ، وإن كان لفظه لفظ التنبيه ، فالتقدير : تنبّه أن الله يبسط الرزق ، أى تنبّه لبسط الله الرزق . وقال الفراء : معناها فى كلام العرب التقرير ، كقولك لمن تقرره : ألا ترى إلى صنع الله ، فكأنه قيل : أما ترى أن الله يبسط الرزق ^(٣) .

وأقول ^(٤) : إن كل واحد من مذهبي الخليل والفراء ، وكذلك ما قاله

(١) الآية ٨٢ من القصص .

(٢) الآية ٨٢ من القصص .

(٣) هذا ما فى ش وأمالي ابن الشجرى ، وفى ط : « أما ترى الله يبسط الرزق » .

(٤) ش فقط : « فأقول » .

السيرافى من أنَّ التقدير : [تنبّه ^(١)] أن الله ييسط الرزق ، معناه ألم تر أنَّ الله ييسط الرزق . وشاهد ذلك قوله تعالى : ﴿ ألم تر أنَّ الله أنزل من السماء ماءً فتصبح الأرض مخضرة ^(٢) ﴾ .

فهذا تنبيه على قدرته وتقرير بها .

وقال غير هؤلاء من اللغويين : هى وىك بمعنى وىلك ، وحذفت اللام لكثرة هذه اللفظة فى الكلام . وأنَّ من قوله أنَّ الله ييسط الرزق ، مفتوحة بإضمار اعلم .

واحتجوا بقول عنتره : « وىك عنتر أقدم » فالكاف على هذا القول ضمير ، فلها موضع من الإعراب .

وقال آخرون : هى وى اسم للفعل ومعناها أتعجب ^(٣) كما تقول : وى لم فعلت هذا ؟ فالكاف فى هذا الوجه حرف للخطاب ، كالكاف فى رويك ، فهى دالة على أنَّ ^(٤) التعجب موجه إلى مخاطب لا إلى غائب . وانفتحت أنَّ بتقدير اللام ، أى أتعجب لأن الله ييسط الرزق ^(٥) . انتهى كلام ابن الشجرى .

والبيت من معلقة عنتره العيسى . قال شراح المعلقة : قال بعض صاحب الشاهد النحويين : معنى وىك وىحك ، وقال بعضهم : معناه وىلك . وكلا القولين خطأ ، لأنه كان يجب على هذا أن يقرأ وىك إمته ، كما يقال وىلك إمته ، ووىحك

(١) هذه من أمالى ابن الشجرى .

(٢) الآية ٦٣ من سورة الحج .

(٣) فى الأصل : « العجب » ، صوابه من الأمالى .

(٤) هذه الكلمة من ش والأمالى .

(٥) ش فقط : « العجب لأن الله ييسط الرزق » .

لأنه . على أنه قد (١) اختج لصاحب هذا القول بأن المعنى : ويلك اعلم أنه لا يفلح الكافرون .

وهذا أيضا خطأ من جهات : إحداهما حذف اللام من ويلك ، وحذف اعلم ، لأن مثل هذا لا يحذف لأنه لا يعرف معناه . وأيضا فإن المعنى لا يصح ، لأنه لا يُدرى من خاطبوا بهذا . وروى عن بعض أهل التفسير أن معنى ويلك ألم تر ، وأما ترى . والأحسن في هذا ما روى سيبويه عن الخليل ، وهو أن وى منفصلة ، وهى كلمة يقولها المتنم إذا ما تنبه على ما كان منه ، كأنهم قالوا على الندم : وى ، كأنه لا يفلح الكافرون . انتهى .

وروى : (قيل الفوارس) . والقول والقييل بمعنى . وجمع فارس الوصفى على فوارس نادر .

(وعنتر) : منادى مرَّحَم ، أى يا عنترة . و (أقدم) بفتح المهملة وكسر الدال بمعنى تقدّم ، أو هو من الإقدام الذى بمعنى الاجتهاد والتصميم . وروى بدله : (قدّم) ، أى قدّم الفرس ، أو بمعنى تقدّم . جعل أمرهم له بالتقدّم شفاءً لنفسه ، لما ينال فى تقدّمه من الظفر بأعدائه ، ولما يكتسب بذلك من الرفعة وعلو المنزلة .

وقد تقدمت (٢) ترجمة عنترة وشرح المعلقة مع أبيات منها فى الشاهد ١٠٣
الثانى عشر وغيره .

* * *

وأُنشد بعده ، وهو الشاهد الثانون بعد الأربعمئة (٣) :

٤٨٠ (روافدُه أكرمُ الرَّافداتِ بَحْجَ لَكَ بَحْجَ لبحرٍ خِضَمٌ)

(١) ط : « على أنه وقد » ، صوابه فى ش .

(٢) ط : « تقدم » ، وأثبت ما فى ش مع أثر تصحيح .

(٣) ابن يعيش ٤ : ٧٩ والصحاح والمقاييس واللسان (بخنخ ، رقد) .

على أَنَّ الشاعر جَمَعَ فيه لُغَتَي بَخِج الموصولة في الدَّرَج ، وهما :
تخفيف الخاء مع الكسر والتنوين ، وتشديدها كذلك . وهذا من (الصحاح)
فإنَّه قال : بَخِج كلمة تقال عند المدح والرضا بالشئ ، وتكرر للمبالغة فيقال
بَخِج بَخِج . فَإِنْ وَصَلَتْ خَفَضَتْ وَنَوْنَتْ فَقُلْتَ بَخِج بَخِج ، وربما شُدَّتْ
كالاسم . وقد جمعهما الشاعر فقال يصف بيتاً :

روافده أكرم الرافدات البيت

وأورده أبو عبيد القاسم بن سلام (في الغريب المصنف) قال : الروافد
تَحْشَب السقف ، قال الشاعر وذكر بيتاً : روافده أكرمُ البيت .

قال شارح أبياته يوسف بن الحسن السيرافي : بَخِج كلمة تقال عند
وصف الشئ بالرفعة والتناهي في الأمور الجليلة ، وهي مبنية على السكون ،
لأنَّه من أسماء الأفعال ، والفعل الذي هي في موضعه فعل تعجُّب في قولك :
أفعل به ، في موضع أعظم به وأكرم به ، كما كان صَنَ في موضع اسكت .
وهو في نية تعريف . وهذه الأفعال التي للتعريف إذا نوى بها التعريف لم
تُنَوَّنْ ، وإن نوى بها التنكير نَوْنَتْ . فمن قال : بَخِج وَنَوَّنَ أراد به النكرة
فأدخل التنوين ، وهو حرف ساكن ، على الخاء وهي ساكنة ، فاجتمع
ساكنان فكسرت الأولى منهما ، وهي الخاء . فَإِنْ قال قائل : الساكنان إذا
التقيا في كلمة واحدة كسر الثاني منهما ، نحو : دراك ونزال ، وإذا التقيا من
كلمتين كسر الأوَّل نحو : اضرب ابنك وأكرم القوم ، فلم كسرت الخاء
لدخول التنوين وهما في كلمة واحدة ولم يكسر التنوين ؟ قيل له : التنوين ليس
من الكلمة ، وهو مضموم إليها داخلٌ للعلامة ، وليس من حروفها ، فجري

(١) ط : « ويكرر » ، وأثبت ما في ش والصحاح .

مجرى كلمة غير الكلمة الأولى . ويتَّع بالتشديد هو الأصل ، والمخفف ما حذف منه حرفٌ من الأصل . والـخِضْمُ : الكثير العظيم الكثرة . وصف البيت بالكرم وأراد كرم من هو بيته . انتهى .

فعلى كلامه هي اسم فعل لا اسم صوت .
والبيت لم أقف على قائله وتتمته . والله أعلم .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والثمانون بعد الأربعمئة ^(١) :

٤٨٩ (وصارَ وصلُ الغانياتِ أُنْخَا)

على أنَّ الشاعر جعل (أُنْخَا) كالمصدر فأعرَّبه ، وهو مصدر بمعنى المفعول أى مكروها .

وكذلك أورده الزمخشري في الأصوات وقال : وأُنْخ عند التَّكْرَه . قال العجَّاج :

* وصار وصلُ الغانياتِ أُنْخَا *

وروى : « كُنْخَا » . قال ابن دريد (في الجمهرة) : أُنْخ ، وذكرها بالفتح ، كلمة تقال عند التَّأَوُّه ، وأحسبها محدثة . وكُنْخ : زجر للصبي وردَّع له ، وتقال عند التقذُّر للشيء ، وتكسر الكاف وتفتح وتسكن الحاء وتكسر ، بتنوين وغير تنوين ، قيل هي أعجمية عربت . كذا في النهاية .

ولم أر نسبة البيت للعجَّاج إلَّا في الفصل .

١٠٤ و (في العباب للصاغاني) يقال للصبي إذا نُهي عن فعل شيءٍ قدِّر :

(١) مجالس ثعلب ٤٥١ وأمالى الزجاجي ١٢١ وابن يعيش ٤ : ٧٥ ، ٧٩ وملحقات ديوان العجَّاج ٧٦ .

إخ بالكسر ، بمنزلة قول العجم : كِخْ ، كأنَّه زجر ، وقد تفتح همزته ، قال أعرابى :

« وكان وصلُ الغانيات أُنْحَا »

ويروى كَحْخَا . وإخ بالكسر : صوت ينادى به الجمل ليبرك ؛ ولا يشتق منه الفعل فلا يقال أَحَحْتُ الجمل . إِنَّمَا يقولون أُنْحَتْه .

وهو من أبيات رواها جماعة غُفْلا ، منهم ثعلب (فى أماليه) ، أنشد :

لا خيرَ فى الشيخ إذا ما اجلحَا

وسألَ غَرْبُ عَيْنِهِ وَلَحَا

وكان أكلاً قاعداً وشَحَا

تحت رواق البيت ، يغشى الدُّحَا

وانثنت الرجل فكانت فَحَا

وكان وصلُ الغانيات أُنْحَا

اجلَحْ : سقط ولم يتحرَّك . ولَحَّ : سأل . وأَخ كقولك : أف وثَف .

انتهى .

وكذا رواها الزجاجى (فى أماليه الوسطى) عن ابن الأعرابى وقال : اجلَحْ : اعوجَّ . ولَحَّ : التصقت عينه . وشَحَا ، يقول : كثر غائطه . والدُّحُ ، بضم الدال وفتحها : الدُّحان . ويغشى الدُّحُ : يغشى ^(١) التَّنُورَ فيقول : أطعمونى . انتهى .

وقال على بن حمزة البصرى (فى التنبيهات) : الغرب : بثرة تكون فى

(١) يغشى ، من ش فقط .

العين تُقْذَى ولا تَرْقَأُ . وأنشد الأبيات . وكذلك أنشد الأبيات ابن دريد (في
الجمهرة) وقال : لَحَّتْ عينه تَلِخُ لَحًّا ولَحْخًا ، إذا كَثُرَتْ دموعها وغلظت
جفونها . وربما قالوا : لَحَّتْ ، أى بالمهملة .

وقال أبو عبد الله محمد بن الحسين البجلي (في طبقات النحويين) :
حدثنا ابن مُطَرِّف قال : أخبرنا ابن دريد قال : أخبرنا عبد الرحمن عن عمه
قال : قالت أعرابية في زوجها وكان شيخا :
* لا خير في الشيخ إذا ما اجلحًا *

الأبيات . فقال زوجها :
أَمَ جَوَارٍ ضِنُّوْهَا غَيْرُ أَمِرٍ
صَهْصَلَقُ الصَّوْتِ بعينها الصَّيْرُ
تُبَادِرُ الذَّنْبُ بعْدُوْ مشفتر
سَائِلَةٌ أَصْدَاغُهَا مَا تَخْتِمِرُ
تَغْدُو عَلَيْهِمْ بَعْمُوْدٌ منكسر
حَتَّى يَفِرَّ أَهْلُهَا كُلُّ مَفَرٍّ
لَوْ نَحَرَتْ فِي بَيْتِهَا عَشْرَ جُزُرٍ
لَأَصْبَحَتْ مِنَ لَحْمِهِن تَعْتِزُرُ
فَقَالَتْ لزوجها : اسكت فَإِنَّا جِمَارًا الْعِبَادِيَّ . قال : أَجَلٌ ، وَأَنْتِ
بَدَأْتَ . انتهى .

وَجَوَارٍ : جمع جارية . وَالضَّنُّ ، بفتح الضاد المعجمة وكسرهما وسكون
النون بعدها همزة : النسل والولد ، لا واحد له من لفظه . وَأَمِرٌ : كثير ، من
أَمَرَ كَفَرَحَ ، إذا كثر . وَالصَّهْصَلَقُ قال في القاموس : هي العجوز الصَّحَابَةُ ،

ومن الأصوات : الشديد . والصَّبْر : عُصارة شجر مُرّ . يريد أن عينها تدمع دائماً كأنّ فى عينها هذه العصارة .

والمشفتّر كمقشعرّ : المشمّر ، والمتنصب .

وسائلة أصداغها ، أى طويلة شعر الأصداغ . وما تختمر ، أى لم تستعمل الخمار .

والجزر بضمّتين : جمع جزور ، وهو البعير أو الناقة المجزورة ، وما يذبح من الشاء ؛ واحدها جَزَرَة .

* * *

المركب

أنشد فيه ، وهو الشاهد الثاني والثمانون بعد الأربعمئة (١) :

١٠٥ ٤٨٢ (كُلف من غنائهِ وشِقوتُهُ

بنت ثمانى عشرة من حِجَّتِهِ)

على أن بعض الكوفيين أجاز إضافة النيف إلى العشرة .

قال أبو على (فى التذكرة القصيرة) : البغداديون يجيزون خمسة عشر ،

فيضيفون وأنت تريد به العدد ، ويستشهدون بقول الشاعر :

كُلف من شقائه وشِقوته (٢)

بنت ثمانى عشرة من حِجَّتِهِ

وأصحابنا يمنعون من ذلك إذا أردت به العدد . فإن سميت بخمسة عشر

جازت الإضافة على قول من قال معديكرب ، وجاز أن لاتضيف على حد من

قال معديكرب ؛ لأنه قد خرج عن العدد بالتسمية . وأجاز ذلك

أبو عمر (٣) (فى الفَرخ) انتهى .

وقال ابن الأنبارى (فى مسائل الخلاف) : ذهب الكوفيون إلى أنه

(١) الحيوان ٦ : ٤٦٣ والمخصص ١٤ : ١٧/٩٢ : ١٠٢ والإنصاف ٣٠٩ والعينى ٤ : ٤٨٨

والتصریح ٢ : ٢٧٥ والجمع : ١٤٩ والأشعوى ٤ : ٧٢ .

(٢) حاول الشنقيطى فى نسخته أن يجعلها « من عنائه وشِقوته » .

(٣) فى النسختين : « أبو عمرو » ، تحريف . وصاحب كتاب الفرخ هو أبو عمر صالح بن =

يجوز إضافة النيف إلى العشرة ، واستدلوا بالبيت ، ولأن النيف اسم مظهر كغيره من الأسماء المظهرة التي تجوز إضافتها ، ومنعه البصريون لأن الاسمين قد جُعلا اسماً واحداً ، فكما لا يجوز أن يضاف الاسم الواحد بعضه إلى بعض فكذلك ههنا .

وبيان ذلك : أن الاسمين لهما ركبا دلاً على معنى واحد ، والإضافة تبطل ذلك المعنى . ألا ترى أنك لو قلت : قبضت خمسة عشر من غير إضافة دل على أنك قد قبضت خمسة وعشرة . وإذا أضفت دلاً على أنك قبضت الخمسة دون العشرة ، فلما كانت الإضافة تبطل المعنى المقصود وجب أن لا تجوز .

وأما البيت فلا يعرف قائله ، ولا يؤخذ به . على أنا نقول : إنما صرفه لضرورة ، ورده إلى الجر لأن ثمان عشرة لما كانا بمنزلة اسم واحد وقد أضيف إليهما بنت رد الإعراب إلى الأصل بإضافة بنت إليهما ، لا بإضافة ثمان إلى عشرة . وهم إذا صرفوا المبنى للضرورة ردوه إلى الأصل .

وأما قولهم إن النيف اسم مظهر كغيره من الأسماء في جواز الإضافة ، قلنا : إلا أنه مركب ^(١) ، والتركيب ينافي الإضافة ، لأن التركيب جعل الاسمين اسماً واحداً بخلاف الإضافة ، فإن المضاف يدل على مسمى ، والمضاف إليه يدل على مسمى آخر . وحيث لا يجوز الإضافة لاستحالة المعنى . اهـ .

= إسحاق الجرمي المتوفى سنة ٢٢٥ ، كما في البغية . وقد ذكر ابن النديم من كتبه في الفهرست ٨٤ « كتاب الفرخ » كما ذكر في إنباه الرواة ٢ : ٨٢ . وذكر الميمنى في الإقليد ٨٠ أن كتابه يسمى « فرخ سيبويه » وفيه يقول المعري في لزومياته :

وللجرمي ما اجترمت يده وحسبك من فلاح أو بوار
وأما فرخه فبلا جناح يطير بحمل أقلام جوار

(١) ش : « قلنا إنه مركب » .

وأنشد الفراء البيت في موضعين (من تفسيره) عن أنى ثروان :
أحدهما : عند قوله تعالى : ﴿ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا ^(١) ﴾ ، لما ذكر
من مذهب الكوفيين ، وفصل المسألة عندهم .

وثانيهما عند قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا ^(٢) ﴾ ، بكسر
الشين ، وهى قراءة أهل المدينة وعاصم ، وأنشد البيت أيضاً .

و (العناء) بالفتح : التعب والتَّصَبُّب . و (الحِجَّة) بالكسر :
السَّنة . ونائب فاعل كُلفَ : ضمير الرجل ، وبنت مفعول ثانٍ لِكُلفَ .

قال الجاحظ (فى كتاب الحيوان) : أنشدنى أبو الرُّدَيْنى الدَّهْم بن
شِهَاب ، أحد بنى عَوْف بن كنانة ، مِنْ عُكَل ^(٣) قال : أنشدنى نُفَيْع بن
طارق :

عُلُق من عنائه وشيقوته
بنت ثمانى عشرة من حِجَّته
وقد رأيت هَدَجاً فى مشيته
وقد جَلَّ الشَّيْب عذارَ لحيته ^(٣)
يظنُّها ظناً بغير رؤيته
تمشى بِجَهْم ضيقه فى همته ^(٤)

(١) الآية ٤ من سورة يوسف . معانى الفراء ٢ : ٣٤ .

(٢) الآية ١٠٦ من سورة المؤمنين . معانى الفراء ٢ : ٢٤٢ .

(٣) جلالة : جعله واضحاً أبيض . فى النسختين : « حكى » ، صوابه فى الحيوان .

(٤) ش : « ضيقة » صوابه فى ط والحيوان . وفى الحيوان أيضاً : « من همته » .

١٠٦

لم يُخْزِهِ اللَّهُ بِرُحْبِ سَعَتِهِ

حَجَّجَ بَعْدَ حَلْقِهِ وَثُورَتَهُ (١)

كَقَنْفِذِ الْقَفِّ اخْتَفَى فِي فَرَوْتِهِ

لَا يَقْنَعُ الْأَيْرُ بِنَزْعِ زَهْرَتِهِ (٢)

* كَأَنَّ فِيهِ وَهَجاً مِنْ مَلَّتِهِ *

والهدج : مشية الشيخ . والجهم : الباسر الكالح ، من جَهَمَ بالضم ، إذا صار باسر الوجه . أراد جرّاً جَهَمَا ذَا عُكْنٍ ، كالوجه الجَهْم . وقوله : « ضَيْقُهُ فِي هِمَّتِهِ » ، أراد أَنَّ جِرْهَا ضَيْقٌ كَضَيْقِ هِمَّتِهِ . وَحَجَّجَ ، بفتح الجيم والحاء المهملة ، أى برز الجِرَّ الجَهْمُ ، من حَجَّجَ الرجل إذا فتح عينيه كالشاحص . والقَفُّ : حجارة غاصَّ بعضها ببعض ، مترادف بعضها إلى بعض . والملة ، بالفتح : الرَّمَادُ الحار .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والثمانون بعد الأربعمئة (٣) :

٤٨٣ (وَلَا تَبْلَى بِسَالَتِهِمْ وَإِنْ هُمْ

صَلُّوا بِالْحَرْبِ حِيناً بَعْدَ حِينٍ)

(١) فى الحيوان : « جم » ، أى ظهر فيه الشعر ولم يغزر ، وأصله من الجيم ، وهو النبات الذى طال بعض الطول ولم يتم .

(٢) زهرته ، كذا وردت فى النسختين . وفى الحيوان : « رهوته » . والرهوة : مستنقع الماء . والنزع مأخوذ من نزع الماتع بالدلو من البئر .

(٣) أمالى القالى ١ : ٢٦٠ وابن يعيش ٤ : ١٥٣ والحامسة ٤١ بشرح المرزوقى .

(٢٨ خزانة الأدب ج ٦)

على أن أصل جِينَ جِينَ بالتركيب ، حيناً بعد حين ، كما في البيت .
وأورده صاحب الصحاح في صِلَى بالأمر كفرح ، إذا قاسى حرّه
وشدّته .

والبيت من أبياتٍ لأبي العُول الطُّهويّ ، أوردها القائلُ (في أماليه) ،
وأبو تمام (في أوّل حماسته) ، وهى :

صاحب الشاهد

(فَدَتِ نَفْسِي وَمَا مَلَكَتْ يَمِينِي

أبيات الشاهد

فَوَارِسَ صَدَّقُوا فِيهِمْ ظَنُونِي

فَوَارِسُ لَا يَمْلُونُ الْمَنَايَا

إِذَا دَارَتْ رَحَا الْحَرْبِ الزَّبُونِ

وَلَا يَجْزُونَ مِنْ حَسَنِ بَسْوَءِي

وَلَا يَجْزُونَ مِنْ غِلَظِ بَلِينِ

وَلَا تَبْلَى بِسَالْتِهِمْ وَإِنْ هُمْ

صَلُّوا بِالْحَرْبِ حِيناً بَعْدَ حِينِ

هُمْ مَنَعُوا جَمِيَّ الْوَقْتِ بِضَرْبِ

يُؤْلَفُ بَيْنَ أَشْتَاتِ الْمَنُونِ

فَنَكَبَ عَنْهُمْ دَرَّةَ الْأَعَادِي

وَدَاوُوا بِالْجُنُونِ مِنَ الْجَنُونِ ^(١)

وَلَا يَرْعَوْنَ أَكْنَافَ الْهُوَيْنِي

إِذَا حَلُّوا وَلَا أَرْضَ الْهَدُونِ ^(٢)

(١) ط : « وداوى » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح . وانظر الشرح فى ص ٤٣٧ .

(٢) ش : « أكناف الهوينى » ، صوابه فى ط والمراجع السابقة .

قوله : « فدت نفسى » إلخ جملة دعائية ، وما موصولة . وتخصيص
اليمن لفضائلها وقوة التصرف بها ، وهم يقيمون البعض مقام الجملة وينسبون إليه
الأحداث والأخبار كثيرا ، كقوله تعالى : ﴿ فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا
خَاضِعِينَ ^(١) ﴾ .

قال أبو عبيد البكرى (فى شرح أمالى القالى) : قوله : صدّقوا فيهم
ظنونى ، فظنونى مفعوله . وروى غير القالى : « صدّقت فيهم ظنونى » فالظنون
على هذه الرواية فاعلة ^(٢) . ويروى « صدّقت » بضم الصاد فتكون الظنون
مفعولة . يريد أنّها نائب فاعل .

وأنشده صاحب الكشف فى سورة سبأ برواية : « صدّقت فيهم
ظنونى » ، وقال : لو قرئ : ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ ^(٣) ﴾ ،
بتشديد الدال ورفع إبليس والظن كما فى البيت لكان مبالغة فى الصدق عليهم .
وفوارس شاذ فى الجموع ، لأنّ فواعل جمع فاعلة لما يعقل دون فاعل .
والمعنى : تفدى نفسى ومالى أجمع فوارس يكونون عند ظنونى بهم فى الحرب .

وقوله : « فوارس لا يملون » إلخ بالنصب بدل من فوارس وبالرفع خبر
مبتدأ محذوف ، أى هم فوارس . والمنايا : جمع منية ، وهى الموت ؛ أراد
أسبابها . والرّيون : الناقة التى تزيّن حالّيتها ، أى تدفعه برجلها ، ومنه الرّبانيّة ،
لأنّهم يدفّعون إلى النار . وإتما لم يؤث لاستواء فعول فى المؤنث والمذكر .
شبهه الحرب التى لا تقبل الصّلح بالناقة الرّيون . ويقال ثبت فلان فى رحا
الحرب ، أى حيث دارت كالرحا .

(١) الآية ٤ من الشعراء .

(٢) فى النسختين : « فاعله » و « مفعوله » فيما سيأتى . والوجه ما أثبت من الآلى ٥٨٠ .

(٣) الآية ٢٠ من سورة سبأ . وقراءة رفع « إبليس » و « ظنه » هى قراءة عبد الوارث عن
أبى عمرو ، كما فى تفسير أبى حيان ٧ : ٢٧٣ . وقرأ الكوفيون : « صدق » بالتشديد ، مع رفع إبليس
ونصب ظنه . وباقي السبعة « صدق » بالتخفيف مع رفع إبليس ونصب ظنه .

قوله : « ولا يجزون من حسن » إلخ ، يُشرح إن شاء الله في أفعال التفضيل (١) .

قوله : « ولا تبلى بسالتهم » إلخ قال الطبرسي : تبلى من بلى الثوب . ويروى : « تُبلى » بالضم ، من بلوت إذا اختبرت . والبسالة يُوصف بها الأسد والرجل . وصلوا من صلييت بكذا ، أى مُنييت به . وجواب إن هم صلوا يدُل عليه ما قبله ، تقديره : إن مُنوا بالحرب لم تُخلق شجاعتهم ، أو لم تختبر شجاعتهم ليعرف غورها ومنتهاها على مر الزمان ، واختلاف الأحوال . انتهى . وقال أبو عبيد البكري : هكذا الرواية « تبلى » بالفتح من البلى . وروى غير القالى : « ولا تُبلى » بضم التاء من الابتلاء ، وهو الاختبار ، أى لا يختبر ما عندهم من التَّجدة والبأس وإن طال أمد الحرب ، لكثرة ما عندهم من ذلك . ويجوز على هذه الرواية « صلوا بالحرب إلّا بعد حين » .

وقوله : « هُم مَنَعُوا حِمَى » إلخ الحمى : موضع الماء والكلأ . والوقى بفتح الواو والقاف : موضع بقرب البصرة . وكان من حديثه أن عبد الله بن عامر كان عاملاً لعثمان بالبصرة وأعمالها ، واستعمل بشر بن حارث بن كهف المازنى على الأحماء التى منها الوقى ، فحفر بها رَكِيتَيْن : ذات القصر ، والجوفاء (٢) ، فانتزعهما منه عبد الله بن عامر ، ووقعت الحرب بينهم بسبب ذلك ، وعاد الماء فى آخر حروب ومُغاورات إلى بنى مازن . كذا قال شراح الحماسة .

وقال أبو عبيدة : كانت الوقى لبكر على إياد الدَّهْر ، فغلبهم عليها بنو

(١) فى الشاهد ٦٢٦ .

(٢) فى النسختين : « الجوفاء » صوابه بالجيم ، كما فى شرح الحماسة للتهيزى ١ : ٣٤ ومعجم البلدان فى حرف الجيم .

مازن يعون عبد الله بن عامر صاحب البصرة لهم ، فهي بأيدي بني مازن اليوم . وكان بين بني شيبان وبين مازن حرب فيها ، وتعرف بيوم الوقى ، قُتل فيها جماعة من بني شيبان . انتهى .

يقول : إن هؤلاء القوم هم الذين يمنعون جمى هذا المكان ، بضرب يجمع بين المنايا المتفرقة . وهذا يحتمل وجوهاً : يجوز أن يكون أن هؤلاء لو بقوا في أماكنهم ولم يجتمعوا في هذه المعركة لوقعت منايهم متفرقة في أمكنة متغايرة ، وأزمنة متفاوتة ، فلما اجتمعوا تحت الضرب الذى وصفه صار الضرب جامعاً لهم .

ويجوز أن يكون المعنى أن أسباب الموت مختلفة ، وهذا الضرب جمع بين الأسباب كلها . وحكى عن أبى سعيد الضَّرير أن المعنى أن الضرب إذا وقع أَلَف بين أقدراهم التى قُدِّرت عليهم . ويجوز أن يكون المراد : بضرب لا ينفس المضروب ولا يُمهله ، لأنه جمع فَرَّق الموت له .

وقوله : « فنكَّب عنهم » إلخ الدرء أصله الدفع ، ثم استعمل في الخلاف ؛ لأنَّ المختلفين يتدافعان . يقول : هذا الضرب نكَّب عن هؤلاء القوم اعوجاج الأعادى وخلافهم ، وداوؤا الشرَّ بالشرِّ . وهذا كقولهم : « الحديد بالحديد يُفْلَح » . وأصل النَّكَب المِيل . وقال أبو عبيد البكرى : هذا مثل قول عمرو بن كلثوم :

ألا لا يجهلنَّ أحدٌ علينا

فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وقال الفرزدق :

أحلامنا تَرِنُ الجِبَالِ رزانةً
ويزيد جاهلنا على الجهال

١٠٨ قوله : « ولا يرعون أكناف » إلخ الهويني : الدعة والخفض ، وهو مصغر
الهويني تأنيث الأهون . ويجوز أن يكون الهوني اسماً مبنياً من الهينة وهي
السكون ، ولا تجعله تأنيث الأهون .

والهيدون : السكون والصلح . يصفهم بالحرص على القتال ، وإيثار
جانب الخصومة على الصلح . فيقول : لا يرعى هؤلاء القوم ، من عزهم
ومنعتهم ، الأماكن التي أباحتها المسالمة ، ووطأتها ^(١) المهادنة ، ولكن يرعون
النواحي الحمية ، والأراضي المنيع ^(٢) .

وأبو الغول الطهوي هو كما قال الأمدى (في المؤلف والمختلف) من
قوم من بنى طهية يقال لهم بنو عبد شمس بن أبي سود ^(٣) . وكان يكنى
أبا البلاد ، وقيل له أبو الغول لأنه فيما زعم رأى غولا فقتلها وقال :
رأيت الغول تهوى جُنَحَ ليل

بسهب كالعباية صحصحان

فقلت لها : كلانا نضو أرض

أخو سفير فصُدّي عن مكاني ^(٤)

(١) وطأ الشيء : سهله وهَيَّاه . في النسختين : « ووطئتها » ، صوابه من اللآلئ ٥٨١ .

(٢) في اللآلئ : « والأرضين الممنعة » .

(٣) ط : « بن سود » ، صوابه من ش مع أثر تصحيح والمؤلف ١٦٣ . وانظر الاشتقاق ٢٣٣
وما سيأتي في ضبط البغدادى .

(٤) ط : والمؤلف : « فقلت له » ، صوابه في ش . والغول مؤنثة .

إذا عَيْنَانِ فِي وَجْهِ قَبِيحٍ
كُوجِهَ الْمَهْرُ مَشْقُوقِ اللِّسَانِ
بِعَيْنَيْنِ بُومَةٍ وَشَوَاةٍ كَلْبٍ
وَجَلْدٍ فِي قَرَأٍ أَوْ فِي شَيْنَانِ^(١)

وله في هذا حديث وخبر (في كتاب بنى طهية) . انتهى .
ونسب ابن قُتَيْبَةَ تلك الأبيات^(٢) لأبي الغول النهشلي . قال : هو أبو الغول النهشلي
عَلْبَاءُ بْنُ جَوْشَنَ ، من بنى قَطَنَ بن نهشل ، وكان شاعرا مجيدا ، وهو القائل :
وَسَوْءَةٌ يُكْثِرُ الشَّيْطَانُ إِنْ ذُكِرَتْ
مِنْهَا التَّعَجُّبُ ، جاءت من سليمانا
لا تَعَجِبَنَّ لَخَيْرٍ جَاءَ مِنْ يَدِهِ
فَالْكُوكَبُ النُّحْسُ يَسْقَى الْأَرْضَ أَحْيَانًا^(٣)

انتهى .

وأبو الغول النهشلي غير أبي الغول الطهوي ، نقلهما الآمدي عن أبي
اليقظان ؛ وقال في النهشلي : هو علباء بن جَوْشَنَ ، وإنَّه شاعر ذكره أبو
اليقظان ولم ينشد له شعراً ، ولم أرَ له ذكراً في كتاب بنى نهشل . انتهى .
وأبو سود بضم السين هو ابن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة
ابن تميم . وأم أبي سود طهية بنت عبد شمس بن سعد بن زيد مناة بن تميم .

(١) في المؤلف : « بعيني بومة » . والبومة : طائر يشبه البومة إلا أنه أصغر منها . وقال
أبو عمرو : هي البومة الصغيرة .

(٢) يعني أبيات الشاهد النونية ، انظر الشعراء ٣٩٤ .

(٣) في الشعراء : « زل عن يده » .

ونهشل هو ابن دارم بن مالك بن حنظلة المذكور . فأبو سود يكون عمّ نهشل . وعِلْبَاء بكسر العين المهملة وسكون اللام بعدها باء موحدة وألف ممدودة .

وسليمان هو سليمان بن عبد الملك بن مروان .
فالنهشلي شاعر إسلامي في الدولة المروانية . وأمّا الطهويّ فلم أقف على كونه إسلامياً أو جاهلياً .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والثانون بعد الأربعمئة ، وهو من شواهد س^(١) :

٤٨٤ (فلولاً يومٌ يومٌ ما أردنا
جَزَاءَكَ والقُرُوضُ لها جَزَاءٌ)

على أنّه إذا خرج الظروف والأحوال عن الظرفية والحالية وجبت الإضافة ولم يجز التركيب .

قال سيبويه : وأمّا يومٌ يومٌ ؛ وصباحٌ مساءً ، وبيتٌ بيتٌ ، وبينَ بينَ ، فإن العرب تختلف في ذلك ، يجعله بعضهم بمنزلة اسمٍ واحد ، وبعضهم يضيف الأول إلى الآخر ولا يجعله اسماً [واحداً^(٢)] ، ولا يجعلون شيئاً من هذه الأسماء بمنزلة اسمٍ واحد إلا في حال الحال والظرف ، كما لم يجعلوا يا ابن عمّ ويا ابن أمّ بمنزلة شيءٍ واحد إلا في حال النداء . والآخرُ من هذه الأسماء في موضع جرٍّ ، وجعل لفظه كلفظ الواحد وهما اسمان أحدهما مضافٌ إلى

(١) في كتابه ٢ : ٥٣ . وانظر الشذور ٧٦ والجمع ١ : ١٩٧ وديوان الفرزدق ٩ .

(٢) التكملة من سيبويه .

الآخر . وزعم يونس ، وهو رأيه ، أنَّ أبا عمرو كان يجعل لفظه كلفظه ^(١) ، إذا كان شيئاً منه ظرفاً أو حالاً . وقال الفرزدق :

ولولا يومٌ يومٌ ما أردنا البيت

فالأصل في هذا والقياسُ الإضافة . انتهى .

قال الأعلام : الشاهد فيه إضافة يوم الأول إلى الثاني ، على حدِّ قوهم : معديكرب ، فيمن أضاف الأول إلى الثاني . يقول : لولا نصر مالك في اليوم الذي تعلم ما طلبنا جزاءك . وجعل نصرهم له قرضاً يطالبونه بالجزاء عليه . هذا كلامه ، ولم يشرح وجه الإضافة . وظهرها إضافة المترادفين . وقد شرحها أبو علي (في التذكرة) قال : أما قوله حين لا حين ، فالثاني غير الأول ، لأنَّ الحين يقع على الجزء اليسير من الزمان ، فأضاف الحين الأول إلى الثاني ، ولا زائدة ، فيكون من إضافة البعض إلى الكل ، نحو حلقة فضة ، وعيد السنة ، وسبت الأسبوع ، فلا يكون إضافة الشيء إلى نفسه . ومثله قول الفرزدق :

ولولا يوم يوم ما أردنا ... البيت

فيوم الأول : وضع النهار ، والثاني البرهة ، كالتي في قوله : ﴿ وَمَنْ يُولَّهُمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ ﴾ ^(٢) . وأنشد أبو عمرو :

حَبَّذا العَرَصَاتُ يَوْمًا في ليالي مُقَمَّرَاتٍ ^(٣)

فقال : « يوما في ليالي » إرادة المدَّة ، دون المعاقب اللَّيْلِ . انتهى .

(١) في سيبويه : « كلفظ الواحد » .

(٢) الآية ١٦ من سورة الأنفال .

(٣) ط : « ليالي المقمرات » ، وأثبت ما في ش .

وأُنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والثمانون بعد الأربعمئة ، وهو من شواهد س^(١) :

٤٨٥ (وَجَنَّ الْخَازِبَارِ بِهِ جُنُونًا)

على أَنَّ لام التعريف إذا دخلت على اللغات المذكورة لخازبار لم تغيّر ما كان مبنياً عن بنائه .

قال ابن برى (فى شرح أبيات إيضاح الفارسي) : بنى على الكسر كما تبنى الأصوات ، وفيه لغات . ولَمَّا أرادوا تعريفه أدخلوا أل عليه ؛ لأن المركب حكمه حكم المفرد فى ذلك ، نحو الخمسة عشر درهما . قال أبو على : وإنّما جاز دخول أل عليه وإن كان الغالب عليه وقوعه صوتاً لأنّهم أوقعوه على غير الأصوات فى نحو قوله :

يا خازبارِ أرسل اللهازيما إتي أخاف أن تكون لازما

فقل إله ورم . وقد يجوز أن يشبه بباب العباس ، لأن ما دخلته أل من ذلك كثير ، نحو :

* تداعين باسم الشيب^(٢) *

وشيب : حكاية صوت جذب الماء ورشقه عند الشرب . انتهى :

وصدره :

(تَفَقَّأُ فَوْقَهُ الْقَلْعُ السَّوَارَى)

(١) فى كتابه ٢ : ٥٢ . وانظر الحيوان ٣ : ٦/١٠٩ : ١٨٥ والإنصاف ٣١٣ وابن يعيش ٤ : ١٢١ وحماة البحرى ١٩٠ والكامل ٣٠٠ واللاى ٥٩٣ .

(٢) هو الشاهد الثامن فى الخزانة ١ : ١٠٤ ، وهو بتمامه :
تداعين باسم الشيب فى مثلهم جوانبه من بصرة وسلام

والبيت من قصيدة لابن أحرر . وقبله :

(يَظْلُ يَحْفُهُنَّ بِقَفْقَفِيهِ وَيُلْحِفُهُنَّ هَفَّافاً ثَخِيناً ^(١)
 بهجلاً من قساً ذفر الخزامى تهادى الجرياء به الحنينا
 تفقاً فوقه البيت)

يصف في هذه الأبيات نعاماً . ويحفهن أى يحف بيضات .
 والقفقفان : الجناحان . والقفقف كجعفر ، بقافين بينهما فاءان . وجناح
 هفاف ، أى خفيف الطيران . وجعله ثخيناً لتراكم الريش عليه . أى يلبس
 بيضه جناحيه ، ويجعلهما للبيض كاللحاف ، وجناحه خفيف مع ثخينه ١١٠
 وكثرة ريشه ، لأنه لو كان ثقیلاً لكسر البيض .

وقوله : « بهجل من قساً » إلخ الباء متعلقة بيلحفهن . والهجل ، بفتح
 الهاء وسكون الجيم : المطمئن من الأرض . والروض أحسن ما يكون في
 مطمئن ، لأن السئول تجتمع فيها . وقساً ، بفتح القاف والسين المهملة :
 موضع . يريد أن هذا الموضع أدهيها ومحل بيضها . وذفر صفة لهجل بفتح
 الدال المعجمة وكسر الفاء ، وصف من الذفر بفتحتين ، وهو كل ريح ذكية
 من طيب أو نتن . وأما الذفر بالمهملة وسكون الفاء فهو النتن خاصة .
 والخزامى بضم المعجمة : نبات طيب الريح . والجرياء بكسر الجيم : ريح
 الشمال . وتهادى أى تهادى ، أى تهدى إليه الحنين ، وهو الشوق وتوقان
 النفس . وضمير به للهجل .

(١) هفاف وهفهاف : يطير مع الريح . والمراد الجناح . وفي اللسان : « هفهافا » .

وقوله : (تفقاً فوقه) أى فوق الهَجَل . وتفقاً أى تنفقاً ، فهو مضارع ، أى تنشق السحاب فوق هذه الروضة التى فى هذا الهَجَل . وقال المرزوقى (فى شرح الفصيح) : يقال تفقاً السحاب ، أى سال بالمطر . وأنشد البيت . وجملة تفقاً صفة أخرى من هَجَل أو حال منه . و (القَلْع) بفتح القاف واللام : جمع قَلْعَة ، وهى القطعة العظيمة من السحاب . وقال ابن السكيت (فى إصلاح المنطق) : السحاب العظام . و (السوارى) : جمع سارية ، وهى السحابة التى تأتى ليلاً . و (الخازباز) هنا : نبت . قال ابن السيرافى (فى شرح أبيات الإصلاحي) : جنونه : طوله وسرعه نباته . وبه ، أى بهذا الهَجَل .

وكذلك قال قبله أبو حنيفة الدينورى (فى كتاب النبات) : المجنون من الشجر كلّه والعشب : ما طال طولاً شديداً . وإذا كان كذلك قيل جُنَّ جنونا .

وأنشد هذا البيت . وقال فى ثلاثة مواضع آخر من كتابه : الخازباز من ذَبَّانِ العُشب . وأنشدوا قول ابن أحرر فى صفة عشب :

« وَجُنَّ الخازباز به جنونا »

يعنى فى هزجه وطيرانه . وقال آخرون ، هو نبتٌ . وحنونه : طوله وسُمُوقه ^(١) . انتهى .

وفسره حمزة (فى أمثاله) بالذباب عند قوله : « الخازباز أَنْحَصَبُ ^(٢) » ، قال : هو ذباب يطير فى الربيع ، يدلّ على خِصْبِ السنة . وأنشد البيت .

(١) السُمُوق : الارتفاع . ط : « وسمرته » ، صوابه فى ش .

(٢) أمثال حمزة ٢ : ٤٥٨ . وأورده الميدانى أيضاً فى ١ : ٢٢٧ فى حرف الخاء .

وَفَسَّرَهُ الزَّمْخَشَرِيُّ أَيْضاً (فِي الْمَفْصَلِ) بِذَبَابِ الْعُشْبِ . وَمَثَّلَ لِلْعُشْبِ
بِقَوْلِهِ :

* وَالْخَازِبَارِ السَّيِّمَ الْمَجُودَا *

وهو من أرجوزة أورد بعضها ابن الأعرابي (في نَوَادِرِهِ) ، وهو :

أَرْعَيْتَهَا أَطْيَبَ عُودٍ عَوْدًا

الصِّلِّ وَالصَّفْصِلَّ وَالْيَعْضِيدَا

وَالْخَازِبَارِ النَّاعِمَ الرَّغِيدَا ^(١)

وَالصِّلِّيَّانَ السَّيِّمَ الْمَجُودَا

* بَحِيْثٌ يَدْعُو عَامِرَ مَسْعُودَا ^(٢) *

فهذا صوابه .

وقد سبق الزَّمْخَشَرِيُّ ابْنَ السَّكَيْتِ (فِي إِصْلَاحِ الْمَنْطِقِ) . وَهُوَ مُرَكَّبٌ
مِنْ بَيْتَيْنِ كَمَا تَرَى . وَهَذِهِ أَسْمَاءُ نَبَاتَاتٍ . وَالسَّيِّمُ بَفَتْحِ السَّيْنِ وَكَسْرِ النُّونِ :
الْعَالِي . وَالْمَجُودُ : الَّذِي أَصَابَهُ الْجُودُ ، بِالْفَتْحِ ، وَهُوَ الْمَطَرُ الْقَوِيُّ . وَعَامِرُ
وَمَسْعُودُ : رَاعِيَانِ .

قَالَ ابْنُ السَّكَيْتِ : قَوْلُهُ : بَحِيْثٌ يَدْعُو إِخًا ، هَذَا بَيْتٌ يَلْقَى فَيَسْأَلُ :
لَمْ يَدْعُو أَحَدَهُمَا الْآخَرَ ؟ فَالْجَوَابُ : إِنَّمَا قَالَ هَذَا لِكَثْرَةِ النَّبْتِ وَطُولِهِ ، بَحِيْثٌ
يُؤَارِي مَسْعُودًا عَنْ عَامِرٍ ، فَلَا يَعْرِفُ عَامِرٌ مَكَانَ مَسْعُودٍ ؛ فَيَدْعُوهُ لِيَعْرِفَ
مَكَانَهُ .

(١) ش : « الرعيدا » .

(٢) ط : « مسعود » ، صوابه في ش .

وأطيب مفعول ثان . وروى بدله « أكرم » . وها : ضمير الإبل مفعول
 ١١١ أول . ومن روى « رعيها » ، فأطيب حال وها ضمير البقعة وما بعده بدل من
 أطيّب على الوجهين . وتسمية هذه النباتات عُوداً على اعتبار تسمية الغيث
 شجرة .

وابن أحمر شاعر إسلامي تقدمت ترجمته في الشاهد الستين بعد
 الأربعمئة (١) .

* * *

(١) انظر هذا الجزء من الخزانة ص ٢٥٧ - ٢٥٨ . وهنا ينتهى الجزء الأول من مخطوطة
 الشنقيطى ذات الرمز (ش) . وكتب ناسخها :
 تم الجزء الأول من خزانة الأدب بعون الله تعالى وتوفيقه على يد كاتبه أفقر الورى وأحوجهم
 إلى مولاه على بن محمد بن مصطفى الملقب بابن رجب ويا بن الترجمان الجزائري نشة (لعله يريد
 نشأة) المدنى دارا . غفر له ولوالديه وأشباهه وأحبائه والمسلمين أجمعين . وكان الفراغ من كتابته في
 ضحوة يوم الاثنين المبارك خامس ربيع الأول الأنور من شهور سنة ١٢٨٩ كتبه لأخيه وحبيبه العالم
 الفاضل الورع العامل الأديب اللبيب الشيخ محمد محمود بن التلاميذ التركزى حفظه الله تعالى وزاده
 رفعة وكلاما . أمين .

بتلوه في أول الجزء الثانى الكتابات .

الكنائيات

أنشد فيها ، وهو الشاهد السادس والثمانون بعد الأربعمائة ^(١) :

٤٨٦ (كَأَنَّ فَعْلَةً لَمْ تَمَلَأْ مَوَاكِبَهَا

دِيَارَ بَكَرٍ وَلَمْ تُحْلَعْ وَلَمْ تَهَبِ)

على أَنَّ (فَعْلَةً) كناية عن موزونيه مع اعتبار معناه ، وهو خَوَلَةٌ .

والبيت للمتنبي من قصيدة رثى بها خولة أخت سيف الدولة الحمداني ، صاحب الشاهد

ولم يصرح بلفظها استعظماً ، لكونها ملكة ، بل كنى عن اسمها بفعلته ، فلفظ
فَعْلَةً حكمها حُكْمَ موزونها ، ممتنع من الصرف للعلمية والتأنيث ، فكذا فعلته
ممتنع .

وقد أورده الشارح المحقق في باب العلم أيضاً .

ومنه قول المتنبي أيضاً :

يا وَجْهَ دَاهِيَةٍ الذى لَوْلَاكَ مَا

أَكَلَ الضَّنَى جِسْمِي وَرَضَّ الْأَعْظَمُ ^(٢)

قال ابن فورجة : داهية ليست باسم علم لمحبوته ، ولكن كنى بها عن

اسمها ، على سبيل التضجّر ، لعظم ما حلّ به من بلائها ، أى إنّها لم تكن إلا

(١) انظر ديوان المتنبي بشرح العكبري ١ : ٥٩ .

(٢) في الديوان ٢ : ٢٩٦ : « يا وجه داهية التى لولاك ما » .

داهية عليه . وزعم ابن جنى أنّ داهية اسمُ التى شَبَّ بها . ولم يُصِيب
الواحدى فى قوله : الوجه قول ابن جنى : فترك صرفها فى البيت ، ولو لم يكن
علماً لكان الوجه صرفها . ا هـ .

وقد نقل الشارح المحقق عن سيبويه أنّ حال كناية العلم فى الصِّرف
ومنعوه ، كحال العلم . وبه يضمحلُّ قوله : « ولو لم تكن علماً لكان الوجه
صرفها » .

آيات الشاعر

وهذه أبيات من أوّل القصيدة :

(يا أختَ خير أخٍ يا بنتَ خير أبٍ)

كنايةً بهما عن أشرف النسبِ)

قال الواحدى : أراد يا أخت سيف الدولة ويا بنت أوى الهيجاء ، فكنى
عن ذلك ، ونصب « كنايةً » على المصدر ، كأنه قال : كنى كناية .
(أَجَلُ قَدْرِكَ أَنْ تُسَمَّى مُؤَيَّةً)

ومن يَصِفُكَ فَقَدْ سَمَّاكَ لِلْعَرَبِ)

مؤينة : مرثية ، من التأين وهو مدح الميت . وتُسَمَّى بمعنى تُعَرَّفُ . أى
أنت أَجَلُ من أن تُعَرَّفَ باسمك ، بل وصفك يعرفك بما فىك من المحاسن
والمحامد التى ليست فى غيرك ، كما قال أبو نواس :

فهى إذا سَمِّيتْ فَقَدْ وَصِفَتْ

فيجمع الاسمُ معنيين معا

إلى أن قال :

(طوى الجزيرة حتى جاءنى خبرٌ

فزعْتُ فيه بآمالى إلى الكذبِ)

يريد خبر نعيمها ، وأنه رجا أن يكون كذبا ، وتعلل بهذا الرجاء .

والجزيرة : مدينة على شطّ دجلة بين الموصل وميافارقين . يقول : جاءنى خبر

موتها من الشام ، وقطع الجزيرة حتى وصل إلى ، فلما سمعت التجأت إلى ١١٢
التعلل بالآمالى ، فقلت : لعله يكون كذبا . فلم ينفعننى ذلك .

(حتّى إذا لم يدع لي صدقه أملأ

شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بي)

يقول : حتى إذا صحّ الخبر ولم يبق لي أمل في كونه كذبا ، شرقت

بالدمع لغلبة البكاء إياي ، حتى كاد الدمع يشرق بي ، أى كثرت الدموع
حتى صرت بالإضافة إليها لقلتي كالشيء الذى يشرق به .

والشرق بالدمع : أن يقطع الانتحاب نفسه فيجعله في مثل حال

الشرق بالشيء . والمعنى : كاد الدمع لإحاطته بي أن يكون كأنه شرق بي .

(تعثرت به في الأفواه ألسنها

والبرؤ في الطرق والأقلام في الكتب)

أورده الشارح المحقق في باب الوقف من شرح الشافية قال : إن كان

قبل الهاء متحركاً نحو : به وغلّامه ، فلا بد من الصلة ، إلا أن يضطرّ شاعر

فيحذفها ، كقول المتنبي : وأنشد البيت .

قال الواحدى : أى لهول ذلك الخبر لم تقدر الألسنُ فى الأفواه أن تنطق به ، ولا البريدُ فى الطريق أن يحمله ، ولا الأقلامُ أن تكتبه .

ولم يلحق الياء فى الهاء من به واكتفى بالكسرة ضرورة .

وقد جاء عن العرب ما هو أشدُّ من هذا ، كقول الشاعر :

وأشرب الماء ما بى نحوه عطشٌ

إلا لأنَّ عيونهُ سبيلُ وادِيها^(١)

وهذا كقراءة من قرأ : ﴿ لا يُوَدِّهُ إِلَيْكَ ﴾^(٢) ، بسكون الهاء .

ويروى : « تعثرت بك » يخاطب الخبر ، وترك لفظ الغيبة . كذا فى شرح الواحدى . وقال المعرى : يريد أن هذا الخبر نبأ عظيم لا تجترأ الأفواه على النطق به . وهذا قد يجوز أن يكون صحيحاً ، لأنَّ الإنسان ربما هاب الإخبار بالشئ لعظمه فى نفسه ، وكذلك الكاتب الذى يكتب بالخبر الشنيع ، ربما يعثر قلمه هيبه للأمر الذى دخل فيه ، وإنما التعثر للكاتب . وأما إذا ادعى التعثر من البرد فكذب لا محالة ، لأنَّ البرد لا يشعر بالخبر .

وقد ذكر فى موضع آخر ما يدلُّ على أنَّ حامل الكتاب الذى لا يُشعر ما فيه غير شاقٍ عليه حملة فكيف بالدابة التى لا يُحكم عليها بالعقل . وذلك قوله لعضد الدولة :

حاشاك أن تضعف عن حمل ما تحمّل السائر فى كتبه^(٣)

(١) من شواهد المختسب ١ : ٢٤٤ والخصائص ١ : ٣٧١ / ٢ : ١٨

(٢) الآية ٧٥ من آل عمران . وهذه قراءة أبى عمرو وهشام وطائفة . إتحاف فضلاء البشر ١٧٦ .

(٣) ديوان المتنبي ١ : ١٣٦ .

وقال المبارك بن أحمد المستوفى (فى كتاب النظام) : لا فرق بين تعثر القلم وتعثر البريد ، لأن نسبة ذلك إليهما محال . وإذا اعتذر فى القلم بتعثر الكاتب فهلاً اعتذر فى البريد بتعثر أصحابه ، لأن كلاً من الأقلام والبريد لا يشعر بالخبر .

(كَأَنَّ فَعْلَةً لَمْ تَمَلَأْ مَوَاقِبَهَا)

ديار بكر ولم تخلع ولم تهيب)

قال ابن جنى : كنى بفعله عن اسمها ، واسمها نخوة . قال أبو العلاء : وهذا تقوية لقوله :

* أَجَلٌ قَدْرِكَ أَنْ تُسَمَّى مُؤَنَّةً *

قال الواحدى : يذكر مساعيها أيام حياتها ، يقول : كأنها لم تفعل شيئاً مما ذكر ، لأن ذلك انطوى بموتها . وقال ابن المستوفى (فى النظام) : زعم أبو البقاء أن المعنى : أنها كانت تجهز الجيوش إلى ديار بكر للجهاد . وليس كذلك ، لأن الموكب الجماعة يركبون للزينة والفرجة . قال الجوهري : الموكب بابه من السير^(١) . والموكب : القوم الركوب على الإبل للزينة ، وكذلك جماعة الفرسان . وفى قول أبى الطيب « ديار بكر » دليل على ما ذكرته ؛ لأنه لو أراد ما ذكره أبو البقاء كان قد قصر جهادها على موضع مخصوص ، وهذا فيه

(١) فى النسختين : « بابه السير » ، صوابه من الصحاح واللسان (وكب) ، أى نوع من السير .

نقص من المدح . وعلى أن ديار بكر كان لسيف الدولة معظمها ، فكيف تجهز جيشاً إلى بلاد أخيها .

وترجمة المتنبي قد تقدمت في الشاهد الواحد والأربعين بعد المائة (١) :

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والثمانون بعد الأربعمائة (٢) :

(اكْفِ اكْفُف)

٤٨٧

هو قطعة من بيت ثان من أحجية للحريري (في مقاماته) ، وهما :

يامن تُقْصِر عن مدا

هُ نُحْطَا مُجَارِيهِ وَتَضَعُفُ (٣)

ما مثل قولك للذي

أضحى يحاجيك : اكْفِ اكْفُف

على أن المراد بهذين اللفظين المكررين بطريق الإلغاز والتعمية : مهمه ، وهو القفر . فإنَّ اكْفِ يرادفه « مة » ، ومكرره « مهمه » ، فمجموع اكْفِ اكْفُف كناية عن : مهمه . وهذا تعمية وإلغاز .

والمعنى واللغز في اللغة كلاهما بمعنى واحد ، وهو الشيء المستور . وبينهما فرق عند علماء الأدب . فالمعنى كما قال القطب (في رسالة المعنى) المُسَمَاة (بكنز الأسماء ، في كشف المعنى) : هو قول يستخرج منه كلمة

(١) الخزانة ١ : ٣٤٧ - ٣٦٣ .

(٢) مقامات الحريري ٣٩٦ . انظر المقامة اللطية .

(٣) في النسختين : « يقصر » بالياء ، والوجه ما أثبت ليتساق الفعلان .

فأكثرُ بطريق الرمز والإيماء ، بحيث يقبله الذوق السليم . واللغز : ذكر أوصاف مخصوصة بموصوف لِيُنْتَقَلَ إليه ، وذلك بعبارة يدلُّ ظاهرها على غيره وباطنها عليه .

قال القطب في (رسالته) : قد فرقوا بينهما بأنَّ الكلام إذا دلَّ على اسم شيء من الأشياء بذكر صفاتٍ له تميّزه عمّا عداه كان لغزاً . وإذا دلَّ على اسم خاص بملاحظة كونه لفظاً بدلالة مرموزه سمّي ذلك معمى . فالكلام الدالُّ على بعض الأسماء يكون معمى من حيث إنّ مدلوله اسم من الأسماء بملاحظة الرمز ^(١) على حروفه ، ولغزاً من حيث إنّ مدلوله ذات من الذوات بملاحظة أوصافها . فعلى هذا يكون قول القائل في كمون : يا أيُّها العطَّارُ أعربْ لنا

عن اسم شيء قلَّ في سومكا ^(٢)

تنظره بالعين في يقظة

كما ترى بالقلب في نومكا

يصلح أن يكون لغزاً بملاحظة دلالاته على صفات الكمون ، ويصلح أن يكون في اصطلاحهم معمى باعتبار دلالاته على اسم بطريق الرمز . انتهى . ويقال للمعمى في اللغة أحجية أيضاً ، وهى في اصطلاح أهل الأدب نوعٌ منه . وقد نظم الحريري (في المقامة السادسة والثلاثين ^(٣)) عشرين أحجية ، وهو أوّل من اخترعها وسماها أحجية . وقال : « وضع الأحجية ،

(١) ش : « بملاحظة من الرمز » .

(٢) رسمت في ش : « سومك » ، وفي البيت التالى : « نومك » .

(٣) هى المقامة المملطية التى أشرت إليها فيما سبق .

لامتحان الألفية^(١) ، واستخراج الخبيطة الخفية . وشرطها أن تكون ذات مماثلة
١١٤ حقيقية ، وألفاظ معنوية ، ولطيفة أدبية . فمتى نافى هذا النمط^(٢) ، ضاهت
السقط ، ولم تدخل السقط .

ومن أحاجيه قوله فى (ها ، دية) :

أيا مُستنبط الغامض من لغز وإضمار
ألا اكشيف لى مامثل تناول ألف دينار

وقد تلاه من جاء بعده فنظم فى هذا الأسلوب ما راق وسحر
الألباب ، وشاق الأفهام لدركها من كل باب .

والأحجية فى الحقيقة من قسم الترادف والتحليل ، وهما من أعمال فن
المعنى . فالأحجية نوع من المعنى ، وهو فن استنبطه أدباء العجم ، أسسوا
له قواعد ، وعقدوا له معاهد ، حتى صار فنا متميزاً من سائر الفنون .

وأول من دونه المولى شرف الدين على اليزيدى^(٣) مؤرخ (الفتوحات
التيمورية) باللغة الفارسية . وكان شاعراً فصيحاً ، وناثراً بليغاً فى اللسانين ،
وتوفى سنة ثلاثين وثمانمائة .

قال القطب : وما زال فضلاء العجم يقتفون أثره ، ويوسعون دائرة الفن
ويتعمقون فيه ، إلى أن ألف فيه المولى نور الدين عبد الرحمن الجامى صاحب

(١) نص الحريرى : « اعلموا يا ذوى الشئائل الأدبية ، والشمول الذهبية ، أن وضع الأحجية ،
لامتحان الألفية » ... إلخ .

(٢) نافته ، من المنافاة والمخالفة .

(٣) فى حواشى ط : « قوله اليزيدى ، صوابه اليزدى . اهـ من هامش الأصل » .

شرح الكافية ، عشر مسائل قد دُوِّنت وُشِّرت . وكثر فيها التصنيف إلى أن نبغ في عصره المولى مير حسين النيسابورى ، فأقَى فيه بالسحر الحلال ، وفاق فيه لتعمقه ودقة نظره سائر الأقران فى الأمثال . كتب فيه رسالة تكاد تبلغ حد الإعجاز ، أتى فيها بغرائب التعمية والإلغاز ، حتى إن المولى عبد الرحمن الجامى مع جلالة قدره قال : لو اطلعتُ عليها قبل الآن ما ألفت شيئاً فى علم المعنى .

وارتفع شأن مولانا مير حسين بسبب علم المعنى مع تعمقه فى سائر العقليات ، فصار ملوك خراسان وأعيانها يرسلون أولادهم إليه ، ليقروا رسالته عليه ؛ إلى أن توفى فى عام اثنى عشر وتسعمائة بعد وفاة الجامى بأربعة عشر عاماً .

وظهر بعدهما فائقون فى المعنى فى كل قطر ، بحيث لو جُمِعت تراجمهم لزادت على مجلد كبير .

ثم قال القطب : وأنت إذا تصفَّحت كتب الأدب ، وتتبَّعت دواوين شعراء العرب ظفَّرت من كلامهم بكثير مما يصدَّق عليه تعريف المعنى ، لكنَّهم نظموا فى قالب اللغز يُستخرج منه الاسم الذى ألغزوه بطريق الإيماء ، ووجدت كثيراً من أعمال المعنى فى غضون ألغازهم . فليس العجم أباً عذرة هذا الفن ، ولكنهم دَوَّنُوهُ ورَتَّبُوهُ .

ورأيت كثيراً من ألغاز شرف الدين بن الفارض يصدَّق عليه تعريف المعنى فى اصطلاح العجم . ويقرب من ذلك قول القائل فى « بختيار » :

وأهيف معشوق الدلال ممَّنَّج

بِمَزَّقَى فى الحبِّ كلِّ ممَزَّق

فلو أن لي نصفَ اسمه رَقَّ وارعوى
أو العكسُ من باقيه لم أتعشَّق

إلى أن قال : وأعمال المعنى ثلاثة :

الأول العمل التحصيلي ، وهو ما يتحصَّل به حروف الكلمة المطلوبة .
والثاني العمل التكميلي ، وهو ما بسببه تتكَمَّل الحروف الحاصلة
وتترتب . وهذا بمنزلة الصورة ، والأول بمنزلة المادة .

والثالث العمل التسهيلي ، وهو الذي يسهِّل أحد العاملين السابقين .
وتحت كلِّ نوع من هذه الأعمال أنواعٌ متعددة . انتهى .

قلت : وأوَّل من دوَّن في المعنى في اللغة العربية وترجمه بالطريقة
العجمية ، العالم الفاضل قطب الدين المكي الحنفي ، في رسالة سماها (كنز
الأسماء ، في كشف المعنى) .

وتلاه تلميذه عبد المعين بن أحمد ، الشهير بابن البكاء البلخي
الحنفي ، وألف رسالة سماها (الطراز الأسمى ، على كنز الأسماء) .

وأما التأليف في الألفاظ والأحاجي فقد صنَّف فيه جماعة عديدة ، لهم
فيها كتب مفيدة ، وتصانيف سديدة ، أجَّلها علما وأعظمها حجما ، كتاب
(الإعجاز ، في الأحاجي والألفاظ) تأليف أبي المعالي سعد الوراق
الخطيري^(١) وهو كتاب تكبَّل عن وصفه الألسن ، جمع فيه ما تشتهيه

(١) في كشف الظنون : « إعجاز في الأحاجي والألفاظ للشيخ أبي المعالي سعد بن علي الوراق
الخطيري المتوفى سنة ٥٦٨ . ولصائن الدين الحنبلي » .

قلت : صوابه « الخطيري » بالحاء المهملة بعدها ظاء معجمة ، كما في النجوم الزاهرة ٦ : ٦٨
واسمه فيها : سعد الدين بن علي . قال ابن تغري بردي : كان شاعرا فاضلا . والخطيرة : قرية فوق
بغداد ، وهي يفتح الحاء المهملة وكسر الظاء المعجمة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها راء . وسياق
هذا الضبط في نهاية الكلام على الشاهد .

الأنفس ، وتلذُّ فيه الأعين ^(١) ذكر في أوله اشتقاق المعنى واللغز والأحجية ، والفرق بينها وبين ما شاكلها ، فلا بأس بإيراده هنا ، فإنه قلما يوجد في كتاب على أسلوبه .

قال في الجمهرة : الحَجَا : العقل . والحُجَيَّا من قولهم : حُجَيَّاك ما كذا وكذا ؟ وهى لُعبةٌ وأغلوطة يتعاطاها الناس بينهم ، نحو قولهم : أحاجيك ما ذو ثلاث آذان ، يسبق الخيل بالردَّيان ؟ يعنون السهم وما أشبه ذلك .

وقال أيضا : اللُّغز : مَثَلٌ بالشئ عن جهته ، وبه سُمي اللغز من الشعر ، كأنه عُمي عن جهته . واللُّغِيَّاء بالمد : أن يحفر اليربوع ثم يميل في بعض حُفر ليعمى على طالبه . والألغاز : طرقٌ تلتوى وتُشكِّل على سالِكها ، والواحد لغز . وقال الأزهري : قال الليث : اللغز : ما ألغزت من كلام فشبهت معناه ، مثل قول الشاعر ، أنشده الفراء :

ولمَّا رأيتُ النَّسَرَ عَزَّ ابن دأية

وعشَّش في وكره جاشت له نفسى ^(٢)

أراد به الشَّيب ، شبهه به لبياضه ، وشبه الشباب بابتداء دأية ، وهو الغراب الأسود ، لأنَّ شعر الشباب أسود .

قال : وأخبرني المنذرى عن أبى الهيثم أنه قال : اللُّغز بضمّتين واللُّغز بالسكون ، واللُّغِيَّاء . والألغاز : حفرٌ يحفرها اليربوع في جُحره تحت الأرض . يقال ألغز اليربوع إلغازاً . فيحفر في جانب منه طريقاً ويحفر في الجانب الآخر

(١) فيه الأعين ، كذا في النسختين .

(٢) اللسان (دأى ٢٧٢) .

طريقاً ، وكذلك في الجانب الثالث والرابع ، فإذا طلبه البدوي بعصاه من جانب نفق من الجانب الآخر .

والأحاجي : جمع أحجية ، أفعولة من الحجا وهو العقل ، أى مسألة تستخرج بالعقل . وقال الأزهري : قال الليث : تقول حاجيته فحجوته ، إذا أنت عليه كلمة مخالفة المعنى للفظ . والجواري يتحاجين الحُجياً ، تصغير الحَجْوَى . وتقول الجارية للأخرى : حُجْيَاكِ ما كان كذا وكذا ؟ والأحجية : اسم الحاجة ، وفي لغة : أحجوة ، والياء أحسن . والحجوى : اسم أيضا للمحاجة .

والمعمى : المغطى . قال الأزهري : التعمية : أن يعمى الإنسان^(١) فيلبسه عليه تلبيسا . والأعماء : جمع عمى ، وأنشدونا :

* وبلدة عامية أعمأوه^(٢) *

أى دارسة . وأعمأوه : مجاهله ، يقال بلد عمى لا يهتدى فيه ، لأنه لا أعلام له يهتدى بها^(٣) : والمعامى هى الأرضى المجهولة . وقال الليث : العمى : ذهاب البصر من العينين كلتيهما ، والفعل منه عمى يعمى عمى . وقال مجاهد في قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴾^(٤) قال : أعمى عن الحجة وقد كنت بصيراً بها . وقال ابن عرفة^(٥) : يقال عمى عن رُشدِه وعمى عليه طريقه ؛ إذا لم يهتد إليه . وروى

(١) الذى في التهذيب ٣ : ٢٤٧ : « والتعمية أن تعمى على إنسان شيئا فلبسه عليه تلبيسا » .

(٢) الشطر لرؤية في ديوانه ٣ وبعده :

« كأن لون أرضه سماءه » .

(٣) في ش : « لا أعلام له يهتدى » . والذى في التهذيب : « بلد مجهول وعمى لا يهتدى فيه » .

(٤) الآية ١٢٥ من سورة طه .

(٥) في التهذيب ٣ : ٢٤٤ : « وقال نفطويه » ، ونفطويه هو إبراهيم بن عرفة .

أبو عبيد في حديث النبي ﷺ أَنَّ أَبَا رَزِينٍ الْعُقَيْلِيَّ قَالَ لَهُ : أَيْنَ كَانَ رُبُّنَا قَبْلَ أَنْ تَخْلُقَ ^(١) السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ؟ قَالَ : « كَانَ فِي عَمَاءٍ تَحْتَهُ هَوَاءٌ » . وقال ١١٦ أبو عبيد : العماء في كلام العرب السحاب ، وهو ممدود . قال أبو عبيد : وإِنَّمَا تَأَوَّلْنَا هَذَا الْحَدِيثَ عَلَى كَلَامِ الْعَرَبِ الْمَنْقُولِ عَنْهُمْ ، وَلَا يَدْرِي كَيْفَ كَانَ ذَلِكَ الْعَمَاءُ . قال : وَأَمَّا الْعَمَى فِي الْبَصَرِ فَمَقْصُورٌ ، وَلَيْسَ هُوَ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ فِي شَيْءٍ .

قال الأزهري : وبلغني عن أبي الهيثم ^(٢) في تفسير هذا الحديث أَنَّهُ « فِي عَمَى » مقصور ، قال : وكل أمر لا تدركه القلوب بالعقول فهو عمى . والمعنى أَنَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى كَانَ حَيْثُ لَا تَدْرِكُهُ عَقُولُ بَنِي آدَمَ ، وَلَا يَبْلُغُ كُنْهَهُ الْوَصْفُ ، وَلَا تُدْرِكُهُ الْفُطُنُ .

ثم قال ^(٣) بعد كلام طويل :

(فصل) في ذكر أسماء هذا الفن وعودها إلى معني واحد . هذا الفن وأشباهه يسمَّى المعاياة ، والعويص ، واللغز ، والرمز ، والمحاكاة ، وأبيات المعاني ، والملاحن ، والمرموس ، والتأويل ، والكناية ، والتعريض ، والإشارة ، والتوجيه ؛ والمعنى ، والممثل .

والمعنى في الجميع واحد ، وإِنَّمَا اختلفت أَسْمَاؤُهُ بِحَسَبِ اخْتِلَافِ وَجْهِهِ اِعْتِبَارَاتِهِ ، فَإِنَّكَ إِذَا اِعْتَبَرْتَهُ مِنْ حَيْثُ هُوَ مَعْطَى عَنْكَ سَمَّيْتَهُ مَعْنَى ؛ مَأْخُوذَ

(١) في التهذيب ٣ : ٢٤٦ : « قبل أن يخلق » .

(٢) بعده في التهذيب : « وفوقه هواء » .

(٣) في النسختين : « الهيثم » ، صوابه في التهذيب .

(٤) يعني الخطيرى صاحب كتاب الإعجاز .

من لفظ العمى ، وهو تغطية البصر عن إدراك المعقول . وكلّ شيء تغطّى عنك فهو عمى عليك .

وإذا اعتبرته من حيث أنّه ستر عنك ورأس سمّيته مرموساً ، مأخوذ من الرمس وهو القبر ، كأنّه قبر ودفن ليخفى مكانه على ملتمسيه . وقد صنف بعض الناس في هذا كتاباً وسماه (كتاب المرموس) ، وأكثره ركيب عامى . وإذا اعتبرته من حيث إنّ معناه ، يؤول إليك أى يرجع ، أو يؤول إلى أصل سمّيته مؤولا ، وسمّيت فعلك تأويلا . وأكثر ما يختص هذا بالآيات والأخبار . والتفسير يختص باللفظ ، والتأويل بالمعنى .

وإذا اعتبرته من حيث صعوبة فهمه واعتياص استخراج سمّيته عويصاً . وهذا يختص بمشكل كلّ علم ، يقال منه مسألة عويصة ، وعلم عويص .

وإذا اعتبرته من حيث إنّ غيرك حاجاك به ، أى استخراج مقدار حجاجك وهو عقلك ، أو مقدار ريثك في استخراجك ، مشتقاً من الحجو وهو الوقوف واللّيث ، سمّيته محاجة ، ومسائله أحاج (١) واحداً أحجية وحجياً . وهذا أيضاً لا يختص بفن واحد من العلوم ، وإن كان الحريرى صاحب المقامات قد أفرد له باباً .

وإذا اعتبرته من حيث أنّه قد عُمل له وجوه وأبواب مشتبهة سمّيته لغزاً وسمّيت فعلك له إلغازاً ، مأخوذ من لغز اليربوع . وإذا اعتبرته من حيث أنّ واضعه كان يعايبك ، أى يظهر إعياك ،

(١) ش : « أحاجى » .

وهو التعب فيه ، سَمَّيْتَهُ معاياة . وقد صنف الفقهاء في هذا الفن كتباً وسموها كتب المعاياة . ولغيرهم من أرباب العلوم مصنفات .
وإذا اعتبرت من حيث إنَّ واضعه لم يفصح به قلت : رمز ، والشئ مرموز ، والفعل رمز .

وقريب منه الإشارة .

وإذا اعتبرت من حيث استخراج كثرة معانيه في الشعر سَمَّيْتَهُ أبيات المعاني ، وكتب المعاني . وهذا يخصُّ الأدب والشعر .

وإذا اعتبرت من حيث هو ذو وجوه سَمَّيْتَهُ الموجَّه ، وسَمَّيْت فعله التوجيه . وذلك مثل قول محمد بن حكينا ^(١) ، وقد كان أمين الدولة أبو الحسن بن صاعد الطبيب قاطعه ثم استأله ، وكان ابن حكينا قد أضرَّ بصره وافتقر ، فكتب إليه :

وإذا شئت أن تُصالح بَشًا

رَ بْنَ بُرْدٍ فاطرُح عليه أباه

فنَفَّذَ إليه بُرداً واسترضاه ، فاصطلحا . وهذا أحسن ما سمعتُ في التوجيه .

قوله : بشار بن برد ، أى أعمى . فاطرُح عليه أباه ، هذه لفظةٌ ببغدادية ، يقال لمن يريد أن يصالح : اطرح عليه فلانا ، أى احمِله إليه ليشفع لك .

ولم يتفق لأحدٍ في التوجيه أحسن من هذا .

(١) وكذا في كتاب الفلاكة والمفلوكون ١٨١ قال : « ابن حكينا المعروف بالبرغوث الشاعر » .

لكن في ترجمة الحريري في معجم الأدباء ١٦ : ٢٦٦ وابن خلكان ١ : ٤٢٠ : « ابن حكينا » بالجمع . وجماء ابن خلكان « أبو محمد بن أحمد الخزيمى البغدادى » .

وإذا اعتبرته من حيث إنَّ قائله لم يصرِّح بغرضه سَمَّيته تعريضاً وكناية . وأكثر أرباب الحياء من الناس مضطَّراً إلى مثله .

وإذا اعتبرته من حيث إنَّ قائله يوهمك شيئاً ويريد غيره ، سَمَّيته لحناً ، وسمَّيت مسائله الملاحن . وقد صنف الناس في هذا الفن كتباً ، كالملاحن لابن دريد ، والمنقذ للمفجَّع^(١) ، والحيل في الفقه وغيره . فاعرف ذلك .

والحريرى هو أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري البصري صاحب المقامات . كان أحد أئمة عصره ، ورزق السعادة والحظوة التامة في عمل المقامات ، واشتملت على شيء كثير من كلام العرب من لغاتها وأمثالها ، ورموز أسرار كلامها . ومن عرفها حق معرفتها استدلل بها على فضله وكثرة اطلاعه ، وغزارة مادته .

الحريرى صاحب
المقامات

رؤى أنَّ الرمحشري لما وقف عليها استحسناها ، وكتب على ظهر نسخة منها :

أَقْسِمُ بِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَمَشَرِّ الْحَجِّ وَمِيقَاتِهِ
أَنَّ الْهَرِيرِيَّ حُرٌّ بِأَنَّ نَكْتُبَ بِالتَّبَرِّ مَقَامَاتِهِ

ثم صنع الرمحشري المقامات المنسوبة إليه ، وهى قليلة بالنسبة إليها ، وشرحها أيضاً ، وصنع في إثرها (نوابغ الكلم) .

(١) المفجج هذا هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله الكاتب البصري . لقى ثعلباً وأخذ عنه ، وكان بينه وبين أنى بكر بن دريد مهاجرة . وسرد له ابن النديم في الفهرست ١٢٣ كتباً كثيرة . وقال ياقوت في معجم الأدباء ١٧ : ١٩٤ : « وله أيضاً كتاب المنقذ في الأيمان ، يشبه الملاحن لابن دريد ، إلا أنه أكبر منه وأجود وأتقن » . ط : « للمنتجع » ش : « للمجتمع » ، والصواب ما أثبت . وليس هذا المنتجع من المؤلفين بل هو أحد الأعراب الذين أخذت عنهم اللغة .

وقد اعتنى بشرح المقامات أفاضل العلماء شروحاً متنوعة تفوت الحصر والعدّ .

وله أيضاً (دُرّة الغواص) ، وله أيضاً شروح كثيرة قد اجتمع منها عندي خمسة شروح .

وله أيضاً (مُلحة الإعراب) في النحو ؛ وشرحها أيضاً .

وهو عند العلماء يعدّ ضعيفاً في النحو . وله ديوان رسائل وشعر كثير . وله قصائد استعمل فيها التجنيس كثيراً .

ويحكى أنّه كان دميماً قبيح المنظر ، فجاءه شخص غريب ليأخذ عنه ، فلما رآه استزرى شكله ، ففهم الحريري ذلك منه ، فلما التمس منه أن يملئ عليه قال له : اكتب :

ما أنت أول سائر غرة قمر

ورائد أعجبتة نحضة الدمن

فاختر لنفسك غيري ؛ إنني رجل

مثل المعيدى فاسمع بي ولا ترى

فخجل الرجل وانصرف عنه .

وكانت ولادته سنة ست وأربعين وأربعمائة ، وتوفي في سنة ست عشرة وخمسمائة بالبصرة .

والحريري نسبته إلى الحرير وعمله ، أو بيعه . وكان يزعم أنّه من ربيعة الفرس ، وكان مولعاً بنتف لحيته عند الفكرة ، وكان يسكن في مَشَان البصرة ، بفتح الميم والشين المعجمة ، وهي بُليدة فوق البصرة كثيرة النخل ، موصوفة

بشدّة الوَحْم ، وكان أصله منها ، يقال إنّه كان له بها ثمانية عشر ^(١) ألف نخلة
وإنه كان من ذوى اليسار .

ولمّا اشتهرت المقامات استدعاهُ من البصرة إلى بغداد وزيرُ المسترشد
جلالُ الدين عميد الدولة ، أبو الحسن بن صدقة ^(٢) ، وسأله عن صناعته
١١٨ فقال : أنا رجلٌ منشيءٌ . فاقترح عليه إنشاء رسالة في واقعة عَيْنها ، فانفرد في
ناحية من الديوان ، ومكث زماناً طويلاً فلم يفتح الله عليه بشيء ، فقام وهو
خجلان . فعمل هذين البيتين فيه أبو محمد المعروف بابن حكينا ^(٣) الشاعر
البغدادي :

شيخٌ لنا من ربيعة الفرسِ
ينتفِ عُثْنُونُه من الهوسِ
أنطقه الله بالمشان كما
رماه وسَطَ الديوان بالخرس ^(٤)

سعد الوراق
الحظيرى

وأما سعد الوراق ، فهو أبو المعالي سعد بن علي بن القاسم الأنصارى
الخرزجى الوراق الحظيرى البغدادي ، المعروف بدلال الكتب . كان له نظمٌ
جيد ، وألّف مجاميع ، منها كتاب (زينة الدهر ، وعُصرة أهل العصر) ، وهو
ذيلٌ على (دمية القصر للباخرزى) . وله كتابٌ سمّاه (ملح الملح ^(٥))

(١) هذا الصواب من ش . وفي ط : « ثمان عشرة » . والألف مذكور .

(٢) في الوفيات ١ : ٤٢٠ : « جمال الدين عميد الدولة أوى على الحسن بن أوى العز على بن
صدقة ، وزير المسترشد » . والمسترشد هو الفضل بن أحمد المستظهر بالله بن المقتدر بالله العباسي ،
كانت حياته بين سنتي ٤٨٥ - ٥٢٩ .

(٣) انظر ما سبق في حواشي ص ٤٦١ .

(٤) في معجم الأدباء ١٦ : ٢٦٦ وكتاب الفلاكة ١١٨ : « بالمشان وقد أجمه في العراق
بالخرس » .

(٥) في الوفيات ١ : ٢٠٣ : « ملح الملح » .

يدلُّ على كثرة اطلاعه . وله (كتاب الألباز) المذكور . وله شعرٌ جيدٌ منه :

ومعدَّيْ في خدَّه ورْدٌ وفي فيه مُدام
ما لأنَّ لي حتَّى تعدَّ شئى صُبْحَ سالفه ظلام
كالمُهر يجمَحُ تحت را كبه ويعطفه اللِّجام

وله أيضا :

أحدقتُ ظلمةُ العذار بخدَّيْ به فزادت في حُبِّه حسراتي
قلت : ماء الحياة في فمه العذ بٍ ، دَعَوْنِي أَخَوْضُ في الظُّلُمَاتِ

وله كلُّ معنى ملبح ، مع جودة السبك .

وتوفى في يوم الاثنين الخامس والعشرين من صفر سنة ثمان وستين وخمسمائة ببغداد .

والخطيرى ، بفتح الحاء المهملة وكسر الظاء المعجمة : نسبة إلى موضع فوق بغداد ، يقال له الخطيرة ، ينسب إليه كثير من العلماء . والثياب الخطيرىَّة منسوبة إليه أيضا .

ولخصت هاتين الترجمتين من الوفيات لابن خلكان .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والثمانون بعد الأربعمئة (١) :

٤٨٨ (وإني لأكنو عن قَدُورَ بغيرها
وأعربُ أحيانا بها فأصارحُ)

على أنه يقال كنوت ، كما يقال كنيث .

(١) إصلاح المنطق ١٥٧ واللسان (قدر ، كنى) .

وأورده يعقوب بن السكيت (في باب ما يقال بالياء والواو من إصلاح المنطق) قال : ويقال كنيته وكنوئته . وأنشد أبو زياد :

* وإلّئى لأكنو عن قدور * البيت

قال شارح أبياته ابن السيرافي : قدور : امرأة . يقول : أذكرها في بعض الأوقات باسم غيرها ، وأصرّح باسمها في وقت آخر وأغرب وأبين . يقال أعرب عن الشيء يعرب إعراباً ، إذا بيّنه . و (أصرّح) : أظهر ولا أستر . انتهى .

وقال ابن دريد : ناقة قدور : عزيزة النفس لا ترعى مع الإبل ولا تترك معها . انتهى .

فيكون اسم المرأة منقولاً من هذا .

وأبو زياد هو صاحب النوادر المشهورة ، أنشد ذلك البيت في نوادره ولم يعزّه لأحد . أبو زياد الأعرابي

وهو يزيد بن عبد الله بن الحرّ بن همام بن دهر بن ربيعة بن عمرو بن نفثة بن عبد الله بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .

وقدم أبو زياد بغداداً من البادية ، أيام المهدي ، لأمر أصاب قومه ، فأقام ببغداد أربعين سنة ، وصنّف (كتاب النوادر) ، وهو كتاب كبير فيه ١١٩ فوائد كثيرة . وله (كتاب الفروق) .

ومن شعره :

له نَارٌ تُشَبُّ عَلَى يَفَاعٍ
إِذَا النَّيْرَانُ أُلِيسَتِ الْقِنَاعَا (١)
وَلَمْ يَكْ أَكْثَرُ الْفَتِيَانِ مَالاً
وَلَكِنْ كَانَ أَرْحَبَهُمْ ذِرَاعَا

* * *

وَأَنشُدْ بَعْدَهُ :
(رَبُّ مَنْ أَنْضَجْتُ غِيْظاً صَدْرَهُ)
هَذَا صَدْرٌ وَعَجَزُهُ :
(قَدْ تَمَنَّى لِي مَوْتاً لَمْ يُطْعَ)
وَتَقَدَّمَ شَرْحُهُ فِي الشَّاهِدِ التَّاسِعِ وَالثَّلَاثِينَ بَعْدَ الْأَرْبَعِمِئَةِ (٢) .

* * *

وَأَنشُدْ بَعْدَهُ :
(عَلَى أَتْنَى بَعْدَ مَا قَدْ مَضَى
ثَلَاثُونَ لِلْهَجْرِ حَوْلًا كَمِيلاً)
وَتَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَيْهِ فِي الشَّاهِدِ السَّادِسِ عَشَرَ بَعْدَ الْمِائَتَيْنِ (٣) .

* * *

وَأَنشُدْ بَعْدَهُ ، وَهُوَ الشَّاهِدُ التَّاسِعُ وَالثَّمَانُونَ بَعْدَ الْأَرْبَعِمِئَةِ ، وَهُوَ مِنْ
شَوَاهِدِ س (٤) :

-
- (١) الحيوان ٥ : ١٣٥ ومعاهد التنصيص ٢ : ١٣٢ والجماسة بشرح المَرْزُوق ١٥٩٢ .
(٢) انظر هذا الجزء من الخزانة ص ١٢٣ - ١٢٧ .
(٣) الخزانة ٣ : ٢٩٩ .
(٤) في كتابه ١ : ٢٩٦ . وانظره المقتضب ٣ : ٦١ والجمال ١٤٧ والإنصاف ٣٠٣ وابن
يعيش ٤ : ١٣٢ والمقرب ٦٨ والجمع ١ : ٢/٢٥٥ : ١٥٦ والأشئوفى ٤ : ٨٢ .

٤٨٩ (كم بجوّدٍ مُقرِّفٍ نالَ العُلا

وكريمٍ بخُلهٍ قد وَضَعَهُ)

على أنَّ يونس يميّز في الاختيار الفصل بين كم الخبرية وبين مميّزها المتضايقيّن بالظرف ، كما في البيت .

قال سيبويه : وقد يجوز أن تُجرّ ، يعنى كم ، وبينها وبين الاسم حاجز ، فتقول : كم فيها رجلٌ . فإن قال قائل : أضمر من بعد فيها ؛ قيل له : ليس في كلّ موضع يضمّر الجارّ . وقد يجوز على قول الشاعر :

كم بجوّدٍ مقرِّفٍ نال العُلا

وكريمٍ بخُلهٍ قد وضعه

الجرّ والرفع والنصب على ما فسّرنا . انتهى .

قال الأعلم : فالرفع على أن تجعل كم ظرفاً ويكون لتكثير المَرار ^(١) ، وترفع مقرّف بالابتداء وما بعده خبر ، والتقدير : كم مرةً مقرّف نال العُلا . والنصب على التمييز ، لقبّح الفصل بينه وبين كم في الجرّ . وأما الجرّ فعلى أنه أجاز الفصل بين كم وما عملت فيه بالظرف ضرورةً . وموضع كم في الموضعين موضع رفع بالابتداء ، والتقدير : كثيرٌ من المقرّفين نال العُلا بجوّدٍ . والمقرّف : التَّنَدُّل اللّئيم الأب . يقول : قد يرتفع اللّئيم بجوده ، ويتضع الرفيع الكريم الأب ببخله . انتهى .

وقال ابن الأنباري (في مسائل الخلاف) : ذهب الكوفيون إلى أنه إذا

(١) جمع مَرّة . وفي النسختين : « المراد » بالدال ، صوابه في الشنتمرى .

فصل بين كم الخبرية وبين الاسم بظرف كان مخفوضاً ، بالنقل والقياس . أما بالنقل فقلوه :

* كم يجود مقرّف نال العلا *

وقال الآخر :

* كم في بنى بكر بن سعيد سيّد *

وأما القياس فلأنّ خفض الاسم بتقدير من ، نحو : كم رجل أكرمت ، بدليل أنّ المعنى يقتضيه ، فتقدر من في الفصل كما تقدّر في الاتصال . ولا يجوز أن تكون بمنزلة عدد ينصب كثلاثين ، ولو كانت بمنزلة لكان ينبغي أن لا يجوز الفصل بينهما .

وذهب البصريّون إلى أنّه لا يجوز فيه الجر ويجب نصبه ، لأنّ كم هي العاملة للجر ، لأنها بمنزلة عدد مضاف ، فإذا فصل بظرف بطلت الإضافة ، لأنّ الفصل بين المتضايقين بالظرف لا يجوز في الاختيار ، فعُدل إلى النصب ١٢٠ كما قال :

* كم نالني منهم فضلاً على عدم *

والتقدير : كم فضل ، فلمّا فصل نصب . وإنما عدل إلى النصب لأنّ كم بمنزلة عدد ينصب ما بعده . ولم يمتنع النصب بالفصل لأنّ له نظيراً . وأما قوله كم يجود مقرّف ، فالرواية الصحيحة مقرّف بالرفع ، أو أنّ الجرّ شاذّ ، وهذا هو الجواب عن البيت الثاني . وقولهم : « إنّ من مقدّرة » قلنا : إنّ كم عند المحققين من أصحابكم بمنزلة ربّ ، يخفض الاسم بها كربّ^(١) ولأنّ حذف حرف الجر له مواضع مخصوصة ، وليس هذا منها .

(١) ط : « فخفض الاسم بها كرب » ، وأثبت ما في ش . والذي في الإنصاف : « فيخفضون بها الاسم الذي بعدها كربّ » .

وقولهم : إنَّها لو كانت بمنزلة عدد ينصب ما بعده كثلاثين لكان ينبغي أن لا يجوز الفصل . قلنا : إنما جاز فيها جوازاً حسناً دون نحو ثلاثين ^(١) لأنَّ كم مُنعت من بعض ما لثلاثين من التصرُّف ، فجعل هذا عوضاً مما منعه . ألا ترى أنَّ ثلاثين تكون فاعلة لفظاً ومعنى ومفعولة ، فلما مُنعت كم من هذا جُعل لها ضربٌ من التصرُّف ، ليقع التعادل . على أنه جاء الفصل بين ثلاثين ومبَيَّرها في الشعر كقوله :

على أُنْتى بعد ما قد مضى

ثلاثون للهجر حولاً كميلاً ^(٢)

انتهى .

وقوله : (بجود) متعلق بنال ، والباء سببية ، وكم على هذا الوجه مبتدأ وهى خبرية ونال العلا الخبر . ومن روى بنصب مقرف فهى أيضاً خبرية . قال أبو على : وقد تجعل كم فى الخبر بمنزلة عشرين فينصب ما بعدها ، ويُختار ذلك إذا وقع الفصل بين المضاف والمضاف إليه . فتكون كم أيضاً مبتدأ ، ونال العلا الخبر ، ونصب مقرف على التمييز .

ومن روى برفع مقرف فهى أيضاً خبرية وموضعها نصب بأنها ظرف ، والعامل فيها نال ، ومقرف مبتدأ ونال العلا خبره . وإنما لم تكن كم فى الخبر لأنها هنا ظرف زمان .

(١) فى الإنصاف : « دون ثلاثين ونحوه » .

(٢) هو الشاهد ٢١٦ فى الخزانة ٣ : ٢٢٩ . ونسب إلى العباس بن مرداس .

وقوله : (وكريم) بالجر عطف على مقرف على رواية الجر ، وجملة (بخله قد وضعه) من المبتدأ والخبر خير لكم المقدرة .

والبيت من أبيات نسبها صاحب الأغاني لأنس (١) بن زنيم ، قالها صاحب الشاهد لعبيد الله بن زياد بن سمية . كذا قال صاحب الأغاني وشرح أبيات سيبويه وشرح الجمل ، وهى :

سَلْ أُمِيرِي مَا الَّذِي غَيَّرَهُ
عن وصالى اليوم حتى ودَّعه
لا تُهَيِّئْ بعد إكرامك لى
فشديداً عادة منتزعه
لا يَكُنْ وعدك برقاً حُلْباً
إنَّ خير البرق ما الغيثُ معه
كم بجودٍ مقرفٍ نال العلا
وشريفٌ بُخِّلَهُ قد وضعه (

وقوله : « سل أُميرى » إلخ أنشده الشارح المحقق (فى شرح الشافية) على أنَّ يدع سمع ماضيه ودَّعَ كما فى البيت . قال سيبويه : استغنوا عن وذر وودع بقولهم : ترك . وقد جاء ودع على جهة الشذوذ ، قرئ فى الشواذ : ﴿ مَا وَدَّعَكَ ﴾ (٢) ، وكقوله : حتى ودعه . وقال سويد بن أبى كاهل :

(١) الأغاني ٢١ : ١٦ - ١٧ واللسان (ودع ٢٦٣) .

(٢) هى قراءة عروة بن الزبير ، وابنه هشام ، وأبى حيوة ، وأبى بحرية ، وابن أبى عيلة . تفسير أبى حيان ٨ : ٤٨٥ .

فسعى مسعائه في قومه ثم لم يدرك ولا عجزاً ودع^(١)
وقال آخر :

فكان ما قدّموا لأنفسهم أكثر نفعاً من الذي ودّعوا^(٢)

١٢١ وقد جاء وادع أيضاً في الشعر ، أنشده أبو علي (في البصريات) ،
وهو :

فأيّهما ما أثبتت فإثني حزين على ترك الذي أنا وادع^(٣)

وقد جاء المصدر أيضاً في الحديث ، وهو قوله ﷺ : « لينتهين أقوام عن ودّعهم الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم » .

وقد جاء اسم المفعول أيضاً . قال خفاف بن ندبة :
إذا ما استحمت أرضه من سمائه

جری وهو مودوع وواعد مصدق^(٤)

قال الصغاني : أى متروك لا يضرب ولا يزجر .

وقول ابن بري إن مودوعاً هنا من الدعة التي هي السكون لا من
الترك ، يراد عليه أن ودع بمعنى سكن غير متعدٍ ، يقال ودع في بيته .

وقوله : « لا تهني » هو من الإهانة . والخلب من البرق : الذي
لا مطر معه ولا يُنتفع بسحابه . وتضرب به العرب المثل لمن أخلف وعده .
قال أعشى همدان :

(١) المفضليات ١٩٩ . و صواب الرواية : « فسعى مسعائهم » ، لأن قبله :

ورث البغضة عن آياته حافظ العقل لما كان استمع

(٢) اللسان (ودع) .

(٣) اللسان (ودع ٢٦٣) عن البصريات أيضاً .

(٤) في النسختين : « ووادع مصدق » ، صوابه في الأصمعيات ٢٤ واللسان (ودع ٢٦١
صدق ٦٣) .

لا يَكُنْ وَعْدُكَ بَرَقًا تُحْلِبُ كاذباً يلمعُ في غرض العمام^(١)

الآيات :

ونسب صاحب الحماسة البصرية هذه الآيات في باب الوصف
لعبد الله بن كُرَيْز . وزاد بعد البيت الثاني :

(واذكر البلوى التي أبليتني)

ومقالاً قلته في المجمع^(٢))

ورويت أيضاً لأبي الأسود الدؤلي . والله أعلم بحقيقة الحال .

وأنس بن زعيم شاعر صحابي ، مضاف إلى جدّه . قال الأمدى : هو
أنس بن أبي أناس^(٣) الكنانى بن زُئيم بن مَحْمِيَّة بن عبد بن عدى بن الدّيل
ابن بكر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة . وهو شاعر مشهور حاذق ، وهو
القائل :

وعوراء من قِيلِ امرئٍ قد رَدَدَتْها

بسالة العينين طالبة عُذْرا

ولو أنّه إذ قالها قلتُ مثْلها

أو أكثر منها أَوْرَثَتْ بيننا غمرا

فأعرضتُ عنه وانتظرتُ به غداً

لعلّ غدا يُبدى لمؤثّرٍ أمرا

(١) قبله في الأغاني ٥ : ١٣٨ :

حييا خولة منى بالسلام درة البحر ومصباح الظلام

(٢) ط والحماسة البصرية ٢ : ١٠ : « البلوى الذى » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

(٣) فى الأصل : « إياس » ، صوابه من المؤلف ٥٥ وجمهرة ابن حزم ١٨٤ ، ١٨٥ والقاموس
(أنس) .

لأنزِعَ ضيمًا ثاويًا في فؤاده

وأقْلِمَ أظفارًا أطالَ بها الحفرا

وقال ابن حجر (في الإصابة) : ذكر ابن إسحاق (في المغازي) أنَّ عمرو بن سالم الخزاعي خرج في أربعين راكبا يستنصرون رسولَ الله ﷺ على قريش ، فأنشده :

لاهمَّ إني ناشدُ محمدًا عَهْدَ أَيْنَا وأبيهِ الأتْلدا (١)

الآيات . ثم قال : يا رسول الله ، إنَّ أنسَ بن زُنيَم هجاك ! فهَدَرَ رسول الله ﷺ دمه ، فبلغه ذلك فقديم عليه ﷺ معتذراً ، وأنشده أبياتاً مدحه بها ، وكَلَّمه فيه نوفلُ بن مُعاوية الدؤلي فعفا عنه .
ومن تلك الآيات :

فما حَمَلْتُ من ناقةٍ فوقَ رحلها

أبرَّ وأوفى ذمَّةً من محمدٍ

قال دِعلب بن علي (في طبقات الشعراء) : هذا أصدق بيتٍ قالته العرب .

١٢٢ ولأنس مع عبيد الله بن زياد أمير العراق أخباراً أوردتها الأصفهاني صاحب الأغاني (في ترجمة حارثة بن بدر الغداني) فإنه كان بينهما أهاج بعد تصافٍ (٢) .

(١) السيرة ٨٠٦ جوتنجن .

(٢) ش : « أهاجى بعد تصافى » وفيه تحريف .

وَرَوَى أَنَّ أَنَسًا لَمَّا رَأَى مِنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ جَفْوَةً ، وَآثَرَةَ لِحَارَةِ بْنِ
بَدْرٍ ، قَالَ :

أَهَانُ وَأَقْصَى ثُمَّ تَنْتَصِحُونَنِي
وَمَنْ ذَا الَّذِي يُعْطَى نَصِيحَتَهُ قَسْرًا (١)
رَأَيْتُ أَكْفَ الْمُصْلِحِينَ عَلَيْكُمْ
مِلَاءً وَكَفَى مِنْ عَطَائِكُمْ صِفْرًا
مَتَى تَسْأَلُونِي مَا عَلَيَّ وَتَمْنَعُوا
لِّذِي لِي لَا أَسْطِيعُ عَلَى ذَلِكَمْ صَبْرًا
وَأَنِّي صَرَفْتُ النَّاسَ عَمَّا يَرِيْبُكُمْ
وَلَوْ شِئْتُ قَدْ أَغْلَيْتُ فِي حَرْبِكُمْ قُدْرًا
وَأِنِّي مَعَ السَّاعِي عَلَيْكُمْ بِسَيْفِهِ
إِذَا عَظَّمُكُمْ يَوْمًا رَأَيْتُ بِهِ كَسْرًا (٢)

فَقَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ لِحَارَةَ : أَجِبْهُ . فَاسْتَعْفَاهُ ؛ لِمُودَّةٍ كَانَتْ بَيْنَهُمَا ، فَأَقْسَمَ
عَلَيْهِ فَقَالَ :

تَبَدَّلْتُ مِنْ أَنَسٍ ، إِنَّهُ كَذُوبُ الْمُودَّةِ خَوَائِهَا
أَرَاهُ بَصِيرًا بَعِيبِ الْخَلِيلِ وَشَرُّ الْأَحْلَاءِ غُورَائِهَا (٣)
فَأَجَابَ أَنَسٌ :

(١) فِي الْأَغَانِي ٢١ : ١٥ : « وَأَيُّ امْرِئٍ يُعْطَى نَصِيحَتَهُ » .
(٢) ط : « إِذَا عَظَّمُكُمْ » ، صَوَابُهُ مِنْ شِ وَالْأَغَانِي .
(٣) فِي الْأَغَانِي : « بَضْرُ الْخَلِيلِ » .

إِنَّ الْخِيَانَةَ شَرُّ الْخَلِيدِ حِلِّ وَالْكَفَرَ عِنْدَكَ دِيَوَانُهَا (١)
 بَصُرْتُ بِهِ فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ كَمَا بَصَّرَ الْعَيْنَ إِنْسَانُهَا
 وَدَامَ الشَّرُّ بَيْنَهُمَا زَمَانًا طَوِيلًا . وَذَكَرَ مَا جَرَى بَيْنَهُمَا وَشِعَرَ كُلِّ وَاحِدٍ
 فِي الْآخِرِ بِإِغْرَاءِ عَبِيدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ .

* * *

وَأُنْشِدَ بَعْدَهُ ، وَهُوَ الشَّاهِدُ التَّسْعُونَ بَعْدَ الْأَرْبَعِمِائَةِ ، وَهُوَ مِنْ
 شَوَاهِدِ س (٢) :

٤٩٠ (كَمْ فِي بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرِ سَيِّدٍ

ضَخْمِ الدَّسِيعَةِ مَاجِدٍ نَفَّاعٍ)

عَلَى أَنَّ فِيهِ دَلِيلًا عَلَى جَوَازِ الْفَصْلِ بِالظَّرْفِ الْمُسْتَقَرِّ عِنْدَ يُونُسَ ، كَمَا
 جَازَ الْفَصْلُ بِالظَّرْفِ اللَّغْوِ فِي الْبَيْتِ السَّابِقِ .

وَسَبَبُوهُ لَا يُجِيزُ الْفَصْلُ بِالظَّرْفِ إِلَّا لِمُضَرَّةٍ . وَأُنْشِدَ هَذَا الْبَيْتُ .
 قَالَ الْأَعْلَمُ : الشَّاهِدُ فِيهِ خَفَضُ سَيِّدٍ بِكَمْ مُضَرَّةٍ ، وَلَوْ رُفِعَ سَيِّدٌ
 أَوْ نُصِبَ لَجَازَ كَمَا تَقَدَّمَ . وَبَيَّانُ كَوْنِهِ ظَرْفًا مُسْتَقَرًّا أَنَّ كَمْ فِي مَحَلِّ رَفْعٍ مُبْتَدَأٌ ،
 وَالظَّرْفُ الْفَاصِلُ فِي مَحَلِّ رَفْعٍ خَبَرِ الْمُبْتَدَأِ .

وَأَخْطَأَ ابْنُ الْمُسْتَوْفَى (فِي شَرْحِ آيَاتِ الْمَفْصَلِ) فِي زَعْمِهِ أَنَّ الظَّرْفَ
 حَالٌّ مِنْ سَيِّدٍ ، وَكَانَ فِي الْأَصْلِ صِفَةً فَلَمَّا قَدَّمَ عَلَيْهِ صَارَ حَالًا مِنْهُ .

وَوَجْهُ الْخَطَأِ أَنَّ الْمُبْتَدَأَ يَبْقَى بِلَا خَبَرٍ .

وَضَخْمٌ وَمَاجِدٌ وَنَفَّاعٌ ، بِجَرِّ الثَّلَاثَةِ صِفَاتٍ لِسَيِّدٍ . وَ (الدَّسِيعَةُ)

(١) فِي الْأَصْلِ : « إِنَّ خِيَانَةَ شَرِّ الْخَلِيلِ » ، وَأُثْبِتَ مَا فِي الْأَغَانِي .

(٢) فِي كِتَابِهِ ١ : ٢٩٦ . وَانْظُرِ الْمُقْتَضِبَ ٣ : ٦٢ وَالْإِنْصَافَ ٣٠٤ وَابْنَ يَعِيشَ ٤ : ١٣٠ ،
 ١٣٢ وَالْعَيْنِ ٤ : ٣٩٢ وَالْأَشْمُونِي ٤ : ٨٢ .

بفتح الدال وكسر السين وبعد المثناة التحتية عين ، والثلاثة بالإهمال ، ومعناها العطية . قال الأعلام : هى من دسع البعير بِجَرَّتِه ، إذا دفع بها . ويقال هى الجفنة . والمعنى أنّه واسعُ المعروف . و (الماجد) : الشريف . يصف كثرة السّادات فى هذه القبيلة .

والبيت وقع عُقلا فى كتاب سيبويه والمفصل ، ولم يعزه أحد من شراحهما إلى قائله .

وزعم العيني أنّه للفرزدق . والله أعلم به .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والتسعون بعد الأربعمئة ، وهو من شواهد س (٢) :

٤٩١ (كم نالني منهم فضلاً على عُدُم

إذ لا أكاد من الإقتارِ أحتمل)

على أنّ جر التمييز مع الفصل بالجملة لا يبيّزه إلّا الفراء ، فيجوز عنده ١٢٣ خفض فضلاً . وأمّا غيره فيوجب نصبه كما فى البيت .

قال سيبويه : وقال الخليل : إذا فصلت بين كم وبين الاسم بشئ استغنى عليه السكوت أو لم يستغن (٣) ، فاحمله على لغة الذين يجعلونه بمنزلة اسم منون ، لأنّه قبيح أن يفصل بين الجار والمجرور ؛ لأنّ المجرور داخل فى

(١) لم أجده فى ديوان الفرزدق .

(٢) فى كتابه ١ : ٢٩٥ . وانظر المقتضب ٣ : ٦٠ والإنصاف ٣٠٥ وابن يمش ٤ : ١٢٩ ، ١٣١ والعينى ٤ : ٤٩٤ والهمع ١ : ٢٥٥ والأشمونى ٤ : ٨٢ وجمهرة القرشى ١٥٣ وديوان القطامى ٦

(٣) ط : « أم لم يستغن » ، وأثبت ما فى ش وسيبويه .

الجارّ فصارا كأنهما كلمة واحدة . والاسم المنون قد يفصل بينه وبين الذى يعمل فيه ، تقول : هذا ضارب بك زيدا ، ولا تقول هذا ضارب بك زيد . قال القطامي :

* كم نالنى منهم فضلا * البيت

وإن شاء رفع فجعل كم المرار التى ناله فيها الفضل ، فارتفع الفضل بنالنى ، كقولك : كم قد أتانى زيد ، فزيد فاعل وكم مفعول فيها ، وهى المرار التى أتاه فيها ، وليس زيد من المرار . ا هـ .

قيل : روى فضلا بالجر أيضاً . فكم على النصب والجر مبتدأ ، وجملة نالنى خبره وفاعله ضمير كم . وعلى الرفع ظرف لنالنى كما قال سيبويه . وزعم العينى أنّ كم مع النصب ظرف زمان تقديره : كم مرة أو كم يوماً ، وجملة نالنى منهم جملة معترضة بين كم ومميزها ، وهو فضلاً .

هذا كلامه ، ولا يخفى فساده ؛ إذ جعل المميز محذوفاً مع أنّه مذكور . ولا يصح جعل [جملة ^(١)] نالنى اعتراضية ، إذ لا فاعل للفعل حينئذ . وقوله (على عُدْم) أى مع عُدْم ، متعلق بمحذوف على أنّه حال من الياء . كذا قال ابن الحاجب (فى أماليه) عن ابن برّهان .

وزعم العينى أنّه متعلق بنالنى . وهو فاسدٌ يُدرك بالتأمل .

وأفسد منه قول ابن المستوفى (فى شرح أبيات المفصل) : قوله : على عدم ، حال من الياء ، وعامله نالنى ، ويجوز أن يعمل فيه فضل المصدر على أنه مفعول به .

(١) التكملة من ش .

والعَدَم ، بفتحتين ، والعُدَم ، بضم فسكون ، كلاهما بمعنى الفقر والاحتياج .

و (منهم) متعلق بنالنى . وقال ابن المستوفى ، يجوز أن يكون موضع منهم النصب على الحال صفة لفضل مقدما عليه ، ويجوز أن يكون من فيه مبيّنا للجنس ويعمل فيه نالنى .

وهذا خطأ ، فإنّ من البيانية مع مجرورها تتعلق بمحذوف على أنه حال .

و (الفضل) : الخير والإنعام ، وجملة أحتمل فى محل نصب خبر كاد وهو بالحاء المهملة . قال شارح ديوان القطامى : أى لم يكن ^(١) لى حمولة أحتمل عليها . والحمولة ، بالفتح ، قال صاحب المصباح : هو البعير يُحمَل عليه ، وقد يستعمل فى الفرس والبغل والحمار . ا هـ

فمعنى أحتمل : اتّخذ حمولة .

وقال الأعلام : قوله « إذ لا أكاد » إلخ ، أى حين بلغ منى الجهد وسوء الحال [إلى أن ^(٢)] لا أقدر على الارتحال لطلب الرّزق ، ضعفاً وفقراً .
ويروى : « أجتمل » بالجيم ، أى أجمع العظام لأخرج ودكها وأتعلّل به ، والجميل : الودك . ا هـ

ولم يذكر أحد رواية الجيم من اجتملت الشحم ، إذا أذبتّه ، وكذا جمّلته أجملّه جمّلا ، وربما قالوا : أجملته ، حكاه أبو عبيد . ورأيت فى بعض الحواشى أنّه روى : (أحتمل) بالحاء المهملة من الاحتمال ، وما أظنّه صحيحاً .

(١) ش : « أى لم تكن » .

(٢) التكملة من الشتمرى .

وزعم بعض فضلاء العجم (في أبيات المفصل) أن الرواية (احتول) ولم يذكر غيرها . وقال : أحتول من الحيلة ، وأصلها حيلة قلبت الواو ياء كما في ميزان . وكان الوجه أحتال ، إلا أنه جاء على الأصل المرفوض . هذا كلامه ولم أرها لغيره .

وقوله : (إذ لا أكاد) إذ ظرف لنالني .

١٢٤ والإقتار : مصدر أقتَر . قال في الصحاح : « وأقتَر الرجل : افتقر » . ومن متعلقة بالنفى ، وقال العيني : ومن متعلقة بأجتمَل . وسيجيء رُده . وزعم ابن برهان أن قوله من الإقتار مفعول له يعمل فيه أحتَمَل .

قال ابن الحاجب (في أماليه) : لا يصحُّ هذا ، لفساد المعنى ؛ إذ الاحتمال لم يكن من أجل إقتار فيخصَّصه بالنفى ، وإنما يصحُّ أن يكون معللاً بمثل ذلك ثم ينفيه مخصَّصاً له ، كقولك : ما جئتكَ طمعاً في برك ؛ فإنَّ المجيء قد يكون طمعاً في البرِّ ، فُينفَى المجيء المقيد بعلَّة الطمع ، ولذلك لا يلزم منه نفى المجيء لغير ذلك ، لأنَّه لا يتعرَّض له ، بل قد يُفهم منه إثبات مجيء لغير ذلك عند من يقول بالمفهوم . أمَّا لو قال : ما كلَّفتك بشيء للتخفيف عليك ، فلا يستقيم أن يكون تعليلاً لكلفتك ، فإنه لا يصح أن يكون التخفيف ^(١) علة للتكليف ، وإنما علَّل به نفى التكليف من أجل غرض التخفيف . وسرُّ ذلك هو أنه إذا تعلق الفعل بشيء فلا بُدَّ أن يُعقَل مثبتاً في نفسه ثم يتعلَّق النفي به . وإذا تعلَّق النَّفى به انتفى المقيد بما تعلق ، ولا ينتفى مطلقاً ، إذ لم ينهه إلا مقيداً . ومن أجل ذلك امتنع تعلُّق « من الإقتار »

(١) ط : « للتخفيف » ، صوابه في ش .

بأحتمل . ويُمنع أيضاً تعلقه بأكاد ، إذ لا يتصور تعليل مقارنة الاحتمال بالإقتار ؛ لأنه عكس المعنى على ما تقدم فى أحتمل ، فوجب أن يكون متعلقاً بالنفى ، إذ هو المسبب فى المعنى ، لأنَّ المعنى انتفت مقارنة الاحتمال ، من أجل الإقتار . ألا ترى أنَّك لو قلت لمن قال : انتفت مقارنة الاحتمال : ما سبب ذلك ؟ لصحَّ أن يقول : سببه الإقتار . ولو قلت لمن قال : ما سبب مقارنة الاحتمال أو ما سبب الاحتمال ؟ : سببه الإقتار ^(١) ، لكان فاسداً . فهو مما يوضح أنَّه تعليل للنفى ، وغير مستقيم ^(٢) أن يكون تعليلاً لأحتمل أو أكاد . انتهى كلامه .

والبيت من قصيدة للقظامى عدتها واحد وأربعون بيتاً ، مدح بها صاحب الشاهد أبا عثمان عبد الواحد .

قال ابن الكلبي ، وابن حبيب : هو عبد الواحد بن الحارث بن الحكم ابن أبى العاص بن عبد شمس بن عبد مناف .

وقال مصعب الزيرى : هو عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك . وكان والياً فى المدينة لمروان بن محمد .

أبيات الشاهد

وهذا مطلع القصيدة :

(إِنَّا مُحَيُّوْكَ فَاسْلَمْ أَيُّهَا الطَّلُّ)

وإن بليت وإن طالت بك الطَّلُّ)

إلى أن قال بعد ستة أبيات :

(وَالنَّاسُ مَنْ يَلْقَى خَيْرًا قَاتِلُونَ لَهُ)

ما يشتهى ، ولأَمْ المخطيء الهبل

(١) فى النسختين : « وقال سببه الأقتار » والوجه حذف : وقال .

(٢) ش : « غير مستقيم » ، بدون واو .

قد يُدرك المتأثي بعض حاجته
وقد يكون مع المستعجل الزل (١)
ثم وصف الإبل التي توصله إلى حبيبته عُلَيَّة (١) بأبيات منها :
(يمشين رهواً فلا الأعجاز خاذلة
ولا الصدور على الأعجاز تتكلم (١)

إلى أن قال :
(فقلت للركب لما أن علت بهم
من عن يمين الحبيبا نظرة قبل
ألحمة من سنا برقي رأى بصري
أم وجه عالية اختالت به الكلال)

ثم بعد أبيات خاطب ناقته فقال :
(إن ترجعي من ألى عثمان مُنْجِحةً ١٢٥
فقد يهون على المستنجد العمل (٣)
أهل المدينة لا يحزنك شأنهم
إذا تخاطأ عبد الواحد الأجل

(١) ورد اسمها في البيت الذي يلي السابق في ص ٢ من الديوان :

أمست على يرتاح الفؤاد لها وللرواسم فيما دونها عمل

لكن سيأتى في البيت الثالث بعد هذا برسم « عالية » فلعل « على » تصغير ترخيم .

(٢) ط : « فلا أعجاز خاذلة إلا الصدور » ، صوابه ما أثبت من ش والديوان ٤ .

(٣) ش : « المستنجد » ، صوابه في ط والديوان ٦ وما سيأتى من التفسير .

أما قريش فلن تلقاهم أبدا
 إلا وهم خير من يحفى وينتعل^(١)
 إلا وهم جبّل الله الذى قصّرت
 عنه الجبال فما ساوى به جبّل
 قوم هم ثبتوا الإسلام وامتنعوا
 رهط الرسول الذى ما بعده رسل^(٢)
 من صالحوه رأى فى عيشه سعة
 ولا يرى من أرادوا ضره يعل
 كم نالنى منهم فضلا على عدم البيت
 وكم من الدهر ما قد ثبتوا قديمي
 إذ لا يزال مع الأعداء ينتضل^(٣)
 فمأهم صالحوا من يتغى عنتى
 ولا هم كدروا الخير الذى فعلوا^(٤)
 هم الملوك ، وأبناء الملوك لهم
 والآخذون به والساسة الأول (

قوله : « إنا محيوك » أى داعون لك بالتحية ، وهى البقاء . والطلل :
 ما شخص من آثار الديار . والطيل ، بالكسر : جمع طيلة ، وهى الدهر .
 وقوله : « والناس من يلق » إلخ يقول : من أخطأ قيل : لأمه الشكل !

(١) ش : « أما قريشا » .

(٢) فى الديوان ٦ : « قوم الرسول الذى ما بعده » .

(٣) فى الديوان ٧ : « إذ لا يزال مع الأعداء أنتضل » .

(٤) ط فى : « من يتغى » ، صوابه من ش والديوان .

وهو الهَبَل . ومن يَلْقَى خيراً ، أى من أصاب عوضاً من الدنيا قالوا :
 ما أَرْجَلَهُ ، لله أبوه ما أعقله ! ومن أخطأه الرِّزْق قالوا : أماته الله ما أعجزه !
 وقوله : « قد يدرك المتأني » إلخ المتأني : صاحب الأناة والوقار
 والجَلَم . وزَلَّ عن الأرض يزل زليلاً ، إذا عَثَرَ .
 وقوله : « يمشين رهواً » إلخ أى على هينتها . يقال فعل ذلك راهياً ، أى
 ساكناً سهلاً .

وأورده صاحب الكشف عند قوله تعالى : ﴿ واترك البحر رهواً ﴾^(١)
 على أن الرهو : السير السهل الساكن . ونَسَبَ البيت للأعشى ظاناً أنه من
 قصيدته التى أولها :
 ودَّعْ هُريرةً إنَّ الركبَ مرتحلُ

وهل تُطيقُ وداعاً أيُّها الرجلُ

وليس كذلك . قال أبو عمرو : يقول هى مؤثقة الصدور والأعجاز
 لا تخذل أعجازها صدورها ، ولا صدورها أعجازها .
 وقوله : « فقلت للركب » إلخ نظرة فاعل علث . والنَّظَرَةُ القَبْلُ
 بفتحيتين : التى لم تتقدمها نظرة ، ومنه يقال رأينا الهلال قبلاً ، إذا لم يكن رُئِيَ
 قبل ذلك . ومعنى علت بهم : جعلتهم يعلون وينظرون . والحُبِّيَّا ، بضم الحاء
 المهملة وفتح الموحدة وتشديد المثناة التحتية : موضع بالشام . وعن بمعنى
 جانب ، فهى اسم . وبه استدللَّ ابن قتيبة (فى أدب الكاتب) ، وابن الناظم
 والمرادى أيضاً (فى شرح الألفية) .
 وقوله : « ألمحةً من سنا » إلخ هذا البيت مقول قلت . واللَّمحة :

(١) الآية ٢٤ من سورة الدخان .

اللَّمعة . وسَنَا البرق : ضوءه . واختالت : تزَيَّنت به الكِللُ من حُسْنِه ،
 وضمير به للوجه . والكِلل : السُّتور . يريد أن وجه عالية ظهر إليهم من
 الستر ، فأشرفوا ينظرون إليه إعجاباً به .
 ومُنَجِّحة من أنجَحَ الرجل ، واستنجح ، إذا ظفر بحاجته . والعَمَل : التعب .
 ويخفى : يمشى بغير حذاء ، ومصدره الحفاء بالمد .
 وَيَل : ينجو ، يقال أُل يُل مؤثلاً . ونالني : أصابني . ويتنَّضِلُ :
 يرتقى ، بالضاد المعجمة . وعنتي : هلاكى . يقال عَنَت الرجل يَعَت عنتاً ،
 إذا وقع في هلكة .
 وقوله :

* هم الملوك وأبناء الملوك لهم *

أى منهم . و « الآخذون به » أى بالملك ، فأضمّره لمّا جرى ذكر
 الملوك .

والقطامي : شاعرٌ إسلامي في الدولة الأموية ، تقدمت ترجمته في
 الشاهد الثالث والأربعين بعد المائة (١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثاني والتسعون بعد الأربعمئة ، وهو من
 شواهد س (٢) :

٤٩٢ (كم عمّة لك يا جريرٌ وخالّةٌ
 فدعاء قد حلّبت على عشاري)

(١) الخزائن ٢ : ٣٧٠ .

(٢) في كتابه ١ : ٢٥٣ ، ٢٩٣ ، ٢٩٥ ، وانظر المقتضب ٣ : ٥٨ والجمل ١٤٨ وابن يعيش
 ٤ : ١٣٣ والمقرب ٦٨ وشرح شواهد المغني ١٧٤ والعيني ١ : ٤/٥٥٠ : ٤٨٩ والتصريح ٢ : ٢٨٠ .
 والهمع ١ : ٢٥٤ والأشئوني ١ : ٢٠٧ ، ٤/٢١٢ : ٨٠ ، ٨١ وديوان الفرزدق ٤٥١ .

على أنه قد روى عمة وخالة بالحركات الثلاث . وشرحها شرحاً جيداً ، وجوّز في النصب أن تكون كم استفهامية ، وخبرية . وهو مذهب أئى الحسن الرّبعى .

فإنّ السيرافى قال : كم حينئذ استفهامية . وتبعه الزجاجى . وقال أبو على : لا معنى هنا للاستفهام ، ولكن شبه بالاستفهامية فنصب بها كما تشبه الاستفهامية بالخبرية فيجرّها ، فى نحو قولك : على كم جذع بيتك مبنى ؟ وتوسط الرّبعى بينهما فقال : الوجه ما قاله أبو على . والذى قاله السيرافى يجوز على أنّه استفهمه هازئاً به . كذا نقل ابن السيّد ، وتبعه ابن خلف .

والرّبعى مسبوّق ، فإنّ ابن السّراج قال (فى الأصول) : النصب عندى على وجهين : على ما قال سيبويه فى لغة من ينصب فى الخبر ، وعلى الاستفهام . انتهى .

وبهذا يضمحلّ قول اللخميّ (فى شرح أبيات الجمل) : إنّ سيبويه أدخل البيت فى وجه النصب على الخبر والتحقيق ، لا على وجه الاستفهام والشك . قال سيبويه : ومن ينصب كثير ، منهم الفرزدق . ولم يذكر الاستفهام لكن ذكر أنها شُبّهت فى الخبر بالاستفهام فنصب بها كما ينصب ما بعد العدد . انتهى .

وكذا جوّز الشارح المحقق الوجهين فى الرفع .

قال ابن السّراج : اعلم أنك إذا قلت كم عمّة بالجر فلست تقصد إلاّ واحدة ، وكذلك إذا نصبت ، فإن رفعت لم يكن إلا واحدة ؛ لأنّ التمييز يقع

واحدُه في موضع الجمع ، فإذا رفعت فلست تريد التمييز ، فإذا قلت : كم درهم عندك فإنما المعنى : كم دانقاً هذا الدرهم الذى أسألك عنه ؟ فالدرهم واحد لأنَّه خبر وليس بتمييز . ا هـ .

فكُلُّ من الجرِّ والنصب أبلغ من الرفع ، لأنهما يدلّان على أنّ لجرير عماتٍ وخالاتٍ أجيراتٍ ممتَهَناتٍ . والرفع يدلُّ على أنّ له عمّةً واحدةً ، حلبت له عشاره . ولهذا قال السيرافى : الأجود فى البيت الخفض ، وبعده النصب ، وبعده الرفع .

وبَيَّنَّ الشارح المحقق إعراب كم مع الرفع ولم يبيّنه مع غيره . فهى مع خفض عمّة ونصبها موضعها رفعٌ على الابتداء ، والخبر جملة قد حلبت . قال ابن هشام (فى المغنى) : وأفرد الضمير فى حلبت حملاً على لفظ كم .

وليس هذا من قبيل ما هو عائِدٌ على مجموع ما تقدّم ، نحو : النساء فعلت كما زعمه الدمامينى ، فإنَّ العمّة والخالة مفردان ، بخلاف النساء فإنه اسمٌ جمع . وأمّا فى رواية رفع عمّة على الابتداء فلا بدّ من تقدير قد حلبت أخرى ؛ لأنَّ الخبر عنه فى هذا الوجه متعدّد لفظاً ومعنى . ونظيره : زينب وهند قامت . قاله ابن هشام فى المغنى .

وجاز الابتداء بها وإن كانت نكرة لأنَّها قد وصفت بلك وبفدعاء محذوفة مدلول عليها بالمذكورة ، إذ ليس المراد تخصيص الخالة بالفدع ، كما حذفت لك من صفة خالة استدلالاً عليها بلك الأولى . قاله ابن هشام أيضاً . وعليه فيكون من قبيل الاحتباك ؛ وهو أن يثبت لأحدهما نظير ما حُذف من الآخر .

ونقل ابن المستوفى (فى شرح أبيات المفصل) عن الزمخشري (فى حواشيه على المفصل) أن التقدير : كم لك غيرهما ؟ فتعلق لك بكم .

ولأى على (فى المسائل المنثورة) كلام جيد فى كم ، أحببت إيراده هنا . قال : إذا كانت كم خبراً جاز فيما بعدها الجر والرفع والنصب ، وإثما جرته بكم لأن كم نقيضة رب ، ومن أصولهم حمل الشيء على نقيضه . ألا ترى أن رب للقلة وكم للكثرة ! فلما كانت بهذه المنزلة أجريت مجرى رب . وإن نصب ما بعدها فجائز لأنها عدد فى الحقيقة ، والأعداد تبين مرة بالنصب ومرة بالجر . وإذا كان هذا جائزاً فى الأعداد فعلى أى وجه أردت جاز . والرفع إذا قلت كم رجل أتانى ، صارت كم فى معنى مرار ، فتكون فى موضع نصب بأتانى ، ويكون رجل مبتدأ وأتانى خبره . قال أبو عمرو : لا يكون ما تبين به كم إلا نكرة ، وذلك لأنها عدد ، والأعداد لا تبين إلا بالنكرات .

والنصب فى الخبر جائز ، لأنها عدد فى الحقيقة ، وإن كان الوجه الجر . والحسن أن تنصب إذا فصلت بينها وبين ما أضيف إليها ، لأن الفصل بين المتضايقين قبيح . فلما قبح نصبه لأنها فى الحقيقة عدد ، ورجل يفسر ويوضح .

وأما قول الشاعر : « كم بجود مرقفا » البيت ، فنصب مرقفا فسر به كم ^(١) لأنه حال بينه وبين كم بقوله بجود ، وتكون كم فى موضع رفع بالابتداء ، وهى فى المعنى فاعلة كما تقول : زيد قام ، فزيد مبتدأ وإن كان فاعلاً فى المعنى . ويجوز الجر لأنك حلت بين كم وبين ما عملت فيه بظرف . فأما قول الفرزدق :

(١) فى الأصل ، أى النسختين : « فسر بكم » ، والوجه ما أثبت كما اقترح مصحح طبعة بولاق .

* كم عمّة لك يا جرير وخالة *

فأما النصب في العمّة فتجعل كم رفعاً بالابتداء وحلبت خبرها ، وعمّة تفسير العدد ، كأنّه قال : عشرون عمّة حلبت . والجُرُّ على ما تقدّم من الكلام . وأما الرفع في العمّة فتكون كم في موضع نصب ، وتكون كم في معنى مرار فتصير ظرفاً للحلب . قال أبو عمرو : تقول : كم رجال قد رأينا ، فجاز في كم أن تفسّر بالجمع ، لأنّ العدد يفسّر بالجمع وبالواحد . وإذا كانت كم عدداً جاز تفسيرها بالواحد والجمع مع أنّه مع كم أشدّ استمراراً ، وذلك إذا قلت عشرون درهما ، ففي الكلام دلالة على الجمع . وإذا قلت كم فليس في كم دلالة على الجمع ، فلذلك أجازوا ذلك في كم . انتهى كلام أبي على .

وفدعاء : صفة لخالة لقربها ، وحذّقه من عمّة قبلها . وقد فسّر الشارح الفدعاء بكلام الصحاح . وقال ابن الأعرابي : الأُفدع : الذي يمشي على ظهور قدميه . وقال أبو جعفر : الفدّع في القدم ، والكّوع في اليد . والرُسغ بالضم هو من الإنسان : مفصل ما بين الكف والساعد ، والقدم إلى الساق . ومن الدوابّ : الموضع المستدق بين الحافر وموضع الوظيف من اليد والرجل . والإنسي بكسر الهمزة قال صاحب الصحاح : الإنسيّ : الأيسر من كل شيء .

وقال الأصمعي : هو الأيمن . وقال : كل اثنين من الإنسان مثل الساعدين والقدمين فما أقبل منهما على الإنسان فهو إنسيّ ، وما أدبر عنه فهو وحشي . انتهى .

وقال صاحب المصباح : الوحشيّ من كل دابة : الجانب الأيمن . قال

الشاعر :

فمالت على شَيْئٍ وَحْشِيَّهَا وقد رِيعَ جانبها الأيسر^(١)

١٢٨

قال الأزهري : قال أئمة العربية : الوحشِيُّ من جميع الحيوان غير الإنسان : الجانبُ الأيمن ، وهو الذى لا يركب منه الراكب ولا يحلب منه الحالب . والإنسِيُّ : الجانب الآخر ، وهو الأيسر^(٢) . وروى أبو عبيد عن الأصمعي أن الوحشِيَّ هو الذى يأق من الراكب ويحلب منه الحالب ، لأنَّ الدابة تستوحش عنده فتفرُّ منه إلى الجانب الأيمن . قال الأزهري : وهو غير صحيح عندى .

قال ابن الأنباري : ويقال ما من شيء يفرع إلّا مال إلى جانبه الأيمن ، لأنَّ الدابة إنما تؤق للركوب والحلب من الجانب الأيسر ، فتحاف عنده فتفرُّ من موضع المخافة وهو الجانب الأيسر إلى موضع الأمن ، وهو الجانب الأيمن . فلهذا قيل الوحشِيُّ الجانب الأيمن . ووحشى اليد والقدم : ما لم يُقْبَل على صاحبه^(٣) والإنسِيُّ خلافه . ووحشِيَّ القَوْسِ^(٤) : ظهرها . وإنسِيَّها : ما أقبل عليك منها . انتهى ، وسُقْنَاهُ برُمْتَهُ لجودته .

والشَّوْه^(٥) بسكون الواو : مصدر شأهت الوجوه تشوّه ، أى قبحت . وقول شارح المحقق : « وإثما عدّى حلبت [بعلَى^(٦)] لتضمُّنه معنى ثقلت » إنّه مأخوذ من كلام صدر الأفاضل ، فإنه قال : إن قيل : ما معنى

(١) نسب في شرح القصائد السبع الطوال ٣٢٥ - ٣٢٦ واللسان (وحش ٢٦٣) إلى الراعى . وفي القصائد السبع : « فجالت على » .

(٢) انظر الحيوان ٥ : ٥١٢ - ٥١٣ وشرح القصائد السبع ٣٢٥ - ٣٢٦ .

(٣) ش : « ما أقبل على صاحبه » ، صوابه في ط .

(٤) ش : « الفرس » ، صوابه في ط .

(٥) هذا تفسير لعبارة وردت في كلام المحقق الرضى في ٢ : ٩٢ في قوله شارحا للشاهد :

« يعنى أنها لكثرة الخدمة صارت كذلك ، أو هذا خلقة لها . نسبها إلى شوه الخلقة » .

(٦) تكملة ضرورية من شرح الرضى ٢ : ٦٤ . يريد أن حلبت على بمنزلة ثقلت على .

حلبت عليّ ؟ أجيب بأنّ معناه : على كره مني ، وهذا كما يقال باع القاضي عليه داره . يقول : استنكفت أن تحلب عشاري . ويشهد لهذا المعنى الفدعاء . انتهى .

قال شارح شواهد الإيضاح والمفتاح : وجه الشهادة أنّ الفدعاء من صفات الإمام ، فيؤذن بلؤم من يوصف به ، فلذلك استنكف . يريد : خدمتني على كره ؛ لأنّني لم أكن راضيا بذلك ؛ لحسنتي ولؤمهنّ .

ونقل ابن المستوفى (عن حواشي المفصل) أنّ الفدع من صفات الإمام . وقوله : « عليّ » أي لى ، أي كانت راعية لى . ثم نقل كلام صدر الأفاضل . وقال : الأجود ما فى الحواشى ، لأنّه لا تحلب عشاره إلا بإذنه ، وهو أبلغ . هذا كلامه .

و (العشار) بالكسر : جمع عشراء بضَمّ ففتح وبالمدة ، قال اللخمي : هى الناقة التى مضت لها عشرة أشهر من حملها . ثم يبقى عليها الاسم إلى أن تنتج لحول وبعد ذلك بأيام . على هذا إجماع أكثر اللغويين . وقيل يقع هذا الاسم على التى أتى عليها من وضعها عشرة أشهر ، وهى فى هذا البيت كذلك ، بدليل قوله حلبت ، وهو الوجه ، ويحتمل أن يحمل البيت الأول على القول الأول . ومعنى البيت يذمه بذلك ويصفه أنّه من أهل القلّة ، وليس من أهل الشرف والسعة ، إذ لو كان كذلك لأصانهنّ من الابتذال . وإنّما خصّ النساء بالحلب^(١) لأنّ العرب يتعايرون بحلب النساء ، فهو فى القلّة كما قال السليلك :

أشَابَ الرأسَ أتّى كلّ يوم
أرى لى خالّة وسطَ الرّحال

(١) ط : « بالحرب » صوابه فى ش .

يَعُزُّ عَلَى أَنْ يَلْقَيْنَ ضَيْمًا
وَيَعِجْزَ عَنْ تَخْلُصِهِنَّ مَالِ

وقد صحَّف اللّحياني ثلاث كلمات من البيت :
الأولى : حَلَبَتْ فَإِنَّهُ صَحَّفَهُ بِجُلَيْتَ ، بضم الجيم وكسر اللام بعدها
مثناة تحتية .

والثانية : عَلَيَّ ، صَحَّفَهُ بِعَلَى الْجَارَةِ .
والثالثة : عِشَارَى ، فَإِنَّهُ صَحَّفَهُ بِعِشَارَ ، بفتح العين وتشديد الشين .
قال ابن جنى (فى سر الصناعة) : أصحابنا البصريون فى كثير مما
يحكيه اللّحياني كالمتوقفين . حكى أبو العباس عن إسحاق بن إبراهيم قال :
١٢٩ سمعت اللّحياني ينشد :

كَمْ عَمَةٍ لَكَ يَا جَرِيرَ وَخَالَةٍ
فَدَعَاءُ قَدْ جُلَيْتُ عَلَى عِشَارٍ

فقلت له : ويحك ، إثمًا هو : « قَدْ حَلَبَتْ عَلَيَّ عِشَارَى » . فقال
لى : وهذه أيضا رواية . ومما صحَّفَه أيضا قولهم فى المثل : « يَا حَامِلُ اذْكُرْ
حَلًّا » حَامِلُ بِالْمِيمِ . وإثمًا هو : « يَا حَابِلُ اذْكُرْ حَلًّا » بِالْبَاءِ ، أَى يَا مَنْ
يَشْدُ الْحَبْلَ اذْكُرْ وَقْتَ حَلِّهِ . وذاكرتُ بنوادره شَيْخَنَا أَبَا عَلَى فَرَأَيْتَهُ غَيْرَ رَاضٍ
بِهَا ، وَكَانَ يَكَادُ يَصَلُّى بَنَوَادِرَ أْبَى زَيْدٍ إِعْظَامًا لَهَا . وَقَالَ لى وَقْتَ قِرَاءَتِى إِيَّاهَا
عَلَيْهِ : لَيْسَ فِيهَا حَرْفٌ إِلَّا وَتَحْتَهُ لَأْبَى زَيْدٍ غَرَضٌ مَّا . وَهُوَ كَذَلِكَ ، لِأَنَّهَا
مَحْشُوءَةٌ بِالثُّنْكَتِ وَالْأَسْرَارِ . انتهى .

ورأيت في (تذكرة أبي علي) حدثني أبو خالد عن إسحاق بن الموصلي ^(١) قال : أنشد أبو المنذر العروضي يوماً : « قد جليت على عشار » فقيل له : الرواية « قد حلبت على عشاري » فقال : وهذا أيضا وجيه . انتهى .

وقع مثل بيت الفرزدق بيت جرير من قصيدة هجا بها خليد عتيق العبدى ، وهو :

كم عمة لك يا خليد وخالة

خضر نواجذها من الكراث ^(٢)

قال المبرد (في الكامل) : وإنما هجاه بالكراث لأن قبيلة عبد القيس يسكنون البحرين ، والكراث من أطعمتهم ، [و] العامة [يسمونه : الركل والرغال ^(٣)] .

وبيت الفرزدق من قصيدة [عدتها ^(٤)] ثمان وثلاثون بيتا هجا بها جريرا ، مطلعها :

(يا بن المراغة إنما جاريته)

بمسبقين لدى الفعال قصار ^(٥)

(١) يعنى إسحاق بن إبراهيم الموصلي . كانت حياته ما بين سنتي ١٥٥ و ٢٣٥ .

(٢) البيت لم يرد في ديوان جرير . وبعده في الكامل ٤٩٨ :

نبئت بمنبتو فطاب لريحها

ونأت عن القيصوم والجنجاث

(٣) هذه التكملة وسابقتها من الكامل للمبرد ، وبدونها لا يستقيم الكلام . وانظر اللسان (ركل) .

(٤) التكملة من ش .

(٥) ط : « لدى الفعال » ، صوابه في ش والديوان ٤٤٨ .

والحابسين إلى العشي ليشربوا
 تُزَح الركيّ وِدْمَنَة الأسار^(١)
 يا ابن المراغة كيف تطلبُ دارماً
 وأبوك بين حمارة وحمارٍ
 لن تدركوا كرمي بلوم أبيكم
 وأوأيدى بتنحلّ الأشعار (

إلى أن قال :

(قَبَحَ الإلهُ بنى كليبٍ إنَّهم
 لا يَغْدِرُونَ ولا يَفُونَ لجارِ
 يَسْتَيْقِظُونَ إلى نُهاقٍ حميرهم
 وتنام أَعْيُنُهُم عن الأوتارِ
 مُتَبَرِّقِي لَوْماً كَأَنَّ وجوهَهُم
 طُلِيت حواجِبُها عَنِّيَ قارِ^(٢)
 كم من أب لى يا جريرُ كَأَنَّهُ
 قمرُ المجرَّةِ أو سراجُ نهارِ
 ورِثَ المكارمَ كابراً عن كابر
 ضَحَّم الدَّسِيعَةَ كُلَّ يومٍ فَخَّارِ)

(١) في ديوان الفرزدق ٤٤٨ : « ليأخذوا نزع الركي » .

(٢) في الديوان : « متبرقي لوم » . وقد سمع حذف النون في مثل هذا ، ومنه قراءة الحسن :
 « والمقيمي الصلاة » ، بنصب « الصلاة » . وانظر حاشية الصبان على الأشموني ١ : ٨٩ .

إلى أن قال :

(كم عَمَّةٌ لك يا جريرٌ ونخالة

فدعاء قد حلبت على عشاري

كنا نحاذر أن تُضيعَ لقاحنا

وَلَهَى إذا سمعت دُعاءَ يسار^(١)

شُعارةً تقذُ الفصيلَ برجلها

فَطَارَةً لقوادم الأبيكار)

وهذا آخر القصيدة .

وقوله : « لا يغدرون » إلخ^(٢) . يقول : هم ضعفاء لا يقدرّون على

غدرٍ ولا على وفاء .

وعنية ، بفتح العين وكسر النون بعدها مثناة تحتية مشددة ، قال في

الصحاح : هو بول البعير يُعَقَّد في الشمس يُطَلَّى به الأجر . والقار

بالقاف ، قال في الصحاح : هو الإبل^(٣) .

وقوله : « كنا نحاذر » إلخ تُضيع : مضارع أضاع ، ولقاحنا مفعولُه

وهو جمع لَقُوح وهي الناقة الحلوب . قال في الصحاح : إذا نُتِجَت الناقة

فهى لَقُوح شهرين أو ثلاثة ، ثم لبون بعد ذلك . وقوله : وَلَهَى^(٤) : فاعل

(١) ولهى ، رجمت طبقا لما سيأتى في الشرح ، وفي الأصل والديوان : « ولها » .

(٢) وقوله لا يغدرون إلخ ، ساقط من ش .

(٣) في ش : « هو بول الابل » ، وأثبت ما في ط والصحاح ، وفيه : والقار : الإبل . قال المراجع :

إِنَّا رَأَيْنَا مُلْكًا أَغَارَا أَكْثَرَ مِنْهُ قَرَّةً وَقَارَا

(٤) رجمت في الأصل : « ولها » ، والوجه ما أثبت .

تضييع ، وهو فَعْلٌ من الولِّه . ويسار : اسم عبد كان يتعرَّض لبنات مولاه .
 وقوله : « شَعَارَةٌ تَقْدُ الفصِيل » لَمَخ هو من شواهد سيبويه ، أورده بعد
 قوله : كم عمّة لك يا جرير البيت ، بنصب شَعَارَةً على الذم . قال : زعم
 يُونس أنّه سمع الفرزدق ينشده بالنصب ، جعله شتاً ، وكأَنّه ^(١) حين ذكر
 الحلب صار من يُخاطَب عنده عالماً بذلك . ولو ابتدأه وأجراه على الأوّل كان
 جائزاً عربياً . انتهى .

قال الأعلام : [الشاهد ^(٢)] في نصب شَعَارَةٍ وَفَطَارَةٍ على الشتم .
 والشَعَارَةُ : التي ترفع رجلها ضاربةً للفصيل لتمنّعه من الرُّضَاع عند الحلب ،
 يقال شغّر الكلب إذا رفع رجله ليبول . والوقْدُ : أشدّ الضرب . والموقوذة : التي
 تُهكَّت ضرباً حتّى أشرفت على الهلاك . والْفَطَارَةُ : التي تحلب الفَطْر ، وهو
 القبض على الخلف بأطراف الأصابع لصغره . والضَّفّ : أن يقبض عليه
 بالكفّ لعظمه . والأبكار : جمع بكر ، وهي التي نتجت أوّل بطن .
 وقوادمها : أخلافها ، وهي أربعة : قادمان وآخران ، فسمّاها كلّها قوادم
 اتساعاً ومجازاً . وإنّما وصفها بهذا الضرب من الحلب لأنّه أصعبه . انتهى .
 وقال ابن خلف : الضفّ بالفاء ، ويقال الضبّ بالباء ، وهو الحلب
 بالكفّ كلّها ، وإنّما يكون للكبار من النوق ، وأما الصُّغار من النوق فإنّما
 تُحلب بأطراف الأصابع لصغر ضرعها ، وإنّما وصف جذقها ومعرفتها
 بالحلب لأنّها نشأت عليه .

وقال ابن المستوفى : أراد أنّها عالمة بالحلب ، فهي أوّل من فتح قوادمها .

(١) ش : « وكان » ، صوابه في ش وسيبويه ١ : ٢٥٤ .

(٢) التكملة من ش .

قالوا : لأنَّ الأَخْلَافَ والضُّرُوعَ أَيَّامَ الحَمَلِ تكونُ مَسْدُودَةً بشيءٍ كالصَّمغِ ، فإذا ولدت الدابة عالجها الحالب حتى ينزعه من مكانه ، فيسهل خروج اللبن .

ووجدت هذا البيت في شعر الراعي من أبيات أولها :
(عُوجُوا المطىَّ علىَّ ذا الأكوار
كيما أُخْبِرَكُم من الأخبارِ
أنَّ الحلالَ وَخَنَزَرًا ولدَتْهُمَا
أمُّ مقارفةٍ على الأطهارِ ^(١))

شُعَارَةٌ تقذُ الفصيلَ برجلها البيت . انتهى
وقد تكلم السيد المرتضى قُدَّسَ سرُّه (في أماليه) على هذا البيت ، فلا بأس بإيراده : قال : أما قول الفرزدق شُعَارَةٌ تقذُ الفصيل ... البيت ، فإنه من غريب شعره ^(٢) . وفسره قال : معنى شُعَارَةٌ أنَّها ترفع رجلها للبول . وقوله : « تَقْذُ الفصيل » ، أى تدفعه عن الدثو إلى الرضاع ليتوفَّر اللبن على الحلب . وأراد بتقذُ أى تبالغ في إيلاجه وضربه ، ومنه الموقوذة . فأما قوله : « فطارة لقوادم الأبقار » ، فالقَطَرُ هو الحلب بثلاث أصابع . والقوادم : الأَخْلَافُ . وإِنَّمَا خصَّ الأبقار بذلك لأنَّ صغر أخلافها يمنع من حلبها ضَبًّا . والضَّبُّ

(١) ورد باسم « الحلال » بالحاء المهملة في شرح التيهيزى للحماسة ٤ : ٧٧ ، إذ قال عند الكلام على خنزِر بن أرقم : « واسمه الحلال ، وهو أحد بنى بلر بن ربيعة بن عبد الله بن الحارث بن نمير » . والحق أنه غيِّب . وأما « خنزِر » فهو خنزِر بن أرقم ، كما في شرح الراعي . وفي الأصل : « وخنزرا » تحريف . إذ أن خنزرا كان صاحب مناقضات مع الراعي ، كما في الحماسة . وانظر ديوان الراعي ٦٧ ، ٨٩ .

(٢) في الأصل : « فأما من غرب شعره » ، صوابه من أمالى المرتضى ١ : ٨٠ .

هو الحلب بالأصابع الأربع ، فكأنه لا يُمكن فيها ، لِقصر أخلافها ،
إلا القَطْر . ومعنى البيت تعييره لنساء جرير بأنهن راعيات ، وذلك مما تعير به
العربُ النساء . ألا ترى إلى قوله قبل هذا البيت :

كم عمة لك يا جرير وخالة البيت
كنا نحاذر أن تضيع لقاحنا البيت
ثم تلا ذلك بقوله : « شُعارة » .

١٣١ قال السيد المرتضى رضى الله عنه : وعندى أن قوله شُعارة كناية عن
رفع رجلها للزنى ، وهو أشبه بأن تكون مرادة في هذا الموضع . ألا ترى أنه قد
وصفها بالوله وترك حفظ اللقاح عند سماعها دعاء يسار . ويسار : اسم لراع ،
فكأنه وصفها بالوله إلى الزنى والإسراع إليه ، وترك حفظ ما استحفظته من
اللقاح . انتهى كلامه .

وترجمة الفرزدق قد تقدمت في الشاهد الثلاثين (١) .

* * *

وأنشد بعده :

(الواهب المائة الهجان وعبيدها)

هذا صدر ، وعجزه :

(عوداً تزجى خلفها أطفالها)

على أنه يجوز في التابع ما لا يجوز في المتبوع كما هنا ، وهو جعل ضمير
المعرف باللام في التابع مثل المعرف باللام ، فإن قوله « عبدها » بالجر معطوف

(١) الخزائن ١ : ٢١٧ .

على المائة ، وهو مضاف إلى ما ليس فيه أل ، واغتُفِرَ هذا لكونه تابعا .
والهيجان : كرام الإبل . والعُود : جمع عائد ، وهي الحديثة النتاج قبل
أن توفى خمس عشرة ليلة ، ثم هي مُطْفَل بعده . وتزجى : تسوق ، وفاعله
ضمير العود ، وأطفالها مفعولة . والمعنى أنَّ هذا الممدوح يهب المائة من الإبل
الكريمة مع أطفالها ، ويهب راعيها أيضاً .
وقد تقدم شرح هذا مفصلاً في الشاهد الرابع والتسعين بعد المائتين ^(١) .

** **

(١) الخزنة ٤ : ٢٥٦ .

الظروف

أنشد فيه :

(إِلَّا عُلاَّةَ أَوْ بُدَا هَهَّ سَابِجْ نَهْدَ الْجَزَارَه)

على أنه حذف المضاف إليه من الأوَّل بدلالة المضاف إليه من الثاني التابع ؛ فإنَّ الأصل : إِلَّا عِلَالَةٌ سَابِجْ أَوْ بُدَاهَةٌ سَابِجْ ، فحذف سَابِجْ من الأوَّل لدلالة الثاني عليه .

وتقدَّم الكلام عليه مشروحا في الشاهد الثالث والعشرين من أوائل الكتاب ، ومَرَّ في باب الإضافة أيضاً ^(١) .

قال الفراء (في تفسيره) : ولا تنكرنَّ أن تضيف قبل وبعد وأشباههما وإن لم يظهر ، فقد قال الشاعر :

إِلَّا بُدَاهَةٌ أَوْ عُلاَّةَ لَهَّ سَابِجْ نَهْدَ الْجَزَارَه

وسمعت أبا ثروان العُكَلِيَّ يقول : قطع الله الغداة يدَ رجلٍ من قاله . وإنما يجوز هذا في الشيئين يصطحبان ، مثل اليد والرجل . ومثله : عندي نصفُ أو ربعُ درهم ، وجئتكَ قبلَ أو بعدَ العصر . ولا يجوز في الشيئين يتباعدان ، مثل الدار والغلام ، فلا يجيزونَ : اشتريت دارَ أو غلامَ زيد ، ولكن عبدَ أو أمةَ زيد ، وعين أو أذن زيد ^(٢) ، وما أشبهه . ا هـ .

(١) الخزانة ٤ : ٤٠٤ - ٤٠٦ .

(٢) بعده في معاني الفراء ٢ : ٣٢٢ : « ويد أو رجل » .

والعلالة بالضم : بقية جرى الفرس ، وهو منصوب لأنه استثناء منقطع . والبداهة بالضم أيضاً : أول جرى الفرس . والسايح : الفرس الذى يدحُو الأرض بيديه فى العدو . والنهد : المرتفع والعالى . والجزارة بضم الجيم : الرأس واليدان والرجلان . يريد أن فى عنقه وقوائمه طولاً وارتفاعاً .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والتسعون بعد الأربعمئة (١) :

٤٩٣ (ونَحْنُ قَتَلْنَا الْأَرْدَ أَرْدَ شَنْوَةٍ

فَمَا شَرَبُوا بَعْدَ عَلَى لَذَّةِ خَمْرٍ)

١٣٢ على أنه يجوز بقلة فى هذه الظروف أن يعوّض التنوين من المضاف إليه فيعرب ، كما أعرب بعداً فى البيت على الظرفية ، والكثير البناء على الضم ؛ إذ المختار عند الشارح المحقق أن المبنى على الضمّ والتنوين لا فرق بينهما فى المعنى ، وأنهما مقطوعان عن الإضافة . فإن لم يبدل التنوين من المضاف إليه بنى على الضم لما ذكره ، وإن أبدل عنه كان معرباً بالنصب على الظرفية . وقد ينون المبنى على الضم فى الضرورة .

وقد روى : « فَمَا شَرَبُوا بَعْدَ » أيضاً بضميتين . فالأول معرب وهذا مبنى وكلاهما معرفة ، إذ المضموم بنية الإضافة إلى معرفة .

قال أبو حيان (فى الارتشاف) : وإذا قطعاً ، يعنى قبل وبعد ، عن الإضافة لفظاً ونوى ما أضيف إليه وكان معرفة بُنيّاً على الضم .

ثم قال أبو حيان : وقد يتوقف فى تعريفهما بالإضافة إلى معرفة لأنهما متوغلان (٢) فى الإبهام .

(١) شذور الذهب ١٠٥ والعينى ٣ : ٤٣٦ والتصريخ ٢ : ٥٠ والمجم ١ : ٢٠٩ ، ٢١٠

والأشعوى ٢ : ١٦٩ .

(٢) ط : « متغولان » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

هذا محصل كلام الشارح المحقق . وكون تنوين المنصوب للتعويض من المضاف إليه كتنوين بعض وكل ، هو مذهب الجماعة .

قال ابن مالك (في شرح الكافية) : وذهب بعض العلماء إلى أن قبلاً في قوله وكنت قبلاً ^(١) ، معرفة بنية الإضافة ، إلا أنه أعرب لأنه جعل ما لحقه من التنوين عوضاً من اللفظ بالمضاف إليه ، فعومل « قبل » مع التنوين لكونه عوضاً من المضاف إليه بما يعامل به مع المضاف إليه ، كما فعل بكل ، حين قطع عن الإضافة لحقه التنوين عوضاً .

وهذا القول عندى حسن . اهـ .

وهذا خلاف الطريقة المشهورة ، وهو ما عليه الجمهور ، قالوا : إنَّ المنون نكرة كسائر النكرات ، وإنَّ التنوين فيها للتمكين . قال ابن مالك (في الألفية ^(٢)) :

وأعربوا نصباً إذا ما نُكِّرا

قبلاً وما مِنْ بَعْدِهِ قد ذُكِّرا

قال الشاطبي في شرحه : تخصيصه النصب في هذه الأشياء إذا قصد تنكيرها دون الجر والرفع ، ظاهر التحكم من غير دليل ، وأمر لا يساعده عليه سماع ، فإنَّ أكثر ما ذكر يدخل فيه الجر وغيره . تقول : أتيت من فوق ومن

(١) جزء من الشاهد المعروف (انظر الخزائن ١ : ٤٢٦) :

فساغ لي الشراب وكنت قبلاً أغص بنقطة الماء الحميم
(٢) في باب الإضافة .

تحت . وفي بعض القراءات : ﴿لله الأمر من قبل ومن بعد﴾^(١) ، ومن دون^(٢) ، و ﴿من دبر﴾^(٣) وما أشبه ذلك .

قال سيبويه^(٤) : وسألته يعنى الخليل عن قوله ومن دون ، ومن فوق ، ومن تحت ، ومن قبل ومن بعد ، ومن دبر ومن خلف ، فقال : أجروا هذا مجرى الأسماء المتمكنة ؛ لأنها تضاف وتستعمل غير ظرف . ثم قال : وكذلك من أمام ومن قدام ومن وراء ومن قبل ومن دبر . قال : وزعم الخليل أنهم نكرات ، كقول أبي النجم .

* يأتى لها من أيمن وأشمِل *

وزعم أنهم نكرات إذا لم يُضَفَّن إلى معرفة ، كما يكون أيمن وأشمِل نكرة . وسألنا العرب فوجدناهم يوافقونه . ا هـ .

وقد رفعوا قبل ونحوه كما في قوله :

هتكت به بيوت بنى طريف

على ما كان قبل من عتاب

انتهى ما أورده الشاطبي .

وقسموا هذه الظروف على أربعة أقسام :

(١) الآية ٤ من سورة الروم . وقراءة الجر مع التنوين هي قراءة أبي السماك والجحدري وعون العقيلي . تفسير أبي حيان ٧ : ١٦٢ .

(٢) ليس قراءة ، وإنما هو مجرد مثال لاستعمال العرب .

(٣) في الآيات ٢٥ ، ٢٧ ، ٢٨ من سورة يوسف . وقراءة الجر مع التنوين هي قراءة الجمهور . وقرأ ابن أبي إسحاق ، والطاردي ، وأبو الزناد ، ونوح ، والجارود : « من دبر » بالبناء على الضم . تفسير أبي حيان .

(٤) في كتابه ٢ : ٤٦ .

ما ذكر فيه المضاف إليه نحو : قبل زيد وبعده . فهذا ينصب على الظرفية ، ويمجر بمن خاصة .

الثاني : ما حذف منه المضاف إليه ونوى ثبوت لفظه ، فهذا أيضا يعرب كالأول ، إلا أنه لا ينون لنية الإضافة .

الثالث : ما حذف منه المضاف إليه ونوى معناه لا لفظه ، فهذا يبنى على الضم .

الرابع : ما حذف منه المضاف إليه ولم ينو لا لفظه ولا معناه . فهذا ينون ، وتنوينه للتمكين ، وهو نكرة . ١٣٣

وقد تكلم الفراء على قبل وبعده (في تفسيره) فلا بأس بنقل كلامه تبركا . قال : قوله تعالى : ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ القراءة بالرفع من غير تنوين ، لأنهما في المعنى يراد بهما الإضافة إلى شيء لا محالة ، فلما أذيا عن معنى ما أضيفتا إليه وسُمُوها بالرفع وهما مخفوضتان ، ليكون الرفع دليلا على ما سقط مما أضيفتهما إليه . وكذلك ما أشبههما ، كقول الشاعر :

* إن تأت من تحت أجئها من عل^(١) *

ومثله قول الشاعر^(٢) :

إذا أنا لم أومن عليك ولم يكن

لقاؤك إلا من وراء وراء

(١) معاني الفراء ٢ : ٣١٩ . وفي اللسان (بعد ٦٠) :

* إن يأت من تحت أجيه من عل *

(٢) هو عتي بن مالك العقيلي . اللسان (وري ٢٦٩) وابن يعيش ٤ : ٨٧ . وهو من أبيات أربعة في اللسان أولها :

أبا مدرك أن الهوى يوم عاقل دعاني ومالي أن أجيب عزاء

ترفع إذا جعلته غاية ولم تذكر بعده الذى أضفته إليه ، فإن نويت أن تظهره أو أظهرته قلت : لله الأمر من قبل ومن بعد ، كأنك ^(١) أظهرت المخفوض الذى أسندت إليه قبل وبعد . وسمع الكسائي بعض بني أسيد يقرؤها : « لله الأمر من قبل ومن بعد » بخفض قبل ورفع بعد على ما نوى . وأنشدني هو :

أكابدها حتى أعرس بعدما

يكون سحيراً أو بُعيداً فأهجعاً

أراد : بُعيد السحر ، فأضممه ، ولو لم يرد ضمير الإضافة لرفع فقال بُعيد . ومثله قول الشاعر ^(٢) :

فو الله ما أدري وإني لأوجلُّ

على أيّنا تعدو المنية أول

رفعت أول لأنه غاية . ألا ترى أنها مسندة إلى شيء هي أوله ، كما تعرف أن (قَبْل) لا يكون إلا قبل شيء ، وأن (بَعْد) كذلك . ولو أطلقتها بالعربية فنوّنت وفيهما معنى الإضافة فخفّضت في الخفض ونوّنت في النصب والرفع لكان صواباً . قد سُمع ذلك من العرب ، وجاء في أشعارها ، فقال بعضهم :

فساغ لى الشراب وكنت قبلاً

أكادُ أغصُ بالماء الحميم ^(٣)

فنون . وكذلك تقول : جئتك من قبل فرأيتك . وكذلك قوله :

(١) الكلام بعد البيت السابق الى هنا ساقط من ش .

(٢) هو معن بن أوس . ديوانه ٥٧ والخزانة ٣ : ٥٠٥ بولاق .

(٣) ليزيد بن الصعق كما سبق في ١ : ٤٢٦ .

* كجلمود صَخِرَ حَطَّه السَّيْلُ مِنْ عَلٍ (١) *

فهذا مخفوضٌ ، وإن شئت نَوْنْتُ . وأما قول الآخر :

هتكتُ به بيوتَ بنى طريف

عَلَى مَا كَانَ قَبْلَ مِنْ عِتَابِ

فنَوْنُ ورفع ، فإن ذلك لضرورة الشعر ، كما يضطر إليه الشاعر فينَوْنُ في

النداء المفرد ، كقوله :

قَدَّمُوا إِذْ قِيلَ قَيْسٌ قَدَّمُوا

وَارْقَعُوا الْمَجْدَ بِأَطْرَافِ الْأَسْلِ (٢)

وأنشدني بعض بنى عُقَيْل :

وَنَحْنُ قَتَلْنَا الْأَسَدَ أَسَدَ شَنْوَةِ

فَمَا شَرَبُوا بَعْدَ عَلَى لَذَّةِ خَمْرٍ (٣)

ولو رَدَّه إلى النصب كان وجهها ، كما قال :

* فَسَاغَ لِي الشَّرَابُ وَكُنْتُ قَبْلًا *

وكذا النداء لو رُدَّ إلى النصب إذا (٤) نَوْنُ كان وجهها ، كما قال :

فَطِرٌ خَالِدًا إِنْ كُنْتُ تَسْطِيعُ طَيْرَةً

وَلَا تَقَعَنَّ إِلَّا وَقَلْبُكَ حَاذِرٌ

(١) لامرئ القيس في معلقته . وصدره :

* مَكَرَ مَفَرٌ مَدِيرٌ مَعَا *

(٢) للبيد في ديوانه ١٩٢ واللسان (قدم ٣٦٧) .

(٣) هو الشاهد الذي نحن فيه .

(٤) ط : إذ ، صوابه في ش ومعاني الفراء ٢ : ٣٢١ .

ولا تُنكرن أن تضيف قبل وبعد وأشباههما وإن لم يظهر . إلى آخر ما نقلناه قبل هذا البيت . انتهى كلام الفراء . ١٣٤

وقد لخص هذا الكلام أبو إسحاق الزجاجي ^(١) (في شرح خطبة أدب الكاتب) وهو عندى بخطه ، وتاريخ كتابته سنة سبع وسبعين وثلاثمائة ^(٢) ، وقال : هذا الذى اختاره الفراء من نصب المنادى المفرد فى ضرورة الشعر هو مذهب أبى عمرو بن العلاء وأصحابه .

والمذهب الأول ، وهو رفعه منونا ، هو مذهب الخليل وسيبويه وأصحابه . وذلك أن أبى عمرو قال : المنادى المفرد إذا اضطر الشاعر إلى تنوينه فسيبويه أن ينصبه ، لأنه فى موضع نصب . وإنما بنى على الضم لمضارعتة المضمر ، فإذا نون فقد زال عن البناء ، وسبيله أن يرجع إلى أصله . وقال الخليل : سبيله أن يترك مضموماً وينون . وشبهه بالاسم الذى لا ينصرف إذا نون فى ضرورة الشعر . ومذهب أبى عمرو أقيس ، ولولا كراهة الإطالة لذكرت ما يعتل به الفريقان .

وأنشد البصريون قول الأحوص :

سلام الله يا مطر عليها

وليس عليك يا مطر السلام

فالخليل وأصحابه يروونه : « يا مطر » بالرفع والتنوين ، وأبو عمرو وأصحابه يروونه « يا مطراً » بالنصب . قال سيبويه : وكل العرب ينشدون :

(١) صوابه « أبو القاسم » . وأما أبو إسحاق فهو كنية شيخه إبراهيم بن السرى الزجاج .

(٢) لا يتفق هذا مع ما ذكر المترجمون أن الزجاجى توفى سنة ٣٤٠ . فلعلها ٣٣٧ .

* يا عَدِيًّا لقلبك المهتاج ^(١) *

بالنصب . انتهى .

والبيت الشاهد لم أرَ من عزاه إلى قائله . وأورده الزجاجي (في شرح
تلك الخطبة) مع بيت قبله ، وهو :

(ما من أناسٍ بينَ مصرَ وعالج

وأبينَ إلَّا قد تركنا لهم وئرا)

وعالج بكسر اللام : موضع بالبادية به رمل . وأبين بفتح الهمزة وكسرها
وسكون الموحدة بعدها مثناة مفتوحة : موضع في اليمن ، قال أبو عبيد
البركي : هو بكسر الهمزة اسم رجل كان في الزمن القديم ، وهو الذي
تنسب إليه عدن إثنين من بلاد اليمن ، هكذا ذكره سيبويه في الأبنية بكسر
الهمزة .

وقال أبو حاتم : سألت أبا عبيدة : كيف تقول آبين بفتح الهمزة
أو بكسرها ؟ قال : أقولهما جميعا . قال الهمداني : وهو ذو آبين بن ذى يقدم
ابن الصَّوَّار بن عبد شمس بن وائل بن الغوث . قال الرائي ^(٢) :

واذكر به سيّد الأَقوامِ ذا يَينِ

من القَدَامِ وعمرًا والفتى الثاني

أراد : ذا إيين . وحمير تطرح مثل هذه الألف فتقول في اذهب :
ذَهَب . اهـ .

(١) ط « بقلبك » ، صوابه في ش .

(٢) في الأصل : « الرائي » ، وأثبت ما في معجم ما استعجم ١ : ١٥٣ .

وقال ياقوت (في معجم البلدان) : أيّين بفتح أوله ويكسر ، ويقال يبين . وذكره سيبويه في الأمثلة بكسر الهمزة ^(١) ، ولا يعرف أهل اليمن غير الفتح ، وهو بخلاف باليمن ، منه عدن ، يقال لإته سمى بأيّين بن زهير بن أيّين ابن الهميسع بن حمير بن سبأ . وقال الطبري : عدن وأيّين : ابنا عدنان . وأنشد الفراء :

* مامين أناس بين مصر وعالج * البيتين .

وقال عمارة بن الحسن اليمني : أيّين : موضع في جبل عدن . اهـ .
والوتر ، بفتح الواو وكسرهما : الجناية التي يعجنها الرجل على غيره من قتل أو نهب أو سبي . والأزد ، ويقال الأسد بإبدال الزاي سينا : أبو حي من اليمن ، وهو أزد بن الغوث بن ثبّت بن مالك بن كهلان بن سبأ . وهم فرق : فرقة يقال لها أزد شنوءة ، وأخرى أزد عمان ، وأخرى أزد السراة . فلما كان الأزد يجمع قبائل شتى بيّن المراد منه بقوله أزد شنوءة .

والشنوءة بالهمزة على وزن فعولة ، ومعناه التقزّز وهو التباعد من الأدناس . تقول : رجل فيه شنوءة أى تقزّز . قال في الصحاح : ومنه أزد شنوءة ، وهم حيّ باليمن ينسب إليهم شنائى . قال ابن السكيت : ربّما قالوا أزد شنوءة بالتشديد غير مهموز ، وينسب إليها شنوى . قال :
نحن قريش وهم شنوءة بنا قريشا تحتم النبوه
ورواه ابن سيده (في المحكم) ، وتبعه العيني :
* ونحن قتلنا الأسد أسد حقيّة *

(١) انظر سيبويه ٢ : ٣١٦ بولاق و ٤ : ٢٤٥ من نسختي .

وهذا تحريف قطعاً ، ولا يلائمه ما بعده . وخفية بفتح الخاء المعجمة وكسر الفاء : اسم موضع كثير الأسود . قال العيني : وأسد خفية بدل من الأسد ، ولم يبين هل هو بدل كل أو بدل بعض بتقدير العائد ، أى منهم ، والظاهر أنه بيان له . وبعداً ظرف لشربوا . والأصل عند الشارح المحقق بعد قتلنا إياهم ، فحذف المضاف إليه وعوض عنه التنوين .

* * *

وأنشد بعده :

(فساغ لى الشراب وكنت قبلاً أكاد أعص بالماء الحميم)

على أن الأصل : قبل هذا ، فحذف المضاف إليه وعوض عنه التنوين . وعند الجمهور : التنوين للتمكين وهو نكرة ، فمعنى كنت قبلاً : كنت متقدماً . ومعنى فما شربوا بعداً : ما شربوا متأخراً ، ولا ينوى تقدّم ولا تأخر على شيء معين ، وإلّا المراد فى هذه الحالة مطلق التقدّم والتأخر من حيث هو . وأما فى حال الإضافة فالنية بهما التقدّم والتأخر على شيء بعينه . قاله الدمامينى .

والبيت قد تقدّم شرحه مستوفى فى الشاهد التاسع والستين ^(١) .

* * *

وأنشد بعده :

(خالط من سلمى خياشيم وفا)

على أن الأصل : وفاها ، فحذف المضاف إليه . وتقدّم الكلام عليه فى الشاهد الثالث والأربعين بعد المائتين ^(٢) من باب

(١) الخزانة ١ : ٤٢٦ .

(٢) الخزانة ٣ : ٤٤٢ .

الاستثناء ، وبعد الشاهد الثاني والعشرين بعد الثلاثمئة من باب الإضافة .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والتسعون بعد الأربعمئة (١) :

٤٩٤ (إئني أتتني لسان لا أسرُّ بها
من علو لا عجب منها ولا سخرُ)

على أنه روى (علو) مثلث الواو .

قال صاحب الصحاح : وعلو بتثليث الواو : أى أتاني خبرٌ من أعلى نجد . وقال أبو عبيدة : أراد العالية . وقال ثعلب : أى من أعلى البلاد . وأنت اللسان لأنه بمعنى الرسالة هنا ، لأنَّ الشاعر كان أتاه خبرٌ قتل أخيه المنتشر . والسخرُ بفتححتين وبضمحتين : الاستهزاء . يقول : لا عجب من هذه الرسالة وإن كانت عظيمة ، لأنَّ مصائب الدنيا كثيرة ، ولا سخرُ بالموت . وقيل : معناه لا أقول ذلك سخريه .

والبيت مطلع قصيدة لأعشى باهلة ، رثى بها أخاه المنتشر بن وهب الباهلي . وقد شرحنا القصيدة برمتها وما يتعلّق بها على سبيل الاستقصاء في الشاهد السابع والعشرين من أوائل الكتاب (٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والتسعون بعد الأربعمئة ، وهو من شواهد س (٣) :

(١) نوادر أنى زيد ٣٧ وابن يعيش ٤ : ٩٠ وجمهرة القرشي ١٣٦ والأصمعيات ٨٨ .

(٢) الخزائن ١ : ١٨٥ .

(٣) في كتابه ١ : ٤٦٠ . وانظر ابن يعيش ٣ : ١٨ والجمع ٢ : ٥١ .

٤٩٥ (بآية يُقَدِّمون الخيل شعثاً

كَأَنَّ عَلَى سَنَابِكِهَا مُدَامَا)

١٣٦ على أَنَّ آية تضاف في الأغلب إلى الفعلية مصدرة بحرف المصدر ،
ومن غير الأغلب أن تضاف إليها بدونه كهذا البيت .
وهذا خلاف مذهب سيبويه ، فَإِنَّ آية عنده لا تضاف إلى الفعلية
إِلَّا بدون حرف المصدر . وهذا نصُّه : ومما يضاف إلى الفعل أيضا آية ؛ قال
الأعشى :

* بآية يقدمون الخيل شعثاً *

... .. البيت

وقال يزيد بن عمرو بن الصَّعِقِ :

أَلَا مَنْ مَبْلَغٌ عَنِّي تَمِيمَا بآية ما يَحْبُونُ الطَّعَامَا
فما لغو . انتهى .

وذهب ابن جنى إلى أَنَّ آية إِنَّمَا تضاف إلى مفرد نحو : ﴿ إِنَّ آيةَ
مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ ^(١) ﴾ ، وقال : الأصل بآية ما تقدمون ، أى بآية
إقدامكم ، كما قال :

* بآية ما يَحْبُونُ الطَّعَامَا *

ويؤخذ من تقريره أَنَّ تُقَدِّمون بالخطاب ، والمشهور أَنَّهُ بالغيبة ، وعليه
المعنى .

(١) الآية ٢٤٨ من البقرة .

قال ابن هشام (في المغنى) : فيه حذف موصول حرفي غير أن وبقاء صلته . ثم هو غير متأث في قوله :

* بآية ما كانوا ضعافا ولا عزلا ^(١) *

وتكلف الدماميني فقال : بل هو متأث بأن تكون ما مصدرية ، ولا النافية محذوفة للدلالة ما بعدها عليها ، والمعنى بآية كونهم لا ضعافا ولا عزلا . ثم قال ابن هشام : ومذهب سيبويه أن آية مما يضاف جوازاً إلى الجملة الفعلية المتصرف فعلها ، سواء كان مثبتا كالبيت الشاهد ، أو منفيما بما كقولها :

* بآية ما كانوا ضعافا ولا عزلا * انتهى .

وكذا قال صاحب المفصل إن آية مما يضاف إلى الفعل . قال النحاس : قال أبو إسحاق : لأن معنى آية علامة من الزمان ، وأضيف الفعل إلى الزمان ، لأن الفعل من أجل الزمان ذكر . وكان أبو إسحاق يرى أنه حكاية . وقال غيره : المراد المصدر . وقال المبرد في إضافة آية إلى الفعل : إنه بعيد ، وجاز على بعده للزوم الإضافة ، لأن آية لا تكاد تفرد إذا أردت بها العلامة . انتهى .

وفيه أن أكثر ما وجدت في القرآن بهذا المعنى مفردة عن الإضافة ، قال تعالى : ﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ ^(٢) ﴾ ، ﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ ^(٣) ﴾ .

(١) لعمر بن شاس . وهو من شواهد سيبويه ١ : ١٠١ وصدده :

« أَلَيْسَ إِلَى قَوْمِي السَّلَامُ رِسَالَةٌ »

(٢) الآية ٣٧ من سورة يس .

(٣) الآية ٤١ من سورة يس .

وقال الأعلم : الشاهد فيه إضافة آية إلى يقدمون على تأويل المصدر ،
أى بآية إقدامهم الخيل . يريد أن المعنى عليه ، لأن الفعل مؤول بحرف مصدر
مقدّر ، إذ الفرض أنه مضاف إلى الجملة من دون سابق .

ثم قال الأعلم : وجاز هذا فيها لأنها اسم من أسماء الفعل ، لأنها بمعنى
علامة ، والعلامة من العلم ، وأسماء الأفعال تضارع الزمان ، فمن حيث جاز
أن يضاف الزمان إلى الفعل جاز هذا في آية ، وكأن إضافة على تأويل إقامتها
مقام الوقت ، كأنه قال : بعلامة وقت يقدمون . يقول : أبلغهم عنى كذا
بعلامة إقدامهم الخيل للقاء شعثاً متغيرة من السقر والجهد . وشبه ما ينصب
من عرقها ممزوجاً بالدم على سنابكها بالخمير . والسنابك : جمع سنبك ، وهو
مقدم الحافر . انتهى .

أراد أن ذلك لما صار عادة وأمرأ لازماً صار علامة . وكأن الشاعر لما
حمل إنساناً أن يبلغ قوماً رسالته قال له ذلك الانسان : بأى علامة يعرف
هؤلاء القوم ؟ فقال : بعلامة تقديمهم الخيل إلى الحرب . أى إذا رأيت قوماً
بهذه الصفة فأبلغ رسالتى . والشعث : جمع أشعث ، وهو المغبر الرأس . قال
الدمامي (فى الحاشية الهندية) : ضمير يقدمون ضمير غيبة يعود على تميم
المذكورين قبله ، وهو :

١٣٧ ألا من مبلغ عنى تميما بآية ما يحبون الطعاما

وهذا لا يصح ؛ فإن كل بيت منهما من شعر آخر ، وليس من قصيدة
لقائل واحد .

والبيت الشاهد لم أره منسوباً إلى الأعشى إلا فى كتاب سيبويه ، وفى
غيره غير منسوب إلى أحد . والله أعلم به .

وقد تكلم على معنى الآية أبو القاسم على بن حمزة البصرى اللغوى ،
 فيما كتبه على إصلاح المنطق لأبى يوسف بن السكيت (من كتاب التنبيهات
 على أغلاط الرواة) قال أبو يوسف : وقد تأيَّته : تعمَّدت آيته أى شخصه .
 وحكى لنا أبو عمرو : يقال خرج القوم بآيتهم ، أى بجماعتهم ^(١) ، أى لم
 يدعوا وراءهم شيئاً . وأنشدنا لُبرج بن مُسهر :
 خرجنا من النعتين لا حىً مثلنا بآيتنا نرْجى اللقاح المطافلا ^(٢)

قال : ومعنى آية من كتاب الله أى جماعة حروفه . قال أبو القاسم :
 قد أفسد أبو يوسف صحيح قوله الأول بقول أبى عمرو فى معنى الآية من
 كتاب الله ، وإنما الآية العلامة لا جماعة حروف . وكذلك قال ابن دريد :
 والآية من القرآن الكريم كأنَّها علامة لشيء ، ثم يخرج منها إلى غيرها .
 وكذلك قال فى بيت البرج ، أى خرجوا بجماعتهم وبما يستدل به عليهم من
 متاعهم . ويقال هذه آية كذا ، أى علامة كذا ، ومنه قوله تعالى : ﴿ أَتُبْنُونَ
 بكل ربيع آيةً تَعْبَثُونَ ﴾ ^(٣) ، أى أَمَرَةٌ وعلامة ، ومنه قول الشاعر :

بآية يُقدِّمون الخيل زوراً تُسنُّ على سَنابكها القُروُ
 وقال آخر :

بآية يُقدِّمون الخيل زوراً كأنَّ على سَنابكها مُداما

وقال آخر :

ألا أبلغُ لديك بنى تميم بآية ما يحبُّون الطعاما

(١) الكلام من هنا إلى « بجماعتهم » التالية ساقط ش .

(٢) فى التنبيهات ٣٠٨ : « من النقبين » ، وهو الأشبه .

(٣) الآية ١٢٨ من الشعراء .

وقال المفسرون في قوله تعالى : ﴿ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ^(١) ﴾ ، قالوا : علامة أعلم بها وقوع ما بُشِّرْتُ به .

وكذلك قالوا في قوله سبحانه : ﴿ قَالَ آيَتُكَ أَنْ لَا تُكَلِّمَ النَّاسَ ^(٢) ﴾ أى تُمنع الكلام وأنت سَوَّى ، فتعلم بذلك أن الله قد وهب لك الولد . فكان ذلك من فعل الله به علامة دالة على صحة ما بشره به من أمر يحیی عليه السلام .

وكذلك قوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى ^(٣) ﴾ قال المفسرون : كانت في قلب العصا آية دالة على وحدانية الله تعالى . ثم أمره بضم يده وأعلمه أنها ^(٤) تخرج [بَيْضَاءَ ^(٥)] من غير برص ، وأن تلك آية أخرى دالة على ما دَلَّت عليه الآية الأخرى ^(٦) .

فأصل الآية العلامة ، فكأن الآية من كتاب الله علامة يفضى منها إلى غيرها ، كأعلام الطريق المنصوبة للهداية . قال الشاعر :

* إِذَا مَضَى عِلْمٌ مِنْهَا بَدَأَ عِلْمٌ ^(٧) *

ولما كانت الآية هى العلامة الدالة عَلَى الشئ سَمَوْا شَخْصَ الشئ آيته ، وقالوا : تَأَيَّيْتَهُ عَلَى وَزْنِ تَفَاعُلْتَهُ ، إِذَا تَعَمَّدَتْ آيَتُهُ . وكذلك آيات الله

(١) الآية ٤١ من آل عمران .

(٢) من الآية السابقة .

(٣) الآية ٢٢ من طه .

(٤) ط : « أنه » صوابه في ش والتنبيهات ٣١٠ .

(٥) التكملة من التنبيهات .

(٦) في التنبيهات : « الأولى » .

(٧) وكذا في التنبيهات ٣١٠ . والمعروف أن من شواهدهم قول جرير :

« إِذَا قَطَعْنَ عِلْمًا بَدَأَ عِلْمٌ »

التي ضربها لعباده أمثالا ، فقال عز من قائل : ﴿ ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ﴾ (١) وقال سبحانه : ﴿ وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس ﴾ (٢) . وقال عز وجل : ﴿ لقد رأى من آيات ربه الكبرى ﴾ (٣) . وقال تقدست أسماءه : ﴿ لنريك من آياتنا الكبرى ﴾ (٤) في أمثال هذه الآيات . وكلها بمعنى الدلائل والعلامات الدالة على صنع اللطيف الخبير . ولا وجه لما قاله من جماعة الحروف . وإن قاله غيره ، فهو قول غير مقبول (٥) . انتهى ما ساقه أبو القاسم .

وقد اختلف في أصلها على ستة أقوال : أحدها : أن أصلها أئمة كقصبة ، فالقياس في إعلاها آية ، فتصح العين وتعل اللام ، ولكن عكسوا شذوذا فأعلوا الياء الأولى لتحركها وانفتاح ما قبلها دون الثانية . وهذا قول الخليل .

الثاني : أن أصلها أئمة بسكون العين كحية فأعلت بقلب الياء الأولى اكتفاء بشرط العلة وهو فتح ما قبلها فقط دون تحركها . قاله الفراء ، وعزى لسيبويه ، واختاره ابن مالك . وقال : إنه أسهل الوجوه ، لكونه ليس فيه إلا الاجتزاء بشرط العلة . وإذا كانوا قد عولوا عليه فيما لم يجتمع فيه ياءان نحو طائي (٦) ، وسمع : اللهم تقبل تابتي وصامتي (٧) ، ففيما اجتمع فيه ياءان أولى لأنه أثقل .

(١) الآية ٢٥ من الروم .

(٢) الآية ٢٥٩ من البقرة .

(٣) الآية ١٨ من النجم .

(٤) الآية ٢٣ من طه .

(٥) في التنبيهات : « ولا أعلم أن أحدا قاله سواه ، فإن كان قاله غيره فهو قول غير

مقبول » .

(٦) هذا هو المسموع في النسبة إلى طيء ، وقياسه : طيء . وانظر اللسان .

(٧) أي توبني وصومتي . وأنشد في اللسان .

تبت إليك فتقبل تابتي وصمت ربي فتقبل صامتي

الثالث : أنّ أصلها آيَّة كضارية ، حذفت العين استثقلاً لتوالى ياءين أولاً مكسورة ، ولذلك كانت أولى بالحذف من الثانية . قال الكسائي : وردّ بأنه كان يلزم قلب الياء همزة لوقوعها بعد ألف زائدة في قولهم : آى .
الرابع : أنّ أصلها أَيْيَّة بضم الياء الأولى كسُمرة ، فقلبت العين ألفاً . وردّ بأنه كان يجب قلب الضمة كسرة .

الخامس : أنّ أصلها أَيْيَّة بكسر الياء الأولى كَنَيْقَة ، فقلبت الياء الأولى ألفاً . وردّ بأن ما كان كذلك يجوز فيه الفك والإدغام ، كَحَيِّ وَحَيٍّ .
السادس : أنّ أصلها أَيْيَّة كقصبة كالأول ، إلا أنّه أعلت الثانية على القياس ، فصار آية كحياة ونواة ، ثم قدمت اللام إلى موضع العين ، فوزنها فَلَعَة .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والتسعون بعد الأربعمئة ، وهو من شواهد س (٦) :

٤٩٦ (ألا مَنْ مبلِّغٌ عَنِّي تيمماً بآية ما يحبُّون الطَّعاما)

على أن (آية) تضاف في الأغلب إلى الفعلية مصدرية بحرف المصدر ، كما في البيت ، فإنّ ما مصدرية تؤوّل مع الفعل بعدها بمصدر مجرور بإضافة آية إليه .

وهذا خلاف مذهب سيبويه : فإنّ « ما » عنده زائدة ، وآية مضافة إلى الفعل ، ولا تأويل بمصدر صناعة . قال النحاس : ما عند سيبويه لغو . وقال المبرد : ما والفعل مصدر . وأنكر ما قاله سيبويه .

(١) في كتابه ١ : ٤٦٠ . وانظر الكامل ٩٨ وشرح شواهد المعنى ٢٨٣ والمجم ٢ : ٥١ .

وقال ابن هشام (في المغنى) في حذف ما المصدرية من الباب الخامس : « الصواب أن ما مصدرية » . وهذا يشعر أن مذهب سيويه خطأ . وليس هذا بصواب ، فكان اللائق أن يقول « والصحيح » ، أو يقول : « وعندى » ، أو « وعند غيره » .

قال الأعلم : الشاهد فيه إضافة آية إلى يحبون ، وما زائدة للتوكيد . ويجوز أن تكون ما مع الفعل بتأويل المصدر ، كإضافتها إلى سائر الأسماء . انتهى .

ومفعول مُبْلَغ محذوف ، أى رسالة ، كآته لما قال : من مبلغ تميما عنى رسالة قيل له : بأى علامة يعرفون ؟ فقال : بعلامة حبهم الطعام وحرصهم عليه . يريد : إذا رأيت قوماً يحبون الطعام فاعلم أنهم تميم ، فبلغهم رسالتى . وقول الزمخشري (في شرح أبيات سيويه) : ما زائدة ، أى بعلامة مَحَبَّتكم الطعام ، يُشعر أن تحبون بالخطاب . وليس كذلك ، وإنما هو بالغيبة .

وروى صدره المبرد (في الكامل) :
ألا أبلغ لذيكَ بنى تميم بآية ما يحبون الطعام (١)
قال ابن السيد (فيما كتبه على الكامل) هذا من الغلط ، إنما الرواية :

* بآية ما بهم حب الطعام *

وبعده :
(أجازتها أسيد ثم أودت بذات الضرع منها والسنام)

(١) الكامل ٩٨ ليسك .

وليس أبو العباس المبرد بأول مَنْ غلط فيه من النحويين . انتهى .
وعليه لا شاهد فيه . وهذا يؤيد قول سيبويه ، فإنَّ ما موصولة وحُبُّ
الطعام مبتدأ والظرف قبله خبره ، والجملة صلة الموصول .

و (في شرح شواهد المغنى للسيوطي) : قال أبو محمد السيرافي : وفي
شعره ، يعنى يزيد بن عمرو بن الصعق :

ألا أبلغ لديك بنى تميم بآية ذكرهم حُبَّ الطعام
أجارتها أسيدٌ ثم غارت بذات الضَّرْع منه والسَّنام

وسببه أن بنى عوف بن عمرو بن كلاب جاؤوا بنى أسيد بن عمرو
ابن تميم ، فأجلَّوهم عن مواضعهم ، فقال يزيد هذا الشعر .

و (في أيام العرب لأبي عبيدة) : نزل يزيد بن الصعق قريباً من بنى
أسيد بن عمرو بن تميم ، واستجارهم لإبله ، فأجاروه ، ثم أغار عليه ناسٌ منهم
فذهبوا بها ، فقال يزيد هذين البيتين . انتهى .

وعلى هذه الرواية أيضاً لا شاهد فيه ، وحُبُّ منصوب بنزع الخافض ،
أى بآية ما يُذكرُون بحُبِّ الطعام .

وقول السيرافي : « وفي شعره » ، يوهم أنَّ هذا الشعر غير البيت
الشاهد ، وليس كذلك ؛ فإنَّ الشعر واحد والقافية مجرورة .

وقد ردَّ عليه أوس بن غلفاء الهَجيمي من قصيدة :
فإنَّك من هجاءِ بنى تميم كمزداد الغرام إلى الغرام^(١)

(١) المفضليات ٣٨٨ والكامل ٢٧٥ .

هَمْ تَرْكُوكَ أَسْلَحَ مِنْ حُبَارَى رَأَتْ صَقْرًا وَأَشْرَدَ مِنْ نَعَامِ
وَهُمْ ضَرْبُوكَ أُمَّ الرَّأْسِ حَتَّى بَدَتْ أُمُّ الشُّؤُونِ مِنَ الْعِظَامِ
إِذَا يَأْسُونَهَا جَشَّاتُ إِلَيْهِمْ شَرَبْنَتْهُ الْقَوَائِمُ أُمَّ هَامِ

قال ابن السيد (فيما كتبه على الكامل) : الذى ضرب يزيد على رأسه الحارث بن حَصْبَة ، أو طارق بن حَصْبَة - الشك من أى عبيدة - ضربه يوم ذى نَجَب (١) وأسرو ، فقال تميم لابن أبى جُوَيْرِيَةَ التميمي ، وكان نِطَاسِيًّا ، أى طبيبًا : انظُرْ إليه فإن كنت ترجوه لن نطلقه (٢) حتى يعطينا الرضا فى فدائه . فإن خفت عليه قَتَعْنَا مِنْهُ بِأَدْنَى شَيْءٍ . فأعطاه يزيد شيئاً على أن يخرجه بأنه يخاف عليه ، فأخذوا منه شيئاً يسيراً وأطلقوه . إنتهى .
وقوله : « أجازتها أسيد ثم أودت » إلخ أجاره : التزم له ذمّة المجاورة . والضمير للإبل . و « أودت بذات الضرع » : أى أهلكتها . وروى بدله : « غارت » : أى أتت الغور بها . وإتما جعل حبّ الطعام آية لبني تميم يعرفون به لما كان من أمرهم فى تحريق عمرو بن هند لإياهم ، ووفود البرجمي عليه لما شَمَّ رائحة المحرقين ، فظنهم طعاماً يُصنع ، فقذِف به إلى النار . ١٤٠

قال المبرد (فى الكامل) . وكان سبب ذلك أن أسعد بن المنذر ، أخا عمرو بن هند ، كان مسترضعا فى بنى دارم فى جِجْر حاجب بن زرارة بن عُذْس بن زيد بن عبد الله بن دارم ، وانصرف ذات يوم من صيد وبه نبيذ ،

(١) فى النسختين : « لجب » ، صوابه بالنون ، كما فى معجم البلدان (نجب) . وانظر الميداني ٢ : ٣٥٥ والعمدة ٢ : ١٦٦ . وفى الميداني : « بتحريك النون والجيم مفتوحهما : يوم لبني تميم على عامر بن صعصعة » .

(٢) كذا فى النسختين . والوجه : « فلن نطلقه » .

فَعَبِثَ كَمَا تَعَبِثَ الْمُلُوكُ ، فَرَمَاهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي دَارِمَ بِسَهْمٍ فَقَتَلَهُ ، فَفَى ذَلِكَ يَقُولُ عَمْرُو بْنُ مِلْقَطِ الطَّائِي لِعَمْرُو بْنِ هِنْدَ :

فَأَقْتُلْ زُرَّارَةَ لَا أَرَى فِي الْقَوْمِ أَوْفَى مِنْ زُرَّارِهِ
فَغَزَاهُمْ عَمْرُو بْنُ هِنْدٍ فَقَتَلَهُمْ يَوْمَ الْقُصَيْبَةِ ، وَيَوْمَ أُوَارَةَ . وَفَى ذَلِكَ يَقُولُ الْأَعَشَى :

وَتَكُونُ فِي الشَّرَفِ الْمَوَا زِي مِنْقَرًا وَبَنِي زُرَّارِهِ
أَبْنَاءُ قَوْمٍ قَتَلُوا يَوْمَ الْقُصَيْبَةِ وَالْأَوَارَةَ
ثُمَّ أَقْسَمَ عَمْرُو بْنُ هِنْدٍ لِيَحْرَقَنَّ مِنْهُمْ مِائَةً ، فَبِذَلِكَ سُمِّيَ مُحْرَقًا ، فَأَخَذَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ رَجُلًا فَقَذَفَهُمْ فِي النَّارِ ، ثُمَّ أَرَادَ أَنْ يَبْرَّ قِسْمَهُ بِعَجُوزٍ مِنْهُمْ لَتَكْمُلَ الْعِدَّةُ (١) ، فَلَمَّا أَمَرَ بِهَا قَالَتِ الْعَجُوزُ : أَلَا فَتَى يَفِدِي هَذِهِ الْعَجُوزَ بِنَفْسِهِ ! ثُمَّ قَالَتْ : « هِيَهَاتَ ، صَارَتِ الْفَتَيَانُ حُمَمًا ! » . وَمَرَّ وَافِدٌ لِلْبَرَّاجِمِ (٢) فَاشْتَمَّ رَائِحَةَ اللَّحْمِ ، فَظَنَّ أَنَّ الْمَلِكَ يَتَّخِذُ طَعَامًا فَعَرَّجَ عَلَيْهِ ، فَأَتَتْهُ بِهِ فَقَالَ لَهُ : مَنْ أَنْتَ ؟ فَقَالَ : أَيْبَتُ اللَّعْنِ ، أَنَا وَافِدُ الْبَرَّاجِمِ . فَقَالَ عَمْرُو : « إِنَّ الشَّقِيَّ وَافِدُ الْبَرَّاجِمِ ! » ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَقَذَفَ فِي النَّارِ . فَفَى ذَلِكَ يَقُولُ جَرِيرٌ يُعَيِّرُ الْفَرَزْدَقَ :

أَيْنَ الَّذِينَ بَنَارَ عَمْرٍو حُرِّقُوا أَمْ أَيْنَ أَسْعَدُ فَيْكُمُ الْمُسْتَرْضَعُ
وَقَالَ الطَّرْمَاحُ :

وَدَارِمٌ قَدْ قَذَفْنَا مِنْهُمْ مِائَةً
فِي جَاخِمِ النَّارِ إِذْ يَنْزُونَ بِالْجَدِيدِ
يَنْزُونَ بِالْمَشْتَوَى مِنْهَا وَيُوقِدُهَا
عَمْرُو ، وَلَوْلَا شَحُومُ الْقَوْمِ لَمْ تَقْدِرْ

(١) فِي الْكَامِلِ : « لَطْمَعٌ » .

(٢) فِي الْكَامِلِ : « وَافِدُ الْبَرَّاجِمِ » .

ولذلك عُيِّرَت بنو تميم بحبِّ الطعام ، يُعْنَى كطمع ^(١) البرُّجُمَى في الأكل . قال يزيد بن عمرو بن الصَّعِق ، أحد بني عمرو بن كلاب :

أَلَا أبلُغُ لَدَيْكَ بَنِي تَمِيمٍ بَايَةَ مَا يَحْبُونُ الطَّعَامَا
وقال آخر ^(٢) :

إِذَا مَا مَاتَ مَيِّتٌ مِنْ تَمِيمٍ فَسَرَّكَ أَنْ يَعِيشَ فَجِئٌ بَزَادٍ
بَحْنِزٍ أَوْ بِلَحْمٍ أَوْ بِتَمَرٍ أَوْ الشَّيْءِ الْمَلْفُوفِ فِي الْبِجَادِ
تَرَاهُ يَنْقُبُ الْبَطْحَاءَ حَوْلًا لِأَكْلِ رَأْسِ لَقْمَانَ بْنِ عَادٍ
انتهى ما أورده المبرد .

قال ابن رشيقي (في العمدة) : زعم أبو عبيدة أن من زعم أنه أحرقهم فقد أخطأ ، فذكر له شعرُ الطَّرْمَاح فقال : لا علم له بهذا . واستشهد بقول جرير :

أَيْنَ الَّذِينَ بِسَيْفِ عَمْرِو قُتِلُوا
أَمْ أَيْنَ أَسْعَدُ فَيْكُمُ الْمُسْتَرْضَعُ . انتهى
وهذه الرواية للبيت غير رواية المبرد .

وروى صاحب الأغاني خبر هذا اليوم بسنده إلى هشام بن الكلبي عن أبيه وغيره من أشياخ طييء ، بأبسط من رواية المبرد ، مع مخالفة ^(٣) قال : ١٤١

(١) في الكامل ٩٨ : « لطمع » .

(٢) في حواشي الكامل : « ذكر ابن حبيب أن هذا الشعر لأبي مهوش الفقمسي . وذكر دعبيل أنه لأبي الهَوَس الأَسَدِي » .

(٣) الأغاني ١٩ : ١٢٧ .

بنو أواره

كان من حديث يوم أواره أن عمرو بن المنذر بن ماء السماء ، وهو عمرو بن هند ، كان يُعرف بأُمّه هند بنت الحارث الملك المقصور بن حجر آكل المرار الكندي ، وهو الذى يقال له مضطّر الحجارة - أنه كان عاقد هذا الحَيّ من طَيّء على أن لا يُنازعوا ولا يفاخروا ولا يُغيروا .

وأنّ عمرو بن هند غزا البمامة فرجع مُنفضاً فمرّ بطَيّء ، فقال له زُرارة ابن عُدس بن زيد بن عبد الله بن دارم الحنظلي : أبيت اللعن ، أصب من هذا الحَيّ شيئاً . قال له : ويلك إنّ لهم عقداً . قال : وإن كان . فلم يزل به حتى أصاب مالا ونسوة وأزواداً ، فذمه قيس بن جروة الطائي بقصيدة على نقض عهده ، فبلغت عمرو بن هند فغزا طَيّئاً . فأسر أسرى من طَيّء ، وهم رهط حاتم بن عبد الله ، وفيهم قيس بن جحدر ، وهو جدُّ الطرماح بن حكيم ، وهو ابن خالة حاتم ، فوفد حاتم إلى عمرو بن هند فوهبهم له .

ثم إنّ المنذر بن ماء السماء وضع ابناً له صغيراً ، ويقال بل كان أخاه صغيراً ^(١) يقال له مالك عند زُرارة ، وإنه خرج ذات يوم يتصيد فأخفق ولم يصب شيئاً ، فمرّ بابل لرجل من بنى عبد الله بن دارم يقال له سُويد . وكانت عند سويد ابنة زُرارة بن عدس ، فولدت له سبعة غلّمة ، فأمر مالك بن المنذر بناقاة سمينة منها فنحراها ثم اشتوى ، وسويد نائم ، فلما انتبه شدّ على مالك بعضاً فضربه فأأمّه ^(٢) . ومات الغلام ، وخرج سويد هارباً حتّى لحق بمكة وعلم أنه لا يأمن ، فحالف بنى نوفل بن عبد مناف ، فاخترط بمكة ، وكانت طَيّء تطلب عثارات زُرارة وبنى أبيه حتّى بلغهم ما صنعوا بأخى الملك ، فأنشأ عمرو بن ثعلبة بن ملقط الطائي يقول :

(١) فى الأغاني : « ويقال بل كان أخا له صغيراً » .

(٢) أمه يؤمه : أصاب أم رأسه ، وهى الدماغ .

مَنْ مَبْلُغٌ عَمْرًا بَأْ نَ الْمَرْءَ لَمْ يُخْلَقْ صُبَّارَه
وَحَوَادِثُ الْأَيَّامِ لَا يَبْقَى لَهَا إِلَّا الْحِجَارَه
أَنَّ ابْنَ عِجْزَةٍ أُمُّه بِالسَّفْحِ أَسْفَلَ مِنْ أُورَه
تَسْفِي الرِّيَّاحُ خِلَالَ كَشْدِ حَيِّهِ وَقَدْ سَلَبُوا إِزَارَه
فَأَقْتُلْ زُرَّارَةً ، لَا أَرَى فِي الْقَوْمِ أَوْفَى مِنْ زُرَّارَه

والصُّبَّارَةُ بالضم : الحجارة ، وقيل بالفتح جمع صَبَّار ، والهَاءُ لجمع الجمع ، لأنَّ الصُّبَّارَ جمع صَبْرَةٍ بالفتح ، وهى حجارة شديدة . كذا فى الصحاح . وأَوَارَةُ بالضم : اسم ماء وإليه نسب ذلك اليوم . والعجزة بالكسر : آخر ولد الرجل ، عني به أخاه . ويقال لأوّل ولد الرجل : زُكْمَةٌ بالضم .

فلَمَّا بلغ الشعرُ عمرو بن هند بكى حتّى فاضت عيناه ، وبلغ الخبر زرارة فهرب ، وركب عمرو بن هند فى طلبه فلم يَقْدِرْ عليه ، فأخذ امرأته وهى حُبْلَى وقال : ما فعل زرارة الغادر الفاجر ؟ قالت : إن كان ما علمتُ الطَّيِّبَ الْعَرَقُ (١) ، السمينَ المرق ، يأكل ما وجد ، ولا يَسْأَلُ عما فقد ؛ لا ينام ليلة يخاف ، ولا يشبع ليلة يُضَاف ! فبَقِرَ بطنها ، فقال قومُ زرارة لزرارة : والله ما قتلْتَ أخاه ، فأَتِ الملك فاصدُقه الخبر . فأَتَاه زرارة فأخبره الخبر فقال : جئنى بسويد . فقال : قد لحق بمكة . فقال : علىَّ ببنيه . فأَتَاه ببنيه السبعة وهم غِلْمَةٌ ، فتناولوا أحدهم فضربتْ عنقه ، وتعلّق بزرارة الآخرون ، فتناولوهم وقتلوا ، وآلَى عمرو بن هند ليحرقن من بنى حنظلة مائة رجل ، فخرج يريدُهم ، وبعثَ على مقدّمته عمرو بن مَلِيطِ الطائى ، فأخذ منهم ثمانية وتسعين رجلاً بأسفل أواره من ناحية البحرين فحبسهم ، ولحقه عمرو بن

(١) فى النسختين : « قالت ما علمت مكانا لطيب العرق » ، صوابه من الأغاني ١٩ : ١٢٩ .

هند حتى انتهى إلى أواره ، فأمر لهم بأخدود ثم أضرمه ناراً ، وقذف بهم فيها فاحترقوا ، وأقبل راكب من البراجم - وهم بطن من بني حنظلة - عند المساء لا يدري بشيء مما كان فقال له عمرو بن هند : ما جاء بك ؟ فقال : حبُّ الطعام ، قد أقوىْتُ ثلاثاً لم أذُق طعاماً ، فلمّا سطع الدُخان ظننته دُخانَ طعام . فقال له عمرو : ممّن أنت ؟ قال : من البراجم . فقال عمرو : « إنَّ الشقي وافدُ البراجم » ، فذهبت مثلاً . ورمى به في النار . فهجت العربُ تميماً بذلك ، فقال ابن الصّعق العامري :

ألا أبلغُ لديك بني تميم بآية ما يحبُّون الطعاما

وأقام عمرو بن هند لا يرى أحداً ، فقيل له : أبيت اللعن ، لو تحلّلت بامرأة منهم ! فدعا بامرأة منهم فقال لها : من أنت ؟ قالت : أنا الحمراء ابنة ضمرة بن قطن بن نهشل . فقال : إني لأظنُّك أعجمية . فقالت : ما أنا بأعجمية ، ولا ولدتنى العجم :

إني لبتُّ ضمرة بن جابر

ساذاً معدّاً كابرّاً عن كابرٍ

إني لأخثُ ضمرة بن ضمره

إذا البلادُ لُفَعَتْ بغمره (٢)

فقال عمرو : والله لولا مخافة أن تلدى مثلك لصرفتكَ عن النار ! قالت : أمّا والذي أسأله أن يضع وسادك ، ويخفضَ عمادك ، ويسلبك مُلكك (٣) ، ويقربَ هلكك ، ما أبالي ما صنعت ! فقال : اقذفوها في النار :

(١) ط : « راكب البراجم » ، وأثبت ما في ش والأغاني . وهو الموافق لما في كتب الأمثال .

(٢) في الأغاني : « بجمره » .

(٣) بعده في الأغاني : « ما قتلت إلا نساء أعاليهن ثدى ، وأسافلهن دُمى » . قال : اقذفوها في النار » . الثدى : جمع ثدى . والدمى : جمع دم .

فأحرقت . انتهى ما أورده صاحب الأغاني مختصراً .

تتمة

قال ابن قتيبة (في خطبة أدب الكاتب) : مازح معاوية بن أبي سفيان الأحنف بن قيس ، فما رُئي مازحان أوقرَ منهما ، فقال له : يا أحنف ما الشيء الملقف في البجاد ؟ فقال : السخينة يا أمير المؤمنين .
أراد معاوية قول الشاعر :

إذا ما مات ميتٌ من تميم
فسرك أن يعيشَ فجئٌ بزد
بخبزٍ أو بتمرٍ أو بسمنٍ
أو الشيء الملقف في البجادِ
تراه يطوفُ الآفاقَ حرصاً
ليأكل رأسَ لقمانَ بنِ عادِ

والملقف في البجاد : وطب اللين . وأراد الأحنف أن قريشاً كانت تعير بأكل السخينة ، وهي حساء من دقيق يُتخذ عند غلاء السعر وعجف المال ، وكلب الزمان . انتهى .

قال ابن السَّيِّد في شرحه : هذا الشعر ليزيد بن عمرو بن الصَّعِق ، وذكر الجاحظ أنه لأبي المهوَّش الأسدي . والذي اقتضى ذكر الشيء الملقف في البجاد وذكر السخينة في هذه الممازحة ، أن معاوية كان قرشياً ، وكانت قريش تُعير بأكل السخينة . وكان السبب في ذلك أن النبي ﷺ لما بُعث

فيهم فكفروا به دعا الله عليهم ، وقال : « اللهم اشُدْ وطأتك على مضر ، واجعلها عليهم سنينَ كسِني يوسف ! » . فأجدبوا سبعَ سنين ، فكانوا يأكلون الوبرَ بالدم ويسمونه العلهز . وكان أكثر قريش إذ ذاك يأكلون السخينة ، فكانت قريش تلقب سخينة ؛ ولذلك يقول حسان :

١٤٣

رَعمَتْ سَخِينَةُ أَنْ سَتَغْلِبُ رَبَّهَا

وَلْيَغْلِبَنَّ مُغَالِبُ الْغَلَابِ

وذكر أبو عبيدة أنَّ قريشا كانت تُلقب سخينة لأكلهم السخن ^(١) ، وأنه لقب لزمهم قبل مبعث النبي ﷺ .

ويدل على صحة ما ذكر قول خدّاش بن زهير ، ولم يدرك الإسلام :
يا شُدَّةَ ماشدِّدنا غيرَ كاذبةٍ

على سَخِينَةٍ لولا الليلُ والحرمُ

وأما الأحنف بن قيس فإنه كان تميميا ، وكانت تميم تعير حُبَّ الطعام وشُدَّةَ الشرِّ ، وكان السبب الذي جرَّ ذلك أن أسعد بن المنذر ، أخا عمرو ابن هند ، كان مسترضعاً في بني دارم . إلى آخر ما رواه المبرد (في الكامل) .

وقال السهيلي (في الرُّوض الأنف) : قول كعب :

* جاءت سخينة كي تغالب ربَّها * البيت

كان هذا الاسم ممَّا سُميت به قريش قديماً . ذكروا أنَّ قُصياً كان إذا دُبِحت ذبيحة أو نُجرت نَحيرة ^(٢) بمكة أُتيَ بعجزها فيصنع منه خزيرة ، وهو

(١) وكذا في الاقتضاب ص ٤٦ .

(٢) ط : « أو بحرت بحيرة » ، صوابه في ش والروض الأنف ٢ : ١٠٥ .

لحم يُطَبَخ بِبُرٍّ ، فَيُطْعَمُه النَّاسُ ، فَسُمِّيَتْ قَرِيْشٌ سَخِيْنَةٌ .
 وقيل : إِنَّ الْعَرَبَ كَانُوا إِذَا أَسْتَنْتُوا ^(١) أَكَلُوا الْعِلْهَيزَ ، وَهُوَ الْوَبَرُ وَالدَّمُ ،
 وَتَأْكُلُ قَرِيْشُ الْخَزِيْرَةِ وَاللَّفِيْتَةِ ^(٢) ، فَنفِستَ عَلَيْهِمُ الْعَرَبُ ذَلِكَ فَلَقَبُوهُمْ
 سَخِيْنَةً .

وَلَمْ تَكُنْ قَرِيْشٌ تَكْرَهُ هَذَا اللَّقْبَ ، وَلَوْ كَرِهَتْهُ مَا اسْتَجَازَ كَعَبُ أَنْ
 يَذْكُرَهُ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْهُمْ ، وَلَتَرَكَهُ أَدْبَاءُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ كَانَ قَرَشِيًّا .
 وَلَقَدْ اسْتَنْشَدَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ مَا قَالَهُ الْهَوَازَنِيُّ فِي قَرِيْشٍ :
 * يَا شَدَّةَ مَا شَدَدْنَا غَيْرَ كَاذِبَةٍ * ... الْبَيْت

فَقَالَ : مَا زَادَ هَذَا عَلَى أَنْ اسْتَنْتَى . وَلَمْ يَكْرَهُ سَمَاعُ التَّلْقِيْبِ بِسَخِيْنَةٍ .
 فَدَلَّ عَلَى أَنَّ هَذَا اللَّقْبَ لَمْ يَكُنْ مَكْرُوْهًا عَنْدهُمْ ، وَلَا كَانَ فِيهِ تَعْيِيرٌ لَهُمْ .
 انْتَهَى .

وَالْعِلْهَيزُ ، بِكَسْرِ الْعَيْنِ الْمَهْمَلَةِ وَسُكُونِ اللَّامِ وَكَسْرِ الْهَاءِ بَعْدَهَا زَايٌ
 مَعْجَمَةٌ . وَالْخَزِيْرَةُ ، بِفَتْحِ الْخَاءِ وَكَسْرِ الزَّايِ الْمَعْجَمَتَيْنِ ثُمَّ رَاءَ مَهْمَلَةٍ . قَالَ فِي
 الصَّحَاحِ : الْخَزِيْرَةُ : أَنْ تُنْصَبَ الْقَدْرُ بِلَحْمٍ يَقْطَعُ صَغَارًا عَلَى مَاءٍ كَثِيرٍ ، فَإِذَا
 نَضِجَ ذُرٌّ عَلَيْهِ الدَّقِيقُ . فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهَا لَحْمٌ فَهِيَ عَصِيْدَةٌ .

وَقَالَ ابْنُ السَّيِّدِ : قَوْلُهُ : « إِذَا مَا مَاتَ مَيِّتٌ » لِمَخٍ ، فِيهِ رَدٌّ عَلَى أُنَى
 حَاتِمِ السَّجِسْتَانِي ، فَإِنَّهُ كَانَ يَقُولُ : قَوْلُ الْعَامَّةِ مَاتَ الْمَيِّتُ خَطَأً ، وَالصَّوَابُ

(١) أَسْتَنْتُوا : أَجْدَبُوا ، وَفِي الْأَصْلِ : « شَتَا » تَحْرِيفٌ ، صَوَابُهُ فِي الرُّوضِ الْأَنْفِ .

(٢) اللَّفِيْتَةُ : الْعَصِيْدَةُ الْغَلِيْظَةُ . وَفِي الرُّوضِ : « وَالْفَيْتَةُ » ، صَوَابُهُ فِي الْخَزَائِنِ .

مات الحَيَّ . وهذا الذى أنكره غير منكّر ، لأنَّ الحَيَّ قد يجوز أن يسمَّى ميتاً لأنَّ أمره يُؤوّل إلى الموت . قال تعالى : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾^(١) . ومثله كثير . وقد فرق قومٌ بينهما فقالوا : الميت بالتشديد : ما سيموت ، والميت بالتخفيف : ما قد مات . وهذا خطأ فإنَّ المشدّد أصل الخفف ، والتخفيف لم يُحدث فيه شيئاً يغيّر معناه . وقد استعملتهما العرب من غير فرق .

قال الشاعر^(٢) :

ليس من مات فاستراح بميت

إلّا الميّتُ الميّتُ الأحياءِ

وقال ابن قيس الأسدي :

ألا يا ليتنى والمرءُ ميّتٌ وما يُغنى عن الحَدَثانِ ليثٌ

ففى البيت الأوّل سوّى بينهما ، وفى الثانى جعل المخفّف الحَيَّ الذى لم يمّت . ألا ترى أنّ معناه والمرء سيموت ، فجرى مَجْرَى قوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ .

١٤٤ وقوله : « بخبز أو بتمر أو بسمن » : بدل من قوله بزد . والملفّف فى البجاد : وطب اللبن يلفّ فيه ويترك حتّى يروب . والوطب : زَقّ اللبن خاصّة . والبجاد : الكساء فيه خطوط .

وقوله : حرصاً : مصدر وقع موقع الحال ، أو مفعول لأجله . وإلّا ما ذكر لقمان بن عادٍ لجلالته وعظمه ، يريد أنّه لشدة نهمه وشهره إذا ظفر

(١) الآية ٣٠ من سورة الزمر .

(٢) هو عدى بن الرعلاء . أمالى ابن الشجرى ١ : ١٥٢ وابن يعيش ١٠ : ٦٩ والمقدّم ٥ :

بأكله فكأنه قد ظفر برأس لقمان ، لسروره بما نال ، وإعجابه بما وصل إليه .
وهذا كما يقال لمن يُزهى بما فعل ، ويفخر بما أدرك : كأنه قد جاء برأس
خاقان !

وهذا الكلام الذى جرى بين معاوية والأحنف يسمّى التعريض ، لأنّ
كل واحد منهما عرّض بصاحبه بما تُسبب به قبيلته من غير تصريح .
ويشبه ذلك ما يروى ، من أن شريك بن عبد الله الحميرى ، ساير عُمر
ابن هُبيرة الفزارى يوماً ، فبدرت بغلة شريك ، فقال له ابن هُبيرة : غُضّ من
لجام بغلتك . فقال له شريك : إنها مكتوبة . فضحك ابن هُبيرة وقال : لم أرد
ما ذهبت إليه .

عرّض ابن هُبيرة بقول الشاعر (١) :

فغُضَّ الطرفَ إنَّك من نميرٍ

فلا كعباً بلغت ولا كلاباً

وعرّض شريك بقول سالم بن دارة :

لا تأمننَّ فزارياً خلوت به

على قُلوصيكِ واكتبها بأسيارٍ

وكان بنو فزارة يُنسبون إلى غشيان الإبل .

وقوله : تعيرُ بأكل السخينة ، بالباء . وقد منعه ابن قتيبة قال : تقول
عيرته كذا ولا تقول عيرته بكذا . والصحيح أنَّهما لغتان ، وإسقاط الباء
أفصح .

والحسَاء والحسُو لغتان . والعُجف : الضعف والهزال .

(١) هو جرير ، يقوله للراعى الحميرى . ديوان جرير ٧٥ ومعجم الشواهد ٣٠ .

وأراد بالمال هنا الحيوان ، وكذلك تستعمله العرب في الأكثر ، وقد يجعل اسماً لكل ما يملكه الإنسان من ناطق وصامت ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ ﴾^(١) وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ * لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾^(٢) . فالمال فيهما عامٌ لكل ما يملك .

وكلَّب الزمان : شِدَّتُهُ ، وأصل الكَلَب سَعَار يصيب الكلاب ، فضرب بذلك مثلاً للزمان الذى يذهب بالأموال ويتعرق الأجسام ، كما سَمُوا السنة الشديدة ضُبْعاً ، تشبيها لها بالضبع . وقالوا : أَكَلَهُ الدهر ، وتعرقه الزمان ، كما قال :

أبا خراشة أَمَا أَنْتَ ذَا نَفَرٍ
فإن قَوْمِي لم تَأْكُلْهُمُ الضُّبْعُ^(٣)
وترجمة يزيد بن الصعق تقدّمت في الشاهد التاسع والستين^(٤) .

* * *

وأنشد بعده :

(لم يَمْنَعُ الشُّرْبُ مِنْهَا غَيْرَ أَنْ نَطَقْتُ

حمامة في غصون ذات أوقال)

وتقدّم الكلام عليه في الشاهد السابع والثلاثين بعد المائتين^(٥) :

وضمير « منها » راجع للوجناء وهى الناقة الشديدة . والشرب مفعول بمنع ، وغير فاعله ، لكنّه بنى على الفتح جوازاً لإضافته إلى مبنى . وروى الرفع أيضا فلا شاهد فيه . وأراد بنطقت صوتت ، مجازاً . وفى بمعنى على .

(١) الآية ٥ من سورة النساء .

(٢) الآية ٢٤ ، ٢٥ من سورة المعارج .

(٣) للعباس بن مرداس . وهو الشاهد ٢٤٩ من الخزائن .

(٤) الخزائن ١ : ٤٣٠ .

(٥) الخزائن ٣ : ٤٠٦ .

و « ذات » بالجر صفة لغصون . والأوقال : جمع وَقْل بفتح فسكون ، وهو ثمر الدَّوم اليابس ، فإن كان ثمره طرياً فاسمه البَهْش . يريد : لم يمنعها أن تشرب الماءَ غيرُ ما سمعت من صوت حمامة فنفرت . يريد أنَّها حديدة النفس ، ١٤٥ يُخامرُها فزع وذعر ؛ لحدة نفسها ، وهو محمود فيها .

* * *

وأنشد بعده :

(غير أُنِّي قَدْ استعِين عَلَى الهـ)

سَمَّ إِذَا خَفَّ بِالثَّوِيِّ النَّجَاءُ (

وتقدم هذا أيضاً مشروحاً في الشاهد الثامن والثلاثين بعد المائتين ^(١) .

وغير للاستثناء المنقطع مما قبله ، فيحتمل أن تكون الفتحة فيه للبناء وفيه الشاهد ، ويحتمل أن تكون نصباً فلا شاهد فيه .

وقوله : « قَدْ استعِين » بنقل فتحة الهمزة إلى دال ^(٢) قد . وخَفَّ بمعنى ذهب وأسرع . والثَوِيُّ : مبالغة ثاوٍ بمعنى مقيم . والنجاء ، بفتح النون بعدها جيم : المضى والسرعة ، والباء للتعدي . أى إذا اضطُرَّ المقيم السفرُ وأقلقه السير والمضى .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والتسعون بعد الأربعمئة ^(٣) :

(بِأَذَلِّ حَيْثُ يَكُونُ مَنْ يَتَذَلَّلُ)

٤٩٧

(١) الخزائن ٣ : ٤١٤ .

(٢) كتب مصحح الطبعة الأولى : « انظر ما الداعى للنقل مع استقامة الوزن » . وانظر

شرح القصائد السبع الطوال ٤٤٠ .

(٣) ديوان الفرزدق ٧٢٠ .

على أنَّ أبا علي قال في (كتاب الشعر) : إنَّ جملة يكون صفة لحيث لا أنها مضاف إليه . لأنَّ حيث هنا اسمٌ بمعنى موضع ، لا أنها باقية على الظرفية .

وكتاب الشعر يقال له (إيضاح الشعر) ، و (إعراب الشعر) أيضاً . وقد تكلم على هذا المصراع وأجاد الكلام فيه ، فينبغي أن نثبت هنا إيضاحاً له .

والمصراع من قصيدة طويلة عدَّتْها تسعة وتسعون ^(١) بيتاً للفرزدق ، هجا بها جريراً . ولا بد من نقل بيتين منها ليتضح معناه ، وهما :

(إنا لنضربُ رأسَ كلِّ قبيلةٍ)
وأبوكَ حلفَ أتائه يتقمَّلُ

يَهْزُ الهَرَائِجَ عَقْدُهُ عِنْدَ الْخُصَى
بأذَلِّ حَيْثُ يَكُونُ مِنْ يَتَذَلَّلُ

قال أبو علي : أنشده بعض البغداديين وزعم أنَّ حيث يكون اسماً ، والقول في ذلك أنَّ أفعل لا يضاف إلا إلى ما هو بعضه ، فإذا كان كذا فإنَّه يراد به الموضع ، لأنَّه مضاف إلى مواضع ، وجاز أن يراد بحيث الكثرة لإبهامها كما تقول أفضل رجل . وكذلك لما أضاف أذل صار كأنَّه قال : بأذل موضع ، فحيث موضع ، ولا يجوز مع الإضافة إليها أن تكون ظرفاً كقولك :
* ياسارق الليلة أهل الدار ^(٢) *

وقد حكى قطربٌ فيها الإعراب . ومما جاء حيث مفعولاً به قوله تعالى :

(١) هي ١٠٥ بيت في ديوانه ٧١٤ - ٧٢٥ .

(٢) انظر الخزائن ٣ : ١٠٨ .

﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾^(١) . ألا ترى أن حيث لا يخلو من أن يكون جرّاً أو نصباً . فلا يجوز أن يكون جرّاً لأنه يلزم أن يضاف إليه أفعل ، وأفعل إنما يضاف إلى ما هو بعض له ، وهذا لا يجوز في هذا الموضع ، فلا يجوز أن يكون جرّاً ، وإذا لم يكنه كان نصباً بشئ دل عليه ، يُعلم أنه مفعول به . والمعنى : الله يعلم مكان رسالته ، وأهل رسالته . فهذا إذن اسم أيضاً .

فإن قال قائل : إذا صار اسماً فلم لا يعرب لزواله عن أن يكون ظرفاً ؟ قيل : كونه اسماً لا يخرج عن البناء ، ألا ترى أن منذ حرف ، فإذا استعملت اسماً في نحو منذ يومان لم تخرج عن البناء . وكذلك عن وعلى إذا قلت : من عن يمين الخط ، وكذلك قول الشاعر :

« غدت من عليه »^(٢) .

وكذلك « كم » بنيت في الاستفهام ، فإذا صارت خبراً بقيت على بنائها ؛ فكذلك حيث إذا صارت اسماً . فأما موضع (يكون) في قوله :

« بأذلّ حيث يكون من يتذلّل »^(٣)

١٤٦

فجرّ بأنّه صفة حيث ، كأنه قال : بأذلّ موضع يكونه ، أى يكون فيه . فحذف الحرف وأوصل الفعل ، فليس بجرّ لإضافة حيث إليه ، لأنّ حيث إنما يضاف^(٣) إلى الفعل إذا كان ظرفاً . فإذا لم يكن ظرفاً لم ينبغ أن

(١) الآية ١٢٤ من الأنعام . وهذه هي قراءة جمهور القراء . وقرأ ابن كثير وحفص : « رسالته » بالتوحيد . تفسير أبي حيان ٤ : ٢١٧ .
(٢) لمزاحم بن الحارث العقيلي . وهو من شواهد سيبويه ٢ : ٢١٧ والخزانة ٤ : ٢٥٣ بولاق . وتمامه :

غدت من عليه بعدما تمّ ظمؤها تصل وعن قبض بيضاء مجهل
(٣) ش : « تضاف » ، وأثبت ما في ط .

يضاف إلى الفعل . وليس حيث في البيت بظرف . وإنما لم يعرب مَنْ لم يعربه لأنه جعله بمنزلة ما ومن ، في أنهما لم يُعربا إذا وصفا وكانا نكرتين . وذلك أنَّ الإضافة في حيث كانت للتخصيص ، كما أنَّ الصفة كذلك ، فلمَّا جعل اسماً ولم يضاف صار لزوم الصفة له للتخصيص بمنزلة لزوم الصلَّة للتخصيص ، فصار حال الوصف حال الإضافة .

ولو جعلت في قوله : « بأذَلَّ حيث يكون » زمانا لم يحسن ، لأنَّ أفعال هذا بعض ما يضاف إليه .

وإذا قلت : هذا أذَلَّ رجل ، فالمعنى هذا رجل ذليل ، ولا يكاد يقال زمان ذليل كما يقال موضع ذليل . ألا ترى أنَّ الأماكن قد وصفت بالعرْ ، فإذا جاز وصفها بالعر جاز وصفها بخلافه ، ولا تكاد تسمع وصف الزمان بالذَلَّ .

فلا يجوز إذن أن يكون موضع « يكون » جرًّا بآئه صفةً حيث ، ويجعل حيث اسم زمان . انتهى كلام أُنَى على .

وحاصله : أنَّ أذَلَّ أفعال تفضيل مجرور بالكسر ، وهو مضاف إلى حيث بمعنى موضع يراد به الكثرة لإيهامه ، ولهذا صحَّ إضافة أفعال إليه ، إذ لا يضاف أفعال التفضيل إلَّا إلى ما هو بعضه . وجملة يكون صفة لحيث فتكون في محل جر ، والعائد إلى الموصوف ضمير نصب محذوف ، والأصل : يكون فيه ، ففيه خبر يكون ومن يتدَلَّل اسمه ، فحذف حرف الجر واتصل الضمير بـيكون ، فصار يكونه ، ثم حذف الضمير فصار يكون ، فجملة يكون إلخ في محل جر ، لكونها صفة لحيث لا لكونها مضافاً إليه .

وحيث موصوف بالجملة لا مضاف إليها . ولمَّا كان حكم الجملة بعد

حيث في الآية حكمها في البيت ، نسبهما إلى أبي علي ، وإن لم يذكر حكم الجملة بعد حيث في الآية أبو علي .

وقال الشارح المحقق : الأول أن يكون مضافاً ، ولا مانع من إضافته ، وهو اسم لا ظرف ، إلى الجملة كما في ظروف الزمان ، وذلك نحو قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾^(١) . وعلى هذا أيضاً يكون الخبر محذوفاً يقدر بعد يتدلل ، أى فيه .
وقوله :

« إِنَّا لَنَضْرِبُ رَأْسَ كُلِّ قَبِيلَةٍ »

يقول : نحن في الطرف الأعلى من العز ، وأنتم في نهاية الذل والعجز .
والأتان : أنثى الحمار . ويتقمل : يقتل قملَه .

وقوله : « يَهْزُ الْهَرَانَعُ » إلخ تفسير لقوله يَتَقَمَّلُ . وَيَهْزُ : مضارع وَهَزَ يَهْزُ هِزَةً وَوَهْزاً ، إذا نزع القملة وقصعها ؛ أَوَّلُهُ واو وثالثه زاء معجمة . والهرانع مفعول يَهْزُ مقدّم ، جمع هِرْنَع بكسر الهاء وسكون الراء المهملة وكسر النون بعدها عين مهملة ، وهو القمل ، الواحدة هِرْنَعَة . قال الشاعر :

« فِي رَأْسِهِ هَرَانَعٌ كَالْجِعْلَانِ »

كذا قال ابن دريد . وقال الليث : الهرنوع ، كعصفور : القملة الضخمة ، ويقال هي الصغيرة . وأنشد البيت . فيكون الجمع على حذف الزائد .

وقال ابن الأعرابي : الهرنع كقنفذ ، والهرنوع : القملة الصغيرة .

(١) الآية ١١٩ من سورة المائدة .

(٢) في النسختين : « ووهز » ولا وجه له ، والصواب ما أثبت .

وَعَقْدُهُ فاعِلٌ يَهْزُ ، وهو بفتح العين المهملة وسكون القاف ، والضمير راجع لقوله : وأبوك . وفسره ابنُ حبيب (في شرح المناقضات) ، وابن قتيبة (في أبيات المعاني) وقالوا : يعنى عقد الثلاثين ، وهو هيئة تناوُل القملة بإصبعين : الإبهام والسَّبَّابة . ورواه الصاغاني (في العباب) في مادة (وهز) عن شمر كذا :

يَهْزُ الْهَرَانَعُ لَا يَزَالُ وَيَفْتَلِي بِأَذَلِّ حَيْثُ يَكُونُ مِنْ يَتَذَلَّلُ
ففاعل يهز على هذا ضمير أبوك .

واعلم أنَّ العقود والعقد نوعٌ من الحساب يكون بأصابع اليدين ، يقال له حساب اليد . وقد ورد منه في الحديث : « وَعَقَدَ عَقْدَ تَسْعِينَ ^(١) » . وقد أَلْفُوا فيه كتباً وأراجيز ، منها أرجوزة أبي الحسن على ، الشهير بابن المغربي . وقد شرحها عبد القادر بن علي بن شعبان العوفي . ومنها في عَقْد الثلاثين : وَاَضْمَمَهُمَا عِنْدَ الثَّلَاثِينَ تُرَى

كقباض الإبرة من فوق الثرى

قال شارحها : أشار إلى أنَّ الثلاثين تحصُل بوضع إبهامك إلى طرف السبابة ، أى جمع طرفيهما كقباض الإبرة .

و (عند الخصى) ظرف لقوله يَهْزُ . وقوله (بأذَلِّ) الباء بمعنى في متعلقة بمحذوف على أنَّه حال من ضمير عقده . يقول : نحن لعزنا وكثرتنا نحارب كلَّ قبيلة ، ونقطع رؤوسها ، وأبوك لِذُلِّهِ وعجزه يقتل قملهُ خلف أتانهِ ، فهو يتناول قملة بإصبعه من بين أفخاده ، حالة كونه جالساً في أحقر

(١) انظر لحساب العقد أيضا اللسان (ردم ١٢٧) والموشح ١٩٤ والقسطاني ١٠ : ١٧١ ، ٢١٥ وفتح الباري ١٣ : ٩٥ - ٩٦ والألف المختارة الحديث ٨٩٦ ، ٩٢٥ .

موضع يجلس فيه الذليل ، وهو خلف الأتان . فنحن نقتل الأبطال ، وأبوك يقتل القمل والصئبان ، فشتان ما بيني وبينك .

وهذه القصيدة مطلعها :

(أن الذي سَمَك السماء بنى لنا

بيتاً دعائمه أعزُّ وأطول)

ويأتى شرحه إن شاء الله في الصفة المشبهة .

وترجمة الفرزدق قد تقدّمت في الشاهد الثلاثين من أوائل الكتاب (١) :

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والتسعون بعد الأربعمئة (٢) :

٤٩٨ (تَهَيْتِكَ عَنْ طِلَابِكَ أُمَّ عَمْرٍو

بعاقبة وَأَنْتَ إِذْ صَحِيحُ)

على أن التنوين اللاحق لِإِذْ عَوْضٌ عن الجملة ، والأصل : وَأَنْتَ إِذْ الأمر ذاك ، وفي ذلك الوقت .

وكذا أورده صاحب الكشف في سورة ص . استشهد به على أن أَوَانٍ في قوله :

* طَلَبُوا صُلَحْنَا وَلَاتِ أَوَانٍ *

بنى على الكسر تشبيهاً بِإِذْ ، في أنه زمان قطع منه المضاف إليه وَعَوْضُ

(١) الخزائن ١ : ٢١٧ .

(٢) الخصائص ٢ : ٣٧٦ وابن يعيش ٣ : ٩/٢٩ : ٣١ وشرح شواهد المغنى ٩٢ والأشعرى ١ : ٥٦ ويس على التصريح ٢ : ٣٩ والهمذليين ١ : ٦٨ .

غنه التنوين ، وكسر لالتقاء الساكنين .

وروى أيضا : « وأنت إذاً صحيح » ، فيكون التنوين فيه أيضا عوضا عن المضاف إليه الجُمْلَى عند الشارح المحقق ، ويكون الأصل وأنت إذاً نهيتك ، كما قال في قوله تعالى : ﴿ فَعَلَّهَا إِذَاً وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴾^(١) . والمشهور أنها في مثله للجواب والجزاء . وعليه مثى المروزقى (في شرح الهذليين) قال : رواه الباهلي : وأنت إذاً صحيح وتكون إذاً للحال ، كأنه يحكى ما كان . والمراد : وأنت في تلك الحال صحيح .

قال ابن جنى عند قول الحماسي :

فإِنَّكَ إِنْ تَرَى عَرَصَاتٍ جُمِلَ

بعاقبة فأنْتَ إِذَاً سَعِيدُ^(٢)

قال سيبويه : إِنَّ إِذَاً جوابٌ وجزاء . وإذا كان كذلك ففي الفاء مع ما بعدها الجزاء ، فما معنى إذاً ؟ فإن ذلك عندى لتوكيد الجزاء ، كما أنَّ الياء في قوله :

* والدهر بالإنسان دَوَارِيٌّ *

لتوكيد الصفة^(٣) . انتهى .

وقوله قبل البيت : « وقوله^(٤) » هو بالجر معطوف على مدخول

١٤٨ الكاف في قوله تعالى : ﴿ وَكَلَّا آتِينَا ﴾^(٥) .

(١) الآية ٢٠ من الشعراء .

(٢) الحماسة بشرح المروزقى ١٥١ . وقال المروزقى : « أتى بترى تاما وأن كان في موضع الجزم ، فهو كقول الآخر :

« ولا ترضاها ولا تملق » .

(٣) ورد النص هنا موجزا . وانظر إعراب الحماسة الورقة ٢٤٨ .

(٤) انظر شرح الرضى على الكافية ٩٩ س ١٠ .

(٥) الآية ١٧٩ من الأنبياء .

واعلم أنَّ الشارح المحقق قد دَقَّق النظرَ في نحو يومئذ فجعل إذ بدلا من الظرف قبله ، فيكون يوم ونحوه غير مضاف إلى إذ . وحينئذ يردُّ عليه : ما وجه حذف التنوين من الظرف الأول ؟

ومن قال بالإضافة كالجمهور فحذف التنوين ظاهر . ويجوز فيه البناء على الفتح والإعراب على حسب العامل .

قال ابن السراج (في الأصول) : وأسماء الزمان إذا أضيفت إلى اسم مبنى جاز أن تعربها وجاز أن تبنىها ، وذلك نحو يومئذ بالرفع ويومئذ بالفتح ، فيقرأ على هذا إن شئت : ﴿ من عذاب يومئذ ^(١) ﴾ بالجر ، و ﴿ من عذاب يومئذ ﴾ بالفتح . اهـ

وقد قرَّر الشارح المحقق هذا فيما سيأتى ، وتنبَّه لهذا الاعتراض ، فأجاب عنه بأنَّ الإعراب لعروض علة البناء ، أعنى الإضافة إلى الجمل ؛ والبناء لوقوع إذ المبنى موقع المضاف إليه لفظا .

وقوله : « والذى يبدو لى أنَّ هذه الظروف التى كأنها فى الظاهر مضافة إلى إذ ليست مضافة إليه بل إلى الجمل المحذوفة » ، هذا ممكن فى يوم وحين فإنهما يجوز إضافتهما إلى الجمل ، وقد سمع .

وأما ساعة وليلة وغداة وعشية وعاقبة ، فإنها ليست من الظروف التى يجوز إضافتها إلى الجمل ؛ لأنَّه لم يسمع ، فكيف يقال إنها تضاف إلى الجمل وإذ بدلٌ منها ، فلمَّا حذفت الجملة المضافة إليها إذ عوّض التنوين عنها ؟

(١) الآية ١١ من المعارج .

وقد وجد بخط صاحب القاموس ، تركيب هذه الظروف مع إذ ، قال :
لا يضاف إلى إذ من الظروف في كلام العرب غير سبعة ألفاظ ، وهي : يومئذ
وحينئذ ، وساعتئذ ، وليلئذ ، وغداًئذ ، وعشيئئذ ، وعاقبتئذ . ا هـ .
قيل : ومقتضاه أنه لا يقال وقتئذ ، ولا شهرئذ ، ولا سنتئذ .
وقد ورد أوائئذ في شعر الداخل بن حرام الهذلي ^(١) ، قال :
دَلَفْتُهَا أَوَائِئِذٍ بِسَهْمٍ
حَلِيفٌ لَمْ تَخُونَهُ الشُّرُوحُ
والدَّليْف : سَيَّرَ فِيهِ لِإِطَاءٍ . وَحَلِيفٌ : حَدِيدٌ . وَتَخَوَّنَهُ : تَنَقَّصَهُ .
وَالشُّرُوحُ : الشَّقُوقُ وَالصَّدُوعُ .
وزعم الأخفش أن ^(٢) إذ معرب مجرور بإضافة ما قبله إليه .
قال ابن هشام (في المغني) : وزعم الأخفش أن إذ في ذلك معربة ،
لنزول افتقارها إلى الجملة ، وأن الكسرة إعراب ، لأنَّ اليوم مضاف إليها .
ورَدَّ بَأَنَّ بِنَاءَهَا لَوْضَعُهَا عَلَى حَرْفَيْنِ ، وبَأَنَّ الْإِفْتِقَارَ بَاقٍ فِي الْمَعْنَى ،
كَالْمَوْصُولِ تَحْذِفُ صِلَتَهُ لِلدَّلِيلِ . قال :
نَحْنُ الْأَلَى فَاجْمَعْ جُمُوعاً عَكَثُ ثُمَّ جَهَّزْهُمْ إِلَيْنَا ^(٣)

(١) قصيدة البيت التالي تروى لعمر بن الداخل في ديوان الهذليين ٣ : ٩٨ وشرح السكري
لأشعار الهذليين ٢ : ٦١١ . وفي شرح السكري : « وقال الأصمعي هذه القصيدة لرجل من هذيل
يقال له الداخل ، واسمه زهير بن حرام ، أحد بني سهم بن معاوية » .

(٢) الكلام بعده إلى « أن » التالية ، ساقط من ش .

(٣) لعبيد بن الأبرص في ديوانه ٢٨ . وانظر أمالي ابن الشجري ١ : ٢٩ / ٢ : ١٧٩ ، ٣٠٨ ،
وشرح شواهد المغني ٩١ والعيني ١ : ٤٩٠ . ويروى : « ثم وجههم » .

أى نحن الأتلى عُرفوا . وبأنَّ العوض ينزل ^(١) منزلة المعوض منه ، فكأنَّ المضاف إليه مذكور ؛ ويقولوه وأنت إذ صحيح .

وأجاب عن هذا بأنَّ الأصل حينئذٍ ثم حذف المضاف وبقي الجر ، كقراءة بعضهم : ﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ^(٢) ﴾ أى ثواب الآخرة . اهـ .

وهذا مع أنَّه لا قرينة عليه لا يفيد شيئاً لوجود مقتضى البناء فيه . وقد سها سهواً بيّناً شارح شواهد المغنى ^(٣) فقال : البيت استشهد به الأخفش على أن إذ معربة لعدم إضافة زمان إليها وقد كسرت . وأجيب بأنَّ الأصل وأنت حينئذٍ ، ثم حذف المضاف وبقي الجر .

هذا كلامه ، ولا يخفى أنَّ الأخفش لم يستشهد بالبيت ، وإنما استشهد به عليه ، فأجاب بأنَّ الحين منه محذوف . وهو غير قائل بأنَّ إذ ^(٤) معربة لعدم الإضافة .

وقد تكلم ابن جنى (فى سر الصناعة) على يومئذ ببيان واف وإن كان على خلاف طريقة الشارح المحقق ، فلا بأس بإيراده مختصراً ، قال : من وجوه التنوين أن يلحق عوضاً من الإضافة نحو يومئذ ، وليلئذ ، وساعتئذ ، وحينئذ ، وكذلك قول الشاعر :

* وأنت إذ صحيح *

وإنما أصل هذا أن تكون إذ مضافة إلى جملة نحو : جئتكَ إذ زيد أمير ، وقمت إذ قام زيد ، فلما اقتطع المضاف إليه عوض منه التنوين ، فدخل وهو ساكن على الذال وهى ساكنة ، فكسرت الذال لالتقاء الساكنين .

(١) ط : « تنزل » ، وأثبت ما فى ش والمغنى ٨٦ .

(٢) الآية ٦٧ من الأنفال . وقراءة الجر هى قراءة سليمان بن جهمز المدنى . تفسير أى حيان

٥١٨ : ٤ .

(٣) لم أجد الكلام التالى فى شرح شواهد المغنى للسيوطى .

(٤) ط : « بأن ذا » ، صوابه فى ش .

وليست الكسرة كسرة إعراب وإن كانت إذ في موضع جر بإضافة ما قبلها إليها . ويدل على أن الكسرة في إذ إنما هي لالتقاء الساكنين ، قول الشاعر :

* وأنت إذ صحيح *

ألا ترى أن إذ ليس قبلها شيء . فأما قول أبي الحسن إنه جر إذ لأنه أراد قبلها حين ، ثم حذفها ، وبقي الجر - فساقط . ألا ترى أن الجماعة قد أجمعت على أن إذ ، ومَنْ ، ومنْ ، من الأسماء المبنية على الوقف . وقد قال أبو الحسن نفسه (في بعض التعليقات عنه في حاشية الكتاب) : بَعْدَ كَمْ وإذ من التمكن أن الإعراب لم يدخلها قط . فهذا تصريح منه ببناء إذ ، وهو اللائق به ، والأشبه باعتقاده . وذلك القول الذي حكيناه عنه شيء قاله في (كتابه الموسوم بمعاني القرآن) ، وإنما هو شبيه بالسهو منه .

على أن أبا علي قد اعتذر له منه بما يكاد يكون عذراً .

قلت : أورد هذا العذر (في آخر إعراب الحماسة) : قال : سألت أبا علي عن قوله : وأنت إذ صحيح ، فقلت : قد قال أبو الحسن : « إنه أراد حينئذ » ، فهذا تفسير المعنى أم تقدير الإعراب ^(١) على أن تكون إذ مجرورة بحين المرادة المحذوفة ؟ فقال : لا ، بل إنما فسّر المعنى ، ولا يريد أن إذ مجرورة بحين المرادة . والذي قاله أبو علي أجرى على مقاييس مذاهب أصحابنا ، غير أن كلام أبي الحسن ظاهره هناك أنه يريد ما عدل أبو علي عنه . انتهى .

(١) في إعراب الحماسة الورقة ٢٤٨ : « فهذا تفسير المعنى أم تقدير للإعراب » .

ثم قال ابن جنى ^(١) : ويؤيد ما ذكرته من بناء إذ أنَّها إذا أضيفت مبنية نحو قوله : ﴿إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾ ^(٢) ، ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ﴾ ^(٣) فإذا في هذا ونحوه مضافة إلى الجمل ، وموضعها نصب ، وهى كما ترى مبنية . فإذا كانت فى حال إضافتها إلى الجمل مبنية من حيث كانت الإضافة إلى الجمل كلا إضافة ، لأن من حق الإضافة أن تقع على الأفراد فهى ، إذا ^(٤) لم تضاف فى اللفظ أصلاً ، أجدرُ باستحقاق البناء . ويزيدك وضوحاً قراءة الكسائى : ﴿مِنْ عَذَابٍ يَوْمَئِذٍ﴾ ^(٥) فبنى يوم على الفتح لَمَّا أضافه إلى مبنى غير متمكن .

فإن قيل : بنيت إذ من حيث كانت غايةً منقطعةً منها ما أضيفت إليه ، أو من حيث إضافتها إلى جملة تجرى الإضافة إليها مجرى لا إضافة ، فهلاً أعربت لما أضيفت إلى المفرد فى نحو قولهم : فعلت إذ ذاك ؟ قلت : هذه مغالطة فإن ذاك ليس مجزوراً باضافة إذ إليه ، وإنما ذاك مبتدأ حذف خبره تخفيفاً ، والتقدير إذ ذاك كذا . فالجملة هى التى فى موضع جر .

ونظير هذا ماذهب إليه أبو العباس المبرد فى قول الآخر :
طلبوا صلحنا ولات أوان فأجبنا أن ليس حين بقاء ^(٦)

(١) النص التالى لم يرد فى إعراب الحماسة ، وهو امتداد لما نقله البغدادى عن « سر الصناعة » فيما سبق من الكلام . وهو بذلك يكرر ما أورده فيما مضى من الخزانة ٤ : ١٨٥ .

(٢) الآية ٧١ من سورة غافر .

(٣) الآية ١٢٧ من البقرة .

(٤) ط : « اذن » ، والوجه ما أثبت من ش .

(٥) الآية ١١ من سورة المعراج .

(٦) لأبى زبيد الطائى فى ديوانه ٣٠ وهو الشاهد ٢٨٢ فى الخزانة ٤ : ١٨٣ .

وذلك أنه ذهب إلى أن كسرة أوان ليست إعراباً ، ولا أن التنوين الذى بعدها هو التابع لحركات الإعراب ، وإنما تقديره عنده أن أوان بمنزلة إذ ، ١٥٠ فى أن حكمه أن يضاف إلى الجملة نحو : جئتكَ أوانَ قام زيد ، وأوانَ الحجاجُ أمير ، أى إذ ذاك كذاك ، فلما حذف المضاف إليه أوانَ عوض من المضاف إليه تنويناً . والتنون عنده كانت فى التقدير ساكنة ، فلما لقيها التنوين ساكناً كسرت النون لالتقاء الساكنين .

وهذا غير مرضى ، لأن أوانا قد يضاف إلى الآحاد ، نحو قوله :

* هذا أوانُ الشدِّ فاشتدَّى زيمٌ ^(١) *

وقوله :

* فهذا أوانُ العرضِ ^(٢) *

وغير ذلك .

فإن قيل : فإذا كان الأمر كذلك فهلا حركوا التنوين فى يومئذ وأوان ، ولم حركوا آخره دون التنوين ؟ فالجواب : أنهم لو فعلوا ذلك لوجب أن يقولوا إذن ، فيشبه النون الزائد النون الأصلي ؛ ولما أمكنهم أن يفعلوه فى أوان ، لأنهم لو آثروا إسكان النون لما قدروا على ذلك ، لأن الألف ساكنة قبلها ؛ وكان يلزمهم من ذلك أن يكسروا النون لسكونها وسكون الألف ، ثم يأتى

(١) سبق الكلام عليه فى حواشى ٤ : ١٨٦ وأنه لرشيد بن رميم .

(٢) للمتلمس ، كما سبق فى حواشى ٤ : ١٨٥ . وتماه :

فهذا أوان العرض حى ذبابه زناييره والأزرق المتلمس

التنوين بعدهما ، فكان لا بدّ أيضا من أن يقولوا أوّانين ^(١) .

فإن قيل : فلعلّ على هذا كسرهم النون من أوّان إنّما هو لسكونها وسكون الألف قبلها ، دون أن يكون كسرهم إياها لسكونها وسكون التنوين بعدها ؟

فالجواب ما تقدم ، من كسرهم ذال إذ لسكونها وسكون التنوين بعدها .

فعلى هذا ينبغي أن يحمل كسر النون من أوّان ، لئلا يختلف الباب . ولأنّ أوّان أيضا لم ينطق به قبل لحاق التنوين لنونه ، فيقدّر مكسور النون لسكونها وسكون الألف قبلها ، إنّما حذف منه المضاف إليه وعوض التنوين عُقِيب ذلك ، فلم يوجد له زمنٌ تلفظ به بلا تنوين ، فيلزم القضاء بأن نونه إنّما كسرت لسكون الألف قبلها . فاعرف ذلك من مذهب المبرد . وأما الجماعة إلّا أبا الحسن والمبرد ، فعندها أنّ أوّان مجرورة بلات ، وأنّ ذلك لغة شاذة . انتهى كلام ابن جنى .

والبيت من مقطوعةٍ تسعة أبيات لأبي ذؤيب الهذلي ، أوّها ^(٢) :
 (جَمَالَكَ أَيُّهَا الْقَلْبُ الْقَرِيحُ سَتَلْقَى مِنْ تَحَبُّ فَتَسْتَرِيحُ)
 نهَيْتُكَ عَنْ طِلَابِكَ أُمَّ عَمْرُو الْبَيْتِ
 وَقُلْتُ : تَجَنَّبِنْ سَخَطَ ابْنِ عَمٍّ وَمَطْلَبَ شَلَّةٍ وَهِيَ الطَّرُوحُ ^(٣)
 قوله : « جمالك » إلخ قال الإمام المرزوقي (في شرحه) : يجوز أن يكون

صاحب الشاهد

آيات الشاهد

(١) رسمت في ش « أوّان » كما سبق في ٤ : ١٨٦ .

(٢) ديوان الهذليين ١ : ٦٨ وشرح السكري ١٧١ .

(٣) في الهذليين وشرح السكري :

فقلت تجنبن سخط ابن عم ومطلب شلة ونوى طروح

المراد : الزمّ جمالك الذى عُرف منك وعُهد فيما تُدفع إليه وتمتحن به ، أى صبرك المألوف المشهور .

ويجوز أن يكون المعنى : تصبّر وافعل ما يكون حسناً بك . والمصادر يؤمر بها توسّعاً ، مضافة ومفردة .

وهذا الكلام بعث على ملازمة الحسنى وتحضيض ، ووعد بالنجاح فى العقبى وتقريب .

وقوله : (تَهَيْتِكَ عَنْ طَلَابِكَ) إِنْخ قال الإمام المَرْزُوقِي : يَذْكُر قلبه بما كان من وعظه له فى ابتداء الأمر ، وزجره من قبل استحكام الحب ، فيقول : دفعتك عن طلب هذه المرأة بعاقبة ، أى بآخر ما وصيتك به .

وهذا كما تقول لمن تعيب عليه فيما لم يقبله : كان آخر كلامي معك تحذيرك ما تقاسيه السّاعة . ولست تريد أن تلك الوصاة كانت مؤثّرة عن غيرها ومردّفة سواها ممّا هو أهمّ منها ، ولكنتك تنبّه على أن الكلام كان مقصّوراً عليها أولاً وآخراً .

ويجوز أن يكون المعنى : نهيتك عن طلبها بذكر ما يُفضى أمرك إليه ١٥١ وتدور عاقبتك عليه ، وأنت بعد سليم تقدر على التّمسك منها ، وتعلّق أمرك وشأنك فى حبها . وكأنّه كان رأى لتلك الحالة عواقب مذمومة تحصل كلّ واحدة على طريق البدل من صاحبته^(١) ، وكان ذكرها كلّها ، فلذلك نكّر العاقبة .

ويجوز أن يريد : نهيتك بعقب ما طلبتها ، أى كما طلبتها^(٢) زجرتك عن

(١) ط : « صاحبها » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

(٢) جعلها الشنقيطى : « أى كلما طلبتها » .

قريب^(١) ، لأن مبادئ الأمور تكون ضعيفة فيسهل فيها كثير مما يصعب من بعد . وهذا أقرب الوجوه في نفسى . والعرب تقول : تغير فلان بعاقبة ، أى عن قريب بعقب ما عهد عليه قبل . انتهى .

فظهر من هذا أن عاقبة بالقاف والموحدة . وكذا هى فى رواية أبى بكر القارى شارح أشعار الهذليين قبل الإمام المرزوقى ، وهى عندى بخطه وعليها خطوط علماء العربية . منهم أحمد بن فارس صاحب المجمل فى اللغة ، وفسرها القارى^(٢) بقوله : « آخر الشأن » .

والباء على المعانى الثلاثة متعلقة بنهيتك^(٣) . وجملة وأنت صحيح حال من الكاف فى نهيتك .

وصحّفها الدمامينى (فى الحاشية الهندية على المغنى) بالفاء والمنشأة التحتية ، فجعل الباء متعلقة بمحذوف على أنه حال من لإحدى الكافين كالجملة الاسمية ، وجوّز أيضاً أن تكون الباء متعلقة بنهيتك ، وقال : أى نهيتك عن حال عاقبة^(٤) . والاسمية حال من التاء .

أقول : لا يصح كونها حالاً من التاء ؛ لأنها صفة للمخاطب لا للمتكلم . فتأمل .

وقوله : « وقلت تجنّب » إلخ قال : الإمام المرزوقى : روى لنا عن

(١) عن قريب ، ساقطة من ش .

(٢) ط : « القالى » ، صوابه فى ش . وانظر ما سبق فى حواشى ١ : ٣٣٨ .

(٣) الكلام بعده إلى « متعلقة بنهيتك » ساقط من ش .

(٤) ط : « عاطبته » ، صوابه فى ش .

الدُّرَيْدِيُّ عَنْ أَبِي يَزِيدَ ^(١) وَعَنْ الزِّيَادِيِّ : « شَلَّةٌ » بضم الشين ، قال : وكذا قرأته بخط ذى الرمة . وكذا رواه الباهلي أيضا .

وروى : « شَلَّةٌ » بفتح الشين ، وهما جميعاً من الشَّلِّ : الطرد كأنه يعدد ما كان يحذره منه ، ويعرفه أن نتائجه كان عالماً بها ، فلها ما كان ينفره .

والمعنى أن طلبك لها يجلب عليك مُراغمة أبناء عمك ، ويسوقك إلى التعب فيما يبعد عنك ولا يجدى عليك .

والطُّرُوح : البعيدة . وروى بعضهم : « وَتَوَّى طُرُوحٌ » أى تطرح أهلها في أقاصى الأرض . وكأنه أراد : ونوى طروح ذاك ، لأن القوافى مرفوعة . اهـ .

وترجمة أبي ذؤيب الهذلي تقدّمت في الشاهد السابع والستين من أوائل الكتاب ^(٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والتسعون بعد الأربعمئة ، وهو من شواهد س ^(٣) :

٤٩٩ (عَلَى حِينِ عَاتِبْتُ الْمَشْيِبَ عَلَى الصَّبَا

فَقُلْتُ : أَلَمَّا تَصْنَحُ وَالشَّيْبُ وَازِعٌ)

على أنه يجوز إعراب حين بالجر لعدم لزومها للإضافة إلى الجملة ،

(١) كذا في النسختين . وقد تكون « عن أبي زيد » .

(٢) الخزانة ١ : ٤٢٢ .

(٣) في كتابه ١ : ٣٦٩ . وانظر المصنف ١ : ٥٨ وأمالى ابن الشجرى ١ : ٢/٤٦ :

١٣٢ ، ١٦٤ وابن يعيش ٣ : ١٦ ، ٤/٨١ : ٨/٩١ : ١٤٦ والإنصاف ٣٩٢ والمقرب ٦٣

والشذور ٧٨ وشرح شواهد المغنى ٢٩٨ والعينى ٢ : ٤/٤٠٦ : ٣٥٧ والتصريح ٢ : ٤٢ والجمع

١ : ٢١٨ والأشعوى ٢ : ٣/٢٥٦ : ٤/٢٢٦ : ٨ وديوان النابغة ٥٣ .

ويجوز بناؤها على الفتح لاكتسابها البناء من إضافتها إلى المبنى ، وهو جملة عاتبت .

وأورده صاحب الكشف عند قراءة نافع والكسائي : ﴿ وَمَنْ يَخْزِي يَوْمَئِذٍ ﴾ ^(١) بفتح الميم ، شاهدا على اكتساب المضاف البناء من المضاف إليه .

والبيت من قصيدة للنابعة الديباني ، وقد تقدّمت مشروحة بتامها في صاحب الشاهد الشاهد الخامس والخمسين بعد المائة ^(٢) . وقبل هذا البيت :

(فأسبل منى عبّرة فرددتها

على النّحر منها مستهلّ ودامع)

وفاعل أسبل ضمير « ذو حُسى » في مطلع القصيدة بضم الحاء والسين المهملتين ، وهو بلد في بلاد بني مُرة . وعبّرة مفعول أسبل ، يقال أسبل الرجل الماء ، أى صبّه .

والعبّرة بالفتح : الدمعة . وإنّما ردّها خوفاً الفضيحة ، فإنّه يبكى على دار الحبيب الدارسة وهو شيخ . وعلى النحر متعلّق بأسبَل ؛ ويجوز أن يتعلق برددتها على وجه . والنّحر ، موضع القلادة من الصّدر . والدمعة تجري على الخدود ثم تسيل منها على النّحر . ومستهلّ : سائل منصّب له وقع . ومنه استهلّت السماء بالمطر ، إذا دام مطرُها . ودامع : قاطر . وجملة « منها مستهلّ » لعبارة ، أى بعضها مستهلّ وبعضها دامع .

(١) الآية ٦٦ من سورة هود .

(٢) الخزائن ٢ : ٤٥١ - ٤٦٨ .

وقوله : (على حين عاتبت) إلخ على بمعنى فى ، متعلّقة بأسفل . وعائبته على كذا ، أى لأمه مع تسخّط بسببه . فعلى الصبا متعلق بعاتبت . و(الصّبا) بالكسر والقصر : اسم الصّبوة ، وهى الميل إلى هوى النفس . و(المشيب) : الشيب ، وهو ابيضاض الشعر المُسَوّد ، ويأتى بمعنى الدخول فى حدّ الشيب .

وقوله : (فقلت) أى للمشيب ، معطوف على عاتبت . وجملة (ألما تصحّ) إلخ مقلوب القول . والهمزة للإنكار ، ولما جازمة بمعنى لم ، وفيها توقع ، لأنّ صحوه متوقّع . وتصحّ مجزوم بحذف الواو ، من صحا يصحو ، إذا زال سُكره .

وجملة (والشيب وازع) : حال من فاعل تصحّ . ووازع ، بالزاي المعجمة : الزاجر والكافّ . تقول : وزع^(١) يزع ، إذا كفّ فهو وازع ، كما يقال وضع يضع فهو واضع . قال الشاعر :

إذا لم يَزَعْ ذا الجهل حلمٌ ولا تُقَى

ففى السيف والتّقوى لذى الجهل وازعٌ

وروى أبو عبيدة : « ألما أصحّ » بالهمزة بدل التاء .

وقد تقدمت ترجمة النابغة الذبياني فى الشاهد الرابع بعد المائة^(٢) .

* * *

وأنشد بعده :

(لم يمنع الشُّرب منها غَيْرَ أَنْ نَطَقَتْ

حمامة فى غُصون ذاتِ أوقال)

على أنّ غيراً بنيت على الفتح لإضافتها إلى مبنى ، وبينه الشارح المحقق ، مع أنّها فاعل لم يمنع .

(١) ط : « وازع » ، صوابه فى ش .

(٢) الخزائنة ٢ : ١٣٥ .

وقد روى الرفع أيضاً على الأصل . قال سيبويه (فى باب ما تكون أن
وأن مع صلتها بمنزلة غيرهما من الأسماء) : حدّثنا أبو الخطاب أنه سمع من
العرب الموثوق بهم من ينشد هذا البيت رفعاً :

* لم يمنع الشرب منها غير أن نطقت * البيت .

وزعموا أن أناسا ينصبون هذا كنصب بعضهم يومئذ فى كلّ موضع ،
فكذلك غير أن نطقت . وكما قال النابغة :

* على حين عاتب المشيب على الصبا * . انتهى

وتقدّم شرحه قريباً

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الموفى الخمسمائة (١) :

٥٠٠ (ونطعنهم حيث الكلى بعد ضربهم

بييض المواضى حيث لى العمائم)

على أن إضافة حيث إلى مفرد نادر ، فتكون حيث بمعنى مكان ، ولّى
مجرور بإضافة حيث إليه ؛ وهو مصدر لوى العمامة على رأسه ، أى لفّها .
ومكان لفّ العمائم هو الرأس .

قال ابن هشام (فى المغنى) : وندرت إضافة حيث إلى المفرد كهذا
البيت . والكسائى يقيسه . وأندر من ذلك إضافتها إلى جملة محذوفة كقوله :

(١) ابن يعيش ٤ : ٩٠ ، ٩٢ وشرح شواهد المغنى ١٣٣ والعينى ٣ : ٣٨٧ والتصرّح ٢ :
٣٩ والمجمع ١ : ٢١٢ والأخمينى ٤ : ٦٥ .

إذا رَيْدَةٌ من حيث ما نفحت له

أتاه برِيَّاهَا خَلِيلٌ يواصلُهُ (١)

أى إذا رَيْدَةٌ نفحت له من حيث هَبَّتْ ، وذلك لأنَّ رَيْدَةً فاعل
بمحذوفٍ يفسِّره نفحت ، فلو كان نفحت مضافاً إليه حَيْثُ لزم بطلان
١٥٣ التفسير ، إذ المضاف إليه لا يعمل فيما قبل المضاف ، فلا يفسَّر عاملاً فيه .
قال أبو الفتح (فى كتاب التمام (٢)) : ومن أضاف حيثُ إلى المفرد
أعربها . انتهى .

وقال العيني : إنَّ حيث لم يضاف فى البيت إلى جملة ، فيكون معرباً
ومحلُّه النصب على الحالية . انتهى .

يريد ما ذكره أبو الفتح من أنَّها إذا أُضيفت إلى مفرد أعربت ، فتكون
منصوبة لفظاً على الظرفية ، وعاملها مقدَّر منصوب على الحالية ، كما قالوا مثله
فى : رأيت الهلالَ بين السحاب . هذا مراده .

وقال شارح شواهد المغنى : الصواب أنَّها ظرف لضرب لا حال ،
فإنَّها ظرف مكان ، كما أنَّ تحت ظرف مكان لتطعُنْهم .

ولم يفهم ابن الملا الحلبي (فى شرح المغنى) عبارة العيني وزيفها ،
وهذا كلامه ، ومن خطه نقلت : وقول العيني هنا أنَّ (حيث) حيث لم

(١) اللسان (ريد) . وستأق فى ص ٥٥٩ نسبه إلى أن حية التيمرى كما وردت النسبة فى
العيني ٣ : ٣٨٦ .

(٢) كتاب التمام فى تفسير أشعار هذيل مما أغفله أبو سعيد السكرى . وقد طبع فى بغداد سنة
١٩٦٢ بتحقيق الأساتذة : القيسى ، وخديجة ، ومطلوب .

تضف إلى جملة معربة محلها النصب على الحال ، مردود ، إذ لا معنى لجعل إعرابها محليا مع الحكم عليها بأنها معربة . انتهى .

وقول شارح أبيات المغنى « كما أن تحت ظرف مكان لنطعنهم » . هذه رواية العينى ، أخذها منه ، فإن صاحب المغنى لم يورد إلا المصراع الثانى .

والمشهور فى شرح المفصل وغيره أن الرواية « حيث الحبا » ، قال ابن المستوفى (فى شرح أبيات المفصل) : يجوز أن يكون حيث مضافاً إلى الحبا على حدّ حيث لى العمائم ، إلا أنه لا يظهر فيه الإعراب . والحبا : جمع حبة ، وهو أن يجمع الرجل ظهره وساقيه بعمامته ، وقد يحتبى بيديه . وفيها ضم الحاء وفتحها . وقال الجوهري : والجمع حبيّ مكسور الأول ^(١) ؛ عن يعقوب . والذي أنشده شيخنا البحراني وكتبه بخطه : الحبا بضم الحاء وبالألف . انتهى .

ورواية الشارح المحقق فى جميع نسخه : « الكلى » بدل الحبا . وبهذه الرواية تم المصراع الدمامينى ، وتبعه ابن الملا . وهو جمع كلية ، والكُلوة لغة فيه . وقال ابن السكيت : ولا تقل كِلوة أى بكسر الكاف . والمراد بالروايات الثلاث الأوساط . ولكل كَلِيتان ، وهما لَحْمَتان لازقتان بعظم الصُّلب عند الخاصرتين .

وقوله : (ونطعنهم) قال صاحب المصباح : طَعَنه بالرُّمح طَعَنًا من باب قتل . ثم قال : وطعنت فيه بالقول ، وطعنت عليه من باب قتل أيضا ؛ ومن باب نفع لغة . وأجاز الفراء يَطْعَن فى جميع معانيه بالفتح ، لمكان حرف الحلق . وفى القاموس : طعنه بالرمح كمنعه ونصره طَعَنًا : ضربه ، وفيه بالقول

(١) ش : « بكسر الأول » ، وما أثبت من ش يوافق ما فى الصحاح .

طعنا . وقال شارح أبيات المغنى : يقال طَعَنَهُ بالرمح يَطْعُنُهُ بالضم فى المضارع ، وكذا كل ما هو حِسِيٌّ . وأما المعنويُّ (١) كيَطْعَنَ فى التَّسَبُّ فبفتح العين .

وقوله : (بعد ضربهم) مصدر مضاف إلى المفعول ؛ والفاعل محذوف ، أى ضربنا إِيَّاهُمْ . وقوله (ببيض المواضى) بالكسر : جمع أبيض ، وهو السيف .

والمواضى : جمع ماضٍ ، وهو القاطع الحادّ ، والإضافة من باب إضافة الموصوف إلى الصفة . وقال العينى : البَيْضُ بفتح الباء : الحديد . والمواضى : السُّيُوفُ . أراد ضربهم بحديد السيوف فى رُءُوسِهِمْ . ويجوز كسر الباء إلى آخر ما ذكرنا . ولا ينبغي لمثله أن يسوّد وجه الورق الأبيض بهذه التُّرَّهات .

وهذا البيت لم يُعرف له قائل . قال ابن المستوفى : هذا البيت لا يُحَسِّنُ أن يكون من باب ما يُفْتَخَرُ به ، لأنهم إذا ضربوهم مكان لى العمام ولم يموتوا ، واحتاجوا إلى أن يطعنوهم مكان الحُبا - وعادة الشجاع أن يأتى بالضرب بعد الطعن - فهذا منهم فعلُ جبانٍ خائفٍ غير متمكّن من قتل قرنه . وإثما الجيّد قول بلعاء بن قيس ، من بنى ليث بن كنانة :

وفارسى فى غمرات الموت منغمسى

إذا تألّى على مكروهة صدقا (٢)

غشّيته وهو فى جأواءَ بأسلةٍ

عَضْباً أصاب سواءَ الرأسِ فانفلقا

(١) فى النسختين : « المعنى » ، وأثبت ما فى شرح شواهد المغنى للسيوطى .

(٢) الحماسة ٥٩ بشرح المرزوق .

بضربة لم تكن منى مخالسة

ولا تعجلتها جُبنا ولا فرقا

فانظر كيف وصف قرنه بما وصف به ، ووصف موضعه وبالغ في وصفهما (١) ، ووصف ضربته بما يدل على جرأته وشجاعته . انتهى .
هذا ولم يورد الزمخشري (في المفصل) هذا البيت بتمامه ، وإنما قال :
وقد روى ابن الأعرابي بيتاً عجزه :

* حيث لى العمائم *

قال التبريزي (في شرح الكافية) . إنما لم ينشد البيت بتمامه للاختلاف في صدره ، فبعضهم رواه كما ذكر ، وبعضهم قال : صدره :
ونحن سقينا الموت بالسيف معقلاً
وقد كان منهم حيث لى العمائم

انتهى .

وقال ابن المستوفى : وما أنشده ابن الأعرابي فقد قال الأندلسي :
وجدت أنا تمامه في بعض حواشي المفصل ، وهو :
ونحن قتلنا بالشام معقلاً
وقد كان منا حيث لى العمائم

قال : ولا أعلم صحته . وأوله على ما أنشدني شيخنا محمد بن يوسف
البحراني :

(١) ط : « في موضعهما » ، صوابه في ش .

ونطعنهم حيث الحُبَا بعد ضربهم .. البيت
ولم يتمه بعض فضلاء العجم (في شرح أبيات المفصل) إلا بقوله :
(ونحن سقينا الموت بالشَّام مَعْقِلًا)

وقد كان منكم حيث لىِّ العمائم)

وقال : المعنى ونحن سقينا هذا الرجل ، وهو مَعْقِلٌ ، كأس الموت بهذه
البلدة ، وقتلناه ، وقد كان هذا الرجل منكم فوق الرؤوس منكم ، أى كان
رئيسكم وعالياً عليكم . وقال بعض الشارحين : معناه قد كان المَعْقِل منكم ،
وهو الملجأ ، فى مكان لىِّ العمائم ، وهو الرأس . وهذا ليس بظاهر . انتهى .
وهذا البيت أيضاً لم يعرف قائله .

أقول : البيت الذى رواه ابن الأعرابى غير ذينك البيتين . قال الصاغاني
(فى العُباب) : وروى ابن الأعرابى بيت كُثِيرٌ :
وهاجرة يا عَزُّ يَلْطَفُ حُرُّها

لركبانها مِن حيث لىِّ العمائم
نَصَبْتُ لها وجهى وَعَزَّةٌ تَنْقِي
بِجَلْبَابِها والسَّيْرِ لَفَحَ السَّمائم

ويروى : « من تحت لوث العمائم » .

ولعلَّ الزمخشري لم ينشده لرجحان الرُّواية الثانية عنده .
وأما البيت الذى أنشده صاحب المغنى ، وهو :
« إذا رَيْدَةٌ من حيث ما نفحت له » إلخ .

فهو لأبي حية التميمي : شاعر إسلامي أدرك الدولة الأموية والعباسية .
توفي سنة بضع وثمانين ومائة .

والريدة ، براءٍ مهملة مفتوحة ومثناة تحتية بعدها دال : الريح اللينة
الهبوب . ونفحت : هبت . والرياء : الرائحة .

وقد أورد أبو علي هذا البيت (في الإيضاح الشعري) وتكلم عليه
فيه ، ولم يظفر به أحد من شراح المعنى ، فلا بأس بإيراده . قال :

وصف أبو حية التميمي بهذا البيت جماراً . يقال ريحٌ رادةٌ وريدةٌ ١٥٥
وريدانة : اللينة . ورياءها : ريحها . وخلييل ، يعني أنفه . يقول : تأتيه الريح
لتنسّمه إياها بأنفه . فإذا هذه ، هي التي هي ظرفٌ من الزمان ، لأنَّ المعنى :
إذا نفحت ريحٌ تنسّمها . وإذا كانت كذلك كانت « ريدة » مرتفعة بفعل
مضمر يفسره نفحت ، مثل : ﴿ إذا السماء انشقت ﴾ ^(١) ونحو ذلك ،
ومن متعلّقة بالمحذوف الذي فسره « نفحت » . وما أضيف إليه « حيث »
محذوف كما يُحذف ما يضاف إليه إذ في يومئذٍ للدلالة عليه ، وأنه قد عُلم أنَّ
المعنى إذا نفحت من حيث ما نفحت . وإن شئت قلت : إن حيث مضافة
إلى نفحت ، وريدة مرتفعة بفعل مضمر دلّ عليه نفحت ، وإن كان قد
أضيف إليه حيث ، كما دلّ عليه الفعل الذي في صلة أن في قولك : لو أنك
جئتني لأكرمك ، وأغنى عنه . فكذلك هذا الفعلُ المضاف إليه حيث ،
أغنى عن ذلك الفعل لما دلّ عليه ، كما قلنا في لو . ألا ترى أنَّ المضاف إليه
مثل ما بعد الاسم الموصول ، في أن كل واحدٍ منهما لا يعمل فيما قبله . ومع

(١) الآية الأولى من سورة الانشقاق .

ذلك فقد أغنى الفعلُ الذى فى صلة أنَّ عن الفعل الذى يقتضيه لو ، وإن كان قبل الصلة . فكذلك الفعل المضاف إليه حيثُ . انتهى بكلامه وحروفه .

و « ما » تكون زائدة فى التوجيهين .

ونُقل عن ابن مالك أنَّها فى التوجيه الأول عوضٌ عن الجملة المحذوفة ، كالتنوين الذى فى حينئذٍ .

وبالتوجيه الثانى يسقط قول ابن هشام : « فلو كانت نفحة مضافاً إليه ^(١) لزم بطلان التفسير ، إذ المضافُ إليه لا يعمل فيما قبل المضاف » . ويتأيد قولُ الدمامينى (فى الحاشية الهندية) : لا مانع من كون نفحة مضافاً إليه مع جعله مفسراً .

وما استند إليه منظورٌ فيه ، لأنَّ الظاهر من كلامهم أنَّ امتناع تفسير ما لا يعمل مخصوصٌ بباب الاشتغال .

* * *

تم بعون الله وتيسيره الجزء السادس - من خزانة الأدب - بتقسيم محققها

(١) ش : « مضافاً إليها » .

الفهارس

(٣٦ خزانة الأدب ج ٦)

1

(أ) فهرس التراجم

٢٧٣	مزاحم بن الحارث العُقيلي	١٨	أمية بن الأسكر
٢٩٠	يزيد بن أسيد السلمي	٣٠	الأشهب بن رميلة
٢٩٠	يزيد بن حاتم	٣٢	حريث بن محفّض
٢٩٦	يزيد بن مَزَيْد	٤٠	سنان بن الفحل
٣٠١	ربيعة الرق	٤٠	عبد الرحمن بن الضحاك
٣٤٥	الملتسم الضبعي	٥٥	يزيد بن مفرغ
٣٧٠	عوف بن عطية بن الحرّ	٦٠	العريان بن سهلة
٣٧٣	ابن لسان الحمرة	٧٠	علي بن أبي طالب
٣٧٩	أبو مهوش الأسدي	٧٦	أبو بكر بن دعّاس
٣٨٤	عويّف القوافي	٧٦	ابن برّي
٤١٦	زيد بن عمرو بن نفيل	٧٧	مصعب الحشنسي
٤١٧	سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل	٧٨	علم الدين السخاوي
٤١٩	ثبيته بن الحجاج	٨٩	أبو الربيس الثعلبي
٤٤٨	أبو الغول الطهوي	٩٣	المخبل السعدي
٤٤٩	أبو الغول النهلي	٩٥	من يقال له المخبل
٤٦٢	الحريري صاحب المقامات	١٢٥	سويد بن أبي كاهل
٤٦٤	سعد الوراق الحظيري	١٣٨	منظور بن حبة
٤٦٦	أبو زياد الأعرابي	١٨٠	جدع بن سنان
٤٧٣	أنس بن زنيم	٢٠٤	وائل بن صريم
٥٢٤	يـوم أواره	٢٥٧	عمرو بن أحر

(ب) فهرس الشواهد

بقية باب الموصول

الشاهد	صفحة
٤٢١ كاللذ تَرَبَّى زَيْتَةً فاصطيدا	٣
٤٢٢ فُقِلَ لَلَّتْ تَلَوْمُكَ إِنَّ نَفْسِي أَرَاهَا لَا تُعَوِّدُ بِالتَّيْمِيمِ	٦
٤٢٣ أَنَبَى كَلِيبَ إِنَّ عَمَى اللِّدَا قَتَلَا الْمُلُوكَ وَفَكَّكَ الْأَغْلَالَا	٦
٤٢٤ هُمَا اللَّتَا لَوْ وَلَدَتْ تَمِيمٌ لَقِيلَ فَنَحْرُ لُهُمْ صَمِيمٌ	١٤
٤٢٥ قَوْمِي اللَّذُو بَعَكَظُ طَيْرُوا شَرًّا مِنْ رُوسِ قَوْمِكَ ضَرِبًا بِالمَصَاقِيلِ	١٤
٤٢٦ وَإِنَّ الذِي حَانَتْ بَفْلَجِ دِمَائِهِمْ هُمُ الْقَوْمُ كُلُّ الْقَوْمِ يَا أُمَّ خَالِدَ	٢٥
٤٢٧ وَيَعْرِى ذُو حَفَرَتْ وَذُو طَوَيْثُ	٣٤
٤٢٨ عَدَسْنَ مَا لِعِبَادِ عَلَيْكَ إِمَارَةً أَمْنِي وَهَذَا تَحْمِلِينَ طَلِيقُ	٤١
٤٢٩ فَقُلْتُ لَهُ : لَا وَالذِي حَجَّ حَاتِمٌ أَخَوْتُكَ عَهْدًا إِنَّنِي غَيْرُ خَوَانٍ	٥٦
٤٣٠ فَسَلَّمْ عَلَى أَيُّهُمْ أَفْضَلُ	٦١
٤٣١ أَنَا الذِي سَمَّيْتَنِي أُمِّي حَيْدَرَهُ	٦٢
٤٣٢ كَيْفَ يَخْفَى عَنْكَ مَا حَلَّ بَنَا أَنَا أَنْتَ الْقَاتِلُ أَنْتَ أَنَا	٧٢
٤٣٣ مِنَ الثَّغْرِ اللَّاتِي الذِينَ إِذَا اعْتَزَوْا وَهَابَ الرُّجَالُ خَلَقَةَ الْبَابَ فَعَقَعُوا	٧٨
٤٣٤ مَا أَنْتَ وَبَبَ أَيْبِكَ وَالْفَخْرُ	٩١
٤٣٥ يَا سَيِّدًا مَا أَنْتَ مِنْ سَيِّدٍ	٩٥
٤٣٦ عَلَى مَا قَامَ يَشْتُمْنِي لَيْمٌ كَخَنْزِيرٍ تَمَرَّغَ فِي رَمَادٍ	٩٩
٤٣٧ رُبَّمَا تَكْرَهُ الثُّقُوسَ مِنَ الْأَمْرِ سِرٌّ لَهُ فَرْجَةٌ كَحَلِّ الْعُقَالِ	١٠٨
٤٣٨ فَكَفَى بَنَا فَضْلًا عَلَى مَنْ غَيَّرَنَا حُبُّ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ إِنَّا نَا	١٢٠
٤٣٩ رَبُّ مَنْ أَنْضَجَتْ غِيظًا صَدْرَهُ قَدْ تَمَتَّى لِي مَوْتَا لَمْ يُطْعَمَ	١٢٣

الشاهد	صفحة
٤٤٠ آل الزبير سنأه مجد قد علمت ذاك العشيرو والأترؤن من ععدا ١٢٨	
٤٤١ يا شاة من قصص لمن خلث له حرمت على ولينها لم تحرم ١٣٠	
٤٤٢ أو تصبى في الطاعين المولى	
٤٤٣ ولقد أبيت من الفتاة بمنزل فأبيت لا خرج ولا محرم ١٣٩	
٤٤٤ دعى ماذا علمت سائقه ولكن بالمغيب نبيسى ١٤٢	
٤٤٥ ألا تسالين المرة ماذا يحاول أنحب فيفضى أم ضلال وباطل ١٤٥	
٤٤٦ وماذا عسى الواشون أن يتحدثوا سوى أن يقولوا: إننى لله عاشق ١٥٠	
٤٤٧ من اللواتى والى واللاق زعنم ألى كيرث لداتى ١٥٤	
٤٤٨ فإن أدع اللواتى من أناس أضاعوهن لا أدع الدنيا ١٥٧	
٤٤٩ دويبة تصفر منها الأنامل ١٥٩	
٤٥٠ يس اللبلى سهدت من طرى شوقاً لى من بيت يرقدنا ١٦١	

باب الحكاية بمن وما وأى

٤٥١ أتوا نارى فقلت: متون أنتم فقالوا: الجن. قلت: عموظلاما ١٦٧	
---------------------------------------------------------------	--

باب أسماء الأفعال

٤٥٢ مهلاً فدأ لك الأقوام كلهم وما أثمر من مال ومن ولد ١٨١	
٤٥٣ كذب العتيق وماء شرب بارداً إن كنت سائلتي غيوفاً فاذهبى ١٨٣	
٤٥٤ يا أيها الماتح دلوى دونكا إنى رأيت الناس يحمدونكا ٢٠٠	
٤٥٥ وقفنا فقلنا إيه عن أم سالم وما بال تكليم الديار البلاقيع ٢٠٨	
٤٥٦ تذر الجماجم ضاحيا هاماتها بله الأكف كأنها لم تخلق ٢١١	
٤٥٧ حمال أثقال أهل الود آونة أعطيهم الجهد متى بله ما أسع ٢٢٨	
٤٥٨ ألا حياء لى وقولا لها هلا فقد ركبت أمراً أغر محجلا ٢٣٨	

الشاهد	صفحة
٤٥٩ ومتى أهلك فلا أحفله	٢٤٦
٤٦٠ أنشأت أسأله ما بال رفقة	٢٥١
٤٦١ يتأزى فى الذى قلت له	٢٥٨
٤٦٢ فهيج الحى من كلب فظل لهم	٢٦٦
٤٦٣ بحيهلا يزجون كل مطية	٢٦٨
٤٦٤ لشان ما بين اليزيدى فى الثدى	٢٧٥
٤٦٥ قالت له ربح الصبا قرار	٣٠٧
٤٦٦ متكنفى جنى عكاظ كليهما	٣١٢
٤٦٧ ولأت أشجع من أسامة إذ	٣١٦
٤٦٧ أنا اقتسمنا حطتنا بيتنا	٣٢٧
٤٦٩ جماد لها جماد ولا تقولى	٣٣٩
٤٧٩ أطلت فراطهم حتى إذا ما	٣٥٢
٤٧١ والخليل تملو فى الصعيد بداد	٣٦٣
٤٧٢ قد كنت أحسبكم أسود خفية	٣٧٠
باب الأصوات	
٤٧٣ دعاهن رد فى فارعون لصوته	٣٨١
٤٧٤ ثرد بحيهل وعاج كائما	٣٨٧
٤٧٥ حتى استقامت له الآفاق طائفة	٣٨٩
٤٧٦ وقول لإادو فلا دة	٣٩١
٤٧٧ رمى الله فى عينى بئينة بالقذى	٣٩٨
٤٧٨ وى كان من يكن له نشب يخر	٤٠٤

الشاهد	صفحة
٤٧٩	ولقد شَقَى نفسى وأبرأ سَقَمَها قولُ الفوارسِ ويك عَنَتُرُ أَقِيم ٤٢١
٤٨٠	روافدُهُ أَكْرَمُ الرافِداَتِ بَخ لَكَ بَخ لِبَحْرِ حِصْنَم ٤٢٤
٤٨١	وصار وصلُ الغانياتِ أَثَا ٤٢٦
باب المركب	
٢٨٢	كُلِّفَ من عَنائِهِ وشِقَوَتِهِ بَنَتْ ثَماني عَشْرَةَ من حِجَّتِهِ ٤٣٠
٤٨٣	ولا تَبْلَى بِشاشَتُهُم وإن هُم صَلُّوا بالحربِ حيناً بعد حين ٤٣٣
٤٨٤	فلولا يَوْمُ يَوْمٍ ما أُرْدنا جِزاءَكَ والقُروضُ لها جِزاءُ ٤٤٠
٤٨٥	تَفَقُّا فَوْقَهُ القَلْعُ السَّواري وَجُنَّ الحَازِبازِ بِهِ جُنونا ٤٤٢
باب الكنايات	
٤٨٦	كَأَنَّ فَعْلَةً لم تَمَلْأْ مواكِبَها ديارَ بَكْرِ ولم تُخْلَعْ ولم تَهَبِ ٤٤٧
٤٨٧	اكفِ اكفِ ٤٥٢
٤٨٨	وإِنِّي لَأَكُونُ عن قَدُورٍ بغيرِها وأَعْرِبُ أحياناً بها فأُصارُحُ ٤٦٥
٤٨٩	كَمْ بِجُودٍ مَقْرِيفٍ نالَ العُلاَ وكَرِيمٍ بُخِلَهُ قَدٍ وَضَعَهُ ٤٦٧
٤٩٠	كَمْ في بَنى سَعْدِ بنِ بَكْرِ سَيِّدٍ ضَخِمِ الدَّسِيعَةِ ماجِدٍ نَفَّاعِ ٤٧٦
٤٩١	كَمْ نالَني مِنْهُم فَضْلاً على عُدَمِ إِذْ لا أَكادُ من الإِقْتارِ أَجْتَمِلُ ٤٧٧
٤٩٢	كَمْ عَمَّةٌ لَكَ يا جَرِيرُ وخالَةٌ فدَعاءٌ قَدِ حَلَبَتْ عَلَيَّ عِشارى ٤٨٥
باب الظروف	
٤٩٣	ونحنُ قَتَلنا الأَزْدَ أَرَدَ شِئْوَها فَمَا شَرِبوا بَعْدَها على لَذَّةٍ حَمَرًا ٥٠١
٤٩٤	إِنِّي أَتَتْنى لِساناً لا أُسَرُّ بها من عَلا ولا عَجَبٌ مِنْها ولا سَخَرُ ٥١١
٤٩٥	بأَيَّةٍ يُقَدِّمونَ الحَيلَ شَعَثا كَأَنَّ على سَنابِكِها مُدَمَّما ٥١٢

الشاهد	صفحة
٤٩٦ ألا من مُبْلَغٌ عَنِّي تَمِيمَا	٥١٨
٤٩٧ يَهْزُ الْهَرَاعَ عَقْدُهُ عِنْدَ الْخُصَى	٥٣٤
٤٩٨ تَهَيَّئِكَ عَنْ طِلَابِكَ أُمُّ عَمْرُو	٥٣٩
٤٩٩ عَلَى حِينِ عَاتَبْتُ الْمَشِيبَ عَلَى الصَّبَا	٥٥٠
٥٠٠ وَنَطَعْنَهُمْ حَيْثُ الْكُلَى بَعْدَ ضَرْبِهِمْ	٥٥٣